الـدلـيل الــحاسـم

حسم للجدل القائم حول موضوع الأصول.

د. جيسون لايل

THE ULTIMATE PROOF of Creation

resolving the origins debate

God created

Dr. Jason Lisle

الدليل الحاسم للخلق	3
حسم الجدل القائم حول الأصول	3
كلمة شكر من المؤلف	5
مُقدِّمة	6
الفصل الأول طبيعة الأدلّة	13
الفصل الثاني الحل لمشكلة الجدل القائم حول الأصول	27
الفصل الثالث أمثلة توضيحية للدليل الحاسم	39
الفصل الرابع استعمال المنطق مع المؤمن بالتطور	60
الفصل الخامس مناهج الدفاع عن الإيمان	75
الفصل السادس مكان الأدلّة	91
الفصل السابع المغالطات المنطقية - الجزء الأول	99
الفصل الثامن المغالطات المنطقية - الجزء الثاني	121
الفصل التاسع سدّ الثغرات	134
الفصل العاشر الدفاعيات في الكتاب المُقدَّس	148
الخاتمة	162
الملحق أ تمييز الحقيقة	167
الملحق ب إجابة المعترضين - الجزء الأول	176
الملحق (ج) إجابة المعترضين - الجزء الثاني	207

الدليل الحاسم للخلق

حسم الجدل القائم حول الأصول

د. جيسون لايل

معلومات حقوق الطبع والنشر

الطبعة الثالثة: فبراير ٢٠١٠
طبع لأول مرة: أيار ٢٠٠٩

لمزيد من المعلومات:
Master Books ®, P.O. Box 726, Green Forest, AR 72638
Master Books ® is a division of the New Leaf Publishing Group, Inc.
ISBN-13: 978-0-89051-568-6
ISBN-10: 0-89051-568-9
Library of Congress Number: 2009926372
الرسومات من تصميم دان ليثا
الغلاف الرئيسي من تصميم ديانا بوغاردوس، إلا في حال تم ذكر ما يخالف ذلك،
شواهد الكتاب المُقدَّس الإنكليزية من ترجمة NIV.
طُبِع في الولايات المتحدة الأمريكية.

لمعلومات عن المراجعات التي قام بتقديمها المؤّلف،
الرجاء الإتصال بقسم النشر والإعلام على الرقم: (870) 438-5288.
قام بالترجمة:
Jack KAZANJYAN
www.reasonofhope.com

كلمة شكر من المؤلف

إن إتمام هذا العمل ما كان ممكناً دون الدعم الصادق من قبل أُسرتي، وزملائي في Answers in Genesis، وآخرين أيضاً. وأود أن أخصّ بالشكر كين هام، القسّ جاي لوكاس، والدكتور كينيث سينتري لمراجعة المسودات الأولية لهذا العمل وتقديم عدد كبير من الإقتراحات العملية والعلمية. وأقدم أيضاً شكراً إضافياً إلى صديقي دان ليثا الذي خاض معي العديد من الحوارات التي ساعدت إتمام هذا العمل، بالإضافة إلى الرسومات التي قدَّمها في هذا الكتاب.

وأود أن أذكر بشكل خاص الراحل د. غريغ باهنسن، الذي ومن خلال المحاضرات التي ألقاها كان مصدر إلهامٍ لهذا الكتاب. كان د.باهنسن باحثاً مميزاً ومسيحياً مُخلِصاً. وقد كان تميزّه مترافقاً مع التواضع، ومحبَّته لله كانت ظاهرة في جميع جوانب حياته. إن غريغ كان محاوراً متميّزا. كما كانت التشابيه والأمثلة التي يقدّمها عميقة ومن السهل تذكُّرها، وقد استعملت عدداً منها في هذا الكتاب. ويؤسفني أنني لم ألتقي أبداً بالدكتور باهنسن بشكل شخصي. أُصلّي أن يكون هذا الكتاب مكُرِّماً له.

جيسون لايل

مُقدِّمة

إن عنوان هذا الكتاب جريء: الدليل الحاسم للخلق. لكن هل يوجد حقاً شيء كهذا؟
يتوفر العديد من الكتب التي تمتلك حُجَجاً قويّةً تَدعَمُ الخَلْقَ التَوراتِيَّ. إلا أننا لا نجد أن الجميع يقتنعون بتلك الحُجَج. كما أن التطوريّون يمتلكون ردودا على تلك الحُجَج، بنفس الطريقة التي يمتلك فيها الخلقيون ردوداً على حُجَج التطوريين. لكن هل يوجد أي جدل أو مرافعة قوية بما فيه الكفاية إلى درجة أنها غير قابلة للدحض؟ هل يوجد دليل حاسم يثبت الخلق؟
إن كان ما نعنيه "بالدليل الحاسم" أنه الجَدَل (الحُجَّة) الذي نقدّمه والذي سيقوم بإقناع الجميع، فإن الإجابة ستكون لا. والسبب بسيط: إن الإقتناع هو أمر شخصي. فبعض الناس لايقتنعون حتى مع جدال قوي وبراهين متينة. ولكن للأسف نجد أن العكس هو ما يصحّ، فالكثير من الناس يقتنعون بجدلٍ ضعيفٍ مُفتَقِدٍ للبراهين المتينة. وبشكل عام نستطيع القول أن الناس لا يميلون إلى العقلانية والتفكير العميق. وبالطبع لا يُقصد بهذا أن الناس لا يتمتعون بالذكاء. لكننا بالغالب كأشخاص لا نتمتَّع بالموضوعية كما نحبّ أن نعتقد. في الغالب نؤمن بأشياء كنتيجة لأسباب نفسية، عوضاً عن الأسباب المنطقية. وعدد كبير من الناس يرفضون قبول الحُجَجَ الجيِّدَةَ لسَبَبٍ بسيطٍ ألا وهو أنَّهم لا يُريدونَ أن يؤمنوا بنتائجها. لهذه الأسباب وغيرها، نجد أنه ليس من الممكن أن يتم بناء حجة قادرة بشكل دائم على إقناع الجميع؟
لكن إن كان ما نعنية "بالدليل الحاسم" أنه الجدل القاطع - الذي ليس من الممكن أن يتم دحضة بشكل عقلاني - حينها ستكون الإجابة نعم. يوجد دليل حاسم للخلق. يوجد دليل حاسم قابل لأن يُظهر أن الرؤية المسيحية للعالم لابد أن تكون صحيحةً، وأنَّ الخلقَ التوراتيَّ لابد وأن يكون صحيحاً هو الآخر، ذلك أنَّهُ يُشكِّلُ جزءاً من الرؤية المسيحية للعالم.
يوجد بالحقيقة جدل قوي وحاسم وغير قابل للطعن للخلق التوراتي. وجدل كهذا يمكن وصفه بأنَّه "دليل حاسم" للرؤية المسيحية للعالم.
إن الجدل بحد ذاته هو أمر بسيط . ويمكن أن يتم اختزاله بعبارة واحدة. ويمكن أن تتم صياغته بعدة طرق. ويمكن استخدامه لإظهار حقيقة كلٍّ مِنَ الخلق التوراتي، الكتاب المُقدَّس، وجود الله، وجميع الأبعاد المسيحية الأُخرى. ومن أجل الفهم الكامل لهذا الجدل وتوقع جميع الردود الممكنة عليه، لابد أن نضع بعض القواعد الأساسية. فيجب أن نفهم طبيعة الدلائل العلمية وكيفية تفسيرها. كما ويجب أن نناقش طبيعة الرؤية للعالم، والعلاقة بين رؤية الشخص للعالم والدلائل.

وسنقوم بتغطية هذه المواضيع في الفصلين التاليين من الكتاب. دون هذه المفاهيم، لن يكون الدليل الحاسم عملياً للاستخدام. لذلك رجاءً، اقرأ الفصلين الأولين بعناية.

أما الجزء الباقي من الكتاب فإنَّه سيتناول كيفية تطبيق واستخدام الدليل الحاسم مع أنصار التطور، وسيقوم بتناول مفاهيم مهمة إضافية أيضاً. تتضمن كيفية كشف المغالطات المنطقية، استخدام الأدلة التاريخية والعلمية بطريقة سليمة، نماذج من الكتاب المُقدَّس للدفاع عن الإيمان، وبعض المفاهيم الفلسفية أيضاً. إن هدف هذا الكتاب أن يكون دليلاً كاملاً للدفاع عن الإيمان المسيحي - والتشديد على الدفاع عن السرد التاريخي الذي يقدمه سفر التكوين عن الخلق.

إن الكتاب المُقدَّس يعلم بأن المسيحيّين يجب أن يكونوا مستعدين بشكل دائم لتقديم دفاع عن إيمانهم (١بطرس ٣: ١٥). إن هذا الأمر ليس حصراً بالأشخاص الأكاديميّين أو اللاهوتيّين والعلماء. إنه للجميع. إن الله ينتظر من المسيحيّ المؤمن، أياً كان تحصيلة العلمي أو عمله، أن يكون قادراً على ابداء وتقديم سبب منطقي لإيمانه. وللأسف الشديد لا نجد الكثير من المسيحين يقومون بهذا الأمر على أكمل وجه. لكن الخبر الجيد هو أنك إن قمت بدراسة الدليل الحاسم للخلق وفهمته بشكل جيد، ستكون قادراً على تقديم جدل غير قابل للدحض دفاعاً عن الإيمان المسيحي. ولن يكون من المطلوب أن تعرف كلَّ شيءٍ عن كلِّ شيء. أتقن فقط الأسلوب المُبيَّنَ في الفصول التالية، وسوف تكون قادراً على الدفاع عن إيمانك المسيحي ضد كل معترض. فإن كنت مسيحيّاً تبحث عن دفاع جيد لإيمانك (وبشكل أخص إن كنت مسيحياً خلقيّاً[1])، فحينئذٍ سيكون هذا الكتاب مناسباً لك.

كما أن بعض قرّاء هذا الكتاب قد يكونوا من المتشككين بالموقف الخلقي المسيحي بشكل خاص. وربما قد تكون من المتسائلين إن كان من الممكن الدفاع العقلاني عن المسيحية. وربما تكون مؤمناً أن التطور قد ثَبَتَ بشكل يتجاوز الشكوك وتتساءل كيف يمكن لأي شخص أن يُشَكِّك به. هذا الكتاب لك أيضاً. إن كنت تبحث عن جدل قوي وغير قابل للدحض يختص بالخلق التوراتي أو بالرؤية المسيحية للعالم بشكل عام - مسيحياً كنت أو من المتشككين - أيضاً هذا الكتاب لك.

هدف هذا الكتاب أن يكون واسع النطاق، ولا يتطلب أي معرفة مسبقة بالخلق أو العلوم. إلا أنني أتوقع أن يستفيد الخبراء الخلقيون والمدافعون عن الإيمان المسيحي من المفاهيم والتقنيات التي يتمُّ تقديمها فيه. لقد تجنَّبتُ وبشكل متعمد الاستخدام المفرط للمصطلحات التقنية حتى يكون الكتاب سهل الفهم للجميع. بالطبع يوجد بعض المصطلحات التي لا يمكن تجاوزها. لكن حين يتم استخدام أحد المصطلحات التقنية، فإن التقديم والشرح الوافي له سيقدم بشكلٍ مرافقٍ له ليكون

[1] المسيحي الخلقي هو المؤمن بالخلق كما ورد في سفر التكوين وسوف يتم تقديم تفصيل أوفى في الفصل الأول من الكتاب.

واضحاً بما فيه الكفاية. إضافةً إلى أنك ستجد المفاهيم ذات الأهمية العالية مكررة في عدة فصول ومُفسَّرة بعدة طرق متوازية بعضها مع بعض. وهذا ليس بسهو إنما ميزة آمل أن تكون وسيلة مساعدة للاحتفاظ بالمعلومات ذات الأهمية.

أتوقع أيضاً أن الأشخاص غير المعتادين على الكتب التي تدافع عن الإيمان المسيحي سيجدون أن بعض أجزاء هذا الكتاب صعبة نوعاً ما. لكن رجاءً لا تفقد العزيمة. فبعض المفاهيم تحتاج القليل من الوقت والجهد ليتم استيعابها بشكل جيد. وهذا لا يعني بأن المفاهيم بحد ذاتها هي صعبة - لقد تمكنّتُ من تعليم هذه المفاهيم للمراهقين وحتى للأطفال. معظم الناس غير معتادين على التفكير بهذه الطريقة. ومعظم الناس لم يخصصوا الوقت الكافي لدراسة بعض المواضيع الأساسية والمرتبطة بوجودنا. وبالتالي فإنه سيتم عرض هذه الأفكار بطرق متنوعة ومبسّطة. كما أن البعض من الأشخاص يتعلمون بطريقة أفضل من خلال الأمثلة العملية، ويفضلون أن يروا الجدل هذا في حالة عملية. لهذا السبب قد تم إضافة ملحقين يقدمان أمثلة حقيقية من العالم عن استخدام الدليل الحاسم للخلق.

لقد درست موضوع الأصول لعدة سنوات، وقدَّمتُ العديدَ من المحاضرات عن سفر التكوين في العديد من الكنائس والجامعات. ولقد وجدت أن التقنيات المعروضة في هذا الكتاب هي أقوى بكثير من الجدالات التي يقدمها عدد كبير من المسيحيّين. إن كنت تستطيع أن تُتقِن استخدام هذه التقنيات، فإنَّه لن يكون من الضروري أن تقرأ الكثير من الكتب التي تتناول الدفاعيات أو أن تقوم بحفظ العديد من المعلومات العلمية (بالتأكيد، إن القيام بالأمرين معاً سيكون ذا تأثير إيجابيّ). إن الدفاع عن الإيمان المسيحي ليس بالأمر الصعب أبداً وذلك حين نتعلم كيفية القيام به بشكل جيد. والموضوع يتلخص باستخدام التفكير المنطقي الواضح والسليم.

قبل أن نخوض في التفاصيل، يجب أن يتم تحديد بعض المفاهيم تجنباً لسوء الفهم. إن كلمة " تطور" المُستخدمة في هذا الكتاب تشير إلى المعالجة الطبيعية التي يُزعَم أنها تقف وراء وجود الحياة وتنوعها إلى كل أشكال الكائنات الحية التي نعاينها اليوم. ووفقاً لفكرة التطور، إن جميع أشكال الحياة تتصل بعضها ببعض من خلال سلف إحيائيّ مشترك، كان قد تطور عبر مليارات السنين من كائن أُحادي الخلية، الذي بدوره قد تشكل من مواد كيميائية غير حيّة. إني مُدركٌ أن كلمة "تطور" قد تعني ضمن سياقات مُحدَّدة "التغير" بالمفهوم العام. لكن بما أن كلٌّ من التطوريّين والخلقيّين يؤمنون بأن الأشياء تتغير (لا يوجد أي شك حول هذا الموضوع)، سيكون هذا التعريف العلمي المحدد هدف هذا الكتاب.

المقصود "بالخلق"، هو الوصف المحدد لأصل الكون والحياة على الأرض كما ورد في سفر التكوين وكما تم توضيحه من خلال آيات ومواضع أُخرى في الكتاب المُقدَّس. فالكتاب المُقدَّس يُعلِّم بأن الله قد خلق الكون في ستة أيام اعتياديّة وقد أتمَّ ذلك منذ بضعة آلاف السنوات.[2] لقد خلق الله الحيوانات الرئيسية "لتتكاثر وتعطي بحسب أنواعها". إن الحيوانات المعاصرة ليست مُطابقة للتي كانت منذ البدء إلا أنها حافظت على أنواعها.

إنني على دراية تامة بوجود روايات أُخرى للتكوين. لكنني لم أجد أي من الأوصاف غير الكتابية للأصول على أنها قابلة لأن تقدم دفاعاً عقلانياً (بما في ذلك الإنفجار الكبير، الخلق التدريجي، فرضية تفسير اليوم على أنه عصر، وغيرها). ولذلك أنا أقوم وبضمير مرتاح بالدفاع عن الخلق التوراتي فقط.

حين يرد لفظ "غير مؤمن" فإنني أقصد به أي شخص لا يؤمن بالكتاب المُقدَّس - سواء كان ذلك جزءاً من الكتاب المُقدَّس أو الكل. ولذلك أنا أُشمل بينهم أولئك الذين يؤمنون بأجزاء من الكتاب المُقدس ولكن يرفضون الأجزاء الأُخرى (كالتكوين مثلاً). ولا أدَّعي في الوقت عينه أن أولئك الذين رفضوا قبول سفر التكوين قد رفضوا الإنجيل (وهو ما يُقصَد عادةً بلفظ غير "مؤمن" لكن ذلك في سياقات أُخرى). وهذا الكتاب متخصّص بالدفاع عن الخلق التوراتي تحديداً، وستجد أن التقنيات التي سيتم تقديمها قابلةٌ لدَحضِ أيّ موقفٍ غير توراتيّ.

---

[2] إن تحديد تاريخ الخلق بدقة ليس موضوع هذا الكتاب، لذلك لن يتم الدفاع عن أي أرقام تم تقديمها لسلاسل النسب، كالتي قام بتقديمها الأسقف أوشر. إن النقطة الرئيسية هي أن القراءة الأمينة لنص التكوين تشير إلى أن العالم يعود إلى بضعة آلاف من السنوات، وليس ملايين أو مليارات.

الخطوط العريضة للكتاب

سوف تكون البداية من خلال تعريف ماهيّة الأدلة. وسيتم تقديم عدد من الأدلة التي تدعم الخلق التوراتي في الفصل الأول. وهي أدلة جيدة وصالحة للاستخدام في المناظرات حول الأصول في حال تم استخدامها بشكل جيد. لكنها ليست الدليل الحاسم للخلق. إلا أنه من الضروري أن نفهم الجدالات المقدمة في المناظرات التي تتناول موضوع الأصول حتى نتعرف على سبب تميّز الدليل الحاسم عن تلك الأدلة. في الفصل الثاني سوف نستعرض مفهوم "الرؤية الشخصية للعالم". كما سوف نناقش المعايير الضرورية لتقديم حل عقلاني للجدل القائم.

في الفصل الثالث سوف نقدم ثلاثة أمثلة تفصيليّة عن الدليل الحاسم للخلق. وبطريقة ما يمكن أن يوصف الفصل الثالث على أنَّه "قلب" هذا الكتاب. وسوف يُظهِر بالتفصيل أسباب وجوب كون السرد التوراتي للخلق حقيقياً. في الفصل الرابع سوف نناقش كيفية استخدام الدليل الحاسم للخلق في حوارات مع الأشخاص المؤمنين بالتطور. علماً أن هذا الفصل لا يتناول أنواع " خدع" إنما يُظهر كيفية إجابة الخصم بطريقة عقلانية وفعّالة. وتم تقديم عدة أمثلة افتراضية. في الفصل الخامس سوف نعمل على تطوير منهج عام للدفاع عن الخلق التوراتي والإيمان المسيحي بشكل عام. ويتم ذلك من خلال تجميع سيول الأفكار لتصبّ معاً في الموضوع المرتبط بالجدل أو المناظرة.

في الفصل السادس سوف نناقش كيفية استخدام الأدلة العلمية بشكل صحيح حين يتعلق الموضوع بالجدل حول الأصول. فالأدلة العلمية تكون عالية الفعالية في حال تم استخدامها بشكل سليم. وللأسف نجد أن الكثير من الأشخاص يستعملون طرق غير فعالة ومليئة بالمغالطات المنطقية. لكن الإستخدام السليم للعلم يستطيع أن يكشف الضعف القاتل في النموذج العلماني للأصول.

الفصل السابع يتناول النقاش حول المنطق والمغالطات المنطقية، ابتداءاً من المغالطات غير الرسمية. إن المنطق هو أداة عالية الفعالية وقادرة على مساعدتنا على الوصول إلى الإستنتاجات الصحيحة. إلا أن المنطق غالباً يتعرض لسوء الفهم وسوء الإستخدام - وبشكل خاص حين يتعلق الموضوع بالدفاع عن التطور. الفصل الثامن يتابع النقاش بشكل أعمق حول المنطق والمغالطات المنطقية الرسمية. لا يتناول هذان الفصلان المغالطات المنطقية وطريقة كشفها فحسب، إنما أيضاً يقدمان مجموعة من الأمثلة عن المغالطات المنطقية التي يتم استخدامها من قبل انصار التطور

والمدافعين عنه. والمسيحيّون من ذوي الخبرة في الدفاع عن الخلق التوراتي قد يجدون البعض من هذه الأمثلة مألوفةً، لكنهم قد لا يدركون سبب كونها مغالطات.

في الفصل التاسع سوف نتعامل مع بعض المواضيع الإضافية التي تُطرَح بشكل عام عند الدفاع عن الخلق التوراتي. هذا الموضوع يتضمن نقاشاً حول الحاجة إلى معيار معصوم عن الخطأ، طبيعة المنطق الدائري، طبيعة الإيمان، وأمور أُخرى. هذا الموضوع يتطلب إلماماً بالمواضيع التي تعرَّضت لها الفصول السابقة. أما الفصل العاشر فإنَّه يتناول مواضيع تتعلق بالكتاب المُقدَّس: ما الذي يقوله الكتاب المُقدَّس عن الدفاع عن الإيمان؟ وكيف دافع الأشخاص الكتابيون عن الإيمان؟ في الملحق "أ" سوف نقوم بتطبيق التقنيات التي عُرِضَت في الكتاب على القراءات الشاذَّة لسفر التكوين، كما في القراءة التي يعتمدها الخلقيّون المؤمنون بنظرية "اليوم-العصر[3]" والتطوريّين الربوبيّين.[4] وسيتبيّن أيضاً أن هذه المواقف التي تقدم "التنازلات" هي الأُخرى تحتوي على عيوب منطقية جسيمة.

ويوجد بُعد آخر مميز في هذا الكتاب وهو أنه يتجاوز حدود النظرية البسيطة، حيث أننا سنقوم بتطبيق الدليل الحاسم للخلق من خلال أمثلة حقيقية. وفي الملحقين "ب" و "ج" سوف نتعامل مع عدد من الرسائل التي تم إرسالها من قبل المتشككين بالخلق التوراتيّ. حيث سنقوم بتحليل الرسائل ومن ثم الردّ عليها مستخدمين الدليل الحاسم للخلق مع المناهج التي تم التقديم لها في هذا الكتاب.

الملحق "ب" يستخدم التقنيات التي تم تطويرها في الفصول الخمسة الأولى وهو يتعامل مع الأساسيات. في حين أن الملحق "ج" يتعامل مع التقنيات الإضافية التي تم تقديمها في الفصول اللاحقة (مثل كشف المغالطات المنطقية). هذه الملاحق تعطي القارئ فرصة لأن يتعلم من خلال الأمثلة وهي بمثابة تدريب للدفاع عن الخلق التوراتي باستخدام المنهج الذي تم تقديمه في هذا الكتاب.

الأمر الذي يجب معرفته هو أن الدفاع عن الخلق الكتابي تم تقديمه من خلال الفصول الخمسة الأولى في هذا الكتاب. في حين أن الفصول من ٦ - ١٠ هي متقدمة عن ما سبقها وذلك من ناحية أنها تُبنى على المعلومات التي تم تقديمها في تلك الفصول. حقيقة الأمر، إن كل فصل من الفصول يستند بالتصميم على المعلومات التي قُدِّمت في الفصول التي سبقته. لذلك فإنه من الأفضل أن تقوم بقراءة الكتاب بحسب ترتيب الفصول في حال كانت هذه قراءتك الأولى له.

---

[3] قراءة كل يوم من أيام سفر التكوين على أنه عصر أو حقبة من الزمن.

[4] المؤمنين بأن الله قد استعمل التطور ليخلق الكون.

إن معظم المناظرات التي تتناول موضوع الأصول لا تتعامل مع هذه المسألة. فهي بالغالب تعتمد على أسلوب السيرة الذاتية، حيث أن كل شخص يقوم بتقديم الأسباب التي تؤكد أن موقفه هو السليم والأصح. وغالباً ما يعمل طرفي المناظرة على تقديم قراءتهما للأدلة بشكل متناوب وذلك كل منهما بالإعتماد على معياره الشخصي. إنه الوقت الآن للذهاب إلى جوهر القضية وعمق الجدال لتقديم حلّ عقلاني لمشكلة الأصول. إنه الوقت المناسب للدليل الحاسم للخلق.

الفصل الأول
طبيعة الأدلّة

في إحدى المناظرات التي تتناول موضوع الأصول جرى الحوار التالي: "في هذا الجدال حول الأصول سوف أستخدم الحمض النووي، المستحاثات، والطبقات الصخرية لدعم موقفي" هذا ما قاله مؤيد التطور.

فيرد الخلقيّ: "هذا أمر غريب، هذا بالتحديد ما كنت أريد أن أستخدمه لتدعيم موقفي!"

ما هو دور الأدلة في هذا الجدال القائم حول الأصول؟ هل تدعم الأدلة مثل الحمض النووي، المستحاثات والطبقات الصخرية الموقف التطوري؟ هل هي داعمة للموقف الخلقي؟

عدد كبير من الناس (خلقيّين كانوا أم تطوريّين) يقولون أن التحقيق الحيادي الذي يتناول الأدلة العلمية هو المعيار المطلق الذي يمكن من خلاله حسم الجدل القائم حول الأصول. إلا أن هذا الموقف لا يصمد أمام الفحص والدراسة المتأنية التي سوف نقوم بها في هذا الفصل. ويوجد البعض الآخر من الأشخاص الذين يتخذون موقفاً مغايراً، حيث يؤمنون بأن الأدلة لا علاقة لها بالجدل حول الأصول، فإنها قضيّة إيمان أكثر من كونها قضية منطقية. إلا أن هذا الموقف أيضاً يعتمد على التبسيط المفرط ولا يستطيع الصمود أمام الفحص المنطقي.

إن الأدلة العلمية هي أداة عملية للغاية حين يتعلق الموضوع بدراسة كلٍّ من أصل الحياة، الكون، عمر الأرض، وماشابه ذلك. فيوجد الكثير من الأدلة التي تؤكد أن الله بالفل قد خلق (بَرَأَ) كل شيء في السماء وعلى الأرض بطريقة تفوق الطبيعة منذ بضعة آلاف من السنوات، وذلك كما يقول الوحي المُقدَّس في سفر التكوين. في الحقيقة، إن الأدلة العلمية مقنعة لدرجة تدفع بعدد من الخلقيّين لأن يتعجبوا من إيمان أي شخص بالتطور. إلا أن الأدلة العلمية وحدها لا تستطيع حل القضية، وهذا ما سوف نراه خلال وقت قصير.

ومع ذلك، فإنه من المهم أن نكون على اطلاع على عدد معقول من الحجج العلمية التي تؤكد الخلق كما قدَّمه الكتاب المُقدَّس. لذلك، فلنبتدء الآن ببعض من الأدلة القوية (ولكنها ليست الحاسمة) التي توكد الخلق التوراتي.[1]

---

[1] أي أنها تؤكد ما قدمه سفر التكوين من باب أنها متناغمة مع ما قدمه أو متوافقة معه. لكنها لا تقدم إثباتاً لسفر التكوين من الناحية القطعية الحاسمة.

علم المعلومات

إن أحد أكثر الحجج العلمية شيوعاً وإقناعاً والتي تدعم الخلق التوراتي تتعلق بعلم المعلومات. في هذا العصر الذي نعيشه والذي يُغرقنا بكم كبير من المعلومات المتنوعة الأهداف والمصادر، نجد عدداً قليلاً من الناس يقفون ويتساءلون عن ماهيّة المعلومات، وعن مصدرها. يمكننا بطريقة علمية أن نقوم بتعريف المعلومات على أنها **رسالة مكتوبة بطريقة مشفّرة تتضمن إجراءات متوقّعة وقصداً أو هدفاً مُرتجىً.** وتحت هذا التعريف، نجد أن كلمات هذا الكتاب ترقى إلى أن تكون معلومات. فهي مكتوبة بلغة مُشفَّرة (بشكل كلمات تحمل أفكار ومعاني). والإجراء المتوقع هو أن القارئ سوف يقوم بقراءة الكلمات والعمل على تطبيقها، والهدف المرتجى هو أن يتمكن القارئ من الدفاع بشكل أفضل عن الإيمان المسيحي.[2] الحمض النووي هو الآخر يحتوي على معلومات. فالحمض النووي (الصبغي أو الريبوزي منقوص الأوكسجين) هو عبارة عن جزيء طويل يوجد في الخلايا الحيّة، ويشبه السلّم الملتف. كل دَرَجة من دَرجات هذا السُلَّم تشكل نمطاً من ثلاثة أزواج قاعدية من الأحماض الأمينية التي هي اللَّبِنات الأساسية للبروتينات. والحمض النووي يحتوي على "التعليمات" اللازمة لبناء الكائن الحي. ومختلف الكائنات الحية تمتلك أحماضاً نووية مختلفة. فالحمض النووي يرقى لأن يُشمل بتعريف المعلومات: فهو يحتوي على رسالة مشفَّرة (الأزواج القاعدية الثلاثية من الأحماض الأمينية) ويمتلك اجراءاً متوقعاً (ألا وهو تشكيل البروتينات) وهدفاً مرجواً (وهو الحياة).



الحمض النووي "DNA"

ومن الواجب أن نعرف أنه حين تتواجد المعلومات، يوجد عدد من القواعد المُبرهنة التي تُطبَّق. وهنا قاعدتين لعلم المعلومات:

I. لايوجد أي قانون من قوانين الطبيعة المعروفة، ولا أي نوع من العمليات المعروفة، ولا أي تسلسل للأحداث قادر على انتاج معلومات بطريقة عفوية في المادّة.[3]

II. عندما يتم تتبع التقدم الذي أحرزته المعلومات على طول سلسلة الأحداث الإنتقالية إلى الخلف، فإن كل جزء من المعلومات سوف يقود إلى مصدر عقليّ، أي عقل المُرسل.[4]

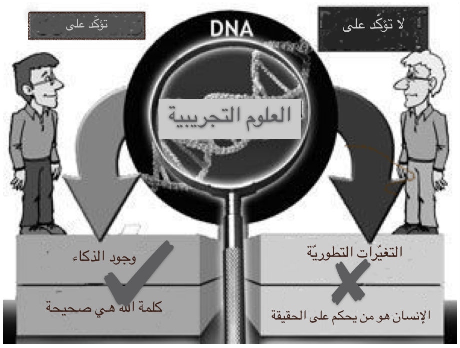
---

[2] سواء أقامت الجهة المتلقية للمعلومات بتنفيذ الأمور المرجوة منها بحسب التعريف أم لا، هذا لا يغير شيئاً. فالمطلوب فقط هو وجود إجراءات متوقعة وهدفاً مرجواً.

[3] هذه القاعدة رقم ٢٨ في كتاب الدكتور وارنر غِيت بعنوان في البدء كانت المعلومة، صفحة ١٠٧
In the Beginning Was Information Dr. Warner Gitt (Green Forest, AR: Master Books, 2006)

[4] القاعدة رقم ١٨ من المرجع السابق صفحة ٧٠.

القاعدة الأولى تقول لنا بأن المادة عاجزة على توليد المعلومات بشكل عفوي. والثانية تقول بأن مصدراً عقلياً (ذهن عاقل) وحده القادر على أن يقوم بتوليد المعلومات الخلّاقة. وبشكل آخر، ان هذه المعلومات ذات جذور عميقة، فنحن حينما نقرأ كتاباً ما نعرف وبشكل مُسَلَّم بأنَّ هنالك من أَلَّفهُ، فليس من شخص سيقرأ هذه الكلمات سيعتقد بأنها نتجت عن تراكم بطيء وطويل الأمد لسلسلة من الأخطاء المطبعية. ربما يكون هذا الكتاب الذي تقرأه الآن هو نسخة عن نسخة عن نسخة ...، إلا أنك ستؤمن بشكل مُسَلَّمٍ به بأن ذهناً عاقلاً هو المسؤول المُطلق عن المعلومات المُحتواة فيه (وذلك بغض النظر عما إذا كنت توافق عليها أم ترفضها!). إنَّ قواعد علم المعلومات تؤكّد هذا.



وبالطريقة ذاتها ومن خلال تطبيق قواعد علم المعلومات فإننا نستطيع أن نستنتج بأن الحياة لا يمكن أن تكون قد ابتدأت بالطريقة التي يدّعيها التطوريّون. فإن المعلومات المُحتواة في الحمض النووي لا يمكن أن تكون قد تولَّدت بِفِعل الطفرات الوراثية والإنتقاء الطبيعي ذلك أن قواعد علم المعلومات تؤكّد لنا أن المعلومات لا تصدر إلا عن ذهن عاقل (ذكاء). لكن المعلومات المُحتواة في الحمض النووي هي منطقية في ضوء الخلق التوراتي، فإن عقل الله هو من ابتدع تلك المعلومات ووضعها في الحمض النووي للكائنات الأصلية التي وُجِدَت على الأرض، وقد تعرضت تلك المعلومات للنسخ عدداً كبيراً من المرّات، كما أنّ البعض منها قد فُقِدَ أيضاً. ومن المؤكد أن مصدر المعلومات المُحتواة في حمضنا النووي وبشكل مُطلق هو الله ، وليس عملية الاحتمالات العشوائية. فقواعد علم المعلومات تؤكد ذلك.

في بعض الأحيان يعترض التطوريّون على هذا الطرح مشيرين إلى أن الطفرات الوراثية وبشكل نادر قد تكون قيّمة فتساعد على البقاء على قيد الحياة، بما معناه أنها في ظل تلك الظروف الخاصّة قد "حَسَّنت" مستوى الكائن الحي. إن الأمر صحيح لكن لا صلةَ لهُ بالموضوع قيد النقاش. فلم يتم أبداً معاينة الطفرات الوراثية وهي تقوم بإضافة معلومات جديدة كلياً، ولذلك فهي عاجزة عن لعب دور الآلية التي تقود عملية التطور. في بعض الأحيان قد تتسبب الطفرات الوراثية بتكرار قسم من سلسلة الحمض النووي أثناء النسخ، ولكن هل يعتبر هذا زيادة حقيقية في المعلومات؟ كلا ألبتّة، فقد يحدث خطأ أثناء نسخ كتاب ما ويتسبب بتكرار أحد الفصول. إلا

أن هذا لا يعتبر زيادة في المعلومات. ففي نهاية المطاف، هل يمكنك أن تتعلم شيئاً جديداً من مقطعٍ مُكرَّر وأنت لم تتعلَّمه من النص الأصلي؟

إن المعلومات الخلّاقة لا تظهر بشكل عفويّ من خلال المصادفة. إنها وبشكل دائم تكون صادرةً عن ذكاء. قواعد علم المعلومات تُخبرنا بهذا، وتجربتنا الشخصية تؤكّده!

تعقيدات غير قابلة للاختزال (من غير الممكن تجاوزها)

ان التعقيد البالغ الذي يفوق حدود الإدراك البشري والذي يوجد في الكائنات الحيّة هو حُجّة أُخرى غالباً ما يتم تقديمها في مواجهة التطور. لم يكن من الممكن لداروين أن يتنبأ عن هذا التعقيد المُذهل الذي يوجد حتى في "أبسط" كائن حيّ وحيد الخليّة. فإن كل خلية حية من خلايا الكائن الحي تمتلك مجموعة كبيرة من الآليات البيوكيميائية المعقّدة التي تعمل معاً وبشكل متناغم لتتمكن من إبقاء الخلية بأكملها على قيد الحياة. إن جميع أجزاء الخلية الحية مترابطة بعضها مع بعض، فإن فشل أي جزء من هذه الأجزاء فستكون النتيجة موت الخلية بأكملها. أما في الكائنات المتعددة الخلية، فإن الخلايا بحد ذاتها هي متخصّصة، ولكل منها دور وظيفي محدد يساهم في إستمرار وبقاء الكائن حيّاً. على سبيل المثال، القلب والرئتين والكليتين جميعها تعمل معاً، فدون وجود أحد هذه الأعضاء فإن الأعضاء الباقية لن تنجح في الإستمرار، والنتيجة ستكون موت الكائن الحي.

إن هذا الترابط بين الأعضاء يشكّل تحدياً لفكرة تطور الجزيء إلى إنسان. فالمفترض أن التطور قد تم من خلال خطوات تدريجيّة. الواحدة تلي الأُخرى. كما أنه من المفترض أنّ الطفرات الوراثية قد عَمِلَت على إحداث تغييرات تسبَّبَت بتطور الكائن الحي من نوعٍ إلى نوعٍ آخر. وهنا يمكننا أن نسأل السؤال التالي: مالذي قد تطوّر أولاً، القلب أم الكليتين أم الرئتين؟ فأنّ أياً من هذه الثلاثة هو عديم الجدوى دون وجود العضوين الآخرين. إن الأمر الواضح هو أن فكرة التطور التدريجي لأي نظامٍ حي مترابط ومتداخل، هي فكرة مستحيلة منذ البداية.

حتى في حالة الكائن وحيد الخلية، كيف لأيّ من أجزاء الخلية أن يظهر بطريقة عفوية تدريجيّة؟ فإن كل جزء من الأجزاء لا يستطيع الإستمرار دون الأجزاء الباقية. إن هذا النوع من الأنظمة يمكن أن يوسم بأنه "بالغ التعقيد" وبسبب كونه غير قابل للإختزال دون أن يتم فقدان وتدمير الأداء الوظيفي، يمكننا أن نَخلُص إلى إن أي نظام مماثل "بالغ التعقيد والترابط وغير قابل للاختزال" لا يمكن أن يوجد من خلال عمليات تطوريّة، ذلك أنَّ كل جزء يتطلَّب وجود بقية الأجزاء في الوقت عينه.

العديد من الآلات التي أبدعها البشر تحمل نوعاً من التعقيد البالغ أيضاً، فالسيارة على سبيل المثال، سوف لن تعمل إلا في حال كانت جميع أجزائها الرئيسية تعمل بشكل سليم. وحيث أن العديد من أجزاء السيارة هي الأُخرى بالغة التعقيد ومترابطة وغير قابلة للاختزال، فإن الإستنتاج المنطقي هو أن السيارة لم تُصنع من خلال المعالجة التطورية. لقد تم التخطيط لها وتصنيعها بحذاقة وبراعة من قبل مُخطِّط بارع قام بتخطيط كل جزء ليعمل بشكل متناغم مع بقية الأجزاء. والخلية الحية هي كذلك، حيث قد تم تصميمها من قِبل أفضل المصمّمين والذي قد حَضَّرَ بحذاقة وبراعة تفوق الوصف كل جزء من أجزاءها ليعمل بتناغم فائق مع بقية الأجزاء.

مؤشرات العمر

يشكل الإطار الزمني للأصول نقطة خلاف إضافية في الجدل القائم بين التطوريّين والخلقيّين. فهل استغرق ظهور الحياة عدة مليارات من السنوات، أو أنها قد خُلِقَت منذ فترة قصيرة في الماضي القريب؟ يوجد عدد من الأدلة التي تشكل تحدياً للإدعاءات العلمانية بأن عمر الأرض يبلغ مليارات من السنوات. والعديد من هذه الإجابات قد سبق وتم تصنيفها وتقديمها عبر مواقع إلكترونية مختلفة مثل (الخلق، إجابات في سفر التكوين)[5]. وسنقوم هنا بدراسة عينة اختبارية من هذه الأدلة.

الأمر الغالب هو أنّ العديد من الأشخاص قد سمعوا عن التأريخ بالكربون ١٤، إلا أن الغالبية من الأشخاص غير المتخصّصين وتحت تأثير الإنطباعات الخاطئة التي تُقدَّم لهم، يعتقدون بأن التأريخ بالكربون ١٤ يُظهِر بأن عُمر الأرض يبلغ مليارات من السنوات. إلا أن هذا الأمر خاطئ تماماً. فالتأريخ بالكربون ١٤ يقدم بشكل دائم نتائج أصغر من ذلك بكثير، وحتى عندما يتعلق الأمر بالأشياء التي يُعتَقَد أنها تعود إلى ملايين أو مليارات من السنوات. والسبب يرجع إلى أن العمر الأقصى للنظير غير المستقر للكربون ١٤ هو قصير نسبياً؟ وإليكم الآلية التي يعمل بها: إن معظم الكربون الموجود هو مستقر ويُعرف بالكربون ١٢. إلا أنه يتواجد نسبة صغيرة من الكربون غير المستقر ألا وهو الكربون ١٤. إن معنى غير مستقر هو أن جزيء الكربون يتفكك بمعدل ثابت ومستمر وعفوي متحولاً إلى نيتروجين، هذه العملية تحدث بشكل بطيء وبمعدل ذرّة واحدة في كل مرَّة. والمعدل الذي تمت ملاحظته للتفكُّك هو أنه خلال ٥٧٣٦ سنة سيتفكك نصف كمية ذرات الكربون ١٤ إلى نيتروجين ، ثم بعد ٥٧٣٦ سنة أُخرى سيتفكك نصف الكمية المتبقية منه متحولة إلى نيتروجين ليبقى رُبع الكمية... وهلم جرا. وبالتالي فإنه ومن خلال وضع مجموعة

[5] [انظر دون دي يونغ، آلاف وليس مليارات (طبعة غرين فوريست، آر: ماستر بوكس، ٢٠٠٥)، ,www.creation.com
www.answersingenesis.org]

من الافتراضات يكون من الممكن قياس الكمية الأصليّة من الكربون ١٤ في العيّنة المدروسة، ومن خلال ذلك يكون العلماء قادرين على تقدير عُمر العينة.

بما أن معدل تفكك الكربون ١٤ هو سريع نسبياً (على الأقل مقارنةً بالعمر المُفترض للأرض المُقدَّم من قِبَل العلمانيّين).فإن النسبة المتبقية منه بعد ما يقرب من مئة ألف عام ستكون تقريباً غير قابلة للملاحظة، حقيقة الأمر، أنه إن افترضنا أن كتلة الأرض بأكملها كانت من الكربون ١٤، فإنه خلال مليون سنة لن يتبقى حتى ولو ذرة واحدة منه! قد يبدو الأمر مفاجئاً للمؤمنين بقدم عمر الأرض حين يعرفون أنه قد تم العثور على الكربون ١٤ في مواد من المفترض أنها تعود إلى أزمنة غابرة، مثل الفحم والماسّ. فالإعتقاد السائد بحسب المنظور التطوري بأن الفحم قد تشكل قبل عدة ملايين من السنين. أما الماسّ الذي تم العثور على بقايا من الكربون ١٤ فيه فالمفترض أنه يرجع إلى مليارات من السنوات بحسب المنظور العلماني!

إن وجود أي كميات قابلة للملاحظة من الكربون ١٤ يشير إلى أن العمر الحقيقي لهذه الأشياء يبلغ عدة آلاف من السنوات وليس ملايين أو مليارات. إن التأريخ بالكربون ١٤ يتحدى مليارات السنوات المفترضة.

حقيقة الأمر، أن الكربون ١٤ يوجد تقريباً في كل الأشياء التي تحتوي على الكربون، حتى في الطبقات الصخرية العميقة التي يؤمن أنصار التطور بأنها تعود إلى مئات الملايين من السنوات. فإن كانت تلك الطبقات الصخرية قديمة فعلاً، فإنها يجب ألا تحتوي حتى على ذرة واحدة من الكربون ١٤. إن هذه النتائج تتوافق بشكل كامل مع الخلق التوراتي. فوفقاً لما يسجله سفر التكوين، إن عمر الأرض ليس أكثر من بضعة آلاف من السنوات، وبالتالي فإنه ليس من المستغرب اكتشاف وجود الكربون ١٤ في كل شيء تقريباً. فهذا ما يتوقعه المؤمنين بالخلق. لكن هذا الكربون عينه يشكل تحدياً كبيراً لنظام التطور وإطاره الزمني الممتد لمليارات السنين.

إن الأدلة المشابهة لما سبق والتي تشير إلى حداثة العهد تتواجد حتى في الفضاء الخارجي. فنتائج دراسة المذنّبات تتسق مع الخلق التوراتي، إلا أنها تتسبب بمشكلة كبيرة للرؤية العلمانية الموازية. فالمذنبات تتكون من الجليد والأتربة وتسير وفق مسارات إهليلجيّة تقودها بين الفينة والأُخرى إلى مسافة قريبة من الشمس. وحين يعبر المذنب على مسافة قريبة من الشمس سيتسبب الشعاع الشمسيّ برفع درجة حرارة المُذنَّب وهذا الأمر سيؤدي إلى تبخّر المادة المتجمّدة وتناثرها في الفضاء. ثم إنَّ هذه المواد المفقودة تتعرض هي الأُخرى للشعاع الشمسي والرياح الشمسية الأمر الذي يُنتِج ذيل المُذنَّب.

بما أن المُذنَّبات تفقِد المادَّة بشكل تدريجي، فإنه من غير المُمكن أن تكون موجودة منذ الأزَل. حيث قد تم تقدير الحدّ الأقصى لعُمر المُذنب القياسي بمئة ألف عام ، وهي الفترة التي سيفقد المذنب خلالها كامل كتلته الماديّة. إن هذه التقديرات لا تشكل أي تحدٍّ للإطار الزمني التوراتي، لكنها تقف بمواجهة الأفكار العلمانية. فإن كان النظام الشمسي يعود إلى عدة مليارات من السنوات كما يعتقد أنصار التطور، لماذا إذاً لازلنا نُعاين المذنَّبات؟

الأدلَّة وأجهزة الإنقاذ؟

إن الأدلة العلمية تتخذ موقفاً مؤيداً للخلق التوراتي وتتحدى في الوقت ذاته فكرة التطور. ويوجد عدد كبير من الأدلة التي يمكن استخدامها كأمثلة. بطريقة يبدو فيها وكأن فكرة التطور قد دُحِضَت. وقد يبدو الأمر أيضاً أننا قد أثبتنا وبشكل قاطع أنَّ الأدلّة العلمية قد أثبتت الخلق التوراتي ودَحَضَت فكرة التطور. إلا أنَّ هذا ليس صحيحاً.

جهاز الإنقاذ: هو تخمين مُصمَّم لحماية وجهة نظر الشخص من أي دليل يبدو مُعارضاً لها.

إن الأمثلة التي سبق تقديمها تشكل جدلاً فعالاً إلا أنها لا ترقى لأن تكون أدلة حاسمة ونهائية. فهي لا تثبت الخلق التوراتي بشكل قاطع ولا تدحض تماماً فكرة التطور ومليارات السنين كعمر مُفتَرَضٍ للكون. والسبب الذي يقف خلف هذا هو أن المؤيد للتطور يستطيع أن يستند وبشكل دائم إلى ما يمكننا أن ندعوه "جهاز إنقاذ" حيث أن مؤيّدي التطور قادرون على اختراع قصّة ما لتفسير وإبعاد الأدلّة المناقضة لوجهة نظرهم. وسنفحص الآن آلية عمل أجهزة الإنقاذ من خلال المثال الذي قدمناه بأن المذنبات تشكل دليلاً لحداثة عمر النظام الشمسي.

في الوقت الذي يعتقد عالم الفلك المؤمن بالتطور بأن المجموعة الشمسية تعود إلى عدّة مليارات من السنوات، هو يعاين المذنبات الموجودة فيه. وهو يقوم بحسابات تفيد بأن هذه المذنّبات غير قادرة على الإستمرار لمدة تتجاوز مئة ألف عام. فكيف له أن يقوم بالتوفيق بين هاتين النتيجتين ويخرج من هذا المأزق؟ يجيب عالم الفلك المؤمن بالتطور: من "الواضح أنَّه يجب أن يوجد مصدر ما لتوليد أو انتاج مذنّبات جديدة عوضاً عن تلك القديمة التي تتفكك." فقام علماء الفلك العلمانيّين بافتراض وجود "سحابة أورت" (وقد سميت بهذا الإسم تيمناً بمخترعها جان أورت). سحابة أورت هذه هي عبارة عن كتلة جليدية افتراضية (مُتَخَيَّلَة) هائلة الحجم وكروية الشكل محيطة بمجموعتنا الشمسية. وبحسب هذه الفرضية تتموضع خلف أبعد الكواكب، فيما وراء مدى الرؤية لأفضل التلسكوبات المتوفرة لدينا. ويقترح علماء الفلك العلمانيون بأنه بين الفينة والأُخرى يترك أحد العناصر مداره في سحابة أورت مندفعاً إلى داخل النظام الشمسي ويصبح بذلك مذنباً جديداً.

وبما أن هذا النوع من المذنبات يقدم حلاً لاستبدال المذنبات القديمة التي تتفكك، فيمكن للنظام الشمسي بهذه الطريقة أن يعود إلى مليارات من السنوات.

لا بد من الإشارة إلى أنه ليس من أحد قد سبق وعاين سحابة أورت **أبداً**. فمن حيث المبدأ يُعتَقَد بأنها أبعد بكثير من أن يتمَّ اكتشاف أو رؤية الأشياء الصغيرة والكتل المتواجدة فيها. وفي وقتنا الراهن لا يوجد أية مُعاينة لأي دليل من أي نوعٍ كان لسحابة أورت. ولذلك لا يوجد أي سبب مُقنع للاعتقاد بوجود هذه السحابة الإفتراضية. وهذه السحابة ليست موجودة إلا في أذهان المؤمنين بالتطور. وحقيقة الأمر إن سحابة أورت هذه هي جهاز انقاذ "يحفَظ" رؤية التطوريين من الدليل الذي يمكن أن يُبطِلَها.

بطريقة مشابهة لهذه يعمل التطوريون على تفسير ورفض الدلائل المُشابهة لما ذُكِرَ أعلاه من خلال استدعاء أجهزة إنقاذ مُشابهة. فلربما يوجد آلية غير معروفة قد عَمِلَت على تلويث الماسّ والعيّنات الأُخرى منتجةً ذرات من الكربون ١٤فيها وهذا يؤدي إلى أن الإدعاء بأن هذه العينات بالغة القِدَم يستطيع أن يصمد!. ولربما يوجد آلية لم يتم استكشافها بعد قادرة على انتاج وإضافة معلومات جديدة إلى سلسلة الحمض النووي. ولربما لا يوجد أي شيء بالغ التعقيد بشكل مذهل ومُبدِع: فالأشياء المُعقَّدة هي تعطي الإنطباع بذلك فقط نتيجة عدم قدرتنا على تخيل الخُطوات التي تدرَّجت من خلالها.

إن السبب الرئيسي الذي يجعل الأدلة وحدها غير قادرة على اقناع الناس هو أنهم قادرون وبشكل دائم أن يستندوا إلى المجهول، وهذا هو السبب الحقيقي الذي يجعل من الدلائل والجدل الذي سبق تقديمه عاجِزَين عن اثبات الخلق التوراتي، فأي دليل قابل للدحض والتفسير من خلال استخدام جهاز انقاذ مناسب له.

فهل استخدام أجهزة الإنقاذ هو أمر غير مقبول؟ وهل نستطيع انتقاد الفلكيّين التطوريّين كونهم يخترعون ويقدّمون تخمينات بهدف إنقاذ وجهة نظرهم التي ترتكز على العمر السحيق، عوضاً عن قبولهم بالأدلة التي تُقدَّم لهم؟ إن الردّ على هذه الأسئلة قد يكون غير متوقَّعاً، فالإجابة هي لا، إن استعمال جهاز الإنقاذ ليس خاطئاً بالضرورة. وفي الحقيقة نحن جميعاً نمتلك أجهزة انقاذ. جميعاً نمتلك طريقة تفكير معيّنة نقوم من خلالها بفهم العالم (أي رؤية للعالم). إن رؤيتنا للعالم هي عبارة عن تجميع لأشد قناعاتنا حول الطريقة التي يعمل من خلالها العالم: أي كيف ظهر العالم للوجود، طبيعة الواقع، طبيعة الحقيقة، وكيف يجب أن نحيا.

وبغضّ النظر عن الرؤية التي نمتلكها، سيتواجد دائماً بعض الأدلة التي تعطي انطباعاً بأنها لا تتوافق معها - قد يكون الأمر مجرد انطباعاً - وبالتالي فإن أي شخص كان، سواء أكان من

أنصار التطور أو من أنصار الخلق التوراتي سيقوم بالاعتماد على جهاز انقاذ من نوع معينّ بغرض الحفاظ على عقلانية رؤيته للعالم.

وعليه فإنه ليس من الضروري انتقاد علماء الفلك العلمانيّين كونهم اخترعوا سحابة أورت [بالرغم من عدم ايماني بوجودها]. فإنه ليس من الممكن التأكد من عدم وجودها، إذ أن غياب الدليل على وجود سحابة أورت ليس دليلاً على عدم وجودها. وبالتالي فإن من غير الممكن أن نرفض بشكل فوري التخمينات التي يقدمها أنصار التطور على قاعدة أنها غير عقلانية أو مستحيلة. بالرغم من ذلك، فإن التخمين لايجب أن يكون مبالغاً به وتعسّفياً. فإن قمت وببساطة بالتأكيد والإصرار على أن مركز كوكب زُحل يتكون من "الجُبن الأخضر" إلا في حال قام شخص آخر باثبات عكس ذلك، إن هذا الموقف يُعتَبر مرفوضاً. فوفقاً لقواعد التفكير المنطقي، ليس مسموح لأي شخص أن يكون تعسفياً - أي أن يقوم بافتراضات عشوائية دون وجود مُبرِّر كافٍ لها. فإن كنا جميعاً سنقوم بتقديم افتراضات دون وجود مبر لها، حينئذٍ نكون قادرين بشكل متساوٍ على تقديم افتراضات متناقضة. أي أنَّه إن كان لدى الناس الحق بتقديم أي افتراض دون الحاجة لتقديم حُجَج منطقية لتدعيم موقفهم، فإنه سيكون من المُستحيل أن يُجرى أيّ حوار عقلاني. وبالتالي فإنه يجب على كل شخص أن يمتلك حُججاً منطقية لجهاز الإنقاذ الذي يريد استخدامه، ذلك إن أراد أن يكون الأمر عقلانياً.

كمثال على هذا تأمَّل في "مشكلة ضوء النجوم البعيدة" التي تُستخدَم كَحُجَّة لإثبات أن الكون لابد من أن يكون بالغ القِدَم، على اعتبار أن الضوء يستغرق مُدَّة طويلة جداً ليصل من أبعد المجرَّات إلى الأرض. فكيف يستجيب المؤمنون بالخلق التوراتي لهذه المشكلة؟ حتى وقت تقديم هذا الكتاب لا يوجد أي إجابة حاسمة لمشكلة ضوء النجوم البعيدة، وبالتالي فإن الخلقيّين يلجأون إلى استخدام جهاز إنقاذ لتقديم تفسير لهذه المُشكلة. وقد تم تقديم عدد من النماذج الجيدة والقادرة على تقديم تفسير جيد، ونظراً لعدم امكانية اثبات أيٍّ منها بشكلٍ قطعيّ فإنها ستبقى بمثابة تخمينات - أي أجهزة إنقاذ.

هل يُعتبر هذا الأمر تعسفياً؟ الإجابة هي لا، فالخلقيون يمتلكون سبباً للإيمان بوجود تفسير وإجابة لمشلكة ضوء النجوم البعيدة. وبوصفي خلقيّ فإني مُقتنع تماماً بأن الكتاب المُقدَّس هو بالحقيقة كما يدَّعي عن نفسه "كلمة الله". وبذلك فإن الكتاب المُقدَّس هو صادق في كل ما يُقدِّمه عن خلق الكون. إن نظرتي المسيحية إلى العالم تتطلب أن يكون الله قد قام بالخلق في ستة أيام، وذلك كما سبق وصرّح بأنه فعل. وبالتالي فأنا أمتلك سبباً جيداً لأعتقد بوجود تفسير عقلاني ومنطقي يقدّم حلاً لمشكلة ضوء النجوم البعيدة (وربما يكون الحل الصحيح من خلال أحد

النماذج الموجودة حالياً، أو أنَّه لم يُكتَشَف بعد). السبب الذي يقف وراء جهاز الإنقاذ الذي قمت باستخدامه هنا هو أني أمتلك العديد من الأسباب التي تؤكد لي صحة رؤيتي للعالم التي تؤكد بدورها وجود جهاز انقاذ مماثل.

وبالتالي فإن الشخص العقلاني قد يلتمس الحُجة في رؤيته للعالم على أساس أنها السبب الذي يقف وراء جهاز الإنقاذ. ومن الطبيعي أنه يجب أن يمتلك أسباباً مُقنِعة لرؤيته للعالم. التطوريّون (ومعهم جميع المؤمنين بالعمر السحيق للكون) يمتلكون المُبرِّر الكافي للإيمان بوجود سحابة أورت وذلك فقط في حالة واحدة، إن كانوا قد التمسوا الحُجّة في رؤيتهم للعالم. لكن التماس الحجة في الرؤية الشخصية إلى العالم تكون أمراً عقلانيا فقط في حال كانت تلك الرؤية هي بحد ذاتها أمراً عقلانياً. وبالتالي فإن الجدال القائم حول الأصول يمكن أن يتم تلخيصه في جدال حول الرؤى المتنافسة إلى العالم. وعليه يتوجب علينا أن نقدم بضعة أفكار وتعريفات لطبيعة وماهية الرؤية إلى العالم وكيف نحكم بين المتنافسة بينها.

الرؤى إلى العالم



يوجد نسبة كبير من الأشخاص لا يفكرون بشكل جديّ برؤيتهم إلى العالم. وحقيقة الأمر أن عدداً كبيراً منهم لا يلاحظ أنه يمتلك رؤية إلى العالم. وهذه الفئة من الأشخاص تمتلك ميلاً للاعتقاد بأنه يتم اكتساب كل المعارف من خلال الملاحظة النزيهة وغير المتحيزة للأدلة التي تحيط بنا. هذه الرؤية تُعرف بالإمبريقيّة أو التجريبية وهي بحد ذاتها تعتبر رؤية إلى العالم. ان هذا الموضوع غير قابل للتجاهل، فكل شخص منا يمتلك بعض المعتقدات التي تتعلق بالكيفية التي يسير بها العالم، الكيفية التي تُكتَسَب من خلالها المعرفة والكيفية التي يجب نحيا وِفقها. حتى إن الإعتقاد بعدم امتلاك رؤية إلى العالم هو رؤية إلى العالم. أي أنَّه ليس من مِفَرّ. إن الرؤية إلى العالم هي أمر حتمي، ولكن الرؤية العقلانية ليست كذلك.

الرؤية إلى العالم هي شبكة معتقداتنا الأساسية التي نستخدمها لتفسير وتقييم جميع الأدلة والملاحظات.

إن رؤيتنا للعالم تتحكم في طريقة رؤيتنا للأدلة. ويمكن أن يتم تشبيهها بالنظارات العقلية، حيث أنها تتحكم في الطريقة والوضوح الذي نرى من خلاله الأمور المحيطة بنا، وذلك بنفس الآلية التي يرى بها الشخص الذي يرتدي نظارات ذات عدسات حمراء أن اللون الأحمر في كل مكان، فإن الشخص الذي يرتدي نظارات تحمل عدسات التطوّر سوف يرى التطور في كل مكان. لكن اللون

الأحمر ليس في كل مكان وكذلك حال التطور، لكن هذه العدسات تؤثر على طريقة إدراك العالم من حولنا وعلى الإستنتاجات التي نخلص إليها. وسوف نجد أن الكتاب المُقدَّس يشبه العدسات الطبية التي تقوم بتصحيح النظر. وبدون ارتداء "نظارات الكتاب المُقدَّس" فإن العالم سيظهر غامضاً وعديم الوضوح. لكن حين يكون تفكيرنا مبني على أساس الكتاب المُقدَّس، فإن العالم من حولنا سيكون شديد الوضوح، وسيحمل معنى.

إن الشخص الذي يرتدي النظارات الحمراء يرى العالم بشكل مختلف عن الشخص الذي يرتدي النظارات الصحيحة الموصوفة طبياً. ويمكننا القول بأن المؤمنين بالتطور يرون العالم بطريقة مختلفة عن المؤمنين بالخلق التوراتي. فجميعنا نمتلك الحقائق عينها. إلا أننا نقوم بتلوين هذه الحقائق مستخدمين رؤيتنا إلى العالم. لذلك نجد أن التطوريّين والخلقيّين يقومون بتفسير الأدلة ذاتها بطرقٍ مختلفة. ولا يمكن تجاوز هذه النقطة.

إن معظم الإحباط الذي يتبع الجدل والمناظرات التي تدور حول الأصول إنما هو ناجم عن الفشل في الإدراك بأن كل من التطوريّين والخلقيّين **لا بدَّ** من أن يفسروا الدلائل ذاتها بطرق مختلفة ويخلصوا إلى نتائج مختلفة منها وذلك بالاعتماد على رؤيتهم المختلفة للعالم.



إن كل من الخلقيّين والتطوريّين يقدمون تفاسير مختلفة للأدلة الواحدة كونهم يمتلكون رؤى مختلفة للعالم.

يوجد نسبة كبيرة من الأشخاص ترفض القبول بحقيقة أن تفسير الأدلة لا بد أن يتم في ضوء معتقدات مُسبقة - والتي تشكل نوع من الإلتزام المترافق مع الإيمان الشخصي. حيث أن نسبة كبيرة منهم تعتقد بأن التعامل مع الأدلة يجب أن يتم بطريقة محايدة ودون أي تحيّز - وبكلمات أُخرى نقول دون أي مواقف أو معتقدات مسبقة. إلا أن هذا الأمر مستحيل. إذ أنَّ هذا المبدأ في التعامل مع الأدلة يعتبر بحد ذاته نوع من المعتقدات أو الأحكام المسبقة للكيفية التي يجب فيها التعامل مع الأدلة. إضافةً إلى ذلك، فإنه لكي تحمل ملاحظتنا للأدلة أي معنى، لابد أن نمتلك أولاً الإيمان بأننا قادرون على الإعتماد على حواسنا. فإنه سيكون من غير المجدي أن نقوم بمعاينة ودراسة أي جزء من الأدلة إن لم نؤمن أولاً بأننا نستطيع الإعتماد على حواسّنا.



إنه من غير الممكن أن يتم تجنّب ارتداء "النظارات العقلية" - أي امتلاك رؤية للعالم - لكن المهم هو ارتداء النظارات

المناسبة، فبشكل مشابه للطريقة التي يستنتج بها الشخص الذي يرتدي النظارات ذات العدسات الحمراء أن كل شيء في العالم يميل إلى اللون الأحمر، كذلك هو حال من يتبنّى رؤية خاطئة للعالم سيقوم باستنتاجات خاطئة فيما يتعلق بالكون. إلا أنّ النظرة السليمة إلى العالم تستطيع أن تقوم بحمايتنا من ارتكاب قفزات خاطئة تقود إلى استنتاجات خاطئة فيما يتعلق بالكون وطريقة عمله. على سبيل المثال، حين أراقب أحَّد السحرة وهو يقوم بتقطيع أحد الأشخاص من لمنتصف، سأكون متيقنا بشكل مباشر أن هنالك خدعة ما - أي أنه لا يوجد أي شخص قد تعرَّضَ للتقطيع - وذلك بصرف النظر عن معاينتي للخدعة. إن هذا الإستنتاج الذي قمت به ليس مبنياً على الدليل الذي أمامي، إنما هو نتيجة لطريقة رؤيتي للعالم التي تقدّم لي الحماية من الوصول إلى الإستنتاجات الخاطئة.

فلنفترض أن إحدى جاراتك قد أخبرتكَ بأنَّها قد شاهدات "طبقاً طائراً" في الليلة الماضية.[6] إن رؤيتك للعالم سوف تتدخل بشكل فوري لمساعدتك على تحليل وتفسير هذا الدليل. مع تزايد الأدلة التي تقوم جارتك بتقديمها سوف تقوم أنت بتكوين فرضيات مبنية على رؤيتك إلى العالم. فلربما كانت هذه إحدى تجارب الطيران السريّة التي تجريها الحكومة، ولربما كانت تحتسي الكحول في الليلة الماضية، وإنه من الممكن أن تكون قد رأت كوكب الزُهرة. إن الإستنتاج الذي قد تصل إليه لن يكون مبنياً على الأدلة وحدها، إنما يتأثر بطريقة فهمك للكون. فإن كنت مقتنعاً بعدم وجود كائنات فضائية، سيكون من الطبيعي أنك لن تخلص إلى استنتاج يفيد بأن جارتك قد رأت بالفعل طبقاً طائراً. إن رؤيتك إلى العالم ستقوم بتقييد طريقة معالجة الأدلّة. وهذا الأمر صحيح في جميع جوانب الحياة. سواء كان ذلك يتعلق بالأطباق الطائرة، الخداع البصري، الحمض النووي وما شابه. إن رؤيتنا إلى العالم هي من تتحكم بطريقة مقاربتنا للأدلة.



حتى هذه اللحظة ، لم يتم تقديم حجة تثبت أن الرؤية المسيحية إلى العالم هي الرؤية الصحيحة - أي أنها الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يمكن تفسير الأدلة بطريقة سليمة سواء كان الموضوع متعلقاً بالأصول أو بأي موضوع آخر. لكن لابد من أنه قد أصبح من الواضح أن كل شخص يقوم بتفسير الأدلة في ضوء رؤيته إلى العالم. وإنه أيضاً من الواضح أن كلّا من الخلقيين والتطوريّين يمتلكون رؤيتهم الخاصة والمختلفة إلى العالم. وهو السبب الذي يُفضي إلى أن كلّاً منهم يقوم بتفسير الأدلة بطريقة مناقضة للآخر. لهذا السبب

[6] قام باقتراح هذه المحاكاة جاي لوكاس مشكوراً.

أيضاً لن تكون الأدلّة سبباً كافياً حتى يقوم أي شخص بإعادة النظر برؤيته إلى العالم. إذ أنَّ أي دليلٍ علمي سيكون قابلاً للتفسير بطريقة معينة ليتوافق من خلالها مع أي واحدة من الرؤى إلى العالم.



فالمؤمن بالخلق التوراتي الذي ينظر إلى المذنّبات يستنتج بأن مجموعتنا الشمسية هي حديثة العهد، أما المؤمن بالتطور ينظر إلى المذنبات ويستنتج أنَّ سحابة أورت لابد وأن تكون موجودة، الخلقيّ الذي يقوم بفحص الحمض النووي يستنتج بأنَّه لا بد من وجود خالق، في حين أن مؤيّد التطور حين يتفحص هذه المعلومات سيستنتج بأنَّ الطفرات الوراثية أو ربما إحدى الآليات التي لم يتم اكتشافها بعد هي المسؤولة عن توليد هذه المعلومات، المؤمن بالتطور حين ينظر إلى التشابه بين المعلومات الوراثية لعدد من الكائنات الحية سيستنتج بأنها تمتلك سلفاً مشتركاً، في حين أن المؤمن بالخلق حين سيعاين تلك المعلومات عينها سيستنتج بأن تلك الكائنات قد خُلِقَت من قبل خالق واحد.

كل منا سيقوم بتفسير الأدلة بناءً على رؤيته إلى العالم. وأيُّ دليل قد يُبدي معارضةً لرؤيتنا فإنه سيتم تفسيره من خلال استدعاء جهاز انقاذ. ونجد أن الكثير من المناظرات التي تتناول موضوع الأصول تكون عديمة الجدوى والسبب هو أن طرفا المناظرة لم يفهما طبيعة كل من الرؤى إلى العالم، الأدلة وأجهزة الإنقاذ. فالخلقيّين يصابون بالإحباط كنتيجة لعدم اقتناع التطوريّين بالأدلة التي يقدّمونها، ولكن التطوريّين أيضاً يتملّكهم الشعور عينه بالإحباط تجاه الخلقيّين. إن هذا النوع من الإحباط ينتج من عدم التطرق إلى المشكلة الرئيسية التي تكمن في أن الأشخاص يقومون دائماً بتفسير الأدلة بطريقة تتوافق مع رؤيتهم إلى العالم. وبالتالي فإن الأدلة بحد ذاتها عاجزة عن حسم الجدال.

إن هذا الأمر مشابه لما يُعرف "بالتعادل المكسيكي" حيث لا يوجد أي رابح، وقد يبدو أيضاً أنه لا يوجد أي حلّ عقلاني لمشكلة الأصول هذه. فالنتيجة دائماً وبغض النظر عن مدى توافق الأدلة العلمية مع الخلق، إن التطوريّين يقومون بتفسير الأدلة نفسها بطريقة مغايرة، وربما يعتقدون أيضاً أن الأدلة تدعم وبشكل مفرط الموقف التطوري.

بما أننا نقوم بتفسير الأدلة بناءً على رؤيتنا للعالم، وبما أنَّ الخلقيّين والتطوريّين يمتلكون رؤيتين مختلفتين إلى العالم، سيكون السؤال المطروح هو: هل يوجد أي حل عقلاني لحسم هذا الجدال؟

إن الفصل التالي سيقوم بتقديم الحل لهذه المعضلة، فالدليل الحاسم للخلق التوراتي يتعامل مع الرؤى إلى العالم. وسيتبيّن لنا أن الرؤية الخلقية للعالم لابد أن تكون صحيحة، فهي الإحتمال الوحيد العقلاني.

الفصل الثاني
الحل لمشكلة الجدل القائم حول الأصول

أليس أمراً مثيراً للإهتمام أن اثنين من حاملي شهادة الدكتوراة يعملان جنباً إلى جنب لدراسة أحد الأدلة الماديّة، ويصلان إلى نتائج مختلفة تماماً حول ما يعنيه هذا الدليل؟

في الوقت الذي كنت أقوم بأبحاثي للحصول على شهادة الدكتوراة في جامعة كولورادو، سنحت لي الفرصة أن أُجري العديد من الحوارات مع عدد من أهمّ دارسي علم الفلك. وغالبيتهم من المؤمنين بالإنفجار الكوني العظيم، وبالكون الذي يعود إلى عدة مليارات من السنين، ومع ذلك كنت أرى عددا كبيراً من الأدلة التي تشير إلى أن الكون إنما هو أشدّ حداثة من تلك الأرقام وبفروقات شاسعة. كما يوجد عدد من علماء الفلك الخلقيّين ممن هم على اطلاعٍ على هذه الأدلة، لكن ما هو سبب وجود هذا العدد الكبير من الأشخاص غير القادرين على على الوصول إلى ذات تلك النتائج؟ والأمر الذي لاشك فيه هو أن العديد من الزملاء كانوا يعتقدون بغرابة الأمر، ذلك أنني أرفض القبول بالإنفجار العظيم والإطار الزمني ذو مليارات السنوات. وأعتقد أنهم قد تساءلوا أيضاً "لماذا لا يستطيع هذا أن يرى كل هذه الأدلة على الإنفجار العظيم والعمر السحيق للكون؟"



لقد رأينا في الفصل السابق أن تفسير الأدلة يتم من خلال رؤية كل شخص للعالم. فإن كل من الخلقيّين والتطوريّين سيقومون بتفسير الحقائق ذاتها لكن كل منهم بطريقته الخاصة التي تعتمد على رؤيته إلى العالم. لذلك نجد أن الأدلة وحدها عاجزة عن حسم الصراع القائم بين التطور والخلق. فكلٌّ من الطرفين يؤمن بأن الأدلة "في صالحه".

ومن أجل الوصول إلى حسم عقلانيّ للجدل القائم حول الأصول يجب أن نتعامل أولاً مع الرؤيتين المتعارضتين للعالم - وليس مع الدلائل المنفردة. فإن كنا سنقوم بالبحث العقلاني للاختيار بين الرؤيتين المتنافستين للعالم فيتوجب حينئذٍ على الخلقيّين أن يتعلّموا ويفهموا رؤية التطوريّين للعالم، وكذلك هو الحال بالنسبة للتطوريّين فيما يختصّ برؤية الخلقيّين للعالم. ولذلك سيكون من المفيد أن نقوم بتلخيص كلٍّ من الموقفين.

الرؤية الخلقية للعالم

الخلقي التوراتي الملتزم هو الشخص الذي تكون رؤيته للعالم مبنية على أساسٍ أنَّ الكتاب المُقدَّس هو مرجعه الأعلى.[1] وعليه فإن الخلقيّ يؤمن بأن الإله الكليّ القدرة (متى ١٩: ٢٦)، الكليّ المعرفة (كولوسي ٢: ٣)، المثلث الأقانيم (أشعياء ٤٥: ٥، يوحنا ٨: ١٨) قد خلق الكون في ستة أيام اعتياديّة (خروج ٢٠: ١١) منذ بضعة آلاف وليس مليارات من السنوات (بناءً على دراسة سلاسل النسب كالتي في تكوين ٥: ٤-٣٢). وفي يومنا الحاضر، إن الله هو حامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عبرانيّين ١: ٣) بطريقة منطقية ومتناغمة وهي ما ندعوه "قوانين الطبيعة" أو "القوانين العلمية" (ارمياء ٣٢: ٢٥). والطريقة التي خلق بها الله العالم ليست هي ذات الطريقة التي يديره ويدبر أموره؛ إذ أنَّ الله قد أنهى أعمال الخلق في اليوم السابع (تكوين ٢: ٢).

عندما أتمَّ الله خلق العالم كان في حالةٍ مثاليةٍ (تكوين ١: ٣١؛ تثنية ٣٢: ٤). لقد أُعطِيَ الإنسان الأول (آدم) سلطاناً على كلّ الخليقة (تكوين ١: ٢٨، ٢: ١٥). لكن آدم قد تمرَّد على الله (تكوين ١: ١٦ ٣: ٦). وكنتيجة لذلك لَعَن الله الأرض (تكوين ١: ٢٨، ٢: ١٥)، وهذا هو سبب وجود الموت والمعاناة في العالم (رومية ٥: ١٢، ١٨: ٢١-٢٢). وبما أن جميع البشر الموجودين اليوم هم من نسل آدم (أعمال ١٧: ٢٦)، نمتلك نحن جميعاً الطبيعة الخاطئة ونتمرَّد على الله من خلال عصيانه ومخالفة أوامره. وكما كانت حالة آدم هكذا نحن مستحقّينَ عقوبة الموت والإنفصال الأبدي عن الله. وهذا هو السبب الذي من أجله ووفق اللاهوت المسيحي، قد تجسَّد الإله مُتَّخِذاً طبيعتنا البشرية (يوحنا ١: ١، ١٤)، ومات على الصليب. فيسوع المسيح أخذ مكاننا بالموت كنوعٍ من أعمال الرحمة مُقدِّماً بذلك العمل الغفران والمصالحة لجميع اولئك الذين يعترفون به ويقبلونه إلهاً ومخلّصاً لحياتهم (رومية ١٠: ٩-١٠).

إن الله قد خلق الحيوانات والنباتات الأصليّة "لتتكاثر وتعطي بحسب نوعها"(تكوين ١: ١١، ٢١، ٢٥) مشيراً بذلك إلى وجود تميُّز بين أنواع النباتات والحيوانات، إلا أنه يمكن أن يوجد تميّز ضمن النوع الواحد. لذلك فإن النباتات والحيوانات التي نعاينها اليوم ليست إلّا سلالات مختلفة عن النوع الأصلي (كذلك يوجد بعض الأنواع التي انقرضت). والانتقاء الطبيعي هو أمر حقيقي... فالحيوانات والنباتات تستطيع أن تتأقلم مع البيئات المختلفة التي تتواجد فيها. إلا أنَّ هذا النوع من الآليات غير قادرة على إنشاء معلومات جديدة وإضافية للمجمَّع الجيني (الجينوم)، وبالتالي فهي لم تتسبب ولا بأي شكل من الأشكال بإنتاج أي نوع جديد من الكائنات الحيّة.

[1] إن كل شخص يمتلك معياراً أعلى يرجع إليه، وهذا ما سنراه في الفصل التاسع من الكتاب. ومن الطبيعي أن يمتلك الأشخاص معياراً ثانوياً. فالمعاينة والتجربة قد تكون مثالاً مناسباً عن المعيار الثانوي. فنحن نؤمن بالعادة بأن ما تستقبله حواسّنا هو حقيقي، لكن غالبيّتنا لا يثقون بحواسهم على أساس أنها المعيار المطلق غير القابل للشك، وخاصة حين نشاهد بعض الخدع البصرية أو الألعاب السحرية، فنحن حينذاك نميل إلى عدم الإيمان بما نعاينه لصالح معيار أعلى من المعاينة والذي يساهم في تعريفنا بأن حقيقة ما نعاينه تختلف عن الظاهر.

لقد أحدَثَ الرب الإله طوفاناً غَمَرَ العالم بأكمله وذلك نتيجةً لفساد الإنسان (تكوين ٥: ٥-٧، ١٧) لكنه حَفِظَ عدد من الأشخاص استجابةً لطاعة نوح (تكوين ٥: ٩، ١٨) فحَفِظَهم وحَفِظَ أنواع الحيوانات من خلال الفُلك الذي بناه نوح (تكوين ٦: ١٩). إن الخلقيّين يؤمنون بأن معظم المستحاثّات المتواجدة في جميع أنحاء العالم في عصرنا الراهن إنما هي نتيجة مباشرة للطوفان العالميّ. ويمكن القول أن هذه المفاهيم تُقدِّم تلخيصاً بسيطاً لإيمان الخلقيّين.

الرؤية التطورية للعالم

للأسف الشديد لا يوجد رؤية تطورية موحَّدة لكي نقوم بتلخيصها. فالمؤمنين المختلفين بالتطور يتمايزون برؤيتهم للعالم بعضهم عن بعض ولو كان ذلك بشكل طفيف. إلا أنه يوجد عدد من الملامح المشتركة بين تلك الرؤى والتي سنكتشف من خلال هذا الكتاب أنها تحتوي على عيوب منطقية وعقلانية.



"تسنَّت لي الفرصة خلال مسيرتي العلمية أن أُجري حوارات مع عدد لابأس به من التطوريّين، كما قد قرأت عددا جيداً من الأبحاث العلمية ذات الأساس التطوري. وبناءً على ذلك سأقوم بتلخيص معظم النقاط المشتركة. وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من الضروري أن يكون جميع الأشخاص المؤمنين بالتطور يؤمنون بجميع هذه النقاط التي سترد تالياً، إلا أن معظمهم يمتلكون تفرّعات مشابهة لها.

إن التطوريّين يرفضون القراءة المنطقية لسفر التكوين. كما أن المعيار الأعلى يختلف من شخص إلى آخر، لكن كلٌّ منهم يمتلك معياراً أعلى وهو الأمر الذي سنراه في الفصل التاسع من الكتاب. في الغالب يكون هذا المعيار هو المذهب الطبيعي[2] (أي أن الطبيعة هي كل ما هو موجود) أو المذهب التجريبي (القائم على فكرة أن الحصول على كلّ المعرفة إنما يتم من خلال التجربة والمعاينة). وكنتيجة لذلك نجد أن عمر الكون هو عدّة مليارات من السنوات. حيث ابتدأ بالإنفجار الكوني العظيم - الذي هو توسّع سريع للفضاء، الزمن، والطاقة من نقطة واحدة بالغة الصِّغر. ثمَّ بعد ذلك هدأت الطاقة واستقرَّت لتُشَكِّل المادَّة، والمادّة تكثَّفت لتشكّل النجوم والمجرّات. ثم قامت النجوم بتشكيل العناصر الأثقل التي تكثَّفت معاً لتشكّل الكواكب. إن مجموعتنا الشمسية بشكل خاص

[2] في بعض الحالات، يفضل العلماء المنهج الطبيعي عوضاً عن ماوراء الطبيعي (الميتافيزيقي). والإيمان المنتشر في العصر الراهن يميل إلى الإعتقاد بأن الطبيعة هي أساس كلّ شي ولا يوجد أي شيء آخر سوى الطبيعة وهو ما يُقصد به "المذهب الطبيعي".

قد تشكّلت قبل ٤,٥ مليار عام كنتيجة لانهيار سحابة غازيّة. فالنجوم والمجرّات والكواكب هي نتاج لعمل قوانين الطبيعة على مدى فترات طويلة جداً من الزمن.
وعلى كوكب الأرض، تجمعت بعض العناصر الكيميائيّة بعضها مع بعض مُشكِّلَةً أوَّل خليّةٍ ذاتية الاستنساخ. وهذه الخلية قامت بالتكاثر لِتُنتِجَ خلايا أُخرى مماثلة لها، لكن بين الفينة والأُخرى كان يحدث بعض الطفرات (الأخطاء أثناء النسخ) الأمر الذي تسبَّب بالتنوّع. ولكن معظم نتائج هذا التنوع لم تكن "ملائمة" للبيئة والمناخ، مما تسبب بموت الكائن، وبالتالي فإن هكذا نوع من الطفرات لم يُمَرَّر إلى الأجيال التالية. إلا أن بعض الطفرات أتت بنتائج إيجابية للكائن. وهذه الكائنات "المُحسَّنة" كانت ذات قدرة أعلى على الاستمرار، وبالتالي فإنها قامت بتمرير معلوماتها الوراثيّة إلى نسلها. وبهذه الطريقة، يُقال بأن الكائنات الحية قد تطوَّرت بشكل تدريجيّ، الأمر الذي أدى إلى وجود هذا التنوع الهائل من أشكال الحياة التي نعاينها في يومنا هذا. فجميع أشكال الحياة إنما هي نتاج لعمل الطبيعة على مدى فترات طويلة جداً من الزمن ("المذهب الطبيعي"). ليس من ضرورة لوجود إله في هذه المعالجة، إلا أنَّ بعض التطوريّين يؤمنون بالله أو على الأقل يؤمنون بوجود إله من نوع ما.
وفقاً لما يؤمن به التطوريّون، لم يحدث أي طوفانٍ عالمي. إنما يُفتَرَض أن المستحاثّات التي نعاينها قد نتجت خلال مئات الملايين من السنوات من خلال عمليات بطيئة وتدريجيّة. ويميل التطوريّيون إلى التمسك بمبدأ "الوتيرة (الطبيعة) الواحدة" (بدرجات متفاوتة). وهو الإفتراض القائل بأن المعدلات والعمليات التي تحدث اليوم هي نفسها التي كانت تحدث في الماضي أي أنَّ "الحاضر هو المفتاح لفهم الماضي." هذا هو ملخص بسيط للموقف التطوّري التقليدي.
على اعتبار أنَّ حضارتنا المعاصرة مُشبَّعة بالمفاهيم التطورية (سواء كان ذلك من خلال وسائل الإعلام، الأفلام، التعليم العامّ، المتاحف، الكتب المدرسية، والكثير من الوسائل الأُخرى) فإن تعليم الخلقيّين عن التطوّر لن يكون بشكل عام مشكلةً بقدر ما هو حال تعليم التطوريّين عن الخلق. وإنه لمن المهم أن نتذكر أثناء الخوض في غِمار النقاش أنَّ التطوريّين غالباً ما يمتلكون مفاهيم خاطئة عن الموقف الخلقيّ، ولكن العكس من ذلك هو أمر واردٌ أيضاً.

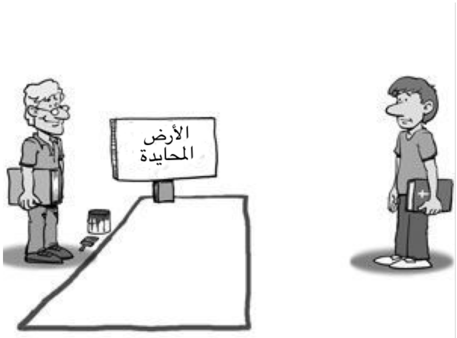
الرؤى المتصارعة (المتنافسة)

يمتلك كل من التطوريّين والخلقيين رؤيتين مختلفتين إلى العالم - ويمكن القول أن كل فريق منهما يمتلك معياراً أعلى يقوم من خلاله بتفسير الأدلة. ونحن حين نفهم الاختلاف بين الرؤى إلى العالم سيكون من السهل رؤية الأسباب التي تدفع الأشخاص للخلوص إلى نتائج مختلفة من المعلومات

عينها. من المنطقي أن التطوري سيؤمن بأن مستحاثّة بعينها تعود إلى ملايين السنين، في حين أن الخلقي سيؤمن بأن ذات المستحاثّة إنما ترجع إلى زمن الطوفان. ومن الطبيعي أيضاً أن الاستنتاجات التي سيصل إليها التطوّري ستكون مختلفة حين يعاين ويدرس الحمض النووي، المذنبات أو أي شيء آخر في الكون. فالأدلة لا "تتحدث من تلقاء نفسها"، إنما تتطلب تفسيراً. ونحن نقوم بتفسير المعلومات من ضوء رؤيتنا إلى الكون وإلى الماضي. فكيف يمكن اذاً أن نقوم بحل هذا الجدال؟



في البداية، قد يظهر الأمر على أنَّه ليس من سبيل لحل الجدال وذلك على اعتبار أننا نمتلك رؤى مختلفة للعالم.



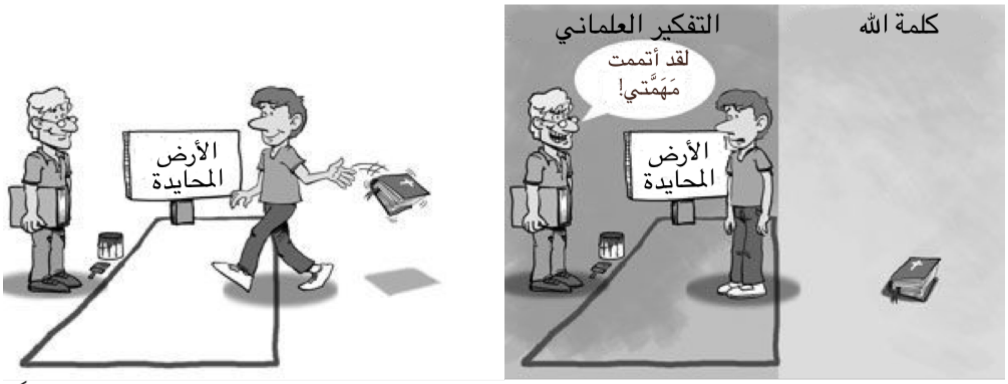
هل يوجد "أرض محايدة" بين الموقف العلماني والموقف الكتابي؟

مغالطة إدّعاء الحيادية

عندما يدرك الشخص أننا نتعامل مع الرؤى المختلفة إلى العالم، غالباً ما يميل إلى الإعتقاد بأن الجدال يمكن أن يُحسَم من خلال "الإلتقاء على أرضٍ مُحايدة". فلربما يوجد موقف فيما بين الرؤيتين الخلقية والتطورية - رؤية "وسطيّة" حيث يستطيع أن يتوافق عليها كلٌّ من الخلقيّين والتطوريّين. فحين نتفق على "قواعد التفسير" نستطيع أن نصل إلى اتفاق حول أي من الرؤيتين تتوافق بشكل أفضل مع الأدلّة. إن النظرة السطحية لهذه الدعوة قد تعطي انطباعاً بأن الأمر منطقيّ. لكن عند اجراء الفحص الدقيق لها، سوف نجد أن مقاربة مثل هذه لا يمكن أن تنجح. فهي تمتلك عيباً منطقياً، كما أنّها غير متوافقة مع الكتاب المُقدَّس أيضاً. وإنه لأمرٌ مستحيل أن تكون محايداً حين يتعلق الأمر بالرؤى إلى العالم، والإدعاء بذلك هو نوع من أنواع المغالطات. لذلك سوف نطلق عليها "مغالطة الإدّعاء بالحيادية". إذ أن كل شخص لا بد وأن يمتلك معياراً أعلى غير قابل للشك وهو الذي يُشكّل الأساس الذي ترتكز عليه رؤيته إلى العالم. وهذا الأمر سوف يتم معالجته بطريقة أوسع في الفصل التاسع من الكتاب، و سيكون من المفيد إظهار الخطأ في أساسات هذا النوع من المقاربات.

أولاً، إنها تمتلك عيباً منطقياً. إذ أن كلاًّ من الخلقيّ والتطوريّ يمتلكان رؤية للعالم ذات قيمة بالنسبة لهما. وكل منهما يعتقد بأن رؤيته للعالم تقدم له أفضل طريقة لتفسير الأدلة. ولكن الرؤية

الثالثة "المحايدة" (افتراضيّاً) ستقوم بتقديم تفاسير للبعض من الأدلة تكون مختلفة عن كلٍّ من الرؤيتين الخلقية أو التطورية (وهذا ضروري وإلا فإنه لن يكون من الممكن التمييز بينها وبين تلك الرؤى). فإن كان التفسير "المُحايد" للبعض من البيانات خاطئاً، فلماذا حينئذ سنتق بأنها صالحة للإشارة سواء إلى الخلق أو التطور؟ (لماذا سنثق برؤية خاطئة للعالم لتقدم إشارة إلى الرؤية الصحيحة؟) أو في حال كان التفسير "المُحايد" صحيحاً، حينئذٍ سيكون من الواضح أن كُلاً من التفسيرين الخلقي والتطوريّ هما خاطِئَين - وفي تلك الحالة لن يكون أي من الرؤيتين صحيحاً. إن كل شخص لابد أن يمتلك معياراً مطلقاً يقوم من خلاله بالتقييم. وذلك المعيار المطلق لا يمكن أن يخضع للتقييم باستخدام معيارٍ أدنى منه وإلا لن يكون هو المعيار الأعلى حينذاك.[3] وبالتالي يمكننا القول بأن الموقف "المُحايد" هو مَعيب منطقياً.



إن "الأرض المحايدة" هي مفهوم علمانيّ. ولهذا السبب فهي ليست مفهوماً محايداً. والمسيحيّون الذين يحاولون إقامة المناظرة على "الأرض المحايدة" قد خسروا المناظرة، إذ أنهم تخلّوا عمّا يحاولون الدفا ع عنه.

ثانياً، إن المقاربة المحايدة لا تتفق مع الكتاب المُقدَّس. حيث أنَّ يسوع المسيح قد أشار إلى عدم وجود حياد حين يتعلق الأمر بالإلتزام المطلق. في متى ١٢: ٣٠ يقول: "مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ، وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ." ويمكن أن يتم سرد عدد آخر من الآيات مثل (رومية ٨: ٧؛ يعقوب ٤: ٤؛ وغيرها). في البداية يمكن أن يظهر أن هذا الدافع ينطبق على المسيحيّين فقط، على اعتبار انهم يؤمنون أن الكتاب المُقدَّس هو مصدر معصوم للحقيقة. لكن طبيعة الإدعاء تفرض في الوقت عينه على غير المؤمن أن يكون غير محايد. وبما أن الكتاب المُقدَّس يشير إلى عدم وجود أرض محايدة، فإن أي شخص يقول بوجود تلك الأرض المحايدة فهو بالضرورة يقول بأن الكتاب المُقدَّس خاطئ. ولكن أي شخص يقول بأن الكتاب المُقدَّس خاطئ لا يقف موقفاً مُحايداً حيث أنه

[3] تم تقديم المزيد من التفاصيل في الفصل التاسع. الهدف المرجو هنا هو فقط تقديم فرصة لتذوق نكهة الجدال المقدَّم.

قد اتخذ الموقف القائل بأن الكتاب المُقدَّس على خطأ. ولذلك فإنه من المستحيل أن يكون أيّ شخص محايداً حين يتعلق الموضوع بسلطان الكتاب المُقدَّس.

حسم الجدل: الإتساق

لقد قمنا حتى اللحظة بإظهار عجز الأدلة بشكل منفرد عن حسم الجدل، ذلك على اعتبار أنَّنا سوف نقوم بتفسير معاينتنا للكون بطريقة تتوافق فيها مع رؤيتنا للعالم. وكذلك أظهرنا أنه من غير الممكن أن يتم حسم الجدال من خلال ادّعاء الحيادية، فالموقف المحايد ليس له وجود. فكيف لنا إذاً أن نتجادل حول موضوع الأصول (الذي هو جدال يدور حول الرؤى إلى العالم) ونحسم الجدال بطريقة عقلانية؟ إن السبيل هو من خلال إدراك أنه يوجد نتائج للرؤية إلى العالم. فأياً يكن المعيار الأعلى الذي يختاره الشخص سوف يكون له تَبِعات تقود إلى معتقدات أُخرى، والتي ستقود بدورها إلى معتقداتٍ أُخرى وهلم جرا.

لكن يوجد بعض المُعتقدات التي لاتنسجم بعضها مع بعض. وهذا يزودنا بمعيار يُمكن من خلاله أن نميّز بين الرؤية الجيدة إلى العالم والسيئة منها: **فالرؤية الجيدة للعالم لابد وأن تكون متَّسقة ومتناغمة منطقياً**. فإن كانت الرؤية للعالم تحمل تناقضات داخلية، حينئذٍ لا يمكن أن تكون صحيحة. كما أنَّ بعض الرؤى إلى العالم تقود إلى نتائج غريبة تُفضي إلى استحالة معرفة أي شيء. مثل هذه الرؤى هي معيبة من الناحية المنطقية على اعتبار أنها تقود إلى استحالة المعرفة حتى فيما يتعلّق بصِحَّة الرؤية ذاتها. فإذاً وبالرغم من امتلاك كل شخص من الأشخاص لمعياره المطلق أو الأعلى، فإنه ليس من الضروري أن تُنتِجَ جميع هذه المعايير رؤى للعالم تكون متسقة ذاتياً وتفضي إلى امكانية الوصول إلى المعرفة. فإن كانت الرؤية للعالم تحتوي على تناقض داخلي أو تُفضي إلى نتائج عبثيّة، حينئذٍ لا يمكن أن تكون صحيحة.

على سبيل المثال، فلنتأمل في الفلسفة النسبيّة. فالمؤمن بالنسبيّة يعتقد بأن الحقيقة هي "أمر نسبي" - أي أنها تختلف من شخص إلى آخر. والنسبية تتضمن أفكاراً أُخرى مثل غياب وجود أي أمر مُطلَق. إلا أن الموقف القائل "بعدم وجود أي شيء مطلق" هو موقف مُطلَق بحدّ ذاته. فالنسبية تفترض بأنَّه على الإطلاق لا يوجد أي شيءٍ مطلق. وهذه الفلسفة هي ذاتية النقض. فإن كانت النسبية هي صحيحة بشكل مُطلق، فإنها ستقود إلى نتيجة أنها لا يمكن أن تكون صحيحة بشكل مطلق. أي أنها إن كانت صحيحة، فهي ستكون خاطئة؛ وبالتالي فهي خاطئة.

فلنتأمل في مثالٍ آخر، ولنأخذ الفلسفة التجريبيّة (الإمبيريقية). وهي الفكرة القائلة بأنه يتم تحصيل جميع أنواع المعرفة من خلال التجربة والمعاينة. بالطبع نحن نؤمن بأن بعض أنواع

المعرفة يتم تحصيلها من خلال التجربة والمعاينة - وهذا أمر يتّفق مع الوحي المقدَّس.[4] فالربُّ الإله قد صنع حواسّنا لتكون موثوقة لنحقق في الكون ونسبر أغواره، ولا يوجد أي مشكلة فيما يتعلق بالمناهج التجريبية. لكن الفلسفة التجريبية تذهب أبعد من هذا بكثير. فالفلسفة التجريبية تذهب للقول بأن جميع أنواع المعرفة يتم اكتسابها من خلال المعاينة.[5] أو بكلماتٍ أُخرى، إن التجربة هي المعيار الأعلى الذي من خلاله يمكن الحكم على الإدعاءات بالحقيقة. وهذا الأمر الذي لا أتفق معه. وغالباً ما نجد أنّ المؤمنين بالتطور يعتمدون المذهب التجريبي.

إلا أنَّه يجب أن نسأل المؤمن بالمذهب التجريبي عن كيفية معرفته بأن "جميع المعرفة تُحَصَّل من خلال المعاينة". فمن الأكيد أن هذا الأمر ليس مما قد عاينه حيث أن المعرفة لا يمكن أن تتم معاينتها. وبالتالي كيف يُمكن لأي شخص أن يعرف بأن الفلسفة التجريبية هي حقيقة، إن كانت كل الأشياء حقاً تُعرَف من خلال المعاينة؟ فإن تمَّ إثبات المذهب التجريبي بأيَّة وسيلة غير المعاينة، حينئذٍ فهي يكون المذهب ذاته قد نُقض. فإن كان المعيار الأعلى الذي يعتمده المؤمن بالمذهب التجريبي صحيحاً، فحينئذٍ لن يكون هو نفسه قادراً على معرفة أن الأمر صحيح؛ ولن يكون قادراً على إثبات ذلك. وإن كان المعيار الأعلى الذي يعتمده الشخص مشكوكاً به، حينئذٍ ستكون جميع معتقداته (التي بشكل أو بآخر قد بُنيت على ذلك المعيار) مشكوكاً بها أيضاً. فالمذهب التجريبي يلغي إمكانية المعرفة الفعلية لأيّ شيء.

حسم الجدل: الشروط المُسبقة لقابلّية الوضوح (وقابلية الفهم)

من أجل أن تكون الرؤية للعالم عقلانية ومن الممكن الدفاع عنها، يجب أن تكون متماسكة ومتسقة داخليا (أي أنها لا تحتوي أو تقود إلى تناقضات). لكن الإتساق الذاتي للرؤية للعالم لا يعني أنها صحيحة. بل يوجد معيار آخر يجب أن تحقّقه أيضاً. **فالرؤية العقلانية يجب أن تؤمّن الشروط المسبقة لقابلية الوضوح.** وهي الشروط التي يجب أن يتم القبول بها على أساس كونها صحيحة قبل معرفة أي شيء عن الكون. ومعظم الناس يأخذون هذه الشروط المسبقة للوضوح على أنها مسلَّمات أو بديهيّات دون بذل أي عناء.

موثوقية الذاكرة هي مثالٌ على ذلك. إن أي شخص يستطيع أن يفترض بأن ذاكرته يمكن الإعتماد عليها، لكن إثبات هذا الإفتراض ليس بالأمر السهل كما يتبيّن. فكيف تعرف أنك تستطيع الإعتماد أو الوثوق بذاكرتك؟ البعض قد يقول: "حسناً، لقد قمت باختبار للذاكرة منذ

[4] يمكن للفلسفة التجريبية أن تعمل كمعيار ثانوي. لكنها غير نافعة أن تكون المعيار الأعلى للمسيحي الملتزم بالتعليم الكتابي.

[5] يتم استكمال هذا الأمر في كثير من الأحيان من خلال الحاجة للإتساق المنطقي.

أسبوعين، وقد أبليت بلاءً حسناً." لكن نستطيع الردّ: "كيف تعرف أنك قد خضعت لاختبار الذاكرة منذ أسبوعين من الزمن؟ إن تذكُّرَكَ للأمر لا يعني وقوعه إلا إن كنّا نعرف بشكل مسبق أنه من الممكن الإعتماد والوثوق بذاكرتك." ويمكن القول بأن قابلية الإعتماد على ذاكرتنا هو أمر نُسلِّم به جميعاً قبل البدء في التحقيق ودراسة الكون.

مثالٌ آخر هو قابلية الإعتماد على حواسّنا (موثوقيّة الحواسّ)، فنحن نفترض أنَّ مستقبلاتنا الحسيّة (العين، الأذن،...) تزودنا بمعلومات موثوقة عن الكون الذي نحيا به. فبدون هذا الإفتراض، لن يكون العلم والبحث العلميّ أمراً ممكناً. فلن يمكننا أن نخلص إلى أيّ نتيجة من أي نوع من التجارب في حال كانت معاينتنا لتلك التجربة غير موثوقة. فإن كان ما نتلقاه عبر مستقبلاتنا الحسيّة هو مجرّد أوهام، حينئذٍ سيكون البحث العلمي أمراً مستحيلاً.

فلننظر في مثال حيويّ آخر وهو: قوانين المنطق. نحن جميعاً نفترض وجود قوانين المنطق التي تدير المنطق السليم. وقد أوردنا سابقاً في هذا الفصل تصريحاً بأن التناقضات لا يمكن أن تكون صحيحة. ولربما لم يَحدُث أن تساءَل أي من القرّاء حول هذا الإدّعاء؛ إذ أنَّه قانون من قوانين المنطق التي نأخذها جميعاً على أنَّها مُسلَّمات. فكيف نستطيع أن نُثبت وجود قوانين المنطق؟ يتوجب علينا بدايةً أن نتبنى وجودها حتى نكون قادرين على تقديم إثبات منطقيّ. ولهذا السبب تُشكل قوانين المنطق شرطاً مسبقاً للوضوح. فمن الواجب تبني هذه القوانين قبل أن نجادل حول أيّ شيء - بما في ذلك المجادلة حول قوانين المنطق.

إن الرؤية السليمة من الناحية المنطقية يجب أن تؤمّن هذه الشروط المسبقة للوضوح، ذلك أنه دون وجود هذه الشروط لن يكون من الممكن معرفة أيّ شيء عن الكون. يجب على كلٍّ من الخلقيّين والتطوريّين أن يفترضوا ويتبنوا هذه الشروط المسبقة للوضوح قبل البدء بالبحث عن المعرفة. لكن وكما سيتبين لنا في الفصل القادم بأنَّ الرؤية الخلقية للعالم وحدها تستطيع أن تقدم تبريراً للشروط المسبقة للوضوح سواء كانت قوانين المنطق أو موثوقيّة الحواس والذاكرة. إذ أنه دون وجود تبرير منطقي للأمور التي نتبنّاها على أساس أنَّها مسلَّمات، لن يكون من الممكن أن نثبت صحّة أي من أفكارنا أو معايناتنا المتعلّقة بالعالم. وإن كانت معايناتنا وأفكارنا غير موثوقة فلن نكون في الحقيقة قادرين على أن نتيقّن من أي شيءٍ ألبتّة. وبالتالي، فإنه فقط في ظل العالم المخلوق وفق الكتاب المقدّس سيكون من الممكن الحصول على المعرفة حول أي شيء.

سفر الأمثال ١: ٧ يشير إلى أنَّ بدء المعرفة هو من خلال الإحترام والطاعة للإله الذي يُقدِّمَه الكتاب المُقدَّس، وبأنَّ رفض الحكمة والتعليمات الكتابية ستقود وبشكل أكيدٍ إلى اللاعقلانية

والجهل. هذا هو المفتاح للدليل الحاسم للخلق التوراتي، وبصورة أشمل، للكتاب المُقدَّس، وللرؤية المسيحية للعالم، ولوجود الله، و... .



في البداية، قد يبدو أنه ليس من وسيلة لتعيين الرابح في المناظرة، على اعتبار أن طرفي النزاع يقومان كلٌّ منهما بتفسير الأدلة في ضوء رؤيتهما للعالم.



إلا أن الرؤية العلمانية للعالم ليست إلا نوع من "الرمال المتحركة". فهي غير متّسقة ولن تقدم دعماً للفهم والتفسير العقلاني للأمور التي نأخذها كمسلّمات.

إن الدليل الحاسم للخلق التوراتي هو التالي: إن لم يكن الخلق التوراتي صحيحاً، فإنه لن يكون من الممكن معرفة أيّ شيء*!*

يمكن أن يتم تقديم هذا الدليل بصِيَغ مختلفة، لكن بالفعل يمكن أن يتم اختزاله إلى التالي: وحدها الرؤية المسيحية للعالم (التي تبتدئ من سفر التكوين بوصفه تاريخاً حقيقيّاً) تقدم صورةً عقلانيّة للكون. وفقط في ظل صحّة الخلق التوراتي يمكننا أن نصل إلى معرفة تتعلق بأي شيء.

سيقفز البعض معترضين بشكل مباشر ليقولوا: "لكن يوجد أشخاص لم يقرأوا حتى الكتاب المُقدَّس - ولا يؤمنون بالخلق؛ وإنَّهم بالحقيقة يعرفون بعض الأشياء." لكن هذا الردّ هو ردٌّ خاطئ.[6] فهذا الرد لا علاقة له بالإدّعاء الذي تمَّ تقديمه. لا أحد يناقش أن الأشخاص يجب أن يقرأوا الكتاب المُقدَّس أو يعلنوا إيمانهم بالخلق حتى يعرفوا أي شيء. إن الطرح هو إن ما يقدّمه الكتاب المُقدَّس عن الأصول (بالإضافة إلى التعاليم الأُخرى) يجب أن يكون صحيحاً. فوحده الإله الموصوف في الكتاب المُقدَّس يؤمِّن (يوفّر) الأساسات المنطقية للأشياء التي نتبنَّاها على أنَّها مُسلَّمات. وبدون كلمة الله، لن يكون لدينا سبب جيّد للإيمان بالشروط المسبقة للوضوح مثل: قابلية الإعتماد بشكل أساسي على حواسنا وذاكرتنا، قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، الأخلاق، الكرامة والحريّة، وهلم جرا.

[6] هذه مغالطة "تجاهل المطلوب" ويمكن أن تعرف بأسماء أُخرى مثل "الفرضيات غير المترابطة" أو "الحيد عن المسألة" (راجع الفصل ٧)

الحاجة إلى عدم التعسّف[7]

في محاولة لدحض الطرح الذي تم تقديمه أعلاه، يحاول البعض أن يقدموا ردوداً مثل: "إنه ليس من المهم أن نمتلك أسباباً للأشياء مثل المنطق وقابلية الإعتماد على الحواس والذاكرة. يكفي أننا قادرون على التصرّف بناءً عليهم. فنحن قادرون على معرفة العديد من الأشياء، بالرغم من عدم امتلاكنا تبريراً لتلك الأشياء التي نتبنّاها كمُسلَّمات." لكن المنطق المستخدم هو اعتباطيّ ومُتَعسِّف ومخادع في الوقت عينه. فالإيمان بشيء ما يختلف عن معرفته. إن الأطفال يؤمنون بأن سانتا كلوز (بابا نويل) يحضر لهم الهدايا في عيد الميلاد، وهم يتصرفون بناءً على إيمانهم هذا (فقد يُحَضِّرون له الكعك والحليب)- لكن من المؤكّد أنهم لا يعرفون ذلك، فإنه مجرّد اعتقاد.

من المؤكد أن الإعتقاد يجب أن يكون صحيحاً حتى يُعتبر معرفةً حقيقيّةً. لكن حقيقة مصادفة كون الإعتقاد صحيحاً لا يعني أن الشخص قد امتلك معرفة. فإن امتلك شخص ما عدداً كافياً من الإعتقادات الإعتباطية التعسّفية، فإنه من الوارد أن يصادف أن يكون بعضها صحيحاً وذلك من خلال الصُّدفة البحتة. ولكن إن لم يمتلك الشخص أسباباً جيّدة لإعتقاداته تلك (بما في ذلك الصحيحة منها)، فأنه من غير اللائق أن نقول أنه يمتلك معرفةً حقيقية. فمن أجل أن يتم التعامل مع الإعتقاد على أنه معرفة، يجب على الشخص أن يمتلك سببا جيدا للإعتقاد الصحيح. وبالتالي فإنه من غير الممكن امتلاك المعرفة حول شيء ما دون امتلاك سبب جيد لها. وهذا مبدأ مهم، لذلك سنقوم بوضعه في مثال.

افترض بأن شخصاً ما قد قال: "أنا على معرفة وثقة تامّة بأن الطقس سيكون مشمساً في موعد النزهة مع الكنيسة التي تَعَيَّنَ موعدها في الشهر القادم." هل هذا الشخص يعرف حقّاً ما طرحه؟ من المؤكد أنه لا يعرف. فهو يعتقد بذلك، لكن لا يوجد أي ضمانة بأنَّ اعتقاده صحيح. وبفرض أنه قد تبين أن اعتقاده كان صحيحاً؛ ففي يوم النزهة كانت الشمس مشرقةً والطقس دافئاً وقد أتى هذا الشخص قائلاً: "ألا ترى، لقد عرفت بأن الطقس سيكون مشمساً!" لكن هل عرف ذلك منذ البدء حقاً؟ بالرغم من أنَّ اعتقاده قد كان صحيحاً، إلا أنَّ ذلك لا يعني أنه قد امتلك معرفةً عن المستقبل. فهو لم يعرف بالحق أن السماء ستكون صافيةً والطقس سيكون مشمساً وذلك لعدم وجود أي تبرير لذلك؛ أي أنه لم يمتلك سبباً جيداً ليدعم به اعتقاده. المعرفة هي اعتقاد صحيح ومُبَرَّر.

يتوقع التطوريّون بشكل محق ألا يتخذ الخلقيّون موقفاً تعسفياً بحيث أنهم يجب أن يمتلكوا أسباباً لاعتقاداتهم. لكن العديد من التطوريّين لا يشعرون بالحاجة إلى امتلاك أسباب

[7] التعسّف هو القيام بالأمور واتخاذ المواقف دون تفكيرٍ، وبعجالة، بطريقة عنيفة، وبظلم. (المعجم الوسيط)

لمعتقداتهم؛ وهذا التعامل يُعرف بالمعايير المزدوجة. تخيل فقط أن شخصاً من المؤمنين بالتطور يسأل شخصاً مؤمناً بالخلق عن أسباب إيمانه بالخلق، فيردّ الخلقيّ "ليس لدي سبب. الخلق هو أمر حقيقيّ. وهذا كلّ مافي الأمر." إن الشخص التطوريّ صاحب السؤال سيعتبر بأن هذه الإجابة لا تحمل أي قيمة وبأنَّه ردٌّ تعسّفيّ اعتباطيّ، وهو مُحقٌّ في ذلك. لكن حين نسأل عن الشروط المسبقة للوضوح، سيجيب البعض من التطوريّين "ليس لدينا أسباب لذلك. يكفي أننا نتصرف بناءً عليهم." إن الرد هذا هو اعتباطيّ وتعسّفي بشكل مكافئ. يجب على الشخص العقلاني أن يمتلك أسباباً تبرر اعتقاداته؟

يوجد المزيد مما يُمكن أن يتم قوله عن المعرفة، الإعتباطية والتعسّفية، والاتساق. لكننا سنقوم بالعودة إلى هذه المفاهيم في الفصل الخامس من الكتاب. أما الآن، فإنه سيفي بالغرض القول بأننا إن لم نمتلك أسباباً للإعتقاد بشيء ما، فنحن لا نعرفه حقّاً. وأولئك الذين ينكرون الخلق التوراتي لا يمتلكون سبباً للأشياء التي يقومون بتبنّيها على أساس أنها مُسلَّمات (ضمن رؤيتهم للعالم)، وليس من الممكن لهم أن يعرفوا حقاً أي شيء من تلك الأشياء فيما لو تبيّن أن رؤيتهم للعالم هي صحيحة. إن الأشخاص غير المؤمنين يمتلكون معرفة ببعض الأشياء ذلك أنهم يعتمدون بشكل مُطلقٍ على الخلق التوراتي، وهذا ما سوف نستكشفه في غمار الفصل القادم.

إنَّه ليس من شك أن غير المؤمنين يتصرفون بناء على معتقداتهم، لكن النقطة هي أنّه لو تبيّن أن رؤيتهم للعالم هي صحيحة، فإنهم لن يجدوا تبريرا لأبسط قناعاتهم. فبالرغم من أن غير المسيحين يؤمنون ببعض الأشياء التي حدث وأنها كانت صحيحة، فإنهم غير قادرين على أن يمتلكوا معرفةً بأنها صحيحة إلا في حال استندوا إلى الخلق التوراتي.

ما تبقى الآن هو أن نرى على وجه التحديد كيف يفسّر الكتاب المُقدَّس هذه الأمور، وكيف تعجز الرؤية التطورية للعالم عن تفسيرها. لذلك سنقوم بتقديم بعض الأمثلة الإيضاحية عن الدليل الحاسم وعن آلية عمله. وسوف نقوم بالتركيز على ثلاثة من بين العديد من الشروط المسبقة للوضوح وهي: قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق.

وحدها الرؤية الخلقية التوراتية للعالم تستطيع أن تقدّم تفسيراً لهذه الأشياء التي نتبنّاها على أساس أنَّها مُسلَّمات. فالكتاب المُقدَّس يجب أن يكون صحيحاً إذ أنَّه إن لم يكن كذلك، فلن يكون من الممكن لنا أن نعرف أيّ شيء. ولهذا السبب فإن أي رؤية غير توراتية للعالم بما في ذلك الرؤية التطورية هي غير عقلانية بشكل مطلق.

الفصل الثالث
أمثلة توضيحية للدليل الحاسم

إن الجدل حول الخلق التوراتي يشبه إلى حدٍّ كبير الجدل حول وجود الهواء. هل تستطيع أن تتخيل شخصان يتجادلان فيما إذا كان الهواء موجوداً أم لا؟ مالذي قد يقوله المعترض على وجود الهواء؟ أياً تكن حُجَجَهُ، فإنه سيحتاج لاستعمال الهواء لتقديمها. ليس فقط أن الهواء هو أمر حاسم لإبقاء المعترض على قيد الحياة، إنما يجب أن يكون الهواء موجوداً حتى يُمكِن الإستماع إلى مجادلته وفهمها. قد يبدو الأمر غريباً أن يقوم شخص ما بتقديم مجادلة ضد وجود الهواء، بينما هو يقوم بالتنفس في الوقت عينه، ويتوقع أن يتم الإصغاء إلى صوته الذي ينتقل عبر الهواء. وبالتالي فإنه لكي يكون المعترض قادراً على تقديم مجادلته فإنها يجب أن تكون خاطئة.

وبطريقة مشابهة يحتاج التطوري أن يستعمل المفاهيم الخلقيّة التوراتية في سبيل أن يكون قادراً على تقديم مجادلته ضد الخلق التوراتي. فمن أجل أن تكون مجادلته ذات معنى، يجب أن تكون خاطئة. والسخرية هي أن حقيقة قدرة التطوريّين على المجادلة ضد الخلق هي إثبات أن الخلق هو حقيقة!



إن الشخص غير المؤمن لا يستطيع الإرتكاز بشكل متَّسق على رؤيته للعالم ذلك أنها غير عقلانية.

فالتطوريّون يحتاجون أن يقوموا بافتراض الشروط المسبقة لقابلية الوضوح حتى يكونوا قادرين على تقديم أي نوع من الجدل؛ فإنهم مُجبَرين على التسليم بوجود أشياء مثل: قوانين المنطق، وانتظام الطبيعة. لكن هذه الشروط المسبقة للوضوح لا تنسجم مع الرؤية التطورية للعالم؛ فلا معنى لها إلا في ضوء الرؤية الخلقية للعالم. وبالتالي، فنحن نمتلك دليلاً حاسماً للخلق وهو: إنَّ الخلق التوراتي يجب أن يكون صحيحاً، فإنه إن لم يكن كذلك، فإننا لن نكون قادرين على معرفة أي شيء على الإطلاق.

يعترض التطوري في بعض الأحيان على هذا التصريح باستخدام إحدى الطرق التي سنقوم بسردها. فقد يقول: " ليس من الضروري أن يكون الخلق حقيقيّاً حتى نكون قادرين على معرفة بعض الأشياء. إذ أنني لا أؤمن بالخلق؛ ولكنني أعرف الكثير من الأشياء!" إلا أن هذا الرد ينطوي على مغالطة. إذ أنَّه يشبه قول المعترض على وجود الهواء: "نحن لا



لهذا السبب يحتاج غير المؤمن أن يعتمد على الرؤية المسيحية للعالم حتى يكون عقلانيّاً.

نحتاج إلى الهواء للتنفس، فبعد كل شيء، أنا لا أؤمن بالهواء؛ وأستطيع التنفس بشكل جيّد!" إلا أنَّ الجدل لا يناقش موضوع أن التنفّس يحتاج إلى الإعتراف بوجود الهواء - بل إنَّه يحتاج إلى الهواء. بنفس الطريقة، إن المعرفة لا تتطلب اعترافاً بالإيمان بالخلق التوراتي - لكنها تتطلب من الخلق التوراتي أن يكون صحيحاً. بالفعل، إن التطوريّين قادرين على معرفة العديد من الأشياء، لكن هذا الأمر ممكن فقط بسبب كون رؤيتهم للعالم خاطئة.

لتقديم محاكاة للدليل الحاسم، سوف نقوم بالنظر إلى ثلاثة من الأمثلة المُحدَّدة. وهذه الشروط المسبقة لقابلية الوضوح تحمل معنىً في ضوء وفقط في ضوء الرؤية الخلقيّة للعالم، ولكنها شروط ضرورية حتى نكون قادرين على تعلّم أي شيء يتعلق بالكون. وكذلك تجدر الإشارة إلى أن هذه الشروط ليست هي الشروط الوحيدة التي تمتلك أهميّة، إنما هي الأسهل للفهم والأكثر استخداماً. وهي: قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق المُطلقة.

من الواضح أننا إن أردنا أن نفكر بطريقة منطقية فإنّه لابد من وجود قوانين للمنطق. وإن كنا نريد أن نقوم بدراسة الطبيعة فإنه لا بد أن تكون هي الأُخرى خاضعة لنوع من النظام: أي أنها يجب أن تمتلك نوع من الانتظام فيما يتعلَّق بالزمان والمكان، وهو الأمر الذي نشير إليه بانتظام الطبيعة. وفي البداية قد يبدو الأمر مريباً أن نورد الأخلاق المطلقة على أنها ضرورة للرؤية العقلانية للعالم. لكن فكرة أننا يجب أن نكون عقلانيين هي بحد ذاتها نوع من الإلتزام الأخلاقي. وبالتالي فإن الأخلاق هي الأُخرى مطلوبة في حال أردنا أن نطالب الناس بأن يمتلكوا أساساً عقلانياً لرؤيتهم للعالم. إن معظم التطوريّين يؤمنون بالأخلاق على أيّ حال. لكن كما سنلاحظ، إنهم لا يمتلكون أي أساسٍ للأخلاق في رؤيتهم للعالم.

هذه الشروط الثلاثة المسبقة للوضوح يجب ألا يتم تقديمها على أساس انها جدلات منفصلة إنما على أساس أنها ثلاثة أمثلة تطبيقية لجدل واحد. وبما أن الأخلاق ستكون الأسهل للفهم لذلك سنبدأ منها. [1]



غير المؤمن يعتمد على المفاهيم المسيحية: المنطق، الإنتظام والأخلاق. لكنه ينكر أنها مفاهيم مسيحيّة.



غير المؤمن مضطر لاستخدام المبادئ المسيحية في سبيل أن تجادل ضد الكتاب المُقدَّس. وحقيقة قدرته على المجادلة تثبت أنه على خطأ.

[1] هذا القسم هو اقتباس عن مقال منشور على موقع إجابات في سفر التكوين تحت عنوان "التطور وتحدّي الأخلاق" د. جيسون لايل.

١. الأخلاق

إن الأخلاق تشكل معضلة صعبة للرؤية التطورية للعالم. وليس ما نريد قوله أن التطورّين هم أقل أخلاقاً من أي شخص آخر، حتى لا يُساء فهم الكلمات. إذ أنّ معظمهم يلتزمون بنظام أخلاقي من نوع ما. فمَثَلُهم مَثَلُ الخلقيّين، يؤمنون بمفوم الخطأ والصواب. إلا أنّ المشكلة تكمن في أنَّ التطوريّين لا يمتلكون في رؤيتهم للعالم أي سببٍ منطقيّ للإيمان بأي نوع من الأخلاق الإلزامية.



إن مفهوم الخطأ والصواب في الرؤية التطوريّة للعالم ليس أكثر من مجرد تفاعلات الكترو-كيميائية في الدماغ - نتاج الزمن والمصادفة. فإن كان يُراد لمفهوم الخطأ والصواب أن يحمل أي معنى لا بدَّ أن يكون التطور خاطئاً. إن الخطأ والصواب هو مفهوم مسيحيّ يرجع إلى سفر التكوين. فإن محاولة التطوّري بأن يكون أخلاقيّاً تدفع به إلى أن يكون غير عقلانيّ، إذ أنَّه يضطر إلى استعارة مفاهيم مسيحية تناقض رؤيته للعالم.

إن الكتاب المُقدَّس يعلّمنا بأن الله هو خالق كلّ الأشياء (تكوين ١: ١؛ يوحنا ١: ٣).وبأن جميع الأشياء هي مُلك لله (مزمور ٢٤: ١)، وبالتالي فإن الله هو صاحب الحق بأن يضع القوانين. فالقانون الأخلاقي المطلق يحمل معنى في ضوء الرؤية الخلقية المسيحيّة للعالم. لكن إن كان الكتاب المُقدَّس خاطئاً، إن كان البشر مجرد نتائج العمليات الكيميائية غير الواعية على مدى ملايين السنين، ما سبب تمسكنا بنظام أخلاقيّ عالمي للسلوك؟ وهل من الممكن أن يوجد مفهوم الخطأ والصواب في حال كانت التطور صحيحاً؟

قد يقول البعض "هذا صحيح. إن الأخلاق موضوع نسبي. فلا يوجد شيء يدعى الأخلاق المطلقة، وبالتالي فإنه لا يجب عليك أن تقوم بفرض نظامك الأخلاقي الشخصي على الآخرين! " لكن حين يجب أي شخص باستخدام عبارة مثل "لا يجب عليك..." يكون في هذه الحالة يفعل الأمر الذي يطلب منك ألا تفعله: ألا وهو فرض نظامه الأخلاقي الشخصي على الآخرين. فإن كان لا يوجد نظام أخلاقي مطلق، حينئذٍ لا يوجد أي شيء خاطئ في الأساس: لا الكذب، ولا السرقة، ولا حتى الإغتصاب أو القتل. لكن الناس غير قادرين على العيش وفق معيارٍ لاأخلاقي.

البعض قد يجيب "حسناً، أنا أؤمن بالخطأ والصواب، وكذلك أؤمن بالتطور، وبالتالي فإنه من الواضح أنه يمكن التوفيق بينهما" لكن هذا الرد ليس مترابط. فالأشخاص يستطيعون أن يكونوا

غير عقلانيّين؛ إذ أنهم قادرون على التصريح بالإيمان بأشياء متناقضة بعضها مع بعض. فالسؤال ليس حول ما يعتقده الناس حيال بعض الأشياء، إنما السؤال هو حول الأشياء نفسها. هل من الممكن أن يكون لمفهوم الخطأ والصواب أي معنى بمعزل عن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدَّس؟ هل يوجد تبرير للأخلاق وفق الرؤية التطورية للعالم؟

في ردٍ على هذه التساؤلات، قد يجيب التطوريّ "بالطبع. إن الناس قادرين على اختراع قوانينهم الأخلاقية الشخصيّة بمعزل عن وجود الله. هم قادرون على تبنّي معايير خاصّة عن الخطأ والصواب." إلا أن هذا النوع من التفكير التعسّفي سوف يقود إلى نتائج عبثيّة. فإن كان كل شخص قادر على وضع معاييره الأخلاقية الشخصيّة، حينذاك لن يكون أي شخص قادر على أن يجادل حول خطأ ما يفعله الأشخاص الآخرون إذ أنه يحق لهم أيضاً أن يضعوا معاييرهم الأخلاقية الشخصية. على سبيل المثال، قد يختار أحد الأشخاص معياراً أخلاقياً شخصياً بحيث يكون القتل هو أمر مقبول بشكل كامل. ذلك قد يثير حميّتنا وغضبنا، لكن كيف لنا أن نجادل بأنَّه من الخاطئ أن يقوم الآخرون بالقتل ذلك إن كانت الأخلاق مجرَّد معيار شخصيّ؟ إن كانت الأخلاق مجرّد معيار شخصي اختياري، فإنه لن يكون من الممكن إدانة هتلر نتيجة أعماله، ذلك أنه كان يتصرّف بناءً على المعيار الذي اختاره. ومن الواضح أن هذا الأمر غير مقبول.

بعض التطوريّين يجادلون بوجود معيار قياسي مطلق، فيقولون "الصواب هو ما يجلب أكبر قدر ممكن من السعادة لمعظم الناس". إلا أن هذا تعسّفي أيضاً. فلماذا يجب أن يتم اختيار ذلك المعيار دوناً عن بقية المعايير المُخالفة له؟ إضافةً إلى ذلك، لاحظ أن هذه استعارة للموقف المسيحي من الآخر. فإنه في ضوء الرؤية المسيحية للعالم، يجب أن نهتم بما يجلب السعادة إلى الآخرين على اعتبار أنَّهم مخلوقين على صورة الله.[2] لكن إن كان الآخرون مجرّد مخرجات لحوادث كيميائية، لماذا يجب أن نهتم لسعادتهم؟ فالإهتمام بالآخرين ليس له أي معنى في الكون التطوري؟

ربما يدّعي التطوريّ أن الأخلاق هي ما تتفق عليه الأغلبية. لكن هذا الإدعاء يمتلك عيوباً مشابهة للإدعاءات الأُخرى. لأنه مجرّد تحويل الرأي غير من المبرّر من كونه رأي شخص واحد إلى رأي مجموعة من الأشخاص. وهذا أمر تعسّفي ويقود إلى نتائج عبثية. ومن جديد سوف نجد أنفسنا عاجزين عن إدانه أعمال معيّنة نحن على يقين بأنَّها خاطئة. فإنَّ هتلر كان قادراً على إقناع الأغلبية من شعبه بأنَّ ما عَمِلَه كان صواباً، لكن قناعتهم بهذا لم تجعل منه مُحقاً.

---

[2] إن سعادة الآخرين ليست هي الهدف الرئيسي وفق الرؤية المسيحيّة للعالم. إنما محبة وطاعة الله الذي خلقنا وخلّصنا هي الهدف الرئيسي (متى ١٢: ٣٠؛ مرقس ١٢: ١٣). وأحد جوانب هذا الهدف تظهر من خلال محبة الآخرين واحترامهم (متى ٧: ١؛ مرقس ١٢: ٣١).

بدون الإله الذي يتم تقديمه من خلال الكتاب المُقدَّس، سيتم تقييد مفهوم الخطأ والصواب إلى مجرّد تفضيلات شخصية. فلن يكون للتصريح القائل "القتل خاطئ" أي معنى في الكون التطوريّ عدا أنَّه مجرّد رأي شخصي من مستوى الرأي الذي يقول "اللون الأزرق هو لوني المُفضَّل".

وفي حال امتلك الآخرون رأياً مخالفاً له، فلن يكون لدينا أي قاعدة لنتجادل معهم. وبالتالي فإن التطوريّين حين يتكلمون عن الأخلاق على أنَّها معيار حقيقيّ يجب أن يتَّبعه النّاس، يكون موقفهم هذا مخالفاً لرؤيتهم المعلنة للعالم.

التناقض التطوري

فلنأخذ مثالاً على ذلك، ولنتأمل في أولئك التطوريّين الذين يهتمّون بالأطفال الذين يتم تعليمهم عن الخلق. حيث يقولون "هذا خاطئ، إذ أنه يجب ألّا تكذبوا على الأطفال!" لكن مهلاً، هذه مغالطة التماس السؤال (التهرّب من السؤال)، إذ أن مصداقية أو زيف الخلق هو الموضوع قيد النقاش: ونحن مقتنعون تماماً بأن الخلق هو حقيقة، وأنَّ التطوّر هو الكذب. لكن حقيقة عبثية هذا الطرح هي في أنَّ الجدال الذي يقدّمه التطوريّون يخالف رؤيتهم للعالم! ففي ظل الرؤية التطورية، لماذا يجب ألا نكذب - لاسيما إن كان ذلك يسهم في رفع قدرتنا على البقاء؟

من المؤكد أنَّ المسيحيّين يؤمنون بأن الكذب خطيئة، ولكن المسيحيّين يمتلكون سببا لذلك. إذ أن الله قد أشار في كلمته المقدَّسة إلى أنَّ الكذب يناقض طبيعته (العدد ١٢: ١٩)، وبأنه يتوجب علينا ألا نكذب (الخروج ٢٠: ١٦). ولكن بمعزل عن الرؤية التوراتية للعالم، لماذا يجب علينا أن نقول الحقّ؟ لماذا يجب علينا أن نفعل أيّ شيء؟ إذ أن المصطلحات مثل "يَجِبْ" و "يُفتَرَضْ" لها معنى فقط في ظل المعيار الأعلى الذي أعطاه ذلك الذي يمتلك السطان على الكلّ.

إن كان البشر مجرد مخرجات لحوادث كيميائية عرضية، لماذا يجب علينا أن نهتمَّ بما يفعلون؟ فنحن لن نغضب على الخميرة لتفاعلها مع الخلّ؛ فذلك هو ما تفعله المواد الكيميائية. فلماذا قد يغضب التطوريّ نتيجة لأي عملٍ يقوم به إنسان تجاه إنسان آخر، إن كنا مجرّد تفاعلات كيميائية معقَّدة؟ إن كنّا مجرّد حيواناتٍ متطوّرة، لماذا يجب علينا أن نتمسك بمعايير سلوكية في هذا العالم الذي يتصارع فيه الجميع على البقاء؟ إذ أنَّ ما يفعله الحيوان بحيوان آخر لا صلة له بالأخلاق.

فحين يسعى التطوريّون لأن يكون أخلاقيين، فإنهم "يستعيرون" من الرؤية المسيحية للعالم.

أحد الأمثلة الساخرة لهذا الواقع حدثت أثناء افتتاح متحف الخلق في الولايات المتحدة الأمريكية. حيث قام مجموعة من المعارضين للمتحف (معروفون باسم ديفكون: "الحملة من أجل الدفاع عن الدستور") باستئجار طائرة شراعية لتحوم في المنطقة حاملةً ورائها لافتة كُتب عليها "ديفكون

تقول: لا تكذب." بشكل طبيعيّ نحن كمسيحيّين نوافق على هذا الكلام بشكل كامل! فهذه هي إحدى الوصايا العشر. كما أن الغاية من إنشاء ذلك المتحف هي إظهار الحقيقة فيما يتعلّق بالخلق. لذلك كان على التطوريّين أن يستعيروا من الرؤية الكتابية المسيحية هذه الوصية حتى يكونوا قادرين على الإعتراض عليها. إن الإعتراض الذي قدّمته منظمة ديفكون لا يحمل أي معنى في الكون التطوّري (بالرغم من الشكر الجزيل لهم لذلك الإعلان المجاني للمتحف)

فهم الموقف التطوّري

بالرغم من أن الرؤية المسيحية تقدم شرحاً وسببا للأخلاق إلا أنها تتعدى ذلك وتقدم السبب الذي يدفع بالتطوريّين إلى أن يقوموا بهذه التصرفات التي يقومون بها. فحتى أولئك الذين لا يمتلكون أي قاعدة للأخلاق في ظل رؤيتهم للعالم ولكنهم يتمسكون بالقيم الأخلاقية؛ هم يعرفون في أعماق قلوبهم بوجود الله الخالق حتى في ظل انكارهم له واعترافهم بالنقيض. فالوحي المُقدَّس يقول بأنّ الجميع يعرفون الإله لكنهم يحجزون الحقيقة (رومية ١: ١٨-٢١). لماذا يقوم أي شخص بشيء مماثل؟

جميعنا قد ورثنا الطبيعة الخاطئة (ونعني بذلك: الميل إلى التمرد على الله) من آدم (رومية ٥: ١٢)، الذي تمرَّد على الله في جنّة عدن (تكوين ٣). ويشير الوحي المُقدَّس في يوحنا ٣: ١٩ إلى أن الناس يفضلون أن يبقوا في الظلمة الروحية بدلاً من أن يتم كشف أعمالهم الشريرة. على شبه العمل الذي قام به آدم حين حاول أن يختبئ ويتهرَّب من الحضرة الإلهية (تكوين ٣: ٨)، حيث أن نسله قد فعلوا الأمر عينه. إلا أن الحل لمشكلة الخطيئة ليس من خلال محاولة إخفاءها، بل بالحريّ الإعتراف بها والتوبة عنها (يوحنا ١: ٩، لوقا ٥: ٣٢). فالمسيح أمينٌ أن يغفر لجميع الذين يدعون باسمه (رومية ١٠: ١٣).

يمكن القول أن الجميع تقريباً يؤمنون بضرورة التصرف وفق معايير أخلاقية معيّنة. لكن لكي يكون للقيم الأخلاقية أي قيمة، لا بد أن يكون الخلق التوراتي حقيقيّاً. وبما أن الله قد خلق الجنس البشري، فهو صاحب السلطان في إقرار المعايير التي تحدد الخطأ والصواب، ونحن نكون مسؤولين أمامه عن أعمالنا وتصرفاتنا. لذلك يجب علينا أن نستنتج ختاماً بأن التطوريّين لا يتمتعون بالعقلانية حين يتحدثون عن الخطأ والصواب، إذ أن هذه المعايير الأخلاقية لا معنى لها في الكون التطوريّ.

٢. قوانين المنطق

ان الاستنتاجات العقلانية تتطلب استخدام قوانين المنطق.[3] وبالتالي فإن الرؤية العلمانية للعالم يجب أن تكون قادرة على تقديم تبرير لوجود قوانين مثل هذه. على سبيل المثال، فلنتأمل في أحد قوانين المنطق وهو قانون عدم التناقض. فإن هذا القانون ينص على أن التناقض هو خاطئ، فأنت لا تستطيع أن تمتلك "أ" و"ليس أ" في الوقت عينه وفي ذات العلاقة (حيث أن الحرف أ يشير إلى أي ادّعاء). على سبيل المثال، إن التصريح "سيارتي متوقفة في المرآب وسيارتي ليست متوقفة في المرآب." هو بالضرورة خاطئ وذلك بالإعتماد على قانون عدم التناقض. وسيقوم أي شخص عقلاني بالقبول بهذا القانون. لكن عدد قليل جداً من الأشخاص سيتوقفون للتساؤل " ماهو سبب صواب هذا القانون؟ ما هو سبب وجود قانون لعدم التناقض، أو بالأحرى، لماذا يوجد أي قانون من قوانين التفكير المنطقي؟"

إن المسيحيّ يستطيع الإجابة على هذا السؤال. إذ أن المسيحي يمتلك معياراً مطلقاً للتفكير والمنطق؛ فالله هو قدوتنا في طريقة تفكيرنا ويجب أن تكون أفكارنا مماثلة لأفكاره. ونحن نعرف (بطريقة محدودة ومقيّدة) كيفية تفكير الله إذ أنه كشف لنا بعضاً من أفكاره من خلال كلمته.[4] وفقاً لسفر التكوين، فإن الله قد خلق الإنسان على صورته (تكوين ١: ٢٦) وبالتالي فإننا يجب أن نتمثّل به (أفسس ٥: ١). إن قوانين المنطق هي انعكاس لطريقة تفكير الله، وهي الطريقة التي يريدنا أن نفكر بها. إن قانون عدم التناقض ليس مجرد رأي شخصي للطريقة التي يجب أن نفكر بها، إنما ينبع من الاتساق المنطقي لطبيعة الله. فالله لا يستطيع أن يُنكر ذاته (٢ ثيموثاوس ٢: ١٣)، والحقيقة هي كامنة في الله (يوحنا ١٤: ٦؛ كولوسي ٢: ٣)، لذلك فإن الحقيقة لن تناقض نفسها. وبما أن الله هو من يحمل هذا الكون بكلمة قدرته (عبرانيّين ١: ٣)، فإنَّ المسيحي الملتزم بالتعليم التوراتي سوف لن يتوقّع أن يحدث أي تناقض في الكون في أي وقت.

إن قوانين المنطق هي المقياس الإلهي للفكر. وبما أن الله لا يتغيّر، وهو صاحب السيادة والسلطان، وذو الطبيعة غير المادية، فإن أفكاره بالضرورة ستكون تجريديّة، كونية، وثابتة الخصائص. وبكلمات أُخرى يمكن القول بأنها غير مصنوعة من المادّة، وتنطبق في كل مكان وفي كل زمان. إن قوانين المنطق مرهونة بطبيعة الله غير المتغيرة. وهي من الشروط المسبقة للقيام

---

[3] الفيلسوف المسيحي د.غريغ باهنسن قد برع في استخدام مفهوم قوانين المنطق ليبرهن عن وجود الله في مناظرته المشهورة المعروفة باسم باهنسن-شتاين. حيث أشار إلى أن المناظرات تفترض وبشكل مسبق وجود قوانين المنطق، وبما أنَّ الإلحاد لا يقدم أي تفسير لتلك القوانين، فإن المناظرات بحد ذاتها تثبت وجود الله. وقد وقف خصمه د. غوردون شتاين عاجزاً عن تقديم احتجاج معاكس. وهذه المناظرة أصبحت مشهورة باسم باهنسن-شتاين.

[4] من الواضح أن أفكارنا ليس "بالسمو" الذي لأفكار الله، نحن قد خُلقنا على صورة الله، وبالتالي فإننا نمتلك قدرة محدودة على التفكير المنطقي - "لنفكّر بحسب أفكار الله وعلى نموذجه".

باستنتاجات منطقية. وبالتالي فإن الإستنتاجات المنطقية ستكون مستحيلة دون وجود الإله الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس.

إن قوانين المنطق تحمل معنىً في ضوء الرؤية المسيحية للعالم. لكن الرؤى الأُخرى للعالم غير قادرة على تقديم تبرير لها. فعلى سبيل المثال، بمعزل عن الكتاب المُقدَّس، كيف نعرف أن التناقضات خاطئة دوماً؟ فليس من الممكن أن نقول سوى أنها خاطئة بناءً على تجربتنا. لكن تجربتنا محدودة للغاية، وليس من أحد قد اختبر المستقبل. فإن قام شخص ما بالتأكيد على أنه قد وجد متناقضين صحيحين معاً، فإن الشخص غير المسيحي ليس لديه الأساس ليرفض مثل هذا القول. وحده الشخص الذي يتبنى الرؤية المسيحية للعالم يستطيع أن يؤكّد أن التناقضات لا يمكن أن تتم في الحياة الواقعية، ووحده المسيحي لديه أساسات لقانون عدم التناقض، أو قوانين المنطق بشكل إجمالي.

ردود محتملة

قد يجيب التطوريّ "حسناً، أنا أستطيع أن أقوم بالتفكير المنطقي بشكل جيد، ولكني لا أؤمن بالكتاب المُقدَّس." لكن هذا ليس ردّاً عقلانياً. فالدليل الحاسم هو أن التفكير المنطقي (بجانب جميع الأمور الأُخرى المطلوبة للحصول على المعرفة) يتطلب الإله الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس، وليس الإعتراف بالإيمان به. فإنه من الطبيعي أن يكون الشخص التطوري قادراً على استعمال المنطق؛ إذ أن الله قد خَلقَ الفكر البشري وأعطى البشر القدرة على استعمال قوانين المنطق - وهذه هي النقطة. فالتفكير المنطقي مُمكن بسبب أن الخلق التوراتي هو حقيقيّ. وبالرغم من أنَّ التطوري يستطيع أن يستعمل المنطق، إلا أن نظرته للعالم لا يمكن أن تقدم تفسيراً لقدرته تلك.

إجابة أُخرى مُحتملة قد تكون "قوانين المنطق لا تتطلب إله الكتاب المُقدَّس. إذ أنها مجرَّد أعراف وتقاليد وضعها البشر." وهذه الإجابة غير وافية. فالأعراف بالتعريف هي عِرفيّة (متَّفق عليها) - كما هو الحال فيما يختص بالقيادة على الجانب الأيمن من الطريق. لكن إن كانت قوانين المنطق عرفيّة الطبيعة، حينذاك يمكن للحضارات المختلفة أن تتبنى قوانين مختلفة للمنطق (كما في حالة القيادة على الجانب الأيسر من الطريق). وبالتالي فإنه قد يكون من الممكن لك أن تناقض نفسك في بعض الحضارات. أو أن الحقيقة في بعض المجتمعات قد تكون متناقضة ذاتياً. من المؤكد أن ذلك غير ممكن. فإن كانت قوانين المنطق هي مجرد أعراف، حينئذٍ لن تكون قوانيناً عالميّةً. ولن يكون من الممكن في تلك الحالة إجراء أيّ مناظرة عقلانية، إذ أن طرفي المناظرة قادِرَين بكل بساطة أن يقوما باختيار معايير مختلفة للمنطق الذي سيستخدمانه. وكل منهما سيكون "مُحِقّاً" وفق المعيار التعسّفي الشخصي.

البعض من التطوريّين قد يجيبون "إن قوانين المنطق هي ردود كيميائية في الدماغ قد حُفِظت نظراً لقيمتها النفعية في البقاء على قيد الحياة." يوجد عدد من المشاكل في هذا الرّد. أولاً، القيمة النفعية للبقاء لا تتساوى مع الحقيقة. فإن يدي اليسرى لها قيمة نفعية للبقاء على قيد الحياة، لكننا لن نقول بأن يدي اليسرى "صحيحة" أو "خاطئة"، فهي فقط موجودة. وبالتالي فليس لدينا أي سبب لنعتقد بأن قانون عدم التناقض (أو أي قانون آخر للمنطق) هو حقيقيّ، إن كان مجرّد تفاعلات أو ردود فعل كيميائية. ثانياً، إن كانت قوانين المنطق مجرد انعكاسات كيميائية فلن تكون حينئذٍ قوانين ولن تكون كونية، فلن تتجاوز في تلك الحالة حدود دماغي. وبكلمات أبسط، لن نستطيع أن نجادل بأن التناقض لا يمكن أن يكون صحيحاً على كوكب المريخ، إذ أنَّه لا يوجد أي دماغ شخصي على المريّخ. حقيقة الأمر أنه إن كانت قوانين المنطق مجرّد ردود فعل كيميائية في الدماغ، فإنها ستختلف من شخص لآخر، حيث أنَّ كل شخص لديه ردود فعل مختلفة في دماغه.

ربما قد يجادل أحد الأشخاص بأنَ "قوانين المنطق هي وصف لكيفيّة تصرّف وعمل العالم المادي." وهذا الردّ يفشل أيضاً ولعدد من الأسباب. أولاً، إن قوانين المنطق هي عبارة عن مفاهيم في طبيعتها. فهي لا تقدّم توصيفاً لواحد من أبعاد الكون. إنما توصّف السلسلة السليمة للمنطق من الفرض إلى الإستنتاج. ثانياً، إن كانت قوانين المنطق هي توصيف للعالم المادّي، حينئذٍ يمكننا أن نتوقَّع أن تمتلك الجوانب المُختلفة من الكون قوانين مختلفة للمنطق، وذلك على اعتبار أن المناطق المختلفة من الكون توصَّف بطريقة مختلفة؛ لكن قوانين المنطق تنطبق في كلّ مكان. ثالثاً، سوف لن يكون لدينا أي وسيلة لمعرفة أن قوانين المنطق تنطبق في المستقبل كما انطبقت في الماضي، حيث أنَّه ليس من أحد قد اختبر الكون المستقبليّ. فالظروف تتغير في الكون بشكل مستمرّ. وإن كانت قوانين المنطق هي عبارة عن توصيف لظروف مماثلة، فبالضرورة أنها ستتغير هي الأُخرى.

البعض قد يقول أنَّ "قوانين المنطق هي وصف لكيفيّة تفكير الدماغ." لكن إن كان ذلك صحيحاً فلماذا حينئذٍ سنحتاج لقوانين المنطق حتى نُصحِّح طريقة تفكير الدماغ؟ إن كانت قوانين المنطق هي مجرد وصف لطريقة تفكير الناس، حينئذٍ لن يكون من الممكن لأي شخص أن يخرق قوانين المنطق، إذ أنَّ جميع الناس بالضرورة يفكرون وفق هذه الطريقة للتفكير. وكما في الردود الأُخرى، فإن قوانين المنطق ستفقد قوتها كمعيار قانوني في حال كانت مجرد أوصاف لعملية معالجة الأفكار.

يتجه بعض التطوريّين بكل بساطة إلى اتخاذ الموقف البراغماتي باستخدام عبارة "أنا أستخدم قوانين المنطق كونها نافعة (أي سليمة)". الأمر المؤسف بالنسبة لهؤلاء أنهم لا يقدمون إجابة على السؤال. فنحن جميعاً متفقون على أنَّه يمكن استخدام قوانين المنطق والعمل بها، ذلك كونها سليمة. إنما السؤال هو، ما سبب وجود قوانين المنطق في المقام الأول؟ وكيف للتطوريّ أن يقوم بتفسير المعايير المطلقة للتفكير المنطقي، أي قوانين المنطق على سبيل المثال؟ في العالم العرضيّ التطوّري المعتمد على المصادفة، لماذا سيوجد معايير عالمية ثابتة؟

إجابات إضافية

غالباً ما يستخدم التطوريون واحدا من الردود السابقة بصيغها المختلفة. لذلك فإن قمت بدراستها وفهمت عيوبها، سوف لن تواجه أي مشكلة في تفنيد أي محاولة لاستخدام أحد هذه الردود التي قد تقدم على الدليل الحاسم؟ لكن سيكون من المفيد أن نقوم بذكر بعض الردود القليلة الإستخدام. في الغالب يتم استخدم هذا الردّ كرصاصة أخيرة، حيث يُقرُّ التطوريّ بأنَّه عاجز عن تقديم تفسير لقوانين المنطق ولكن سيقوم بإضافة "لكنك أنت أيضاً عاجز عن ذلك!" إن هذا الردّ مَعيب ذلك أنه يعتمد على أسلوب الهرب من النقاش من خلال استخدام مغالطة منطقية مشهورة وهي مغالطة وأنت كذلك (Tu Quique). ولكن المسيحيّ قادر بكل حال من الأحوال على تقديم تفسير لسبب وجود قوانين المنطق، إذ أننا نمتلك معياراً عالمياً للتفكير المنطقي كون الله أظهر لنا البعض من أفكاره.

وفي بعض الحالات النادرة نجد أنَّ المعترض يتخلّى عن المنطق من أجل حماية رؤيته للعالم. لكنه عاجز في الحقيقية عن فعل ذلك. فهو قد يقول عبارة تشبه "أنا لا أؤمن بالمنطق لذلك ليس مفروضاً علي أن أمتلك تفسيراً لسبب وجود التفكير المنطقي في رؤيتي للعالم." لكن هذا الرد هو ذاتيّ النقض. إذ أنَّ المعترض قد استخدم المنطق (حين قال "لذلك...") من أجل أن يُجادل بأنَّه لا يحتاج المنطق، وبالتالي فهو قد خسر المناظرة والجدال. إن الجدال الذي نقدّمه هو أن المؤمن بالخلق التوراتي هو وحده من يمتلك قاعدة منطقية وعقلانية لسبب وجود قوانين المنطق، لذلك فإن الموقف التطوري هو ذو طبيعة غير عقلانية فهو حين يحاول أن يتخلى عن المنطق يُقرّ بهزيمته.

إن قوانين المنطق تتسبب بمشكلة كبيرة بالنسبة للتطوريّين. إذ أن التطوريّين بشكل عام متيقّنين من حاجتهم لأن يكونوا منطقيّين، لكنهم في الوقت عينه متيقنون أيضاً من عدم وجود أي أساس لقوانين علم المنطق في ظل رؤيتهم التي يعترفون بها. وهذه المشكلة تتسبب بإحراج خاصّ

للملحدين الماديّين.[5] إذ أنَّ الملحد الماديّ لا يؤمن بوجود أي شيء سوى الكون الفيزيائي المادي. وفي ظل رؤيته، لا يوجد أي شيء سوى المادة التي تتحرك. لكن قوانين المنطق ليست ماديّة فهي ليست جُزءاً من الكون الماديّ. وعليه فإن قوانين المنطق لا يمكن أن تتواجد فيما لو كان المذهب الماديّ حقيقيّاً! ليس فقط أن الملحد الماديّ غير قادر على تفسير وجود قوانين المنطق، إنما وجودها هو يناقض رؤيته للعالم. وبالتالي فإن رؤيته للعالم هي بالضرورة غير عقلانية.
إن قوانين المنطق هي انعكاس لفكر الله ولا يمكن أن تكون ذات معنى في الكون التطوريّ. وقد افترض بعض الأشخاص أن التطور الربوبي قد يقوم بحلّ المعضلة. حيث يؤمن العديد من التطوريّين بنوع ما من الآلهة، ويحاولون أن يجدوا قاعدة لقوانين المنطق باستخدام آلهتهم تلك كما يفعل الخلقيّون. وفي الحقيقة نجد عدداً كبيراً من التطوريّين والمؤمنين بقدم عمر الأرض يعلنون إيمانهم بالإله الذي يقدّمه الكتاب المُقدَّس "أي الإله المسيحي". فهل ذلك سيعطيهم قاعدةً لوجود قوانين المنطق؟
بالطبع لا، فلنتذكر أولاً أن قوانين المنطق هي انعكاس لفكر الله. ولكن كيف لنا أن نعرف فكر الله؟ إن الله قد أعلن لنا عن أفكاره من خلال كلمته المسجّلة في الكتاب المُقدَّس. ونحن قادرون على أن نكون منطقيّين نظراً لأننا مخلوقون على صورة الله كما هو مسجّل في سفر التكوين. إلا أنَّ التطوريّين والمؤمنين بقدم عمر الأرض يرفضون سفر التكوين، أو على الأقل هم يرفضون أن يقبلوه على أنه سرد للتاريخ الحقيقي، وبالتالي فهم لا يمتلكون في رؤيتهم هذه أي سبب لافتراض أننا يجب أن نماثل أفكار الله. وفي الوقت عينه لا يؤمنون بأنَّ الله قد سجَّل أفكاره بدقّة في الكتاب المقدَّس، على اعتبار أنهم يرفضون الكتاب المُقدَّس أو على الأقل أجزاءً منه.[6]

موقف "الديانات" الأُخرى

بالرغم من أن الهدف الرئيسي لهذا الطرح هو دحض الأفكار التطورية، إلا أنه لا بد من التأكيد على أن الرؤية المسيحية وحدها هي القادرة على تفسير وجود الشروط المسبقة للوضوح - مثل قوانين المنطق. ليس فقط التطوريّون من يمتلكون عيوباً في رؤيتهم. إنما الأشخاص الذين يتّبعون الديانات الأُخرى الذين قد يدّعون بأنهم يمتلكون تفسيراً لوجود قوانين المنطق من خلال قولهم " نستطيع أن نقوم بتفسير وجود قوانين المنطق من خلال إلهنا بالطريقة عينها التي تقومون أنتم بتفسيرها من خلال إلهكم "إله الكتاب المُقدَّس". لكن إن قمنا بالفحص سوف نجد أن تلك الآلهة

[5] إن هذا المقطع مبني على مقال مصممة بالأصل لدحض الرؤية الإلحادية. وهو موجود على موقع إجابات في سفر التكوين تحت عنوان "الإلحاد: رؤية غير عقلانية". لاحظ أن موقف كل من التطوريّين والملحدين يمكن أن يُدحض باستعمال الجدال عينه على اعتبار أنَّ الموقفين يمتلكان العيون عينها.

[6] سوف يتم التعامل مع هذا الإدعاء في الملحق.

ليست أكثر من مجرَّد أوثان وغير قادرة على فعل ما فعله إلهنا الحقيقي الموصوف في الكتاب المُقدَّس.

فلنتأمل مثلاً في آلهة المورمون. إن المورمون هي ديانة متعدّدة الآلهة إذ أنهم يؤمنون بأن الله الآب يختلف عن الإبن. فإن كانت قوانين المنطق هي انعكاس لفكر الله ألن يتبع ذلك أنه لا يمكن أن يوجد مجموعة موحدة من قوانين المنطق تكون عالمية على اعتبار أنه يوجد أكثر من إله. لذلك فإن الديانات متعددة الآلهة لا تستطيع أن تفسر سبب وجود قوانين المنطق (كما هو حالها مع الأخلاق: فأوامر أيٍّ من الآلهة يجب أن نتبع؟) بالإضافة إلى أن آلهة المورمون تتغير بمرور الوقت. فهم يعلّمون بأن الله الآب هو جسدي إنما تحوّل أو ارتقى إلى إله عبر الوقت - كما سيحدث لهم. فإن كانت طبيعة الإله تتغير فلن يكون لدينا أي سبب لنؤمن بأن قوانين المنطق التي يفرضها ذاك الإله لن تتغير. ولن تكون قوانين المنطق عالمية فيما لو صحَّ مذهب المورمون.

ولنتأمل أيضاً في إله المسلمين. فهل من الممكن أن تكون قوانين المنطق هي انعكاس لفكر إله الإسلام؟ وفقاً للتعاليم الإسلامية المتعلّقة بالتنزيه، فإن إله الإسلام هو أرفع و أكبر من أي مفهوم بشري أو اختبار بشريّ كما نرى في سورة الشورى ١١. لكن قوانين المنطق هي شيء يختبره البشر - ونحن نستعملها في كل وقت. وبالتالي فإن قوانين المنطق لا يمكن أن تكون انعكاساً لفكر إله الإسلام. وبالتالي فإن الإسلام سيفشل أيضاً في تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم.

إن الخلق التوراتي يستطيع أن يشرح المنطق

بما أن الإله الذي أعلنَ عن ذاته في الوحي المُقدَّس هو غير مادّي، وكلّي القدرة، وكلّي الوجود، وخارج حدود الزمن، فإنه من المفهوم أن نمتلك قوانين للمنطق تكون غير ماديّة، عالمية وغير متغيّرة. بما أن الله قد أعلن عن ذاته للإنسان فنحن نستطيع أن نتعلم ونستخدم المنطق. وبما أن الله قد خلق الكون، وهو خلق ذهننا، فإنه من المفهوم أن أذهاننا ستكون قادرة على دراسة وفهم الكون. لكن إن كانت أذهاننا أو الكون عبارة عن نتاج عمل المصادفة والزمن كما يجادل التطوريون، لماذا سنتوقع بأن يكون للكون أي معنى. كيف للتكنولوجيا والعلم أن يكونا مُمكِنَين؟

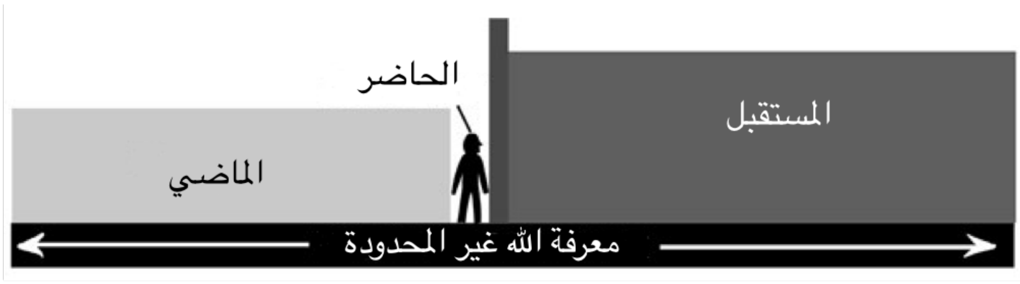
إن كلا من التفكير المنطقي والعلم والتكنولوجيا تحمل معنى في ضوء الرؤية الخلقية التوراتية للعالم. فالمسيحي المتمسك بالكتاب المُقدَّس يمتلك أساساً لهذه الأشياء، في حين أن التطوريّ لا يمتلك أي أساسٍ لها. وهنا لا نريد أن نقول بأن التطوريين لا يستطيعون أن يكونوا منطقيّين في بعض الأشياء. بل العكس، إذ أنّهم مخلوقون على صورة الله وقادرون على التعامل بقوانين المنطق التي تعكس فكر الله. لكنهم لا يمتلكون أساساً عقلانياً لها في ظل رؤيتهم للعالم. بنفس الطريقة التي أظهرناها سابقاً، التطوريون قادرون على أن يكونوا أخلاقيّين، لكنهم لا يمتلكون أساساً

للأخلاق بناءً على رؤيتهم للعالم التي يعلنون إيمانهم بها. إن الإنسان التطوري يسير وفق حزمة من التناقضات. فهو يستعمل المنطق ويدرس العلوم، في الوقت عينه ينكر الله الذي يجعل من العلوم والمنطق أمراً ممكناً. ومن جانب آخر، فإنه وفق الرؤية المسيحية للعالم سيكون لكلٍّ من المنطق والخبرات البشرية معنىً.

٣. انتظام الطبيعة

هذا ينقلنا إلى المثال التوضيحي الثالث للدليل الحاسم - و المفضّل لدي: ألا وهو انتظام الطبيعة. قد جادل البعض من التطوريّين بأن القيام بالعلم هو أمر غير ممكن بدون التطور. ويعلّمون بأن العلم والتكنولوجيا يتطلّبان بالحقيقة مفهوم تطور الجزيء إلى إنسان. ويدَّعون بأن اولئك الذين يحتفظون بالرؤية الخلقية للعالم يشكلون خطراً قد يؤدي إلى عدم القدرة على فهم العلوم![7]

بوصفي عالماً يجب أن أُقرّ أنني أجد هذه الإدعاءات عبثيّةً للغاية ومن السهل دحضها. ومن سخرية الأمر أن التطور هو مفهوم مناقض لمفهوم العلم. حيث أنه إن كان التطور صحيحاً، فلن يوجد أيّ معنى لمفهوم العلم. فالعلم يتطلب الإطار الخلقي للكتاب المُقدَّس حتى يكون إجراءه أمراً ممكناً. وبالتالي فإنه يتبيّن أن التطوريّين يميلون لأن يكونوا "ضد-العلم" أكثر من أن يكونوا علميّين.[8]



إن المستقبل يتشابه مع الماضي ذلك أن الله يدير كل الأشياء في المستقبل كما أدار كل الأشياء في الماضي (فقوانين الطبيعة منتظمة). وبما أنه لا يوجد بيننا أي شخص قد اختبر المستقبل، فالطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نعرف أن المستقبل هو مشابه للماضي هي من خلال إعلانات الله في الوحي المقدس. والجميع يعتمدون على هذا المفهوم الحيوي.

---

7 كتب ثيودوسيوس دوبزانسكي "لا يوجد أي معنى لأي شيء في علم الأحياء إلا في ضوء التطوّر." وهذا كان عنوان مقال نشره في مجلة " مدرّس علم الأحياء الأمريكي"، الإصدار ٣٥، ص. ١٢٥-١٢٩ لعام ١٩٧٣.

8 إن مصطلح "ضد-العلم" كان مصدر إلهام المقال الأصلي الذي يبنى هذا القسم عليه. حيث أن هذا القسم هو عبارة عن توسع وتطوير للمقال الأصلي الذي تمَّ نشره في موقع إجابات في سفر التكوين تحت عنوان "التطور: المضاد-للعلم."

الشروط المسبقة للبحث العلمي

في سبيل القيام بالبحث العلمي نحن نأخذ وبشكل مُسلَّم أن الكون هو قابل للفَهم - أي أنَّه قابل للقياس بطريقة كميّة يمكن للعقل أن يفهمها. فنحن نفترض أن الكون هو منطقيّ ومنتظم ويخضع لقوانين رياضيّة مستقرّة عبر الزمن والفضاء. وبالرغم من اختلاف الظروف في القطّاعات المختلفة من الفضاء ومن تمايز الحُقَب التاريخيّة، إلا أنَّه يوجد نوع من الأساس الموحَّد.[9] وبسبب وجود هذا النوع من الإنتظام في الكون، فإنه يوجد العديد من الأمثلة التي تُمكن العلماء من اجراء توقّعات ناجحة تتعلق بالمستقبل.[10] على سبيل المثال، يستطيع علماء الفلك أن يقوموا بحساب ناجح للمواقع التي ستتخذها كلّ من الكواكب، الأقمار والكويكبات في المستقبل البعيد. وبدون انتظام الطبيعة ـ لن يكون من الممكن القيام بهذه التنبؤات، ولن تكون العلوم موجودة. إن المشكلة التي تواجه التطوريّين هي أنَّ هذا النوع من الإنتظام لا معنى له إلا في ضوء الرؤية الخلقية للعالم.

إن الخلقي سيوف يتوقع أن يوجد نظام في الكون لأن الله قد صنع كل الأشياء (تكوين ١: ١؛ يوحنا ١: ٣) وقد فرض قانوناً على الكون. وبما أن الكتاب المُقدَّس يعلّم بأن الله يدير كل الأشياء بقدرة كلمته (عبرانيّين ١: ٣)، فإن الخلقي سيتوقع أن يعمل الكون بطريقة منتظمة منطقية وتمتلك نوعاً من النظام.[11] علاوة على ذلك، إن الإله يمتلك ثوابت (١صموئيل ١٥: ٢٩؛ العدد ٢٣: ١٩) وهو كلّي الوجود وغير محدود في المكان (مزمور ١٣٩: ٧-٨). بالتالي فإن الخلقي سوف يتوقع أن كل قطّاعات الكون ستخضع للقوانين عينها، حتى تلك القطاعات التي تكون فيها الشروط الفيزيائية مختلفة إلى حدٍّ كبير. إذ أنَّ حقل علم الفلك بأكلمه يعتمد على هذا المبدأ الهامّ من الكتاب المُقدَّس.

كما أن الله هو خارج الزمن (٢بطرس ٣: ٨) وهو قد اختار أن يدير الكون بطريقة مُتَّسقة عبر الزمن وذلك لمنفعتنا. ولذلك فإنه بالرغم من أن الظروف قد تكون مختلفة في الماضي عمّا هي عليه

---

[9] يجب ألا يتم المزج بين مفهوم انتظام الطبيعة مع مذهب الطبيعة الواحدة "uniformitarianism". إذ أن الإنتظام هو الإصرار على أن قوانين الطبيعة تكون مستقرّة إلى حدٍّ ما ولا تتغير بشكل اعتباطيّ عبر المكان أو الزمان، ذلك بالرغم من أن بعض الشروط المحدَّدة أو الإجراءات قد تتغيّر. فمفهوم الطبيعة الواحدة هو مفهوم غير كتابيّ يقول بأن العمليات التي تجري في الحاضر هي ذاتها العمليات التي جرت في الماضي؛ ويؤكّد هذا المذهب على الاستقرار في الشروط والمعدلات عبر الزمن والمكان ويمكن تلخيص الإفتراض الذي تقدّمه بعبارة "الحاضر هو مفتاح الماضي".

[10] يوجد بعض الحالات (كما في الأنظمة الفوضويّة) حيث تكون المُخرجات غير محسوبة بسبب أن الشروط البداية غير قابلة للحساب بدقّة كافية. فالطقس هو أحد الأمثلة على ذلك. لكن حتى الأنظمة الفوضوية يمكن التنبؤ بها من حيث المبدأ - إن كان من الممكن معرفة المتغيرات البدائية بدقّة كافية. حتى أنظمة ميكانيك الكم يمكن التنبؤ بها إحصائياً. فالطبيعة الإحتمالية لميكانيك الكم لا تتعارض مع الإنتظام. فكما أن مبادئ ميكانيك الكم قد عملت في الماضي فنحن نتوقع منها أن تعمل في المستقبل؛ وهذا هو صميم الإنتظام.

[11] "فرائض السماوات والأرض" مذكورة بالتحديد في سفر ارمياء ٣٣: ٢٥.

في الحاضر والمستقبل، فإن الطريقة التي يدير بها الله الكون (وهـي ما ندعوه "قوانين الطبيعة") سوف لن تتغير بطريقة اعتباطية تعسّفية.[12] إن الله قد أعلَمَنا بأنه يمكننا أن نكون على يقين من أن بعض الاشياء ستكون حقيقية في المستقبل كما هـي حقيقية الآن - كالفصول، والدورات الفصلية وإلى ما هناك (تكوين ٨: ٢٢؛ ارمياء ٣٣: ٢٠-٢١). لذلك، فإنه وفي ظلّ ظروف معيّنة، سيكون لدى المسيحي الملتزم الحقّ بأن يتوقع بعض مخرجات الأمور كونه يعتمد على الله الذي يدير الكون بطريقة متّسقة؟

هذه المبادئ المسيحية ضرورية للعلم. وخصوصاً حين نقوم بإجراء تجارب علمية مستخدمين شروط معدّة مسبقاً للبدء بها، ونتوقع أن تكون المخرجات هي عينها في كلّ مرّة. بما معناه أن " المستقبل يشكل انعكاس للماضـي". فالعلماء قادرون على تقديم التوقعات نظراً لوجود هذا الإنتظام فقط كنتيجة لسلطان الله وقدرته المتّسقة. وستكون التجارب العلمية عديمة الجدوى دون وجود هذا الإنتظام؛ فنحن سنحصل على نتائج مختلفة في كلّ مرّة نقوم بتجارب متطابقة، وهذا الأمر سيدمّر امكانية المعرفة العلمية.

بما أن العلم يتطلب المبدأ المسيحي للإنتظام (كما بالنسبة لعدد أخر من المبادئ المسيحية الخلقيّة)، قد يبدوا أمراً مدهشاً أن الشخص قد يكون عالماً إلا أنَّه في الوقت عينه تطوّرياً. ومن المستغرب أن نجد أن عدداً كبيراً من العلماء يصرّحون بإيمانهم بالتطور. فكيف لذلك أن يكون ممكنا؟

إن الإجابة هي أنَّ التطوّريون قادرون على القيام بالعلوم فقط كنتيجة للتناقض وعدم الإتّساق. فهم يقبلون المفاهيم المسيحية مثل الإنتظام في الطبيعة، في الوقت عينه الذي يرفضون فيه الكتاب المُقدَّس الذي هو مصدر هذا المبدأ. هذا النوع من عدم الاتساق هو أمر شائع في الفكر العلماني؛ فالعلماء العلمانيّون يدَّعون بأن الكون ليس مُصمَّماً في الوقت عينه الذي يقومون فيه بتجاربهم العلمية كما لو أن الكون مُصمَّم ويُدار بسلطان الله بطريقة منتظمة. إن العلماء العلمانيون قادرون على القيام بالعلوم فقط لكونهم يعتمدون على الافتراضات الخلقية التوراتية (مثل الإنتظام) التي تناقض اعترافهم المُصرَّح به بالإيمان بالتطور.[13]

---

12 من الأكيد أن الله قادر على استخدام وسائل غير اعتيادية في بعض الأحيان لإنجاز أهداف غير عاديّة - هذا الأمر الذي ندعوه " بالمعجزة" التي هي بحسب التعريف حدث استثنائي؛ فيمكن أن يتم تعريف قوانين الطبيعة على أنها الطريقة الإعتيادية التي يسيّر من خلالها الله لهذا الكون لإتمام مشيئته. وسيتم مناقشة أوفى لهذا الموضوع في الفصل التاسع.

13 لماذا قد يقوم أي شخص ممن يعلنون ايمانهم بالتطور بقبول أي من المبادئ ذات الاساس الخلقيّ؟ بالرغم من كونهم ينكرونه، إلا أن التطوريّين هم أيضاً مخلوقين على صورة الله (تكوين ١: ٢٦-٢٧). ففي أعماق قلوبهم هم يعرفون الله (رومية ١: ١٩-٢٠)، لكنهم يخدعون أنفسهم (يعقوب ١: ٢٢-٢٤). فهم يتناسون أنَّ مصدر المبادئ العلمية هو الرؤية المسيحيّة للعالم.

كيف قد يجيب التطوّريّ؟

إن المسيحي الملتزم بالتعليم الكتابي يستطيع أن يستعمل تجارب الماضي على أنها دليل لما هو محتمل أن يحدث في المستقبل. لأن الله قد وعدنا بأن المستقبل سوف يقدّم انعكاساً للماضي (تكوين ٨: ٢٢). لكن كيف يمكن لهؤلاء الذين يرفضون سفر التكوين أن يقوموا بتفسير سبب وجود هذا الإنتظام في الطبيعة؟ كيف يجيب التطوري في حال تم سؤاله "لماذا قد يكون المستقبل انعكاساً للماضي؟"

إن إحدى أكثر الإجابات استخداماً هي "حسناً، إنه لطالما كان الأمر كذلك، وبالتالي فأنا أتوقع بأنَّه سيكون كذلك دائماً." لكن هذا نوع من المنطق الدائري. أنا سأُسَلِّم بأن الماضي كان منتظماً.[14] لكن كيف لي أن أعرف أن المستقبل سيحمل هذا الإنتظام، إلا في حال كنت قد افترضت للتو بأن المستقبل هو انعكاس للماضي (أي الإنتظام)؟ في كل مرّة نقوم باستعمال التجارب التي تمَّت في الماضي على أساس أنها دليل لما قد يحدث في المستقبل، نكون بذلك نفترض الإنتظام بشكل مسبق. فحين يقول التطوّري بأنه يؤمن أنَّه سوف يكون هنالك انتظام في المستقبل على اعتبار أنّه يوجد انتظام في الماضي ، يكون بذلك محاولاً أن يبرر الإنتظام ببساطة من خلال افتراض وجود الإنتظام - حجّة دائرية مفرغة.



إن الجدل هذا هو جدل دائريّ، لإن استخدام "وبالتالي"في هذا الجدل هو افتراض بأن المستقبل مثل الماضي (وإلا فإن التجارب الماضية ستكون عديمة الصلة بالمستقبل) . لكن هذا هو الأمر تحديداً الذي يحاول هذا الجدل أن يثبته.

---

14 من خلال قبول هذا الأمر، نحن نكون متسامحين إلى حدّ كبير مع التطوريّين. إذ أنَّه من الممكن أن نتعمق في الجدال ونسأل "على أيّ أساس نحن نعرف بأن الطبيعة كانت منتظمة في الماضي؟" فقد يجيب البعض بأننا نتذكر الإنتظام من الماضي. لكن على اعتبار أن ذاكرتنا ليست أكثر من جزء من دماغنا الذي يتطلب أن تكون قوانين الفيزياء والكيمياء منتظمة في الماضي حتى نكون قادرين على تذكر أن الماضي كان منتظماً! إن أي ردّ غير مسيحي سيكون عبارة عن حلقة مفرغة.

قد يجادل التطوري بأنَّ طبيعة المادّة أن تتصرف بطريقة منتظمة؛[15] بكلام آخر ، إن الإنتظام هو من خواصّ الكون. وهذه الإجابة فاشلة لعدة أسباب. أولاً، أنها بالدرجة الأولى لا تجيب عن السؤال. ربما يكون الإنتظام واحداً من جوانب الكون لكن السؤال هو لماذا؟ ماذا قد يكون أساس هذه الخاصّية وفق الرؤية التطورية للعالم؟ ثانياً، يمكننا أن نسأل، كيف من الممكن للتطوّري أن يعلم بأن الإنتظام هو من خصاص الكون. ففي أفضل الأحوال هو قادر على أن يقول بأنَّ الكون - في الماضي - يبدو أنَّه يمتلك بعض الإنتظام.[16] لكن كيف نعلم بأنه سوف يتابع بهذا الإنتظام في المستقبل إن لم نكن نعرف بأنّه يوجد انتظام باستخدام طريقة أُخرى؟ إن الكثير من الأمور في هذا الكون تتغير؛ فكيف نعرف بأن قوانين الطبيعة لن تقوم بالمثل؟

بعض التطوريّين سيحاولون استعمال الإجابات البراغماتيّة: "حسناً، نحن لا نستطيع تفسير السبب. إلا أن الإنتظام يوافقنا بشكل جيد وهو صالح. لذلك نقوم باستخدامه." وهذه الإجابة تفشل لسببين. الأول، يمكننا أن نجادل بأن الإنتظام صالح للعمل به في الماضي؛ ولا يوجد أي سبب يدفعنا للتسليم بأنَّه سيستمر بالعمل في المستقبل إلا في حال أننا قد افترضنا سلفاً بوجود الإنتظام (وهو الأمر الذي يقوم به المسيحيّون فقط). وبذلك نجد أن التطوريّين يقومون بافتراض أن الإنتظام سيكون صحيحاً في المستقبل. ذلك لأنهم عاجزين عن الشروع في يومهم دون هذا الإفتراض. ثانياً، إنَّ أي شخص قد يستخدم هذا النوع من الإجابات يكون قد اعترف للتو بأن الإنتظام ليس مُبرَّراً في ظل الرؤية التطورية للعالم - وهذه هي النقطة التي نحاول إيضاحها. فليس من شخص ينكر وجود الإنتظام في الطبيعة، إنما نحن نحاول أن نُظهر أنَّه فقط في ضوء الرؤية الخلقية التوراتية للعالم يوجد لهذا الإنتظام معنىً. إن التطوريّين قادرون على القيام بالعلوم في حال كانوا غير متّسقين - أي أنّهم في حال افترضوا المفاهيم الخلقية التوراتية في سبيل أن يقوموا بإنكار الخلق التوراتي.

[15] قد استخدم د. غوردن شتاين الملحد هذا الرد بشكل أساسي في مناظرته الشهيرة لعام ١٩٨٥ مع الفيلسوف المسيحي د. غريغ باهنسن التي تناولت موضوع وجود الله.

[16] وهنا نحن نكون متسامحين أيضاً. إذ أنَّ هذه الإجابة ليست إلا تهرّباً من السؤال، على اعتبار أنَّ التطوريّ سوف يفترض الإنتظام في الماضي في سبيل أن يجادل لإثبات دقّة ذكرياته عن الماضي.

التطور الربوبي عاجز عن إنقاذ الموقف

البعض من التطوريّين[17] قد يجادلون بأنهم يستطيعون أن يقوموا بتبرير الإنتظام بطريقة مشابهة لما يقوم به الخلقيّون - ذلك بالإستناد إلى الله الذي يدير الكون بطريقة شبه قانونية.

فليس جميع التطوريّين مُلحدين. إنما العديد منهم يؤمن بأن نوع من الآلهة قد استخدم التطور ليقوم بتشكيل جميع أنواع الكائنات الحيّة: وهذا ما ندعوه "بالتطور الربوبي". لكن إضافة إله ما إلى التطور لن يقوم بتقديم حل للمعضلة. ذلك أنه لا يوجد أي ضمان بأن الإله الذي يقدمونه سوف يدير الكون بطريقة متسقة ومنتظمة كما يفعل الإله الذي يقدّمه الكتاب المُقدَّس.

حتى في حال أنهم أعلنوا إيماناً بإله الكتاب المُقدَّس، فإن ذلك لن يقدّم حلاً للمشكلة. إذ أنّه يمكننا أن نسأل حينئذٍ، "كيف يمكنك أن تعرف بأن الله سوف يدير المستقبل كما أدار الماضي؟" فالخلقيّ التوراتي يستطيع الإجابة على هذا "بالقول إن الكتاب المُقدَّس يُعلِّم هذا الأمر." لكن التطوري لا يستطيع أن يقدّم إجابة جيدة ذلك أنَّه لا يؤمن بالكتاب المُقدَّس (أو على الأقل لا يؤمن بكامل الكتاب المُقدَّس، كالتكوين مثلاً.)

حتى نكون واضحين، قد يمتلك التطوري الربوبي إيماناً قوياً بأن الله (أو إله من نوعٍ ما) سوف يقوم بإدارة المستقبل كما أدار الماضي (وبالتالي فإن قوانين الطبيعة سوف لن تتغيّر مع تغيّر الوقت.) لكن تذكر، أن الإيمان بشيء ما يجب أن يمتلك تفسيرات جيدة لكي يعتبر عقلانياً، ولا يمكن أن يكون مجرّد رأي تعسّفي. فالخلقي التوراتي يمتلك أسباب جيدة لإيمانه: إذ أن الله قد أعلن في كلمته بأنه سوف يدير الكون بطريقة متّسقة. لكن التطوريّ الربوبي يحتاج إلى أن ينكر الكتاب المُقدَّس بوصفة معياراً أعلى (ذلك كونه ينكر سفر التكوين)، لذلك السبب فهو لا يستطيع أن يقوم بالإستناد إلى الكتاب المُقدَّس على أساس أنَّه يقدم قاعدةً لمعرفته عن الإله.

في محاولة أخير قد يحاول الخلقيّ التطوريّ أن يقول "لكني أقبل معظم الكتاب المقدَّس. أنا ببساطة أرفض فقط القراءة الحرفية لسفر التكوين. وبالتالي فأنا أؤمن بالإنتظام وذلك إعتماداً على تعليم الكتاب المُقدَّس." لكن هذا الرد فاشل لسببين. أولا، إن الكتاب المُقدَّس الذي يُعلِّم عن

[17] قد يحاول الخلقيّون المؤمنون بأن كلمة يوم تعني حقبة زمنية أن يستعلموا ذات الجدال، لكن ذلك يفشل للاسباب عينها. فالخلقيين أصحاب نظرية (يوم = حقبة زمنية) لا يؤمنون بأن سفر التكوين يعني بالحقيقة ما يصرّح به (أي أنَّ الله قد خلق الكون في ستة أيام تقليدية). وبالتالي كيف لنا أن نثق بأنّ التكوين ٨: ٢٢ تعني ما تصرّح به؟ وإن لم تكن الآية ٨: ٢٢ من التطوين تعني بالحقيقة ما نصرّح به، فلن يكون هنالك من سبب منطقي للإيمان بالإنتظام. وبالتالي فإننا نجد أن الخلقيّين ذوي تفسير اليوم على أنه حقبة زمنية يعانون من المشاكل عينها التي يعاني منها التطوريّيون. فكلاهما عاجر عن تأمين مبرر للعلوم والتكنلوجيا من خلال رؤيته للعالم.

الإنتظام، يُعلِّم أيضاً أن الله قد خلق الكون في ستة أيام.[18] ثانياً، إن أساسات الإنتظام تترسخ في سفر التكوين (مثل تكوين ٨: ٢٢)، التي يرفضها التطوري.[19] دون الكتاب المُقدَّس سيُفقَد الأساس العقلاني للإنتظام. فالتطوّر الربوبي لا يمتلك سببا جيداً للإيمان بالإنتظام، وبالتالي فهو لا يمتلك الأساسات التي تبنى عليها العلوم.

إن الإنتظام لا يتطلب فقط وجود إله من نوع ما، إنما يحتاج وجود الإله الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس والذي أعلن عن ذاته. فوحده الإله الذي هو خارج حدود الزمن، المُتَّسق، الوفي، كلي القدرة، وكليّ الوجود، والذي أعلن عن ذاته للجنس البشري هو وحده قادر على أن يؤمّن وجود الإنتظام في الزمان والمكان. لذلك، فإن الخلقي التوراتي يستطيع أن يفسّر سبب وجود الإنتظام في الطبيعة. يوجد معلومات إضافية توضّح أسباب عدم عقلانية الموقف الذي يتخذه التطوريّون الربوبيُّون في الملحق "أ".

التطور ليس عقلانياً

حقيقة الأمر هي لو أن التطوّر كان صحيحاً لما وُجد أي سبب عقلانيّ للإيمان به! إن كانت الحياة نتيجةً للتطور، فذلك يعني أن عقل التطوريّ سيكون ببساطة نتاج ملايين من السنوات من معالجة الاحتمالات العشوائية. وسوف يكون الدماغ مجرد مجموعة من الانعكاسات - ردود الأفعال الكيميائية التي حُفظَت نتيجة امتلاكها قيمة ايجابية للبقاء في الماضي. وإن كان التطور صحيحاً، فإن جميع أفكار التطوريّين ليست إلا نتيجة مباشرة للتفاعلات الكيميائية عبر الزمن. لذلك يجب على التطوري أن يفكّر ويقول بأن "التطور صحيح،" ليس لأسباب عقلانية، إنما هي نتائج حتمية لردود الفعل الكيميائية.

إن التحليل العلمي يفترض أن العقل البشري ليس مجرّد كيمياء. فالعقلانية تفترض وبشكل مسبق أننا نمتلك الحرية للنظر بشكل واعٍ إلى الخيارات المختلفة والقيام بانتقاء الأفضل بينها. إلا أن المنهج التطوري يقلل من شأن الشروط المسبقة اللازمة للتفكير العقلاني، وبالتالي فهو يدمر إمكانية المعرفة والعلم.

---

[18] لكن هذا يفشل لسببين. الأول، إن ذات الكتاب المُقدَّس الذي يعلّم عن الإنتظام، يُعلِّم أن الله قد خلق الكون في ستة أيام. وإنه لمن التعسّف والعدم الإتساق أن يتم قبول الواحدة وإنكار الأُخرى. لأنه في تلك الحالة يحتاج الإنسان إلى استخدام معيار أعلى ليقوم بالحكم على الكتاب المُقدَّس لاختيار الأقسام التي سيقبلها، والتي سيقوم برفضها. لكن اعتماد أي معيار سوى المعيار الإلهي سوف لن يكون معياراً أعلى، كما أظهرنا سابقاً في هذا الكتاب. انظر الفصل التاسع لنقاش مطوَّل حول ضرورة عقلانية المعيار الأعلى. وانظر الملحق "أ" لمناقشة المواقف المُساوِمَة، مثل الموقف الخلقي القائل (يوم = حقبة)، أو الموقف التطوري الربوبي.

[19] التكوين ٨: ٢٢ هي مثال واحد. حتى الآيات التي توجد خارج سفر التكوين والتي يمكن استخدامها لتدعيم الإنتظام تنبع أساساتها من سفر التكوين. ومثالاً على ذلك ارمياء ٣٣: ٢٠-٢١، عهد الله مع الليل والنهار الذي تصرح عنه الآية قد تم ضمن أسبوع الخلق.

إن التطور يقف موقفاً مناهضاً للعلم والمعرفة. فإن كان التطور صحيحاً، لن يكون للبحث العلمي أي معنى نتيجة لغياب أي سبب يدفعنا للقبول بوجود الإنتظام في الطبيعة والذي يشكل الأساس الذي تعتمد عليه العلوم والتكنولوجيا. كما أنه لن يوجد أي سبب للاعتقاد بأنَّ التحليل العقلاني سيكون أمراً ممكناً كون الأفكار الصادرة عن العقل البشري ليست إلا ردود فعل كيميائية. إن التطوريّين قادرين على القيام بالبحث العلمي واكتساب المعارف فقط نتيجة لعدم اتساقهم وثبات أفكارهم - كونهم يؤمنون بالتطور في الوقت عينه الذي يقبلون فيه بالمبادئ الخلقية التوراتية؟

لماذا يغيب الإتساق؟

حين نقوم بالتأمل في مفاهيم الأخلاق، المنطق والبحث العلمي نجد أن التطور وببساطة شديدة عاجز عن تبريرها، وبالرغم من ذلك يؤمن التطوريون بها. فكيف لنا أن نفهم هذا التضارب؟ إن الكتاب المُقدَّس يعطينا الأساس لهذه المفاهيم، وكذلك يقدم لنا الإجابة عن سبب قدرة غير المؤمنين على التحصُّل على المعارف في الوقت عينه الذي يرفضون فيه معرفة الخالق الذي هو مصدر كل الأشياء. إن الكتاب المُقدَّس يخبرنا بأن الله قد أعلنَ عن ذاته للجنس البشري، وبأن جميع الأشخاص لديهم معرفة مبدأيّة عن الله. إلا أن الناس قد تمرَّدوا على الله. وهم يرفضون أن يقدّموا الشكر والمجد له. وعوضاً عن ذلك يقومون بكتم معرفتهم عن الحق. وتقدم لنا رسالة رومية ١: ١٨-٢٥ الخلاصة:

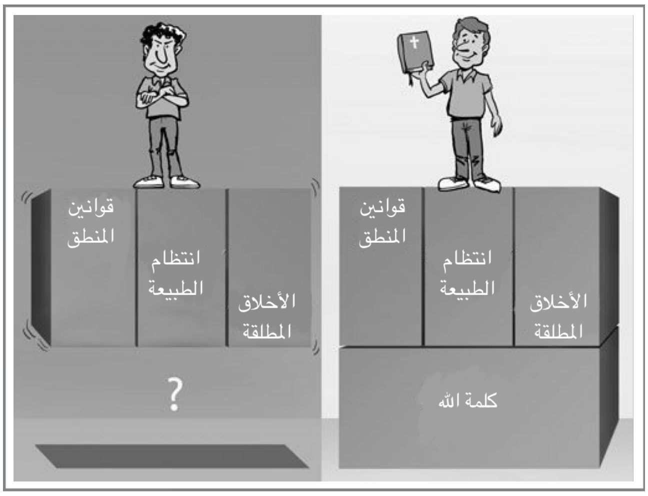
"لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ."

الخلاصة

في علم المنطق، لا يُسمح لأي شخص أن يكون تعسفياً - أي أن يقوم بتأكيد الافتراضات التي لا يوجد لها أي أساس. فالشخص العقلاني لابد أن يمتلك أسباباً لما يؤمن به.[20] وقد قمنا بعرض يشرح أن المسيحيّ المُلتزم يمتلك سبباً جيداً ليؤمن بالشروط المسبقة لقابلية الوضوح: وبأنها

[20] وإلا، لماذا لا نقوم بتأكيد الفرض المخالف؟ فإن كان مسموحاً للأشخاص أن يكونوا تعسّفين، حينذاك سيكون من المستحيل إجراء نقاش عقلاني حيث أن كلّ من طرفي النقاش سيكون قادراً على إثبات موقفهم من خلال افتراضه بشكل تعسّفي.

متوافقة مع الكتاب المُقدَّس والخلق التوراتي. فالرؤية الخلقية التوراتية تؤمن الأساس والقاعدة لهذه الشروط التي نتبنّاها بشكلٍ مُسلَّمات. ولكن هذا لن يكون السبب الوحيد الذي يدفعنا للقبول بالكتاب المُقدَّس بوصفه المعيار الأعلى لنا، بالرغم من كونه سبباً جيداً: إن الكتاب المُقدَّس يزوّدنا برؤية للعالم تتمتع بالإتساق وتمتلك جميع المبادئ الضرورية للتفكير المنطقي، البحث العلمي والأخلاق.



في حين أن التطوريين لا يمتلكون أي تبرير لهذه المبادئ. فبالرغم من إيمانهم بالمنطق، والأخلاق والبحث العلمي، إلا أنَّ هذه المبادئ لا معنى لها في الكون التطوريّ. ولذلك يحتاج التطوريّون أن يقوموا باستعارة المبادئ الخلقية التوراتية في سبيل استخلاص المعنى من أي شيء. إنهم مصابون بالفصام الفكري - حيث يعتمدون على رؤية للعالم في حين يؤمنون برؤية أُخرى. كما هو حال المعترض على وجود الهواء، يحتاج التطوري أن يستعمل ما هو مناقض لموقفه في سبيل أن يجادل لإثباته.

يقوم التطوريون بشكل خاص بالإعتراض على تعليم الخلق مبررين اعتراضهم بأنَّ "هذا كذب." لكن بما أن هذا المبدأ الأخلاقي يعتمد على المبادئ التوراتية (أي أنَّ الكذب خطيئة)، فإن هذا الجدال لن يكون له معنى إلا في حال كان الخلق صحيحاً. أو أنَّ التطوريّين يعترضون بأن الخلقيّين ليسوا عقلانيّين. لكن العقلانية تتطلب وجود قوانين المنطق - التي لا معنىً لها إلا في ظلّ الرؤية الخلقية للعالم. وأخيراً، سيجادل التطوريّون بأن العلم يؤيّد موقفهم. لكن البحث العلمي يتطلب وجود الإنتظام في الطبيعة، والذي لا يحمل أي معنىً إلا في حال كان الخلق صحيحاً. إن التطوريون يقفون في موقفٍ لا يحسدون عليه، ذلك أنهم يجب أن يعتمدوا على حقيقة كون رؤيتهم للعالم لابد أن تكون خاطئة حتى يكونوا قادرين على الجدال حول صحّتها.

إن الدليل الحاسم للخلق التوراتي هو أنَّه دون الخلق التوراتي لا يمكننا أن نعرف أيَّ شيء. لقد رأينا محاكاة لثلاثة أمثلة عن الدليل في هذا الفصل. كما إنه من الممكن أن يتم إيراد أمثلة كثيرة إلا أنَّ هذه الثلاثة كافية لدحض الرؤية التطورية للعالم.

في الفصول التالية، سوف نستعرض كيفية استعمال هذه المحاكاة في حوار عقلانيّ مع التطوريّين، أو المؤيدين لمواقف أُخرى غير كتابية.

الفصل الرابع
استعمال المنطق مع المؤمن بالتطور

الآن وبعد أن رأينا بأنه يوجد دليل غير قابل للدحض عن الخلق، كيف لنا أن نقوم باستخدام هذا الدليل في حوار عقلاني مع التطوريّين؟ لقد سبق ودرسنا ثلاثةً من الأمثلة عن الدليل الحاسم وكل منها يتناول أحد جوانب المعرفة. فالأشخاص عاجزون عن معرفة أي شيء يختص بالعلوم، العقلانية أو الأخلاق دون الإعتماد على المبادئ المسيحية. وفي سبيل أن يكون لأيّ إنتقاد للمسيحيّة أيّ معنىً، لا بد أن يقوم التطوريّ بشكل سريّ بافتراضٍ يفيد بأن الخلق التوراتي هو حقيقيّ. لهذا السبب فإن الدليل الحاسم للخلق التوراتي إن تمَّ استخدامه بطريقة سليمة سيكون قادراً على تحويل أي جدل غير شرعي ضد الخلق إلى جدلٍ شرعيٍّ للدفاع عن الخلق. وللقيام بذلك بشكل جيد، سيكون من المفيد أن نفهم طريقة تفكير غير المؤمنين، وكيفية اختلاف أسلوب تفكيرهم عن أسلوب تفكير المسيحي الملتزم.

الافتراضات المسبقة

إن جميع الأشخاص يمتلكون بعض الأمور التي يعتقدون بأنها حقيقية. ونحن نتمسك بالبعض من معتقداتنا بطريقة متشدّدة في حين أن البعض الآخر منها لا يكون على ذات الدرجة من الأهمية. وكمثال عن المعتقدات التي لا نتمسك بها بتشدّد، كنت أعتقد مسبقاً بأن كوكب المرّيخ يمتلك اثنان فقط من الأقمار. إلا أنَّه في حال قام شخص ما بالتصريح بأنَّه قد اكتشف قمر ثالث، وإن قدَّم دلائل مُقنعة، سأقوم بتغيير اعتقادي ليتوافق مع الإكتشافات الجديدة. لكن من جانبٍ آخر، أنا أمتلك اعتقاداً قوياً ومتشدّدا بصحة قانون عدم التناقض. فإن قام شخص ما بالإدعاء بأنه اكتشف وجود تصريحين متناقضين صحيحين،[1] سأكون على درجة عالية من التشكّك بذلك. وفي الحقيقة أني سأقوم غالباً برفض ذلك الإدعاء بشكلٍ مباشر، ذلك أني مقتنعٌ تماماً بأن الإدعائين المتناقضين لا يمكن أن يكونا صحيحين. إن الإعتقادات التي نتمسك بها بشكل قويّ جداً تدعى "الافتراضات المسبقة". وسيتردَّد الأشخاص كثيراً قبل أن يتخلوا عن هذه الافتراضات المسبقة.

يتم افتراض هذه الافتراضات المسبقة عند البدء، وقبل الشروع بأي تحقيق يتعلّق بالأدلَّة؛ فهي مفترضة مسبقاً وتتحكم بطريقة تفسيرنا للأدلَّة. وفي كثير من الأحيان لا نكون واعين لافتراضاتنا المسبقة، إلا أنها موجودة بشكل دائم. وبالطريقة عينها التي نتنفس بها بشكل دائم دون أن

[1] أي أنهما صحيحين معاً في الوقت عينه وفي ذات العلاقة أو المعنى.

نتوقف للتفكير في التنفس، كذلك يكون الحال بالنسبة لافتراضاتنا المسبقة التي تقود تحليلنا وفهمنا للاختبارات التي نعيشها.

يجب أن يتم تبنّي هذه الافتراضات المُسبقة قبل البدء بأي تحقيق حول أيّ شيءٍ. على سبيلِ المثالِ، نجدُ أن قوانين المنطق هي أمر مفترض مسبقاً. ويتوجب عليَّ أن أقوم بتبنيها بشكل مُسلَّمٍ قبل أن أكون قادراً على التفكير بشكل منطقي. ولقد رأينا سابقاً بأن قوانين المنطق هي إحدى الشروط المسبقة لقابلية الوضوح أيضاً. فإنَّهُ أمرٌ شائعٌ أن تكون الافتراضات المسبقة من الشروط المسبقة لقابلية الوضوح إلا أنَّ البعضَ منها ليس كذلك. فيوجد عدد من التطوّريّين يقبلون المذهب الطبيعي على أنَّه أمر مفترضٌ بشكل مسبق، ولكن من الواضح أنَّه ليس شرطاً مسبقاً لقابلية الوضوح وفهم الكون.

إن كل افتراضاتك المسبقة، حين يتم جمعها معاً تقوم بتشكيل رؤيتك للعالم. وهذا يقودنا إلى تقديم تعريفٍ أكثر دقّة للرؤية للعالم من التعريف الذي قمنا بتقديمه في الفصل الأوّل. فالرؤية للعالم هي شبكة الافتراضات المُسبقة التي يتم من خلالها تقييم جميع الأفكار وتفسير كلّ المعاينات. وبالرغم من أننا لم نذكر هذا المصطلح حتى الآن، إلا أننا قد تعاملنا معه في الفصول السابقة حين تناولنا موضوع الافتراضات المسبقة جنباً إلى جنبٍ مع الرؤى للعالم. ولمعرفة ماهيّة الفروقات بين طريقة تفكير كلٍّ من الخلقيّين والتطوريّين فيما يتعلَّق بالكون، لابدَّ لنا أولاً من أن نقوم بفحصٍ للافتراضات المسبقة الخاصَّة بهم.

يؤمن المسيحي الملتزم بأنَّ: الكتاب المقدَّس هو حقٌّ، بوجود الله، بوجود قوانين المنطق، وبوجود انتظامٍ في الطبيعة، وبوجود معايير مطلقة للأخلاق، كما يؤمن بأننا قادرون على الوثوق النسبي بذاكرتنا ومستقبلاتنا الحسيّة. هذه الافتراضات المسبقة هي متوافقة بعضها مع بعض. فنحن سوف نتوقَّعُ أن توجد قوانينٌ للمنطق في حال كان الكتاب المُقدَّس صحيحاً وذلك كونه يقدّم المنطق. لكن هذان الأمران هما افتراضات مسبقة يجب أن نقبل بها قبل بدء التحقيق. فإنَّهُ بالرغم من عدم امكانية تبرير المنطق بمعزل عن وجود الإله الذي يقدّمه الكتاب المُقدَّس، إلا أننا نحتاج أن نعتمد على المنطق حتى نكون قادرين على قراءة الكتاب المُقدَّس. إن قوانين المنطق (والكتاب المُقدَّس) قابلين للإثبات، إلا أنَّه يجب أن يتمَّ افتراضهما قبل أن يكون من الممكن اثباتهما.[2] أي أنهما افتراضات مسبقة. وتقوم الافتراضات المسبقة للمسيحي بتشكيل رؤية للعالم تتمتع بالإتّساق العقلاني وتجعل من المعرفة أمراً ممكناً.

[2] يوجد أمثلة توضح هذه النقطة في الفصل التاسع من الكتاب.

التطوريّون يمتلكون افتراضاتهم المسبقة أيضاً. والعديد منهم يؤمن بالبعض من التالي: لا علاقة للكتاب المُقدَّس بالعلم، المذهب التجريبي (كل المعرفة تُحصَّل من خلال التجربة)، المذهب الطبيعي (لا يوجد أيّ شيء عدا الطبيعة)، يمكن أن يتم تفسير الأدلة بشكل "حياديّ"، التفكير المنطقي البشري قادر وبدون أي مساعدة على تحديد الحقيقة. البعض من التطوريّين يقبلون التطور على أنَّه افتراض مسبق - أي أنَّه حقيقة غير قابلة للشكّ والتي من خلالها يجب أن يتم تفسير الأدلّة.

إلا أنَّ الافتراضات المسبقة التطوريّة لا تقوم بتشكيل رؤية متّسقة للعالم بحيث يكون الحصول على المعرفة أمراً ممكناً من خلالها. وفي عديد كبير من الحالات، نجد أن التفكير العلماني يكون ذاتيّ النقض (كما أظهرنا في الفصل الثاني.) وفي جميع الأحول فإنها تفشل في تأمين الشروط المسبقة لقابلية الوضوح. فإنه في حال كان التطور صحيحاً، سوف لن يكون من الممكن القيام بالتفكير المنطقي أو البحث العلميّ: فإنه لا يوجد أيّ أساسٍ للمنطق أو انتظام الطبيعة. فلو أن التطوريّين كانوا ثابتين على استخدام رؤيتهم للعالم لما كان من الممكن لهم أن يستعملوا المنطق أو يقوموا بالبحث العلمي. إلا أنهم قادرون على استخدام المنطق واجراء البحث العلمي نتيجةً لعدم اعتمادهم بشكل متّسق على رؤيتهم للعالم. حيث أنهم يعتمدون على الافتراضات المسبقة للخلقيّين! فكيف لنا أن نفسّر عدم الإتّساق هذا؟

طبيعة غير المؤمن

إن الكتاب المُقدَّس يقدم لنا السبب الذي يدفع غير المؤمن إلى الإعتماد (بدرجات مختلفة) على المبادئ الكتابية. ذلك أنَّ جميع الناس يعرفون في عمق قلوبهم عن الله الخالق، ذلك أنَّ الله قد أعلن عن ذاته للجميع. ونقرأ في رسالة رومية ١: ١٩-٢٠ "إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرىَ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ." فالمشكلة ليست أن الناس غير مدركين لله. إنما المشكلة تكمن في أنهم "يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ" (رومية ١: ١٨).

إن الله قد ثبَّت فينا بعضاً من المعلومات المُحدَّدة بما في ذلك المعرفة الفطرية به وبمبادئه. هذا هو السبب في أنَّ الجميع يؤمنون بوجود قوانين تحكم المنطق، انتظام الطبيعة والأخلاق المطلقة (بمن فيهم اولئك الذي لا يصرّحون بذلك). إن الله قد جعل نفسه معروفاً للجميع. لكن ليس الجميع سيمجّدون الله ويقدّمون له الشكر لإعلاناته الإلهية. رسالة رومية ١: ٢١-٢٣ تقول: "أَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ." إن هذه الآيات تؤكّد ما قد عايناه سابقاً: بأنَّ رفض المبادئ

الكتابية المسيحية سوف تقود إلى الأفكار الحمقاء - وتحوِّل المعرفة إلى أمرٍ مستحيل.
كذلك نجد أن رسالة أفسس ٤: ١٧-١٨ تشير أيضاً إلى أنه يجب علينا ألا نسير على خطى الأمم الوثنيّين "...بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُوا الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ." إن حماقة أفكار غير المؤمنين ليست إلا نتيجةً مباشرةً لعصيانهم وعنادهم ضد الله. الأمر الذي يقودهم إلى الجهل والذي يقودهم بدوره إلى الأفكار المظلمة التي تفضي في نهاية المطاف إلى الحُمق في الأفكار وعدم جدواها.
الأمر الجيد هو أن غير المؤمنين لا يتّبعون افتراضاتهم الخاطئة بشكل متّسق وثابت، وإلا لما كانوا قادرين على أداء أي عمل. فلا بد لهم من الإعتماد على المبادئ التوراتية في سبيل الحصول على أي نوع من أنواع المعرفة. حيث أنَّ غير المؤمنين هم "مهووسون بسرقة الافتراضات المسبقة". إنهم يعجزون عن التوقف عن سرقة الافتراضات المسبقة التوراتية ذلك نتيجةً لحاجتهم إليها حتى يكونوا قادرين على الأداء الوظيفي والحصول على أي نوع من أنواع المعرفة عن الكون. إلا أنهم "نَسَوا" مصدر هذه المبادئ. ويمكن القول بأنَّ غير المؤمنين يؤمنون بالله إلا أنهم يقنعون أنفسهم بخلاف ذلك. أي أنَّهم يخدعون أنفسهم (يعقوب ١: ٢٢-٢٤). فكيف لنا أن نكشف عن عدم اتساق هذا الموقف العلمانيّ؟
إن الكتاب المُقدَّس يقدّم معلومة إضافيةً عن غير المؤمن: إنَّه أحمق (أمثال ١: ٧، رومية ١: ٢٢). الآن وقبل أن تتضايق من استعمال الوصف التوراتي "أحمق". يجب أن تفهم أن الكتاب المُقدَّس هنا لا يتورط في تبادل الإهانات والشتائم. ولا أنا أفعل؛ إنما أنا أستعمل المصطلح التوراتي لأقدِّمَ توصيفاً لاستراتيجية توراتية. فالأحمق (بحسب المفهوم التوراتي للكلمة) هو الشخص الذي تكون أفكاره عديمة الجدوى نتيجةً لرفضه للإعلانات الإلهية (رومية ١: ٢١؛ ١كورنثوس ٣: ١٩؛ أمثال ١: ٧). فالأحمق يمكن أن يمتلك معدَّل ذكاءٍ عالٍ، لكنه يرفض أن يستعمل ذكاءه هذا في الطريقة التي صمّمها الله - بطريقة وفيّة للإعلانات الإلهية. ونتيجةً لذلك نجد أفكاره تنهار إلى درجة السّخف.
إن "الأحمق" يرفض بشكلٍ تعسّفي الافتراضات المسبقة التوراتية التي تقود للمعرفة، ويستبدلها بالافتراضات العلمانية التي تقود إلى انعدام الجدوى، والتناقض المنطقيّ. فالسبب الوحيد الذي يمكّن الأحمق من الحصول على معرفة هو عدم اتّساقة وثباته على مبادئه. فهو يؤمن في أعماق قلبه بالافتراضات المسبقة التوراتية. ويجب علينا ألا نستخفّ أو نستهزئ بالأحمق. فهو وقبل كلّ شيءٍ مخلوقٌ على صورة الله وعلى هذا الأساس له الحق في الكرامة والإحترام. وبالإضافة إلى ذلك، فإن كلَّ شخصٍ منا قد كان أحمقاً في يومٍ من أيام حياته. لذلك يجب علينا أن نتعلم كيفيّة

كشف حماقة التفكير العلماني في الوقت عينه الذي نتذكر فيه وبشكل دائم أن نجيب بوداعةٍ واحترام (١بطرس ٣: ١٥).

كيف تُجادِل "أحمقاً": لاتُجب، بل أَجِب.

إن الكتاب المُقدَّس يخبرنا كيف نميّز الأحمق وفي الوقت عينه يعطينا تعليمات عن الكيفية التي يجب أن نُجادله. فنحن قد رأينا سابقاً أنه من غير المجدي استعمال الأدلة العلمية في الجدل مع الاشخاص الذين يمتلكون افتراضاتٍ مسبقةٍ مختلفةٍ؛ فهؤلاء سيقومون وبشكلٍ مباشرٍ بإعادة تفسير الأدلة بطريقةٍ تتناسب مع رؤيتهم للعالم. لكن الله يعلم مسبقاً بأن هذا ما سيكون عليه الحال، وبالتالي فإنه قد قام بتزويدنا بأداةٍ هامّة: وهي استراتيجيّةٌ لإجابة هذا النوع من الأشخاص الذين يتبنون بحماقةٍ الافتراضات المسبقة الخاطئة وغير الكتابية. وتقوم هذه الإستراتيجية على مرحلتين مُقَدَّمَتَين في سفر الأمثال ٢٦: ٤-٥.

سفر الأمثال ٢٦: ٤ يصرّح: "لاَ تُجَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ تَعْدِلَهُ أَنْتَ."حيث نتعلم من هذه الآية بأنه يجب علينا ألا نجيب الشخص غير المؤمن بحسب حمقه وافتراضاته المسبقة الحمقاء. وبأنه يجب علينا ألانقبل بمعاييره التي يضعها للجدل، فهي غير منطقية ولا معنىً لها. إذ أنَّ معاييره تلك سوف تقودنا إلى عدم امكانية معرفة أي شيء، وفي تلك الحالة لن يكون من الممكن أن نجادل أو أن نتوصل لحلّ الجدل. كما أننا إن قبلنا بتلك المعايير العبثية سوف ننحدر إلى ذلك



يجب علينا ألا نجيب الشخص غير المؤمن بحسب حُمقِه وافتراضاته المسبقة العبثيّة.



لئلا نعادلة في تلك الحالة ونكون بذات الدرجة من الحُمْق. أمثال ٢٦: ٤

التفكير العقيم والمتناقض، وهو الأمر الذي لن يقودنا إلى أي مكان.

على سبيل المثال، فلنتأمل في جدل مع أحد الذين يتبنّون الرؤية التجريبية (الإمبريقية). إن المتبنّي للفكر التجريبي لن يقبل أي جدل إن لم يكن مبنياً على المعاينة التجريبية الإختبارية. ويجب أن نتذكر أن موقفه قائم على أنّه "يتم اكتساب جميع أنواع المعرفة من خلال المعاينة

التجريبية". لكن هذا المعيار هو معيارٌ ذاتي النقض؛ فإن كانت كلّ المعرفة تكتسب من خلال المعاينة التجريبية، فكيف سيكون من الممكن أن نعرف أنَّ "كلّ المعرفة تكتسب من خلال المعاينة التجريبية"، إذ أنَّ هذه المعرفة لا يمكن أن تتم معاينتها. إن مُتَبَنِّي الأفكار التجريبية عاجز عن معرفة أي شيء وذلك لأن المعيار الذي يعتمده للمعرفة هو معيارٌ مشكوك به. لذلك إن قبلنا هذا المعيار الذاتيّ النقض، سنتَّخذ نحن أيضاً ذلك الموقف الذاتي النقض، ولن نكون قادرين على معرفة أي شيء. وسنعدله في تلك الحالة ونكون حمقى.



وكمثال آخر، نحن نجد أن التطوريّين يحاولون في أغلب الأحيان أن يقوموا بتأطير الجدل حول الأصول بشكل يبدو على أنَّه "العلم ضدّ الإيمان" وفي تلك الحالة هم يحاولون أن يقولوا بأن " العلم" هو "التطور". والمحزن أن الكثير من المسيحيّين يفشلون في تحدّي هذا الإدعاء؛ بل ويقبلون بالجدل على أساس هذا المعيار الخاطئ. فيجيب هؤلاء المسيحيّون محاولين تحقير العلم فيقولون: "إنه من غير الممكن الإعتماد على العلم، وبجميع الأحوال فإنّ التطور هو مجرّد نظرية. " يمكن القول بأنهم جدلهم يعتمد على: "الكتاب المقدّس جيّد، أما العلم فهو سيّء." وهذا الجدل مؤسف ومحزن للغاية. إذ أن الجدل حول الأصول ليس جدلاً "للإيمان ضد العلم". بالرغم من أن العلم قابل للخطأ إلا أنَّه أداة رائعة وقوية أعطانا إياها الله، وهي تؤكد الخلق إن تمَّ استخدامها بطريقة سليمة. إضافةً إلى أنَّ التطور يقف موقفاً مضاداً لمبادئ البحث العلمي، وهذا ما سبق وعرضناه في الفصل السابق. لذلك يجب ألا نَسمح للتطوريّين أن يُمَرّروا هذا النوع من الإدّعاءات وأن "لاَ نُجَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ".

مثال آخر وهو خطأ شائع جداً بين المسيحيّين حين يخوضون نقاشات مع التطوريّين. حيث أن التطوريّ سيقول قولاً مشابهاً للتالي : "يمكننا أن نتكلم عن موضوع الأصول، لكن فلنبقي الكتاب المقدَّس خارج النقاش. فأنا مهتمٌّ بالأدلّة العلمية فقط." ونجد أن العديد من المسيحيّين يميلون

للموافقة، ويبدأون في محاولة إقناع التطوريّ من خلال استخدام الأدلّة العلمية المُجرَّدة. إلا أن هذا الإجراء هو إجراء خاطئ وذلك بناءً على سفر الأمثال ٢٦: ٤. أولاً، نحن قد رأينا أنَّ الأدلَّة العلمية المُجرَّدة ليست كافية للدفع بأي شخص ليقوم بتغيير افتراضاته المسبقة (ذلك لأن الافتراضات المسبقة التي نضعها هي من ستسهم في تفسيرنا للأدلّة). ولا يوجد من آلية للإلتفاف على هذه النقطة فجميعنا نقوم بتفسير الأدلة بطريقة تطابق رؤيتنا للعالم.

ثانياً، هذا نوع من "مغالطة إدّعاء الحيادية." فإنَّ المؤمن بالخلق التوراتي يحاول إظهار السلطة المطلقة للكتاب المُقدَّس وبأنَّ جميع الأدلّة (بما في ذلك الأدلة المرتبطة بموضوع الأصول تحديداً) يجب أن يتم تفسيرها من خلاله. فإن كان من الممكن أن يتم تفسير الأدلة المتعلقة بالأصول بطريقة صحيحة دون الافتراضات المسبقة التوراتية، حينئذٍ لن يكون الكتاب المُقدَّس هو المرجع المطلق. وبالتالي فإن قبلنا بأنه من الممكن أن نُحيِّد الكتاب المُقدَّس عن النقاش، نكون وبشكل مباشر قد خسرنا الجدال - إذ أننا قد تنازلنا عن القضية الحقيقيّة التي تقف وراء موضوع الأصول.

ثالثاً، إن فكرة إبقاء الكتاب المُقدَّس خارج النقاش حين نتكلم عن موضوع الأصول لا معنىً لها. فالكتاب المُقدَّس هو السجلّ المعصوم الذي نمتلكه وخصوصاً فيما يتعلَّق بموضوع الأصول. فما هو السبب الوجيه الذي قد يدفعنا لأن نقوم بترك الكتاب المُقدَّس خارج النقاش؟

إضافةً إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس هو المعيار المُطلق الوحيد القادر على تأمين الشروط المسبقة لقابلية الوضوح والتي تجعل من المعرفة أمراً مُمكناً. فالمعيار المطلق الذي يستخدمه التطوريّ سوف لن يقود إلا إلى الهراء (كما وجدنا في الفصل السابق). ونحن إن قمنا بمقايضة رؤيتنا الصحيحة للعالم برؤية خاطئة للعالم حينئذٍ نكون أيضاً حمقى. إذ أنّه يجب دائماً أن نتذكر بأننا لا يجب أن نجيب الأحمق بحسب حماقته لئلا نعدله نحن.

الآن، أجِبْ

إن سفر الأمثال ٢٦: ٥ يقدّم لنا الخطوة الثانية. فإن هذه الآية تقول: "جَاوِبِ الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ يَكُونَ حَكِيمًا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ". عند القراءة السطحية للآية قد تُعطي انطباعاً بوجود تناقض - ألم نقرأ للتو أنه لا يجب أن نجيب الأحمق حسب حماقته؟ لكن لا يوجد أي تناقض فالمعنى مختلف بين الآيتين. الآية الرابعة تشير إلى عدم اعتناق حماقة غير المؤمن حتى لا نعادله بالحُمق. في حين أن الآية الخامسة تقودنا لأن نقوم بإظهار النتائج التي قد تنجم في حال كانت الإدّعاءات الحمقاء التي يقدّمها غير المؤمن صحيحة. فنحن نقوم بقبول افتراضاته من الناحية

النظرية بحيث أننا وفي سبيل المجادلة نكون قادرين على إظهار النتاج العقيمة التي ستقودنا إليها. ويجب أن يكون الأمر واضحاً لغير المؤمن، في أننا لا نقبل افتراضاته بشكل حقيقيّ، إنما نأخذها بشكل نظريٍّ وفقط لإظهار النتائج العبثية التي ستقودنا إليها؛ هذا الأمر الذي لا يسمح للأحمق أن يكون حكيماً في عينيّ نفسه (أمثال ٢٦: ٥). حين نقوم بهذا الأمر على سبيل الجدل، نعكس الفلسفة العبثية التي يستخدمها "الأحمق" ونظهر له عبثيّة النتائج الناجمة عنها.



دون أن نعتنق الأفكار الفلسفية التي يقدمها غير المؤمن، يجب أن نُظهر النتائج المنطقية لتبنيها ... الأمر الذي يُظهر له عبثية موقفه (أمثال ٢٦: ٥).

وكمثال على ذلك، لنتأمل في جدال يدور مع مؤمن بالنسبيّة. فيقول: "أنا لا أؤمن بالأمور المطلقة. فيمكننا أن نتكلم عن الكتاب المُقدَّس إن كنت تحبُّ أن تقوم بذلك، لكن لا يمكن أن تقدّم أي تصريح مُطلَق، فأنا لا أعتقد بوجود أي شيء مشابه." فما هي الطريقة الكتابية للإجابة على هذا المعيار الأحمق؟

أولا، لاَ نجَاوِبِ الأَحمقَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ لِئَلاَّ نعْدِلَهُ نحن.(أمثال ٢٦: ٤): "أنا لا أقبل إدّعاءك بعدم وجود أي شيء مُطلَق." لكن على سبيل الجدال نقوم بإظهار النتائج التي سيقودنا إليها القبول بهذا الإدّعاء الأمر الذي لا يسمح للمؤمن بالنسبية أن يكون حكيماً في عينيّ نفسه. (أمثال ٢٦: ٥): "لكن على سبيل الجدال، إن لم يوجد أي أمر مطلق، لن يكون من الممكن لك أن تقول بأنه لا يوجد أي أمر مطلق، ذلك أن تصريحك هذا هو تصريح مُطلق بحدّ ذاته. إن معيارك هذا هو ذاتيّ النقض: والأمر هذا يقود إلى أنَّه معيار خاطئ."

إن استراتيجية "لا تُجبْ، بل أجِبْ" هي أداة فعالة قادرة على كشف الافتراضات المسبقة الخاطئة. وحقيقة الأمر أننا كنا نستخدم هذه الأداة عينها طوال الوقت. إذ أننا وخلال الفصل

السابق لم نتنازل أبداً عن الكتاب المُقدَّس بوصفه المعيار المطلق. في الوقت الذي كنا نقوم بكشف النتائج العبثية للقبول بالنظرة التطورية للعالم كبديل نظري. إن الرؤى غير الكتابية للعالم تقود إلى نتائج عبثية بحيث أنَّه لن يوجد أي أساس للمنطق، البحث العلمي أو الأخلاق. لذلك فلنقم بالتأمل بالمزيد من السيناريوهات الإفتراضية.

افترض أن أحد الأشخاص قال: "أنا لا أؤمن بوجود الكلمات. فيجب أن تثبت لي أن الخلق التوراتي صحيح وذلك دون استخدام الكلمات." ولسبب من الأسباب، نجد أنَّ المسيحيّين يميلون إلى أن يجيبوا الْجَاهِلَ حَسَبَ حَمَاقَتِهِ فيعدلوه ويصيروا مثله؛ فنحن نميل بشكل ما إلى القبول بالمعايير غير المنطقية التي يقوم بطرحها المعترض. لكن إن كنا سنفعل هذا فإننا سنتهاوى إلى الحماقة. لماذا قد يقبل أيّ مسيحيّ خلقيّ أيَّ معيارٍ من المعايير السخيفة. فقط حاول أن تتخيل شخصاً خلقياً يحاول أن يظهر حقيقة الخلق التوراتي باستخدام الإيماءات فقط! إن هذه الصورة العقلية هي التي ترتسم في عقلي في كلّ مرة أجد أحد المسيحيّين يحاول أن يثبت الخلق التوراتي دون استخدام الكتاب المُقدَّس. لا تقبل بالمعايير التي يقوم بوضعها المعترض! سواء كان يريد أن يحيّد الكتاب المُقدَّس عن النقاش أو أنَّه لا يؤمن بوجود الكلمات، إنَّه الجهل الخاصّ به. لا تتبناه أنت!

عوضاً عن ذلك، استخدم استراتيجية "لا تُجب، بل أجِب".

أولا، نقوم بتطبيق "لا تُجِبْ" قائلين: "أنا لا أقبل إدّعاءك بعدم وجود الكلمات." ثم نكمل "لكن على سبيل الجدال، إن لم يَكُن للكلمات وجود، لن يكون من الممكن لك أن تُجادل حول أيّ شيء ألبتَّة. فحقيقة كونك قادر على التعبير عن موقفك تثبت أن موقفك خاطئ." إن هذا سيثير حنق المعترض. ففي النهاية، كيف له أن يجيب على هذا. إن لم يُجِب، ستبقى النقطة التي قُمتَ بطرحها دون دحض. وإن أجاب بأيّ شيء، سيثبت النقطة التي قدّمتها والتي تثبت وجود الكلمات.

ليس من الضروري أن تكون إجابتنا للمعترض بصيغة مطابقة تماماً لما سبق. فحقيقة الأمر أنَّه لا يوجد أي صيغة ثابتة للإجابات، فقد يحمل تطبيق الجزء "لا تُجب" على إشارة ضمنية واضحة عن الجزء الآخر أي "أَجِبْ". كما أنَّه لا يوجد ترتيب مُعيَّن لاستخدام هذه الإستراتيجية. فقد يكون من الأجدى في بعض الحالات أن يتمّ استخدام "بل أجِبْ" أولاً، وثم التصريح بالقسم الآخر أي "لا تُجِبْ". إضافةً إلى أنَّه من الممكن لنا أن نختار الطريقة الأنسب لصوغ إجابتنا، والأمر الوحيد الذي يجب علينا أن نفعله هو أن نبقي ملخَّص الإستراتيجية حاضراً في ذهننا: (١) يجب ألا نقوم أبداً بتبنّي المعتقدات والافتراضات المسبقة التي يتبنّاها المعترض، إنما (٢) يجب أن نُظهر النتائج فيما لو صحَّت تلك الافتراضات (بشكل نظريّ).

حين نقوم بإضافة هذه الإستراتيجية إلى المعلومات التي تم تقديمها في الفصول السابقة، سيكون لدينا مجموعة من الأدوات القوية للدفاع عن الإيمان المسيحيّ. يجدر بك أن تتعلم كيفية التعرف على الإعتماد الضمني الذي يقوم به التطوريّون على المبادئ والافتراضات المسبقة المسيحيّة. وحين يحاولون أن يحاصروك بجدل يعتمد على معاييرهم (الحمقاء) غير المُتّسقة، يجب أن ترفض ذلك ("لا تُجِبْ"). وبشكلٍ أخص، قُمْ بالنظر إلى الشروط المسبقة لقابلية الوضوح. وأظهر لهم أنه بالاعتماد على افتراضاتهم المسبقة ورؤيتهم للعالم، أنهم لا يمتلكون أي أساسٍ للمنطق، انتظام الطبيعة، أو الأخلاق. لنقم بالنظر إلى بعض الأمثلة.

إجابة المعترضين

افترض بأن شخصاً مؤمناً بالتطور قال لك: "أنا أؤمن بالمذهب الطبيعي. أظهر لي بشكل منطقي كيف يمكن أن يكون عمر الأرض حوالي ٦٠٠٠ عام فقط. لكن لا يمكنك الإستناد على القوى الخارقة للطبيعة - فأنا لا أؤمن بأيّ شيءٍ لا يُمكنك اختباره بحواسّك." في الحالات العادية، لن يقوم المعترض بالتصريح عن رؤيته للعالم بهذا الشكل المُعلَن؛ لذلك يجب على المسيحيّ أن يُصغي بشكل جيّد ويحاول أن يحدد المعايير المسبقة التي يستخدمها المعترض. لكن بما أننا نقوم بالتدريب في هذه المرحلة، فإن المعترض الإفتراضي الذي استخدمناه هنا كان واضحاً حيال رؤيته للعالم. الآن كيف يمكننا الردّ؟

يجب أن نتجاوز الإغراءات التي قد تدفعنا لتبنّي معايير المعترض لئلا نشابهه. كما أن إمطارك المعترض بالحُجَج والدلائل التي توافق شروطه التي وضعها لن يفضي به إلى إعادة النظر بمواقفه المسبقة. عوضاً عن ذلك قم بالنظر إلى التناقض وعدم الإتساق في رؤيته للعالم. فحين قمت بفحص تصريحه، آمل أنك قد قمت بتحديد بعض الكلمات أو العبارات بطريقة ذهنيّةٍ فوضعت عليها إشارة: "المذهب الطبيعي" و "المنطق" على سبيل المثال. هاتان العبارتان غير منسجمتان بعضهما مع بعض. فإن كانت الطبيعة هي كلّ ما هو موجود ولا شيء سواها، فكيف حينئذٍ للمنطق أن يوجد، فالمنطق ليس جزءاً من الطبيعة. فأنت غير قادر على اخراج قانون منطقٍ من ثلاجتك، ولن تصدم إصبَع قدمك بأحد القوانين المنطقية.[3] في أي مرّة يطالبك أحد الأشخاص غير المسيحيّين بأن تكون عقلانيّاً، يجب أن تسأله، "لماذا؟" فنحن وفي ضوء رؤيتنا المسيحيّة للعالم يوجد علينا لزامٌ أخلاقيٌّ بأن نتّبع قوانين المنطق - وقوانين المنطق ذاتها ليس لها معنىً إلا في ضوء الرؤية المسيحية للعالم. وقم مباشرةً باستخدام استراتيجيّة "لا تُجِبْ، بَلْ أَجِبْ" في إجابتك للمعترض:

---

[3] استخدم د. باهنسن هذا المثال أكثر من مرّة. والنقطة التي نريد الوصول إليها أن قوانين المنطق ليست ذات طبيعة مادّية، ومع ذلك فهي موجودة. وبالتالي فليست كلّ الأشياء الموجودة هي ذات طبيعة مادّية.

وهنا الإستخدام العملي للقسم الأول من الإستراتيجية "لا تُجِبْ": "أنا لا أقبل اعتقادك بأن كل الأشياء يجب أن تعايَن باستخدام الحواس." ثم أجب "في الحقيقة (وعلى سبيل الجدال) إن كان المذهب الطبيعيّ صحيحاً، فلن يكون من الممكن أن تمتلك قوانيناً للمنطق ذلك أن قوانين المنطق ليست جزءاً من الطبيعة. وأنت تقول بأنك لا تؤمن إلا بالأشياء التي يمكنك أن تعاينها باستخدام حواسّك؛ فإن كان ذلك صحيحاً فأنت غير قادر على الإيمان بقوانين المنطق نظراً لأنه من غير الممكن إدراكها باستخدام الحواسّ. وسيكون التفكير المنطقي أمراً مستحيلاً في حال صحَّ معتقدك. وعليه، لماذا تُطالبني بأن أكون منطقياً؟ إن قوانين المنطق ستحمل معنى في حال كانت الرؤية الخلقية للعالم صحيحة." إن هذا الردّ يعتمد على الدليل الحاسم للخلق. وليس من ردٍّ عقلانيّ عليه.

وبالرغم من أن المعترض قد خسر الجدال في هذه النقطة، إلا أن هذا المؤمن بالمذهب الطبيعيّ لن يعلن الهزيمة. سوف يحاول غالباً الجدال بأن قوانين المنطق متوافقة مع رؤيته للعالم. فقد يقول بأن قوانين المنطق هي مجرّد قناعات، أو أنها مجرد ردود فعل كيميائية في الدماغ، أو أنها وصف للطريقة التي يعمل بها الدماغ. لكنّنا سبق وأظهرنا بأن هذه الردود تحمل عيوباً من الناحية العقلانية؛ فقوانين المنطق لن تكون عالمية (وبالتالي فلن يكون لها أي سلطة إلزامية) فيما لو صحَّ أيٌّ من هذه الردود. (إن لم يكن هذا الأمر واضحاً لك في هذه النقطة، الرجاء مراجعة القسم الثاني من قوانين المنطق في الفصل السابق تحت العنوان الفرعي "ردود محتملة") أو أن المعترض قد يحاول أن يجادل بأنه يستخدم قوانين المنطق لكونها فعّالة. لكن هذا النوع من الإجابات ليس إلا هروباً من الموضوع عوضاً عن الخوض به: لن يكون لقوانين المنطق أي معنى إلا في ضوء الرؤية الخلقية للعالم.

لنأخذ مثالاً آخر، فلنفترض أن مؤمناً بالتطور قد قال: "إنه من الخاطئ أن تقوموا بالتعليم عن الخلق في المدارس. فأنتم تكذبون على الأطفال!" وهنا أيضاً يجب أن نجيب باستخدام سفر الأمثال ٢٦: ٤-٥. فلا نقوم بتبني الافتراضات المسبقة الي يعتمدها المؤمن بالتطور، إنما نُظهر له النتائج الحتمية لاتباع هذا الأسلوب من التفكير في حال كان صحيحاً. فننظر إلى التناقض في التصريح الذي قدَّمه المعترض. فمن جانب هو يؤمن بأن الكذب خاطئ. ومن جانب آخر هو يؤمن بأن الخلق ليس حقيقيّ، ما يعني أنه لا يوجد أيّ قاعدةٍ للأخلاق. وبالتالي فإن إجابتنا تكون بالشكل التالي:

أولا: "لا تُجِبْ". نقول: "أنا لا أقبل إدّعاءك بأن التعليم عن الخلق هو كذب. فأنا مقتنع تماماً أن التطور ليس إلا كذب، ولدي أدلة علمية قويّة تؤكّد ذلك." وسيكون من المناسب في هذه المرحلة أن

تقوم بتقديم مجموعة من الأدلة العلمية - ربما البعض مما سبق تقديمه في الفصل الأول على سبيل المثال. لكن بما أنَّ تلك الأدلة لن تقوم بدحض نهائيّ للتطور، يتوجب علينا أن "نُجيبَ الأحمق" ونظهر سخف المنطق التطوريّ. ويمكن القول: "على سبيل الجدال، لماذا سيكون أمراً خاطئاً أن نكذب على الأطفال وفقاً لرؤيتك للعالم؟" الأمر الأكيد أننا لا نجادل بأن الكذب هو أمرٌ مقبول. نحن نجادل بأنه في حال كان التطور أمراً حقيقيّاً، فإنه لن يوجد أي معيارٍ أخلاقيٍّ يمكن من خلاله أن نقول بأنَّ الكذب أمرٌ خاطئ.

ويمكننا أن نضيف "في ضوء رؤيتي للعالم، إن الكذب هو أمرٌ خاطئ إذ أنه يخالف وصايا الله، ونحن مسؤولون أمامه إذ أنَّنا قد خُلِقنا من قِبَلِه. لكن لو أن التطور كان صحيحاً، لماذا سيكون من الخاطئ أن نكذب على الأطفال؟ ففي المحصلة، إن البشر مجرَّد حوادث كيميائية من الطبيعة وفقاً لرؤيتك للعالم. فلماذا يجب علينا أن نقلق حيال ما قد يفعله أحد الحوادث العرضية الكيميائية تجاه حادثٍ كيميائيٍّ عرضيٍّ آخر؟ فإن كان التطور صحيحاً، لماذا سيكون خاطئاً أن أكذب على أي شخص آخر، وخاصّةً إن كان ذلك سيرفع من قدرتي على البقاء؟"

أمثلة إضافية

يحاول التطوريّون عادةً أن يستعملوا "الأدلة العلمية" لدحض الخلق التوراتي فيقولون: "إن جميع الأدلة العلمية تظهر أن الحياة قد تطوّرت عبر مليارات السنوات. إضافةً إلى ذلك، سيكون من المستحيل القيام بالبحث العلمي فيما لو كان الله يعبث بشكل دائمٍ بقوانين الطبيعة." سنجيب باستخدام الإستراتيجية الكتابية.

البداية مع "لا تُجِبْ"، فنصرّح: "أنا لا أوافق على تصريحك بأن الأدلة العلمية تدعم التطور، في الحقيقة، يوجد الكثير من الأدلة العلمية التي تتحدى الإدعاءات التطورية." ويمكننا في هذه المرحلة أن نقوم بتقديم عدد من الأدلة والأمثلة من خلال إظهار أن كل من علم المعلومات، التعقيد غير القابل للإختزال، والكربون ١٤ كلها أدلّة علمية تؤكّد الخلق التوراتي. ومن ثمّ نتابع بالقول: " كما أنني لا اقبل إدّعاءك بأن الله يعبث بشكلٍ دائمٍ بقوانين الطبيعة. في ضوء رؤيتي للعالم، إن قوانين الطبيعة هي وصف للطريقة المتّسقة التي يدير بها الله الكون." ثم نضيف، "ولكن على سبيل الجدال، بمعزل عن الخلق التوراتيّ، لماذا سيكون الكون قابلاً للفهم؟ إن كان الكون مجرد حادث عرضيّ، وإن كانت أدمغتنا مجرّد طفراتٍ عرضية، لماذا سنتوقّع أن تكون سلسلة من الأحداث العرضية قابلة بشكل صحيح لفهم سلسلة أُخرى من الأحداث العرضية؟ لماذا سيوجد نوع من الإنتظام الكامن في الكون الذي يتطور بشكل دائم؟ لماذا ستوجد قوانين للطبيعة؟ وبشكل

أخصّ، لماذا سنفترض جميعنا أن قوانين الطبيعة ستكون صالحة للاستخدام في المستقبل كما كانت صالحة للإستخدام في الماضي؟"

إن السؤال الأخير هو سؤال "قاتل" - حيث أنَّه لا يوجد أيّ إجابةٍ جيّدة بمعزل عن الرؤية المسيحيّة للعالم. تسع من كل عشرة مؤمنين بالتطور سيجيبون "حسناً، إن قوانين الطبيعة كانت ثابتة في الماضي، بالتالي فأنا أتوقع أنها ستكون ثابتة في المستقبل أيضاً." لكن هذه الإجابة قد افترضت للتو أن المستقبل هو انعكاس للماضي؛ وهذا نوع من المنطق الدائري المريب وهو ما قدمناه في الفصل السابق.

في كل مرّة تستخدم تجاربك الماضية على أساس أنها ستساعدك على توقّع ما قد يحدث في المستقبل، أنت تقوم بافتراض أن المستقبل هو انعكاس للماضي. وبالتالي فأنت لا تستطيع أن تستعمل هذا الإفتراض لإثبات أن المستقبل هو إنعكاسٌ للماضي. وبالرغم من ذلك، فإننا نجد عدداً كبيراً من التطوريّين لا يلاحظون بأنهم يقدمون جدلاً دائرياً. وأكاد أجزم أنك ستكون مضطراً أن تقوم بشرح ذلك لهم، لذلك أبق مثالاً حاضراً في ذهنك. وإليك أحد الأمثلة المحببة لديّ: "نحن لا نستطيع أن نفترض أن الأشياء في المستقبل ستكون دائماً كما كانت في الماضي؛ فالأشياء تتغير. سيكون من السخف أن أجادل أنني لن أموت. فأنا لم أمت قبلاً ولا مرّة، وبالتالي بما أنني لم أمت في الماضي فأنا لن أموت في المستقبل."

كيف نعرف أن قوانين الطبيعة ستكون في الغد كما كانت في الماضي؟ بالطبع، إن هذا ما سيكون عليه الحال، لكن كيف يمكنك أن تُثبت ذلك؟ إن الكتاب المُقدَّس وحده يُقدِّم الإجابة: الله (الذي لا يخضع لقيود الزمن ويعرف المستقبل) قد وَعدَ بأنه سوف يدير الكون بطريقة متّسقة (تكوين ٨: ٢٢).

فلنتأمل أيضاً في أحد الأمثلة عن استراتيجية "لا تُجبْ، بل أجِبْ". تخيل أن شخصاً غير مؤمن يقول: "لا يمكنك أن تثق بالكتاب المُقدَّس. إنَّه مليء بالتناقضات!". بدلاً من أن تهرع لتقديم تفسير لكل التناقضات المزعومة التي يقدمها غير المؤمن، كم هو أجدى أن نستخدم استراتيجية سفر الأمثال ٢٦: ٤-٥ "لا تُجِبْ، بل أَجِبْ"!

أولا، لا تُجِبْ: نصرّح بالتالي: "أنا لا أوافق على تصريحك بأن الكتاب المُقدَّس مليء بالتناقضات." ثم أَجِبْ: "لكن على سبيل الجدال، إن كان الحال كذلك، ووفقاً لرؤيتك للعالم، لماذا سيكون هذا الأمر خاطئاً؟ فأنا كمسيحيّ أؤمن بأن التناقضات لا يمكن أن تكون صحيحة ذلك لأن كل الحقيقة في الله والله لا يناقض ذاته. لكن ما هو الأساس الذي تمتلكه لقانون عدم التناقض، أو أي قانون آخر من قوانين المنطق؟" فكما رأينا في الفصل السابق، وحده الكتاب المُقدَّس يؤمن

القاعدة العقلانية لقوانين المنطق. وهذا سيضع غير المؤمن على "رأس هرم المعضلة." فإن قَبِل الكتاب المُقدَّس على أساس أنه القاعدة لقوانين المنطق، حينئذٍ لا يمكنه أن يجادل ضدَّهُ. لكن إن قام برفض الكتاب المقدّس، فهو لا يمتلك أي قاعدة ليعتمد عليها في التصريح بأن التناقضات هي خاطئة دوماً. وحينها كيف سيكون قادراً على القول بأنه من غير الممكن أن نثق بالكتاب المُقدَّس من خلال الإدّعاء بأنَّه مليء بالتناقضات؟

ليس جميع المسيحيّين واعين لهذه الإستراتيجية في الردّ، وهذا أمرُ محزن، فالكتاب المُقدَّس يُقدِّم لنا أسلوباً قوياً جداً. ويجب أن تتم الإشارة هنا أننا قمنا بتقديم أمثلة إفتراضية، لكن في العادة لن يكون من الضروري أن يتم التصريح بالقسم الأول "لا تُجب" بهذا الشكل العلني، إذ أنّه غالباً ما يكون متضمناً أو مفهوماً من خلال تصريحنا في الجزء الثاني من الإستراتيجية "بل أَجِبْ". لكن في بعض الحالات لا بد من توضيح الموقف المسيحي لغير المؤمنين.

كن مستعداً بشكلٍ دائم

رسالة بطرس الأولى ٣: ١٥ " بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ،". والكلمة اليونانية المترجمة "لمجاوبة" هي " أبولوغيا" وهي مصدر ما يعرف بالدفاعيات أو Apologetics. إن هذه الكلمة تعني تقديم جدال منطقي للدفاع عن الموقف الشخصي. وبالتالي فإن الدفاعيات Apologetics هي الدفاع عن الإيمان المسيحي. ويجب علينا أن نقوم بتقديم سبب "للرجاء" (أي الثقة)[4] التي فينا في كلّ مرّة يسألنا أي شخص. وإن الدليل الحاسم يقدم لنا سببا رائعاً، فإيماننا بالمسيح يزودنا بجميع القواعد والأساسات للتفكير المنطقي العقلاني، البحث العلمي، والأخلاق.

لكننا في أحوال عديدة نفشل في تقدير المقطع الأول من ١بطرس ٣: ١٥ "قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ" ذلك أن هذا الجزء هو الأساس الذي يجعل من تنفيذ بقية الآية أمراً ممكناً. فنحن يجب أن نُقدس المسيح كرب وإله ومخلّص في قلوبنا (في مركز وجودنا) بحيث يكون كلّ تفكيرنا مبنياً عليه. وحين نقوم بذلك، سوف نكون قادرين على رؤية أن غير المؤمنين يعرفون الرب وأنهم يعتمدون بشكل سرّي على المبادئ التي من الكتاب المُقدَّس. وهذا يشكل الأساس للدفاع عن الإيمان المسيحي. وكلما أتقنا هذه الأجزاء كلما كان من المهم أن نتذكر الجزء الأخير من الآية وهو أننا يجب أن نجيب "بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ" أي بمحبة واحترام.

إن كنت قد فهمت الدليل الحاسم بشكل جيد، وفهمت المحاكاة التي قدّمناها عن استخدامه، وكذلك الإستراتيجية في الإجابة "لا تُجِبْ، بلْ أَجِبْ"، حينها ستكون جاهز لأن تقوم بتصويب أي

---

4 إن الكلمة اليونانية الواردة في بطرس الأولى ٣: ١٥ والمترجمة "الرجاء" لا تعني مجرّد الأمل أو التمني إنما هي تشير ما هو مُنتَظر بثقة.

جدال يستخدم بشكل غير صحيح ضد الخلق التوراتي وتعيده إلى نصابه الحقيقي للدفاع عن الخلق التوراتي والرؤية المسيحية الخلقيّة للعالم.

في الفصل التالي سنقوم بتقديم استراتيجيات إضافية كما سنقوم بتدوين مقاربة عامة للدفاع عن الخلق التوراتي ضد جميع المعترضين.

الفصل الخامس
مناهج الدفاع عن الإيمان

لقد قدَّمت لنا الفصول السابقة جدلاً غير قابل للدحض عن الخلق التوراتي وعن الرؤية المسيحية للعالم بشكل عامّ. كما أن الكتاب المقدَّس قدَّم لنا استراتيجيّة تمكننا من كشف مدى سُخف الافتراضات غير الكتابية. وفي هذا الفصل، سوف نقوم بتدوين مقاربة عامّة للرد على أي انتقاد محتمل للرؤية الخلقيّة للعالم. وجميع الإجراءات الدّفاعية تستند على الحقاق التي قمنا بالتأسيس لها سابقاً. وبالتالي فإنه سيكون من المفيد أن نقوم بتقديم تلخيص لما تعلّمناه في الفصول الأربعة الأولى. فهذه الأمور يجب أن تكون حاضرة على ذهننا في كلّ مرة نشرع في مناظرةٍ أو نقاشٍ مع أي مؤمنٍ بالتطور، أو مؤمن بقدم عمر الأرض أو أي شخص يتبنّى موقفاً غير كتابيّ.

ملخصّ الفصول الأربعة الأولى

أولا، إن كلَّ شخص يمتلك افتراضات مسبقة (مسلّمات) - التي هي عبارة عن اعتقادات نتبناها على أنها مسلمات قبل أن نبدأ باستخلاص الإستنتاجات المتعلقة بالكون. وهي تتضمن أشياء مثل المنطق وموثوقيّة الحواسّ. مجموع هذه الافتراضات تقوم بتشكيل رؤيتنا للعالم. ورؤيتنا للعالم هي من تحدد الكيفيّة التي سنفسّر من خلالها الحقائق، ومن تحدد ماهيّة "الحقائق". معظم الأشخاص لا يدركون أنهم يمتلكون رؤية للعالم، ونتيجةً لذلك لم يبذلوا الجهد أو الوقت في التفكير بها.

ثانياً، إن الافتراضات التي يتبناها غير المؤمن غير متوافقة بعضها مع بعض، ومن غير الممكن أن يتم استعمالها معاً. فهي متعارضة وغير متّسقة وفي الغالب ما تكون ذاتية النقض، وستجعل من الحصول على المعرفة أمراً مستحيلاً. إن الرؤية التي يتبناها غير المؤمن للعالم غير قادرة على تأمين الشروط المسبقة للوضوح - وهي الأمور التي نتبنّاها على أنّها مسلّمات حتى نكون قادرين على معرفة أيّ شيء. تتضمن الشروط المسبقة لقابلية الفهم كلٍّ من قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق المطلقة. وفي غياب الأساس العقلاني للشروط المسبقة لقابلية الفهم، لن يكون غير المؤمن قادراً على معرفةِ أيّ شيء من خلال الإستناد على رؤيته للعالم. هو بالتأكيد قادر على الإعتقاد ببعض الأشياء، إلا أنَّه لا يعرفها حقاً، وذلك إن اعتمد على رؤيته للعالم.

ثالثاً، لا يستطيع غير المؤمنين أن يتصرفوا بشكل دائم ومتّسق بالإعتماداً على رؤيتهم التي يصرّحوا بها للعالم. لأنهم إن فعلوا، سيكونون عاجزين عن معرفة أيّ شيء. ولن يكونوا قادرين على أداء أيّ من وظائفهم. فإنّه في ظلّ افتراضاتهم المسبقة لا يحمل الكون أي معنى. وبالتالي فإن غير المؤمنين مضطرون أن يقوموا "بسرقة" الافتراضات المسيحيّة في سبيل تأدية وظائفهم.

إنهم "مهوسون بسرقة الافتراضات،" ويقومون بشكل مستمر بافتراض أمور (مثل قوانين المنطق) التي لا معنى لها في ضوء رؤيتهم غير الكتابية للعالم. إن حقيقة العجز المستمر لغير المؤمنين بأن يقوموا باعتناق افتراضاتهم المسبقة يُظهر أنهم في قلوبهم يعرفون الله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس.

رابعاً، إظهار عدم الإتساق في أفكار غير المؤمنين، يجب علينا أن نستعمل استراتيجيّة "لا تُجِبْ، بَلْ أَجِبْ". التي تعني أنه يجب ألا نتبنّى الافتراضات التي يقوم غير المؤمنين بطرحها؛ وإلا فإننا نحن أيضاً سنصل إلى استنتاجاتٍ خاطئةٍ عن الأدلّة وسوف ننحدر إلى نوع من السذاجة والحُمْق. لكن، وعلى سبيل الجدال، نُظهر لغير المؤمنين النتائج التي سنصل إليها في حال كانت تلك الافتراضات صحيحة. ونظهر لغير المؤمن أنَّه غير قادر على إيجاد معنى للأشياء فيما لو حكم عليها بالإعتماد على معاييره. كما وأننا نُظهر معرفة غير المؤمن المسبقة بالله كما يقدمه الكتاب المُقدَّس إلا أنَّه يحجز تلك المعرفة بالإثم (رومية ١: ١٨). لكن يجب أن نقوم بكشف سذاجة وسُخف غير المؤمن وذلك بكل وداعة واحترام، إذ يجب أن نذكر بشكل دائم أنَّه أيضاً مخلوقٌ على صورة الله (تكوين ١: ٢٦-٢٧)، وبالتالي فإنه من الواجب التعامل معه باحترام.

المبادئ التوجيهيّة للدفاع

من المفيد أن يكون لدينا مخطط بياني ذهني يساعدنا في التخطيط للدفاع عن الإيمان. وبناءً على المعلومات المقدَّمة أعلاه، نحن قادرون على رسم هذا المخطّط. على الرغم من قناعتي التّامة بأنه يوجد مقاربةٌ واحدةٌ فقط للدفاع عن الإيمان (وهي الطريقة التي نتعلمها من خلال الكتاب المُقدَّس - وسنقوم بتقديمها في الفصل العاشر)، إلا أنَّه يوجد عدة سُبُل للتخطيط لها. وهذا يعني أنه يوجد عدة طرق خَلَّاقة لتذكر المبادئ التوراتية المبيّنة أعلاه. الأمر يشبه وجود قالب واحد من الحلوى إلا أنّه يوجد عدّة طرق لتقطيعه. ولربما الطريقة الأبسط هي تقطيعه إلى نصفين. لذلك سنقوم الآن بتقديم الدفاع المبني على شقّين.

(١) نقوم بتقديم الرؤية الخلقية للعالم ونقدم دعوة للمؤمن بالتطور أن يتبناها على سبيل الجدل. فإنه بالرغم من ان تفكير جميع الأشخاص يخضع لرؤيتهم للعالم، إلا أنَّ معظمهم لا يفكرون بأنهم يستخدمون الرؤية للعالم لتحديد تفكيرهم. هذه هي الحالة العامة للتطوريّن، الذين يتبنون الفلسفة التجريبية والمذهب الطبيعي (والمضحك في الأمر أنهما تشكلان رؤيتان للعالم). وهم لا يفهمون أن المؤمن بالخلق التوراتي يمتلك معياراً مختلفاً لتحديد الحقيقة. لذلك يجب علينا أن نقوم بايضاح الأمر للتطوريين بأننا لا نقبل بالمعايير التي يضعونها لتحديد ماهو حقيقيّ أو معقول. وهذا الأمر يتوافق مع استخدام الجزء "لا تُجب" من استراتيجيّة "لا تُجِب، بل أجِبْ"، فنحن

نرفض الافتراضات المسبقة التي يضعها التطوريون. كما وأننا نتخذ الكتاب المُقدَّس كمعيار مطلق، ذلك أننا نعتبره الكلمة المعصومة للإله الكلي المعرفة.

معظم المؤمنين بالتطور لا يدركون ماهيّة إيمان الخلقيين التوراتيّين؛ فهم يمتلكون عدداً من المفاهيم الخاطئة (فغالباً ما يعتقدون بأن الخلقيّين يؤمنون بثبات الأصناف، أو أنهم ينكرون الإنتقاء الطبيعي، ... الخ). فنحن حين نقوم بتقديم الرؤية التوراتية للعالم، تكون تلك محاولة لتثقيف التطوريّ. فيجب أن نتأكد من ادراكه لحقيقة أنَّ (أ) كل شخص يمتلك رؤية للعالم وهي ما تحدد طريقة تفسير الأدلة، و(ب) رؤيتنا للعالم هي ما يعطي معنىً للأدلّة. ونقوم بإظهار أن الرؤية المسيحية للعالم هي متماسكة ومتّسقة داخلياً (أي أنها لا تحتوي على تناقضات)، كما أنها غير تعسّفية، وفي ضوءها تكون جميع الأشياء الضرورية للحصول على المعرفة هي ذات معنى - مثل الشروط المسبقة لقابلية الفهم. فنحن نطلب من التطوري أن يتأمل في رؤيتنا للعالم، حتى لو كان ذلك على سبيل الجدال، بحيث يكون عارفاً للكيفية التي نقوم من خلالها بتفسير الأدلة.

(٢) نقوم بنقد داخلي للرؤية التي يتبناها غير المؤمن أو التطوريّ للعالم، بحيث نُظهر بأنها متناقضة داخلياً وتقود إلى نتائج سخيفة. يجب أن نظهر للتطوري أنه لم يقم بالتأمل الدقيق في تداعيات ونتائج المعتقدات التي يُعلن اعتناقها. فإن كانت تلك المعتقدات صحيحة، فإنها سوف تقود إلى نتيجة لا مفرّ منها في أننا سنكون عاجزين عن معرفة أي شيء، وذلك لعدم وجود أي أساس لقوانين المنطق أو العقلانية التي من خلالها نقوم باستنتاج الأشياء الأُخرى. ثم نجيب باستخدام "بل أجِبْ" وعلى سبيل الجدال فقط، نُظهر الطبيعة الذاتية النقض للرؤية التطورية. فإن كانت معتقداته صحيحة فهي ستكون خاطئة. وبالتالي فهي خاطئة.

إن الرؤى للعالم تشبه إلى حد كبير الكِلى عند البشر، فالجميع يمتلكها - ولا يمكنك أن تحيا دونها. لكن، معظم الأشخاص لا يهتمون بوجودها ... إلى أن يحدث خطب ما فيها. فإن أردنا أن ندفع غير المؤمن إلى أعادة النظر في وَريته للعالم، يجب أن نقدم له ما يعادل الحصى الكلوية لكن على المستوى الفكري (وذلك سيكون لمنفعته!). نذكره بالمعلومات التي يعتقد بحقيقتها لكنه لم يتأملها بدقّة - المعلومات التي تعجز رؤيته للعالم عن معالجتها. كما يحدث مع الحصى الكلوية، وهذا النوع من المقاربات قد يكون مؤلماً للتطوري؛ فهو لن يكون فرحاً بذلك. لكن رؤيته الخاطئة للعالم يجب أن تُكشفْ على حقيقتها ذلك إن أراد أن يتوصل إلى معرفة الحقيقة. لذلك فإنه من الضروري أن يتم تقديم النقد الداخلي حتى لا يكون غير المؤمن "حكيماً في عينيّ نفسه"(أمثال ٢٦: ٥).

إن منهج الدفاع المبني على شقّين الذي تم تقديمه أعلاه يوازي استراتيجية "لا تجب، بل أجب" التي قمنا بمناقشتها في الفصل السابق. وكما هو حال النظرية، فإن هذا المنهج لا يشترط أن يُجرى وفق الترتيب الذي ورد أعلاه. فقد تجد أنه من المناسب أن يتم استخدام القليل من القسم (٢). ومن ثمّ العودة إلى القسم (١). وبالتناوب بحسب الحاجة. فمعظم النقاشات أو المناظرات غير الرسمية تشبه لعبة كرة الطائرة ولا يوجد ترتيب معين لكيفية اجراءها.

تقديم لقائمة المراجعة الدفاعية: قائمة "ت.ت.ش"

أثناء قيامنا بالنقد الداخلي للرؤية غير الكتابية أو التطورية، يوجد ثلاثة من الأشياء التي يتوجب علينا أن نبقيها حاضرةً في ذهننا. وهذه القائمة الذهنية للمراجعة يمكننا أن نختصرها بثلاثة أحرف "ت.ت.ش". حيث أن أول حرفين هما مفتاح "للخطايا" العلمية التي يرتكبها غير المؤمن: ال**ت**عسّف و عدم الإ**ت**ساق. في حين أن الحرف الثالث يشير إلى "ال**ش**روط المسبقة لقابلية الفهم". إن هذه الأشياء الثلاثة ستُظهر أن الرؤية التطورية هي معيبة بشكل تامّ.

(ت) التعسّف: في التفكير المنطقي، لا يسمح لأي شخص بأن يكون تعسّفياً. ذلك يعني أنه من غير المسموح لنا أن نقوم بتأكيد أي إدّعاء لا يوجد له أسباب تدعمه وأن ننتظر من الآخرين أن يقبلوا به. فإن اعتقاداتنا يجب أن تكون مُبرَّرة. فالجدال العقلاني سيكون أمراً مستحيلاً فيما لو اختار كل من الطرفين أنه من غير الواجب أن يقوم بتقديم أسباب للموقف الذي يتخذه. فإن قام كل من الطرفين بافتراض الأمر الذي يحاول إثباته، لن يكون هنالك من دا عٍ للجدل. وعلى الرغم من هذا، فنحن نجد العديد من التطوريين مؤمنين بعدد من الأشياء التي لا يوجد لديهم أي مبرر منطقي لها. إنه من غير العادل (ومن غير العقلاني) أن التطوري يطالب الخلقي بتقديم أسباب منطقية لموقفه، إن لم يكن التطوريّ نفسه مستعداً أو قادراً على فعل المِثل. إن هذا النوع من التعسّف يجب أن يتم كشفه على أنه خلل فادح في الرؤى غير الكتابية للعالم.

في كلّ مرة يقوم أحد التطوريّين بتأكيد ادّعاء ما بطريقة تعسفية أو اعتباطية، نتوجّه إليه بسؤال بسيط، "لماذا يجب عليّ أن أقبل إدّعاءك هذا؟" فإن أصرَّ على موقفه بأنه ليس من حاجة لتقديم مبرّرات، في تلك الحالة، بامكاننا أن نقوم بشيء مشابه ونقوم بالتصريح بأن الخلق التوراتي هو حقيقة فنقول: "إن الخلق هو أمر واقع، وما من دا عٍ لأن نقوم بتقديم أسباب أو مبررات". إن كان المؤمن بالتطور سيتبع أسلوباً تعسفياً فإنه سيفقد الحق في انتقاد المؤمن بالخلق كونه اتخذ أيضاً موقفاً تعسفياً. ففي نهاية المطاف، إنه العدل. لكن إن كنا سنستعمل هذا الأسلوب في الإجابة لابد لنا من أن نكون واضحين بأننا نستخدم هذا الأسلوب بطريقة فرضية؛ فنحن كخلقيّين لدينا بالحقيقة أسباب موثوقة لموقفنا الذي نتخذه. وحدهم التطوريّيون لا يمتلكون أسباباً لموقفهم.

إن الأطفال الصغار بالعادة يكونون تعسفيين. إنهم يعتقدون بالعديد من الأشياء دون أي مبرر لها. فالطفل قد يعتقد بوجود وحش ما أسفل سريره أو بأن سانتا كلوز يدخل إلى منزله من مدخنة المدفأة في عيد الميلاد. وبالرغم من عدم وجود أي مبرر لتلك الإعتقادات، إلا أن الأطفال يؤمنون بها بصدق، ومن ثمّ فإنهم يتصرفون بناءً على إيمانهم الصادق هذا. فقد نراهم يضعون الغطاء فوق رؤوسهم ليحميهم من الوحش؛ كما أنهم قد يُحَضِّرون الحلوى مع الحليب لسانتا كلوز. إن هذه التصرفات التعسفية هي أفعال متوقّعة من الأطفال. لكنه سيكون أمراً مقلقاً أن نجد أحد البالغين يؤمن بصدق بوجود وحش أسفل سريره؛ سوف نتشكك بشكل مباشر في صحته العقلية. فإننا ومع تقدمنا بالسن يفترض بنا أن نصبح أكثر عقلانية. وجزء مهم من العقلانية هو أننا نتعلم أن نبحث ونمتلك أسباباً كافية لتدعم معتقداتنا. لذلك فإن التطوريين حين يفشلون بتقديم أسباب لمعتقداتهم، فإنهم بالحقيقة يتصرفون بطريقة مشابهة للأطفال غير المتعلمين.

ما هي بعض المعتقدات التي يمتلكها التطوريّيون بطريقة تعسفية؟ بالنسبة للبعض من التطوريّين فإن التطور بحد ذاته هو أمر مقبول "كحقيقة" وغير قابل للتشكيك. سواء صدَّقت ذلك أم لا، إنك سوف تتواجه مع البعض من التطوريّين الذين سيشعرون بالإهانة إن طالبتهم أن يقدّموا دفاعاً عن اعتقداهم بالتطور. بالنسبة لمعظم التطوريّين فإن الفلسفة الطبيعية، أو أدنى الإيمان المنهج الطبيعي، هو أمر مقبول دون الحاجة لمبررات تدعمه. والعديد من الأشخاص يتمسكون بالفلسفة التجريبية كحقيقة غير قابلة للشك. والعدد الأقل من التطوريّين سوف يجادلون بأنهم ليسوا بحاجة لتقديم دفا ع عن موقفهم وافتراضاتهم. لكن الافتراضات يجب أن تمتلك تبريرات لكي تُعتبر عقلانية (بالرغم من أن الافتراضات المسبقة، بحسب طبيعتها، يجب أن يتم افتراضها قبل امكانية تبريرها).[1] الكثير من التطوريّين يدَّعون بأنَّ الخلقيّين يمتلكون "إيماناً أعمى". ولكن الساخر في الأمر، هو أننا نجد أنَّ التطوريّين هم من يتخذ المواقف التعسّفية حيال ما يعتقدون به.

لاحظ أن البعض من التطوريّين سيقومون بتقديم أسباب سيئة وضعيفة لدعم موقفهم؛ وهذا أمر يختلف عن كون الشخص تعسفياً. فإن التعسّف هو عدم إعطاء أي سبب على الإطلاق، أي مجرد افتراض شيء ما وتوّقع أن يقوم خصمك بالقبول به دون تقديم أي مبرّرات. فإن قام التطوري بتقديم أسباب سيئة وضعيفة، حينها يجب كشف زيف السبب الذي قام بتقديمه وإظهار عجزه من خلال استخدام قائمة (ت.ت.ش) للمراجعة. فالسبب الذي يتم تقديمه قد يكون تعسّفياً، غير متّسق، أو ينتهك الشروط المسبقة لقابلية الفهم.

[1] لهذاالسبب، يجب أن يتم اثبات الافتراضات المسبقة بطريقة مختلفة عن طريقة إثبات الحقائق الأُخرى. هذا الموضوع سيتم مناقشته في الفصل التاسع.



جميع الرؤى العلمانية للعالم تتعثر في تحقيق قائمة المراجعة (ت.ت.ش). ووحدها الرؤية المسيحية هي من تتجاوزها بنجاح.

(ت) عدم الإتّساق: في التفكير المنطقي لا يسمح لأي شخص أن يكون غير متّسق - أي أن يمتلك معتقدات متناقضة. والسبب بسيط: فإن وجد معتقدان متناقضان فعلى الأقل واحداً منهما سيكون خاطئ. وبالتالي فإن الرؤية للعالم التي تحتوي على تناقضات هي بالضرورة خاطئة. وغالباً ما تكون التناقضات غير مباشرة؛ أي أن أحد المعتقدات سيقود إلى نتائج متناقضه. وكمثال على ذلك، المؤمن بالمذهب الطبيعي قد يحاول الدفاع عن موقفه من خلال استخدام قوانين المنطق، لكن المذهب الطبيعي يقود إلى نتيجة حتمية بأنّه لا مكان لقوانين المنطق فيها، ذلك أنَّ قوانين المنطق ليست كياناً ماديّاً تشكل جزءاً من الكون الماديّ (هذا ما قدّمناه في الفصلين ٣ و ٤).

(ش) الشروط المسبقة لقابلية الفهم: إن الرؤية العقلانية للعالم يجب أن تكون قادرة على تأمين مبرّرات للأمور الضرورية للقيام بالتفكير المنطقي. كما رأينا في الفصل الثالث إن التطور عاجز عن تأمين القاعدة التي تحتاجها قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق، وهذه الأمور هي ضرورية لكل من المعرفة، العقلانية والبحث العلمي. فكيف للرؤية التطورية أن تُعتبر رؤيةً عقلانية للعالم في الوقت عينه الذي تُدَمِّر إمكانية البحث العلمي والعقلاني؟

إن المؤمنين بالتطور يقومون بشكل متكرر باستخدام العلم والتفكير المنطقي (غالباً بنجاح)، لكن هذا نوع من عدم الإتساق، إذ أن هذا الأمر لن يكون له أي معنى في حال كان التطور صحيحاً. فالتطوري ببساطة قد يفترض وجود قوانين المنطق وانتظام الطبيعة. لكنه لا يمتلك أي مبرر لها في ضوء رؤيته المعلنة للعالم. ولذلك فهو يُعتبر مُتعسّفاً في موقفه هذا. لذلك فإن الجزء (ش) من اللائحة سيُستَخدَم بالتناسق مع الجزئين (ت.ت). إن الرؤية المسيحية للعالم تستطيع أن تقدّم مُبرراً للشروط المسبقة لقابلية الفهم بطريقة متّسقة وغير تعسفية. إلا أن التطور عاجز عن القيام بالمثل وكذلك هو حال بقية الرؤى غير التوراتية للعالم.

إن اختبار (ت.ت.ش) يتم اجراءه بشكل أساسي في الجزء (٢) من منهج الدفاع الذي قمنا بتقديمه - أي أثناء إجراء النقد الداخلي للرؤية التطورية. فنقوم بإظهار أن الرؤية التطورية للعالم هي رؤية قاصرة وذلك كونها تعسفية، غير متسقة، وغير قادرة على تأمين الشروط المسبقة للوضوح. إضافةً إلى ذلك فإنه من الممكن لنا أن نشير في الجزء الأول من منهج الدفاع إلى أنَّ

الرؤية المسيحية الكتابية للعالم تنجح في اختبار (ت.ت.ش). فالرؤية الخلقية للعالم ليست تعسّفية، متّسقة داخلياً، وتؤمن الأساس العقلاني للشروط المسبقة لقابلية الوضوح.

توسعة قائمة المراجعة

يجب أن نكون على استعداد دائم لكشف التعسف وعدم الإتساق في الرؤية التي يتبناها غير المؤمن للعالم، وبأنها عاجزة عن تفسير أو تقديم أساس للشروط المسبقة لقابلية الفهم. لذلك فإنه من المفيد أن نتعلم كيفية تمييز أشهر أنواع الأصناف الفرعية من التعسّف وعدم الإتّساق المُرتَكَبان من قبل غير المؤمنين، بالإضافة إلى معرفة المزيد من الشروط المسبقة لقابلية الوضوح.

إن هذه التوسعة للقائمة تعتمد على واحدة من محاضرات الدكتور غريغ باهنسن، إلا أنني قمت بإجراء بعض التعديلات على بعض الأمثلة لتتناسب مع غايتنا.

(ت) التوسّع في دراسة التعسّف

يوجد أربعة أنواع رئيسية من التعسف التي تُرتَكب من قبل غير المؤمنين. وهي (١) الرأي المجرد، (٢) النسبية، (٣) التخمين المُجحف و(٤)التحيز الفلسفي غير القابل للنقاش. إنه من المفيد أن نتذكر هذه الأنواع المحددة من التعسّف أثناء إجراء حوار مع المعترضين على المسيحية. إلا أنه ليس مهماً أن يتم تحديد اسم النوع الذي ارتكبه الناقد؛ فيكفي أن تتم الإشارة إلى أنَّ المعترض يتخذ موقفاً تعسّفياً.

(١) الرأي المجرد: يحدث هذا النوع من التعسف حين يقوم الشخص بتأكيد رأيه دون أي مبررات ويعتقد أنه بذلك قد قام بحلّ المسألة. لكن الشخص العقلاني يجب ألا يبني معتقداته على ما يريده أن يكون حقيقةً، أو ما يبدو له أنه عقلاني من خلال الحدس أو الرأي الشخصي. وبحسب تجربتي الشخصية، فإن ما يقرب من ٩٠٪ الإدعاءات التعسّفية المقدّمة من قبل التطوريّين (أو المعترضين الآخرين على الكتاب المُقدَّس) تقع ضمن هذه الفئة. فالتطوريّ يؤكّد ما يظهر له على أنَّه منطقي دون أي مبرّر، ويتوقع أن المؤمن بالخلق يجب أن يوافق. وهذا المنهج يجب أن يتم كشفه على أنّه متعسف وغير عقلاني.

كمثال على ذلك، منذ فترة من الزمن وخلال مقابلة أجراها معي أحد الصحفيّين المؤمنين بالتطور حيث كان يسألني عن موضوع تحرك الصفائح التكتونية. رأى بأن النموذج الخلقيّ الأكثر شعبية على درجة عالية من السخف، ذلك أنه يقول بأن القارّات قد تباعدت خلال سنة واحدة (في زمن الطوفان العالمي المسجل في سفر التكوين.) بأي حال، لم يكن قادراً على تقديم أي سبب علمي أو منطقي لموقفه هذا. حيث "بدا" له بأن الأشياء ذات الكتلة الضخمة لا تستطيع أن تتحرك بتلك السرعة!

أشرت إلى الصحفي بأن الأرض هي أكبر من صفائحها التكتونية، وبالرغم من ذلك فهي تطوف حول الشمس بسرعة ٦٧,٠٠٠ ميل في الساعة - فالواضح أن الأشياء الضخمة تستطيع أن تتحرك بسرعة كبيرة. بالرغم من ذلك أصرَّ على أنَّ الصفاح التكتونية لا تستطيع أن تتحرك بسرعة، لأن الأمر "يبدو" مستحيلا بالنسبة له. من الواضح أن هذه هي إحدى حالات الرأي المجرد في التعسف. وكان من الواجب علي أن أكشف عدم عقلانية تفكيره. فأجبت بطريقة لطيفة قائلا "أعذرني، لكن هل يوجد لديك أي اعتراض علمي أو عقلاني؟" كان هذا أسلوبي المهذب في الإشارة إلى أنه لم يكن عقلانيّا أو علميّاً، وبأنني لن أجيبه بناءً على معاييره العاطفية وغير العقلانية (أمثال ٢٦: ٤). في كلّ مرة يقوم أحد الأشخاص بتأكيد رأيه المجرد، اسأله وبكل بساطة إن كان يمتلك سببا عقلانياً لرأيه هذا.

(٢) النسبية: إن المؤمن بالنسبية يؤكد أنّه لا يوجد أي شيء مطلق وبأن الحقيقة هي أمر شخصي، "الحقيقة التي لي تختلف عن الحقيقة التي لك". لكن التفكير المنطقي يفترض وبشكل مسبق وجود الأمور المطلقة وبأن الحقيقة موضوعية وليست شخصية. فقانون عدم التناقض على سبيل المثال، سيكون عديم الجدوى ولا معنىً له فيما إذا كانت الحقيقة تختلف من شخص إلى آخر. إن النسبية هي موقف غير عقلاني إذ أنّها في أساساتها تتخلى عن قوانين المنطق، في الوقت عينه الذي تتوقع من الآخرين أن يلتزموا بها.

إن التناقض في موقف المؤمن بالنسبية يجب أن يُكشف. ويمكن الردّ بالتالي: "إن كان ما تقوله حقيقيّاً، كيف لك أن تجادلني؟ إن كانت الحقيقة نسبية وشخصية، كيف لك أن تقول عن موقفي بأنَّه خاطئ؟" إن هذا التناقض في الموقف قد لا يتسبب بأي نوع من الإزعاج للمؤمن بالنسبية، ذلك أن الكثير منهم لا يشعرون بالحاجة لأن يكونوا متّسقين في مواقفهم. لذلك فإنه من الواجب أن يتم كشف موقفهم غير العادل والمتعسّف حين يطالبون الخلقي المؤمن بالكتاب المُقدَّس أن يكون متّسقاً ومنطقياً، في الوقت عينه الذي لا يُبدُون هم فيه أي رغبة بأن يقوموا بالمثل. ويجب أيضا أن تتم الإشارة إلى أن المؤمن بالنسبية عاجز أن يحيا وفق رؤيته التي يعترف بها للعالم. قد يُعلن اعتقاده بوجود أرضٍ خرافية حيث تكون الحقيقة فيها شخصية وربما يكون التناقض أمراً مقبولاً، لكنه في الوقت عينه يعيش في الكون الذي خلقه الله ولا بد له أن يخضع للحقيقة المطلقة لله، ذلك إن أراد أن يكون قادراً على أداء وظائفه. فحتى أعتى المؤمنين بالنسبية سينظر إلى الإتجاهيين قبل أن يقوم بقطع الشارع. كما أنَّه ينتظر من سائقي المركبات أن يخضعوا للقانون عينه الذي يخضع هو له - أي أنهم يجب أن يتوقفوا عند إشارة التوقف على سبيل المثال.

كما هو حالنا جميعاً، إن المؤمن بالنسبية يعرف في أعماق قلبه الإله الحقيقيّ الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس.

(٣) التخمين المُجحف: يحدث هذا الأمر حين يقوم الشخص باستخدام التخمين المجحف عوضاً عن المعرفة. ذلك أنه فشل في دراسة الموضوع قيد البحث، وبالتالي فإنه يصرّح بتخمينات ليست مبنية على أي شيء عدا كونها أوهام وتخيّلات. إن التخمين المجحف هو عدم القيام باستنتاجات منطقية في حين أن المعلومات التي هي قيد الدراسة متوفّرة للعموم، لكن هذا الشخص لم يقم بأداء واجباته. فلو أنه بذل القليل من الجهد وذهب إلى إحدى المكتبات العامّة حيث أجرى نصف ساعة من البحث، لكان قد امتلك معرفةً أفضل وتجنب تقديم هذا النوع من الإدعاءات غير المدروسة.

بما أن معظم الأشخاص يجهلون تاريخ الكتاب المُقدَّس، تكثر التخمينات المجحفة التي تتعلق به. فلربما سمعت ادعاءاتٍ تقول: "بحسب ما وصل إلينا، فإن الكتاب المُقدَّس بالغالب قد تمَّت كتابته من قِبَل أحد الرهبان خلال العصور المظلمة. فنحن لا نعرف إن كانت الشخصيات المذكورة في الكتاب المقدّس حقيقيّة. بالإضافة إلى ذلك، فإنه قد تعرض للنسخ مرّاتٍ ومرّات لذلك فإنه غالباً يحتوي على كمية كبيرة جداً من الأخطاء." في الحقيقة، إن نصف ساعة من البحث الجاد تكفي لدحض هذا النوع من الإدّعاءات.

(٤)التحيز الفلسفي غير القابل للنقاش. كلٌّ منا يمتلك رؤية للعالم - أي فلسفة تقوم بتحيز تفسيرنا للأدلة إلى التفسير الأفضل أو الأسوأ. إلا أنَّ معظم الأشخاص لا يدركون أنهم يمتلكون رؤية للعالم ولا يدركون أن الأشخاص الآخرين يقومون بتفسير الأدلّة من خلال استخدام معايير مختلفة. ولذلك فإننا نجد أن معظم الأشخاص لا يدركون بأنه يجب عليهم أن يقوموا بالجدال للدفاع عن رؤيتهم للعالم: أي أنه يتوجب عليهم إظهار صحّة معاييرهم المستخدمة لتفسير الأدلة وبأنها ليست مجرّد افتراضات.

ان التحيز الفلسفي غير القابل للنقاش هو بحسب التعريف غير قابل للنقاش. لذلك يجب أن نتعلم كيفية "قراءة ما بين السطور" - بحيث نفهم الافتراضات المسبقة غير المصرّح بها والمسؤولة عن الإستنتاجات الخاطة التي يصل إليها التطوريّون. وعلى سبيل المثال، التصريح التالي يحتوي على تحيز فلسفي غير قابل للنقاش: "لا بد أن يكون التطور صحيحاً، إذ أنَّه السبيل الوحيد لتقديم التفسير الطبيعي لنشوء الحياة." إن التحيز هنا هو أنَّ المذهب الطبيعي هو حقيقيّ. وبالتالي فإنه يتوجب علينا أن نكشف هذا التحيز ونُجبر المؤمن بالتطور على (أن يحاول) الدفاع عنه. ويمكننا أن نستخدم استراتيجية "لا تُجِبْ، بلْ أَجِبْ" كالتالي: "لكن يا سيدي، أنا لا أقبل

بالمذهب الطبيعي. حقيقة الأمر أنَّه إن كان المذهب الطبيعي حقيقيّ، فإنه لن يكون ممكناً إثبات أيّ شيء، ذلك لانتفاء وجود أي أساس لقوانين المنطق."

مثال آخر: "لا يوجد أي دليل تاريخي على أن أي من الأحداث التي يقدّمها الكتاب المقدَّس هو حقيقيّ." إن الشخص الذي يقدم هذا الإدّعاء يمتلك تحييز غير قابل للنقاش: فهو يفترض بشكل تعسّفي أن الكتاب المُقدّس لا يُعتبر أنَّه دليل. فإن تم الأخذ بالكتاب المُقدَّس على أنَّه وثيقة تاريخية (على الأقل)، فحينئذ ستمتلك الأحداث المُسجَّلة فيه دليلاً تاريخيّاً - أي الكتاب المقدَّس.

(ت) التوسع في دراسة عدم الإتساق:

بالطريقة عينها التي يوجد فيها أربعة أنواع شائعة للتعسّف، يوجد أيضاً أربعة أنواع شائعة للتناقض وعدم الإتساق وهي: (١) المغالطات المنطقية، (٢) نقض الضدّ، (٣) السلوك غير المتوافق و(٤) التوتّر المقنَّع بين الافتراضات. وسيكون من المفيد أن نُبقى هذه الفئات الفرعية حاضرة في أذهاننا حين نحاور أي معترض، ولكنها ليست أساسية. ويكفي فقط أن نشير لغير المؤمن بأنَّه ليس متّسقاً أو أنَّه يناقض ذاته، وليس من الضروري أن نذكر اسم الفئة التي يتبع لها هذا النوع من عدم الإتساق.

(١) المغالطات المنطقية: إنَّ معظم التطوريّين لا يفكرون بطريقة جيّدة، واضحة وعقلانية حين يتعلق الموضوع بالرؤية للعالم. والرجاء ألا يُساء فَهم هذه العبارة؛ فهي ليست بقصد الإساءة. وأنا لا أقول بأنَّ التطوريّ هو شخص غير ذكيّ أو يفتقد المعرفة. بل النقيض من ذلك، لقد سبق لي وعملت مع عدد من العلماء التطوريّين ممن يمتلكون معدّل ذكاء عالٍ جداً ويتمتعون بالمهارات والدقة والعقلانية حين يختص الموضوع بأبحاثهم. لكن حين يتعلق الأمر بقضايا الرؤى للعالم أو قضايا الكتاب المُقدَّس، يبدو أن المنطق يقفز من النافذة ويهرب بعيداً.

إن الخلقيّين الذين يريدون أن يقوموا بالدفاع عن الإيمان بشكل جيد، سيستفيدون من دراسة المنطق وتعلم كيفية رصد المغالطات المنطقية. ولهذا السبب، لقد اخترت أن أخَصِّصَ فصلين من هذا الكتاب لهذه الفئة الفرعية من عدم الإتساق. لكن في هذا المقام، فإنه يكفي أن نقول بأنه يتوجب علينا أن نكون يقظين للمغالطات المنطقية. وبشكل أخصّ يجب أن ننتبه لحالات انتهاك قانون عدم التناقض. فأي رؤية للعالم تكون متناقضة ذاتياً لا يمكن أن تكون صحيحة.

(٢) نقض الضدّ "الإختزال إلى الإستحالة": في هذا النوع من عدم الإتساق، سنجد أن أخذ أي مبدأ إلى الإستنتاج المنطقي له سوف يحمل نتائج عبثية بشكل صارخ. فإننا سنجد أن العديد من التطوريّين سيقومون باستخدام إحدى الفلسفات إلى حدٍّ معين، ثم يقفزون بطريقة غير متسقة إلى فلسفة أُخرى. إنَّ دَحْضَنَا للفلسة التجريبية يستخدم هذا المبدأ. تذكر أن الفلسفة التجريبية

تُعَلِّم بأن كلّ الأشياء تُعرف من خلال المعاينة. لكن إن قمنا بأخذ هذا المبدأ إلى نتيجته المنطقية، فسيكون من الواجب علينا أن نُطبِّق هذا المبدأ على الفلسفة التجريبية عينها. فإن كانت الفلسفة التجريبية صحيحة، لن يكون من الممكن لنا أن نعرف بصحَّتِها، ذلك أنها غير قابلة للمعاينة. إن الفلسفة التجريبية تقود إلى نتائج عبثية بأنه ليس من الممكن أن نعرف أيَّ شيء.

(٣) السلوك غير المتَّسق: وهذا ما يمكن وصفه بمبدأ "الأعمال تتكلم بشكل أوضح من الأقوال". إن عدم الإتساق في السلوك يُظهر أنَّ التطوريّ لا يؤمن بشكلٍ حقيقيّ في أعماق قلبه بما يقوله. على سبيل المثال، فلنتأمل في أحد الأساتذة الجامعيّين الذي يعلمون أن الحياة هي مجرّد سلسلة من الحوادث العرضية عديمة المعنى، وبأن البشر هم مجرَّد حيوانات متطوّرة - أو غُثاء مستنقع مُعادٌ ترتيبه. لكنه في الوقت عينه يذهب إلى المنزل حيث يقبّل زوجته وأطفاله، كما لو أنهم ليسوا مجرّد غُثاء مستنقع مُعادٌ ترتيبه. أو تأمل في المؤمن بالتسيير (أي انعدام حرية الإختيار) الذي يقوم بتعليم أن الإنسان لا يمتلك أي خيار في ما يفعله، فإن تصرفاته مُحدَّدة بشكل مسبق من قبل قوانين الكيمياء التي تعمل في الدماغ. لكنه في الوقت عينه سينفجر غاضباً حين يقوم شخص ما بسرقة سيارته. وسيُصِرُّ بأنه يجب أن تتم محاكمة السارق. لكن لماذا يجب أن تتم معاقبة السارق إن لم يكن لديه أي خيار في ما فعل؟

في كلتا الحالتين، نجد أن سلوك غير المؤمن يناقض ايمانه المعترف به. وهذا يُظهر أنه يحيا وفق رؤية للعالم تختلف عن الرؤية التي يعلن عنها. فجميع الرؤى غير التوراتية للعالم عاجزة عن تفسير الأشياء التي نأخذها بشكل مسلَّمات: كالأخلاق، الحُبّ، الحريّة، العدالة، والكثير... . إن هذا النوع من العيوب يتم كشفه من خلال سلوك غير المؤمن. فهو غير قادر على العيش وفق رؤيته للعالم؛ لاحظ أنَّ هذا الأمر بعينه لن يقوم بإبطال رؤيته للعالم؛ فهذا قد يتم باستخدام الدليل الحاسم. لكن على اعتبار أن رؤيته للعالم مَعيبة فهو عاجز عن العيش في ظل نتائجها، وأنَّ سلوكه يظهر أنَّه "في أعماق قلبه" لا يؤمن بها بشكل حقيقيّ.

(٤) التوتّر المقنَّع بين الافتراضات: يجب أن نكون حريصين من الافتراضات المسبقة التي يضعها غير المؤمن. فالافتراضات العلمانية لا تتوافق بعضها مع بعض. وهي ذاتيه النقض، أو تجعل من المعرفة أمراً مستحيلاً. انتبه من "سرقة" الافتراضات المسبقة أيضاً. فالتطوريّ سيقوم بافتراض الافتراضات المسيحية حين توافقه (مثل فكرة "الخطأ" و"الصواب")، لكنه في الوقت عينه سيؤكد على الافتراضات المسبقة العلمانية مثل المذهب الطبيعي على سبيل المثال. لكن هذه الافتراضات المسبقة لا تتوافق بعضها مع بعض. وهي تشكّل نوعاً من "التوتر" غير القابل للحل في رؤيته

للعالم. ولن يكون التطوريّ قادراً على تفسير هذا النوع من التوتّر، وبذلك يتم كشف زيف رؤيته للعالم.

(ش) التوسع في دراسة الشروط المسبقة لقابلية الفهم.

لقد قمنا بدراسة ثلاثة من الشروط المسبقة لقابلية الفهم وهي: (١) قوانين المنطق، (٢) انتظام الطبيعة، (٣) الأخلاق. دون وجود هذه الشروط نحن بالحقيقة عاجزون عن معرفة أي شيء ذلك لأننا لن نمتلك أي قاعدة للعقلانية أو البحث العلمي أو الأخلاق. لكن يوجد أيضاً العديد من الأُمور الأُخرى التي نتبنّاها بشكل مسلّمات ولكننا سنكون عاجزين عن أداء وظائفنا دونها. إن التوسع في لائحة الشروط المسبقة لقابلية الفهم يمكن أن يكون غير محدود إلى درجة معيّنة، لكن سنقوم بأخذ البعض فقط من الشروط: (٤) قابلية الإعتماد على حواسّنا، (٥) قابلية الإعتماد على ذاكرتنا و(٦) الكرامة والحرية الشخصية.

(٤) قابلية الإعتماد على حواسّنا: نحن نتبنّى بشكل مُسلَّم أنَّ ما نعاينه، نسمعه، نشمّه، نتذوقه ونلمسه هو موجود بالحقيقة ويستجيب لما نختبره عن طريق حواسّنا. فنحن نفترض بأنَّ إدراكنا للعالم هو دقيق من حيث المبدأ. ولكن كيف يمكننا أن نعرف ذلك؟ إن كان هذا مجرّد افتراض، فإن الحقيقة ستكون أننا لا نعرف كل الأشياء التي نعتقد أننا نعرفها. لذلك يجب علينا أن نقدّم تبريراً لقابلية الإعتماد على مستقبلاتنا الحسيّة حتى نكون قادرين على معرفة أيّ شيء. وبمعزل عن الرؤية التي يقدّمها الكتاب المُقدَّس للعالم، فإنه سيكون من الصعب أن يتم إثبات هذا الإعتقاد. فنحن قادرون على إجراء اختبار أو تجربة لنقوم "بفحص" حواسّنا. لكن على اعتبار أن مخرجات ونتائج أي تجربة مماثلة تحتاج أن تُستَقبل باستخدام الحواس، فإنَّه سيكون من المستحيل معرفة أنه قد تم إجراء ملاحظة دقيقة للنتائج. وحده الخلقي المؤمن بالكتاب المُقدَّس يمتلك تبريراً في ضوء رؤيته للعالم.

سفر التكوين وفي الاصحاح الأول يشير إلى أن الله قام بشكل استثنائي بخلق الجنس البشري وأنه قد أعطاهم المسؤولية لرعاية مخلوقاته. وبما أنَّ مستقبلاتنا الحسّية قد خُلِقَت من قِبَل الله الكلي المعرفة والكلي القدرة (الأمثال ٢٠: ١٢) يمكننا أن نتوقع أنها ستؤدي وظائفها بشكل جيّد. وإلا فإننا لن نكون قادرين على الإهتمام والرعاية بمخلوقات الله دون أن تكون مستقبلاتنا الحسيّة موثوقة بشكل أساسي. كما أننا نعرف أن الكتاب المُقدَّس يخبرنا بأنَّ العالم هو تحت اللعنه كنتيجة لعصيان الإنسان وتمرده ضد الله (تكوين ٣: ١٧-١٩؛ رومية ٨: ٢٠-٢٢). وبذلك فإن العالم ليس بحالة مثالية كما كان في مرّة سابقة. وبالتالي، لن نتوقع أن تعمل المستقبلات الحسية لدى الجميع بشكل ممتاز كلّ الوقت (العيوب الخلقية، الحوادث، وماشابه ذلك). وبما أن

الله لم يُلغي أمره بالعناية بالأرض والإهتمام بالمخلوقات، فإن ذلك يُنتج أنَّ حواسّنا لا تزال على درجة كافية من الموثوقية حتى نكون قادرين على إتمام ذلك الأمر.[2]

في ظل الرؤية التطورية للعالم، لا يوجد أي مبرر لقابلية الإعتماد على الحواس. وإنه من الطبيعي أن التطوريّين يؤمنون بقدرتهم على الوثوق بحواسّهم، لكن هذا الإيمان لا معنىً له في حال كانت أعضاءنا الحسيّة هي نتيجة لطفرات وراثية عرضية قد مُرِّرَت نتيجة لقيمتها في البقاء في الماضي. قد يجادل التطوريّون بأنَّ التطور قادر على تقديم تفسير لموثوقية حواسنا وذلك لأن الإنتقاء الطبيعي سيحافظ على الأشياء التي تمتلك قيمة في البقاء على قيد الحياة. وعلى اعتبار أن هذا الرد شائع جداً، لذلك سنقوم بمناقشته بتوسّع.

أولاً، إن امتلاك حواسّ ذات اعتمادية (تقود إلى إدراكٍ وفهم دقيق للعالم) لا تتساوى مع القيمة في البقاء على قيد الحياة. معظم الكائنات في العالم (النباتات، البكتيريا، الخ.) لا تمتلك أيَّ "حواسّ" أو يمكن القول أنها بشكل عام لا تمتلك إدراك، وليس فقط أنها لا تمتلك حواس موثوقة. ولقد استمروا بالبقاء على قيد الحياة بشكل جيد دون تلك المستقبلات الحسيّة. أما على صعيد التعداد فإن البكتيريا تقوم بعمل جيد وأفضل من البشر، وذلك بالرغم من عدم امتلاكها لأعضاء حسيّة متطورة أو عقل لتفسير الأحاسيس.

ثانياً، بمعزل عن الوحي المُقدَّس، لا يوجد أي سبب للإعتقاد بأنه من الممكن الإعتماد على حواسّنا، حتى وإن امتلكت قيمة في البقاء على قيد الحياة. ولربما ما نعرفه عن العالم هو مجرّد وهم (أي ما يشبه فيلم ماتريكس) -وهو مجرد نتائج تفاعلات كيميائية معقدة صادف أنها تمتلك قيمة للبقاء على قيد الحياة في العالم الحقيقي. كمثال على ذلك تأمل في التالي: إنَّ النباتات خضراء اللون وذلك ليس أن اللون الأخضر بحد ذاته قد ساهم في البقاء والإستمرار، بل لأن الكلوروفيل يساعدها على البقاء، والكلوروفيل صادف أن يكون أخضراً. إن النباتات هي خضراء اللون "كنتيجة ثانويّةٍ" لشيء له قيمة حيوية في البقاء على قيد الحياة. فهل من الممكن أن تكون حواسنا مشابهة لذلك؟ ربما كان فهمنا للعالم مجرد "نتيجة جانبية" لتفاعلات كيميائية ساعدتنا على الإستمرار والبقاء على قيد الحياة. في ظل العالم التطوري لا يوجد أي سبب للإفتراض بأن الصورة العقلية التي نمتلكها عن العالم هي انعكاس لأي شيء في العالم الحقيقيّ. وبمعزل عن الخلق التوراتي، لا يوجد أي سبب للإعتقاد بأن حواسّنا وتصوراتنا عن العالم هي ذات أي نوع من أنواع الإعتمادية.

---

2 خصوصاً، أن الأمر قد أُعطي للبشرية جمعاء، فإننا سنتوقع أن البشرية جمعاء ستمتلك حواسّ تكون على درجة مقبولة من الموثوقية. والحقيقة الواضحة هي أنَّ وجود عدد من الأشخاص في عالمنا الساقط من العُميُ أو الصُمُّ لن يمنع البشرية بأكملها من رصد مخلوقات الله والعناية بها.

ويجدر بنا ملاحظة أن قابلية الإعتماد على حواسنا هي افتراض مسبق. حيث أنه يجب افتراضه قبل البدء بالتحقيق بأيّ شيء آخر. حتى قبل أن نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس (الذي يحتوي على التبرير لهذا الإفتراض الحيوي)، فإنه يجب علينا أن نفترض أن حواسنا موثوقة.[3] إن قابلية الإعتماد على الحواس في ظل الرؤية التطورية للعالم ستبقى دائماً افتراض "أعمى" دون أي مبرر لها؟ وكنتيجة لذلك، فإن كان التطور صحيحاً، فإن قابلية الإعتماد على حواسنا يجب أن تُرفض كونها افتراض تعسّفي (لكننا نجد أن التطوريّين يرفضون القيام بهذا الأمر - وهذا نوع من السلوك غير المتسق). لكن هذا الإفتراض يُمكن أن يتم تبريره في ضوء الرؤية الخلقية للعالم. فالرؤية الكتابية المسيحية للعالم تعطينا سبباً جيداً حتى نثق بأنَّه يمكننا الإعتماد على حواسّنا. ولنصوغها بعبارة أُخرى، إن الإيمان بصحة الكتاب المُقدَّس والإيمان بقابلية الإعتماد على الحواس يسيران معاً ويتوافقان. ولكننا نجد أن التطوريّين غير متّسقين مع إيمانهم بأنه من الممكن الإعتماد على الحواس.

(٥) قابلية الإعتماد على ذاكرتنا: نحن وبشكل بديهي نعتقد بأننا قادرون على تذكُّر ما حدث بالفعل. لكن (كما حدث مع قابلية الإعتماد على حواسنا) فإن قابلية الإعتماد على ذاكرتنا هي أمر صعبُ الإثبات بمعزل عن الرؤية المسيحية للعالم. فأنا قادر على القيام باختبار للذاكرة، لكن في سبيل أن أعرف نتيجتي في ذلك الإختبار، يجب على وبشكل مسبق أن أفترض أنه من الممكن أن أعتمدَ على ذاكرتي. إن الخلقيّ التوراتي يمتلك مُبرِّراً لهذا الإدّعاء. إذ أنَّ الله قد خلق ذهننا بحيث نكون قادرين على تذكر الماضي (ليس بشكل تامّ وهذه نتيجة للخطيئة واللعنة).[4] لكن في الكون التطوّري، لماذا يجب علينا أن نثق بأن دماغنا قادر على تذكر الماضي؟ فوفقاً للتطوريّين إن الدماغ مجرّد نتائج عرضية للطفرات العشوائية التي صادف بطريقة ما أنها ستزيد من من قدرتنا على التكاثر والبقاء. ففي الكون التطوريّ لا يوجد أي سبب يؤسس للإعتقاد بأنه يجب أن نكون قادرين على تذكّر الماضي بشكل موثوق.

(٦) الكرامة والحرية الشخصية: نحن جميعاً نفترض بأن جميع البشر يستحقون نوعاً من الإحترام، وبأن لديهم درجة معينة من الحريّة الشخصية في اختيار ما سيقومون به. ولهذا السبب نحن نحضر جنازة الأصدقاء والأقارب. ونحن نتوقع من الجميع أن يلتزموا بنوع من السلوك. كما ونشعر بأن الأشخاص يجب أن يعاقبوا في حال اتخذوا قرارات تنتهك حقوق الآخرين. لكن جميع

---

[3] البعض قد يجادل بأن هذا هو نوع من المنطق الدائري. وسوف نتعامل مع الموضوع في الفصل التاسع.

[4] إنه أمرٌ مشكوك بصحته أن دماغنا قد تم تصميمه لتذكّر جميع التفاصيل الدقيقة وحتى قبل السقوط بالخطيئة؛ فإن خطّة الله هي أن نكون مخلوقات محدودة ولها قيود. إن هذا النوع من النقاشات يتعدى الموضوع الذي يتناوله هذا الكتاب. لكنه من الآمن القول بأنّ الأمراض مثل داء الزهايمر أو متلازمة الذاكرة المزيفة لم توجد قبل سقوط الإنسان.

هذه الأشياء تفترض وبشكل مسبق وجود الرؤية التوراتية للعالم. فوفق سفر التكوين، نجد أن الله قد خلق البشر على صورته (تكوين ٢: ٢٦-٢٧). وبما أنهم حاملين لصورة الله، فإن البشر يستحقون درجةً من الإحترام والكرامة. كما أن الله قد أعطى حرية الإختيار إلى آدم (تكوين ٢: ١٦-١٧) وحمّله مسؤولية اختياراته وتصرفاته (تكوين ٣: ١٧-١٩).

ونحن نأخذ هذه المبادئ الكتابية التوراتية على أنها بديهيّات ومسلّمات. لكنها لا تحمل أيّ معنى في ظل الكون التطوري. فإن كان الجنس البشري مجرّد نتائج عرضية لحوادث كيميائية حدثت عبر فترات من الزمن، لماذا سيستحقّون أي نوع من الإحترام؟ هل سنقيم جنازةً لباوند من خميرة الخبز التي فَسَدَت نتيجة لتفاعلها مع الخلّ؟ إن الأمر الأكيد هو أن البشر ليسوا مجرّد تفاعلات كيميائية معقدة. فلو أن البشر كانوا مجرّد كيمياء، فلن يكون لهم حينذاك أي خيار في ما يفعلونه - كما هو حال الخل الذي لم يكن له أي خيار في التفاعل مع خميرة الخبز. وبالتالي، لماذا يجب معاقبة الأشخاص الذين يقومون بأعمال شريرة إن لم يكن لديهم الخيار بذلك؟ فإنه لا يوجد مكان للكرامة والحرية الإنسانية في حال كان التطور صحيحاً.

(٧، ٨، ٩،...) يوجد الكثير من الأشياء التي نأخذها بشكل بديهيا ومسلّمات والتي لا معنى لها إلا في ضوء الرؤية الخلقية التوراتية للعالم.

لماذا يوجد قوانين للرياضيّات؟ لماذا يجب أن يكون الفن والموسيقا جميلين؟ أي الرؤى للعالم تقدم معنى للفرح، أو الألم؟ ببساطة قم باختيار موضوع ومن ثمّ اسأل السؤال التالي "أي الرؤى العالمية قادرة أن تقدم معنى له؟" إن كان التطوري من دعاة حماية حقوق الحيوان، اسأله "أي رؤية للعالم تقدم معنى لحقيقة أنه يوجد علينا التزام أخلاقي بأن نعتني بالمخلوقات التي على الأرض؟" إن كان التطوري عالم رياضيّات اسأله "أيّ من الرؤى للعالم تحمل معنى لقوانين الرياضيات؟"

في نهاية المطاف، وحدها الرؤية الخلقية التوراتية تحمل معنى لجميع الأشياء التي نأخذها على أساس أنها مسلّمات وبديهيّات.

خلاصة

لقد قمنا بتغطية الكثير من المواضيع حتى الآن. ولا زال يوجد القليل من المواضيع والنصائح التي نريد أن نستكشفها، نحن لدينا الآن بشكل مبدأي كل ما نحتاج إليه لدحض أي جدل تطوري قد يواجهنا. وباستخدام الدليل الحاسم، استراتيجية "لا تُجِبْ، بَلْ أَجِبْ"، ومناهج الدفاع عن الإيمان التي قدمناها أعلاه، فنحن الآن جاهزون لتقديم دفاع متين عن الخلق التوراتي. وبشكل عام سنبقي حاضراً في ذهننا قائمة المراجعة (ت.ت.ش) حين ننتقد الجدل الذي يقدمه المعترض.

في الملحق ب، سوف نقوم بتطبيق ما تعلمناه على رسائل حقيقية كتبها أشخاص رافضين للخلق التوراتي. وهذا ما سيعطينا فرصةً للتدرب على ما قمنا بتعلّمه حتى الآن. بالنسبة للقرّاء القلقين حول امكانية استخدام الدليل الحاسم، ربما يكون من الأفضل أن يقرأوا الملحق ب قبل متابعة القراءة والإنتقال إلى الفصل التالي. عدا ذلك، فإننا سنتابع بتقديم معلومات إضافية مفيدة ستساعدنا على تحسين أساليبنا الدفاعيّة في الفصول التالية. وتشتمل هذه المواضيع على استخدام الأدلة العلمية، كشف المغالطات المنطقية، أمثلة من الكتاب المقدَّس عن الدفاعيات، إضافةً إلى مواضيع يتم التطرق لها عادةً عند التعامل مع الدفاعيات.

(ت) التعسّف:

(١) الرأي المجرّد

(٢) النسبية

(٣) التخمين المجحف

(٤) التحيز الفلسفي غير القابل للنقاش

(ت) عدم الإتساق:

(١) المغالطات المنطقية

(٢) نقض الضدّ

(٣) السلوك غير المتوافق

(٤) الافتراضات المُقنّعة

(ش) الشروط المسبقة:

(١) قوانين المنطق (العقلانية)

(٢) انتظام الطبيعة (البحث العلمي والتكنلوجيا)

(٣) الأخلاق المطلقة (الآداب)

(٤) قابلية الإعتماد على الحواس

(٥) قابلية الإعتماد على الذاكرة

الفصل السادس
مكان الأدلّة

في الفصل الأول قمنا بتقديم سؤال بريء "ما هو مكان الأدلة العلمية في الجدل حول الأصول؟ " ومن خلال تفكير منطقي دقيق، قمنا بالوصول إلى الإستنتاج المفاجئ والذي لا مفرّ منه ألا وهو أن الأدلة العلمية غير قادرة على حل الجدل الدائر حول الأصول. إن الأدلة العلمية ستكون مفيدة جداً عندما يتفق الأطراف المشاركين في الجدل على الكيفية التي سيتم من خلالها تفسير الأدلة. وسيكون من الملائم تماماً أن يتجادل مؤمنان بالخلق حول أحد الأدلة فيما إذا كان يدعم نموذجاً علمياً معيناً. وذلك حين يكون الطرفان متفقان على "قواعد التفسير،" ثم بعد ذلك يجب أن يقوما بالوصول إلى ذات الإستنتاج عندما يدرسان الدليل ذاته.[1]

إن مشكلة الجدل الدائر حول الأصول هو أن كلّ من الخلقيّين والتطوريّين يمتلكون آراء مختلفة حول قواعد التفسير. وبالتالي فإنهم يقومون بالوصول إلى استنتاجات مختلفة في ضوء رؤيتهم الخاصة للعالم. ويُسمَح للطرَفَين بشكل عام أن يقوما بالإستناد إلى أجهزةِ الإنقاذ في مواجهة الأدلة التي قد تبدو على أنها تعارضهم. وبالتالي، فإنه يجب أن يتم استخدام أسلوب آخر في المقاربة للعمل على حلّ جدل الأصول.

لقد رأينا أنه من الممكن أن يتم حلّ الجدل من خلال استخدام الدليل الحاسم: وذلك من خلال إظهار أن الرؤية الخلقية التوراتية للعالم تؤمن الشروط المسبقة لقابلية الفهم بطريقة متسقة وغير تعسّفية. ولكننا لم نستعمل أياً من الأدلة العلمية في ذلك المنهج. وهذا الأمر قد يترك بعض القرّاء حائرين فيما إذا كان للأدلة أي دور في الدفاعيات. نعم، يوجد دور لها. فالأدلة العلمية والتاريخية مفيدة جداً في الدفاعيات في حال تم استخدامها بشكل سليم. وفي هذا الفصل سوف نقوم باستكشاف طريقة عقلانية لاستخدام الأدلة.

أولاً - إثبات الخلق التوراتي

إن واحداً من بين الاستخدامات المناسبة للأدلة العلمية والتاريخية هو في إثبات الخلق التوراتي. وإن كلمة "إثبات" يمكن أن يتم استخدامها بأكثر من طريقة، لذلك اسمحوا لي بالتوضيح. حين نقول بأن الأدلة تثبت أو تؤكد الخلق نعني بأن الأدلة تتسق مع الخلق - أي أنها تتزامن وتُظهر توافقاً. ولقد تم تعليم العديد من المسيحيّين بأن الأدلة العلمية هي نقطة في صالح التطور وبطريقة خاطئة جداً استنتجوا بأنهم يجب أن يمتلكوا إيماناً "أعمى". والعديد من التطوريّين

---

[1] بين الخلقيّين أيضاً يوجد بعض الإختلافات في وجهات النظر حول قواعد التفسير. لذلك فإننا نجد أن بعض الخلقيين يصلون إلى استنتاجات مختلفة من الدليل عينه. وهذا الأمر صحيح أيضاً بالنسبة للتطوريّين.

يخلطون بين "العلم" و "التطور"، آملين بأنهم سيكونون قادرين على إقناع الناس بأنه يجب عليهم أن يقبلوا التطور في حال أرادوا أن يقبلوا العلم. إن هذا النوع من التعليم خاطئٌ ويجب أن يتم تحدّيه، والأدلة العلمية هي أدوات عملية جداً لإتمام هذا الأمر.

إن البحث العلمي يتوافق بشكل تامّ مع الخلق التوراتي. والعديد من الأدلة يمكن أن يتم إيرادها. فعلم الوراثة يؤكد أن الكائنات الحية تعطي "بحسب أنواعها" - وهو ما سنتوقعه تماماً من سفر التكوين. السجلات الأحفورية تشير إلى كارثة عالمية: فالحيوانات والنباتات قد قُتِلَت ودُفِنَت بسرعة كبيرة بمياه الطوفان. وهذا تماماً ما سيتوقعه الخلقي من الطوفان الموصوف في التكوين. الكربون ١٤ الموجود في الماسّ والمواد الأُخرى هو أيضاً ما سيتوقعه المؤمن بالخلق التوراتي، ذلك أن عمر الأرض هو عدة آلاف من السنوات. هذه الحقائق العلمية تتحدى الإدعاء العبثي بأن "كلّ الأدلة العلمية تؤيد التطور".

إضافة إلى ذلك، إن هذه الأدلة هي مؤيّدة للإيمان. فالمسيحيّون بحاجة لفهم أن رؤيتهم للعالم ليست مجرّد فرضية. فالكون الحقيقي هو الكون الموصوف في الكتاب المُقدَّس. و على اعتبار أن الكتاب المقدَّس صحيح، فإنَّه يمكن أن يتم استخدامه للتفسير والقيام بالعديد من التوقّعات الناجحة حول ما يمكن أن نجده في الكون. علم الوراثة، الجيولوجيا، الفلك، المستحاثات، الآثار، والكثير من فروع العلم الأُخرى كلها تُظهر حقائق هي تماماً ما سنتوقّعه من خلال الأخذ بصحّة الكتاب المُقدّس.[2] وإنه لأمر مشجّع للمسيحيّين أن يتعلّموا عن هذه الحقائق.



الكتاب المُقدَّس هو المعيار المطلق والقاعدة للأبحاث العلمية. وبالتالي فإن الأدلة العلمية، حين يتم تفسيرها بشكل جيد سوف تتوافق بشكل دائم مع الكتاب المُقدَّس.



إن المناهج العلمية عاجزة عن تشكيل أساس للكتاب المُقدَّس لأنها تعتمد على الإفتراضات التي من الكتاب المُقدَّس. فالكتاب المقدّس هو المعيار المطلق في حين أن الأبحاث العلمية هي المعيار الثانوي.

[2] للمزيد من المعلومات والأمثلة التفصيلية في هذه الحقول العلمية، انظر "كتاب الإجابات الجديدة" بإصداريه الأول والثاني من (Green ForestK والناشر Master Books).

ثانياً - تقدمة حول الرؤى للعالم

في أي مناظرة تتناول موضوع الأصول، سيكون من المهم فهم طبيعة الرؤى للعالم وكيف تتحكم الرؤى للعالم بتفسيرنا للأدلة. ودون هذا الفهم ستكون المناظرة مجرد "شخصان يتكلمان بالتناوب" ولن يتم التطرق إلى الموضوع الرئيسي. ومعظم الأشخاص لا يدركون أنهم يمتلكون رؤية للعالم، وبالتالي فإنهم لم يتأملوا ملياً فيها. ويقعون تحت تأثير الإنطباع بأن "الأدلة تتكلم من تلقاء نفسها". وهذا النوع من الأخطاء يجب أن يتم كشفه ودحضه في المناظرة وذلك في سبيل الوصول إلى حلول. والأدلة قادرة على إتمام هذه الخطوة.

سوف نتخذ حقيقة علمية معيّنة ومن ثمَّ نقوم بإظهار كيف يقوم كلّ من الخلقيّين والتطوريّين بتفسيرها والوصول إلى نتائج مختلفة منها وذلك نتيجةً لامتلاكهما رؤيتين مختلفتين للعالم. على سبيل المثال، فلنتأمل في أن البعض من أنواع القردة تمتلك سلاسل حمضٍ نوويٍّ مشابهة لتلك التي يمتلكها البشر. فإن التطوري سوف يخلص إلى أن القردة والبشر لديهم أصل مشترك. لكن الخلقي سوف يستنتج بأن ذلك نتيجة لتصميمهما من قِبَل خالق واحد ولامتلاكهما تشابهاً عضوياً، مما سيتطلب وجود تشابه في الأوامر الجينيّة. وكلا الموقفين يمكن أن يُعتبر بأنه تفسير للحقيقة عينها، لكن التفسيرين مختلفين.

ومثال آخر سيكون المستحاثات. فالتطوريّ يؤمن بأن المستحاثات قد تموضعت عبر ملايين السنوات وكنتيجة لحدوث عدد من الطوفانات المحليّة أو الكوارث محدودة المدى التي كانت مسؤولة عن قتل ودفن هذه الكائنات. لكن الخلقيّ يؤمن بأن معظم المستحاثات قد تم ايداعها في تلك الطبقات كنتيجة للطوفان الذي وصفه سفر التكوين، حيث غطت المياه كل الكوكب، الأمر الذي تسبب بقتل ودفن ملايين من الكائنات الحية. وإن كلاً من الموقفين قادر على أن يكون تفسيراً لتلك الحقيقة إنما بطريقة مختلفة.

إن هدفنا في هذه النقطة ليس الجدل بأن الخلقيين يمتلكون تفسيراً أفضل للأدلة (هذه الخطوة ستأتي في وقت لاحق). إنما هدفنا المبدأيّ هو إظهار أنَّ كلاً من التطوريّين والخلقيّين يقومون بتفسير الأدلة بطريقة مختلفة عن بعضهم البعض - وبالتالي فإنهم يجب أن يصلوا إلى استنتاجات مختلفة كنتيجة لامتلاكهم رؤيتين مختلفتين للعالم. إن الهدف هو تعليم الخصم عن طبيعة الرؤى للعالم، وكيفية تأثيرها على تفسير الحقائق، لتعريفه عن رؤيتنا للعالم، ولتمكينه من إدراك أنه هو الآخر يمتلك رؤيةً للعالم.

ثالثاً- إظهار عدم الإتساق والتعسّف

حين نقوم بنقد داخلي للرؤية التي يعتمدها غير المؤمن للعالم، يجب أن نبحث بشكل دائم عن (ت.ت.ش): التعسف، عدم الإتساق، والشروط المسبقة لقابلية الوضوح؟ فالأدلة العلمية والتاريخية تستطيع أن تساعدنا على إتمام هذا الأمر، ولنتأمل في أول اثنين من اللائحة: أي التعسف وعدم الإتساق. إذ أنَّ الطريقة التي يتعامل بها التطور مع الأدلة العلمية والتاريخية تكون بالعادة غير متسقة ومتعسّفة. وهذا النوع من "الخطايا الفكرية" يجب أن يتم كشفه.

غالباً ما يتمّ الإدعاء بأن الكتاب المُقدَّس و بسبب كونه قد تعرّض للنسخ مرّاتٍ ومرّات عديدة، فإن ما هو متوفر بين يدينا لا يمكن الإعتماد عليه من الناحية التاريخية.[3] لكن الأبحاث التاريخية تؤكد موثوقية الكتاب المقدَّس. فعدد المخطوطات القديمة للكتاب المُقدَّس كبير، والفوارق الزمنية بين زمن كتابة الأحداث وأقدم النسخ المتوفرة صغير نسبياً،[4] الأمر الذي يقلل من احتمالية الخطأ في النسخ. وبالإعتماد على هذه المواد المتوفرة فإن الكتاب المُقدَّس يعتبر من الوثائق الأكثر اعتماديّة من خلال المخطوطات التاريخية المتوفرة من العالم القديم.

في المقارنة مع أعمال أفلاطون، فإن النسخ المتوفرة من أعمال أفلاطون أقل كثيراً من ناحية العدد والفترة الفاصلة بين النُسَخ والأصل أكبر بكثير،[5] ولكننا نجد أن الجميع تقريباً يقبلون كتابات أفلاطون على أنها أصيلة. إن كان الأشخاص يريدون أن ينكروا أنَّ الكتاب المقدَّس قد تم نقله إلينا بدقة عالية، فإن ذلك سيكون خَيَارَهُم الشخصي، لكن في تلك الحالة كيف لهم أن يقبلوا مخطوطات أقل اعتماديّةً منه مثل كتابات أفلاطون؟ إنه نوع من عدم الإتساق حين يقوم شخص ما بإنكار الإعتمادية التاريخية للكتاب المُقدَّس، في الوقت عينه الذي يقبل الوثوق بكتابات أقل اعتماديّةً، مثل كتابات أفلاطون، أو أي مستند قديم آخر.

تأمل في برنامج البحث عن حياة ذكية خارج كوكب الأرض المعروف بـ SETI. إن الأشخاص العاملين في هذا البرنامج البحثيّ يأملون بالتقاط إشارات راديو تعود لحضارات فضائيّة. لكن عدد كبير من الأشياء الموجودة في الفضاء تصدر موجات الراديو- مثل النجوم، وأشباه النجوم (الكويزار)، النجوم النابضة (البولسار)، ...وما إلى ذلك؟ فكيف يمكن التمييز بين الإشارات الصادرة عن كائنات ذكية وبين "الطبيعية" منها؟ أحد المعايير التي ستقوم بأداء هذه الوظيفة هو وجود معلومات في تلك الإشارات. فإنه من المؤكد أننا إن استقبلنا اشارات راديو تحتوي على

---

[3] إن هذا الإدعاء هو نوع من "التخمين المجحف" والذي هو نوع من التعسف.

[4] أقرب القصاصات المتوفرة من العهد الجديد تعود إلى فترة تبعد عن زمن كتابة الأصل ما يقرب من ٥٠ عاماً. أما بالنسبة للكلتة الكاملة تقريباً من الكتاب المُقدَّس فإن أقدمها يرجع إلى ٢٠٠-٣٠٠ سنة من زمن كتابة الأصل.

[5] أقدم نسخة موجودة من أعمال أفلاطون تعود لحوالي العام ٩٠٠ ميلادي في حين أن أفلاطون قد كتب الأصل حوالي عام ٣٥٠ قبل الميلاد.

تعليمات تساعدنا على بناء آلية معقّدة، سوف لن يشك أي شخص بأن ذلك الإرسال قد صدر من مصدر ذكيّ. ومن المؤكد أن سلاسل الحمض النووي تحتوي على هذا النوع من التعليمات: أي تعليمات لكيفية بناء آلية فائقة التعقيد. لكننا نجد أن ذات الباحثين سيقومون بانكار المصدر الذكي للحمض النووي. وهذا نوع من عدم الإتساق حين يقوم غير المؤمن بقبول أن المعلومات المخزنة والمشفرة على أنها إشارة لوجود حياة فضائية ذكية، في حين أنه في الوقت عينه يرفض نفس المعيار عند تطبيقة على الحمض النووي للكائنات الحيّة.

إن الجدلات التي تعتمد على كيفية تفسير الأدلة العلمية (كما أظهرنا في الفصل الأول) يمكن أن تكون طريقة جيدة للإشارة إلى التعسف المرتكب في التفكير العلماني. فيمكننا أن نُظهر أن قواعد علم المعلومات تشير إلى أنَّ المعلومات المخزّنة في الحمض النووي يجب أن تصدر عن عقل ذكي. وبالتالي فإن الحمض النووي لا يمكن أن يكون نتاج التطور الكيميائي. إن التطوري قد يعترض على هذا بالقول بوجود نوع من الآليات القادرة على توليد معلومات في الحمض النووي؛ "ولكننا لم نكتشفها بعد." إلا أن هذا النوع من التفسيرات هو تعسّفي للغاية. وهو ببساطة جهاز إنقاذ.

يوجد العديد من الأدلة التي أقل ما يقال عنها أنها تظهر على أنها تؤيد الخلق و"حداثة" عمر الكون.[6] ونجد أن التطوريّين يميلون إلى أن يكون تعسّفيين واعتباطيّين عند التعامل مع الأدلة من هذاالنوع. على سبيل المثال، إن المجرات الحلزونية الأذرع ستختفي بسرعة وهي غير قادرة على الإستمرار لملايين من السنوات، فقام الفلكيّون العلمانيون بتقديم فرضيات لإعادة إنتاج أذرع جديدة.[7] الكربون ١٤ الموجود في الماسّ يتحدى أيضاً وبشكل أكيد الإدعاءات التطورية بأن الماس يعود إلى مليارات من السنوات؛ فالكربون ١٤ عاجز عن الإستمرار لتلك الفترة. وبالتالي فإن التطوريّين قد افترضوا بأن النظام البيئي قد تلوّث بطريقة ما أو بأنه يوجد نوع ما من "آليات إعادة الشحن". إلا أن هذا النوع من الإدعاءات إنما هو عبثي تماماً؛ إذ أنَّ التطوري لا يمتلك أي سبب للإعتقاد بها. حيث تبين أن التطور هو "التوأم الشرير" للصفة التي يصف بها التطوريّنَ الخلق بأنه: إيمانٌ أعمى.

هل يوجد أي سبيل للهرب؟ يجب أن نتذكر أن أجهزة الإنقاذ ليست بالضرورة تعسفية. إذ أنه يمكننا أن نلتمس المبرر لجهاز الإنقاذ في رؤيتنا للعالم . وبالتالي فإن التطوري قد يجيب بأنه

---

6 انظر مقالات من موقع إجابات في سفر التكوين، الخلق. www.answersingenesis.org و www.creation.com.

7 لقد تم تحدي نظرية "موجة الكثافة" بحقيقة كون الحقول المغناطيسية سوف تكون موازية للأذرع الحلزونية. فإن أصبحت الأذرع الحلزونية بشكل ملتف أو دائري بعد مليارات السنين فإن خطوط الحقل المغناطيسي سوف تُلغى، وأن أي أذرع حلزونية جديدة جديدة سيتم نشاؤها بواسطة فرضية موجات الكثافة سوف لن يكون لها أي مجال مغناطيسي.

يمتلك سبباً وجيها لكل أجهزة الإنقاذ تلك؛ فيقول: "إن هذه التفسيرات مطلوبة من رؤيتي للعالم، وأنا متأكد من أن رؤيتي للعالم هي رؤية صحيحة". ولكن في تلك الحالة يجب على التطوري أن يقدم دفاعاً عن رؤيته للعالم - وهذا ما لن يكون قادر على القيام به. عدد قليل جداً من التطوريّين سيقومون باتباع هذا المسار، إذ أنَّ الغالبية العظمى من التطوريّين يعتقدون أن معتقداتهم إنما هي نتاج الأدلة المطلقة، وليس لرؤيتهم للعالم أي دور في توجيه تفسير تلك الأدلة.

رابعاً - تقديم الدليل الحاسم

إضافةً إلى كشف التعسف وعدم الإتساق في الرؤية التطورية للعالم، يمكن أن يتم استخدام الأدلة العلمية بطريقة تُعرّف الخصم على الشروط المسبقة لقابلية الوضوح، وبالتالي فهي ستقود إلى الدليل الحاسم للخلق. فيمكننا القول "لقد كنا نتحدث عن الأدلة العلمية، لكن أي رؤية للعالم قادرة على أن تقدم أي معنى لحقيقة أنه من الممكن القيام بالعلم؟ أي من رؤانا للعالم قادرة على تفسير كون هذا العالم منطقيّ وقابل للفهم باستخدام العقل البشري؟ أي من الرؤى للعالم تقدم أي معنى لكل من: قوانين المنطق التي باستخدامها نقوم بالتفكير المنطقي، وانتظام الطبيعة الذي من خلاله نقوم بالأبحاث العلمية؟"

إن غير المؤمن يأخذها بشكل مسلّمات بديهية بأن الأدلة العلمية هي ذات معنى عمليّ لتساعدنا على فهم الكون. لكن هذا النوع من المعتقدات يقوم بافتراض مسبق للرؤية المسيحية للعالم. إذ أنَّ الرؤية التطورية للعالم غير قادرة على تفسير الشروط المسبقة للوضوح التي تجعل من العلم أمراً ممكنا. إن الأدلة العلمية قابلة للإستخدام بطريقة تحقق هذه النقطة بالتحديد. والحقيقة أن أي قطعة من الأدلة العلمية قابلة للاستخدام كنوع من المحاكاة التي توضّح الدليل الحاسم.

تطبيق الإستعمالات الأربعة للأدلة

يمكن أن تظهر هذه الإستعمالات الأربعة للأدلّة في أي مناظرة. وكلّ حالة تختلف عن الأُخرى. في الحقيقة، إنّه من الممكن أن يتم تقديم جدل للدفاع عن الخلق التوراتي دون استخدام أي دليل علمي (إذ أنَّه ممكن على سبيل المثال استخدام محاكاة الأخلاق). وسنجد أنه أمر متكرر أنَّ الخطوات التي تم تقديمها أعلاه سترد بالترتيب الذي ذُكِرَت فيه هنا.

على سبيل المثال، قد يدّعي التطوري "إنه لا يوجد أي نوع من الأدلة التي تدعم الموقف الخلقي." فيمكننا في تلك الحالة أن نقوم باستخدام الأدلة بطريقة #١ فنقول "في الحقيقة يوجد العديد من الأدلة التي تؤكد على الخلق التوراتي. تأمل في المعلومات المخزَّنة في الحمض النووي ... " ونتابع. ومن ثم فإن التطوري قد يجيب بأنَّ "لكن هذه الأدلة الأُخرى (المستحاثّات، أو ...) تدعم التطور، ولا تدعم الخلق." هنا يمكننا أن نستعمل الأدلة بطريقة #٢ فنقول، "في الحقيقة، إن

الخلقيّ يقوم بتفسير هذه الأدلة بطريقة مغايرة لتلك التي تقوم بها أنت. وإليك الطريقة التي يفهم بها الخلقي هذه الأدلّة." (حيث نقوم بتقديم تفسيرنا للأدلة.) "أي أننا جميعنا نمتلك الحقيقة عينها، لكننا نقوم بتفسيرها بطرق مختلفة نتيجة لامتلاكنا رؤى مختلفة للعالم."

ثم قد يحاول التطوري أن يجادل بأنَّ تفسيره للأدلة أفضل من التفسير الذي قدّمناه. فيمكننا حينئذٍ أن نشير إلى أنَّ تفسيره إنما هو تعسّفي وغير متّسق وذلك باستخدام الأدلة وفق الطريقة # ٣. حيث أنه بإمكاننا أن نقوم باستخدام النماذج المقدمة في الفصل الأول التي تظهر أن التطوري يستخدم أجهزة الإنقاذ لإبعاد الأدلة التي تناقض رؤيته للعالم - ويستعملها بطريقة تعسّفية.

التطوري المحنّك سوف يحاول في هذه المرحلة إما أن يستند إلى رؤيته للعالم (على أنها السبب الداعي لاستخدام أجهزة الإنقاذ تلك)، أو (وهو الأكثر شيوعاً) بأن الخلقيّين أيضاً يستعملون أجهزة إنقاذ. (إن فشل في ملاحظة هذا الجانب، يجب علينا أن نعمل على مساعدته في ملاحظته من خلال طرح البعض من أجهزة الإنقاذ التي تستعمل في الدفاع عن الموقف الخلقي.) والآن سيكون التطوري قد تعلّم ما فيه الكفاية ليفهم بشكل واضح طبيعة الجدل الدائر حول الأصول - أي أنه جدل حول الرؤى للعالم. وبهذا ننتقل إلى الاستخدام الرابع للأدلة ونسأل، "في ضوء أي من الرؤى للعالم يوجد معنى لهذه الأمور التي نأخذها بشكل مسلّمات وبديهيّات - الكرامة والحرية الشخصية، العقلانية، الأخلاق، و...؟"

داود وجليات

إن الأدلة العلمية والتاريخية تتشابه إلى حدٍّ كبير مع أحجار داود الخمسة التي استخدمها لقتل جليات الجتّي (١صموئيل ١٧: ٤٠). إن الإنتصار بالمعركة لا يتعلق بحجم أو عدد الحجارة. إذ أنَّ الأهم من ذلك هو كيفيّة استخدامها. وحقيقة الأمر أنَّ الموضوع لا يتطلب الكثير من المعرفة عن العلوم حتى يكون الشخص قادراً على دحض التطور، لكن القليل من المعرفة العلمية ستساعد بشكل كبير في حال تمّ استخدامها بشكل جيّد. إنَّ داود كان قد عرف كيفية استعمال المقلاع بشكل جيد؛ لقد تدرَّب. والأهم هو أنه عرف بأن الأسلحة بشكل مجرّد ليست هي من يحسم المعركة؛ فالنصر يعود لله وحده (١صموئيل ١٧: ٤٧). ويوجد هنا درس لنتعلمه حين نقوم بالدفاعيات في وقتنا الراهن.

إنَّ الله قد دعا الجميع لأن يكونوا جاهزين لتقديم دفاع عن إيمانهم المسيحيّ (بطرس الأولى ٣: ١٥). وليس الجميع قادرون أو يجب عليهم أن يستحصلوا على شهادات دكتوراه في أحد مجالات العلوم، لكن الجميع تقريباً قادرون على تعلم اثنين أو ثلاثة من الأدلة العلمية التي يمكن

استخدامها في الدفاعيات وفق الاستخدامات الأربعة المذكورة أعلاه. تذكر، ان داود قد حمل معه خمس حجارة فقط - وانتهى به المطاف بأنّه احتاج لواحدة منها. لكن يجب علينا أن نتذكر أيضاً أن داود كان معتاداً على السلاح الذي كان يستخدمه. وإنه سيعتبر ضرباً من ضروب الوقاحة أن يتوقع أن يمنحة الله الغَلَبَة لو أنه لم يقض الوقت الكاف ليتعلم ويشحذ مهاراته. وبالطريقة عينها، إن كنّا نريد أن نستخدم الأدلة العلمية للدفاع عن الإيمان المسيحي، يجب علينا أن نقضي الوقت الكافي في فهمها بشكل جيّد، واستخدامها بطريقة سليمة وموافقة للوحي المقدّس.

الفصل السابع
المغالطات المنطقية - الجزء الأول

إن معظم الدفاعيات الجيدة تعتمد على التفكير المنطقي الجيد والواضح (بالتالي يمكن القول أنها تعتمد على التفكير الذي يرتكز على الوحي المُقدَّس). وغالباً ما يكون غير المؤمنين تعسّفيين وغير متّسقين في المنطق الذي يستخدمونه. ورؤيتهم للعالم عاجزة عن تقديم تفسير للشروط المسبقة لقابلية الفهم، وتقود إلى استنتاجات غريبة تفضي إلى أنَّه من غير الممكن أن يعرفوا أيَّ شيء في حال كانت رؤيتهم للعالم صحيحة. لقد تعلّمنا حتى الآن طريقة في مقاربة وكشف أخطاء التفكير المنطقي، وفي الملحق ب سوف نظهر كيفية استخدام هذه الطريقة بشكل فعّال من خلال أمثلة حقيقيّة متعددة. لكن الآن سوف نقوم باستكشاف دقيق لنوع من أنواع عدم الإتساق التي قمنا بذكرها في الفصل الخامس ألا وهو المغالطات المنطقية.

مقدمة في التفكير المنطقي

في البداية يجب أن نقوم بتقديم تعريف لمجموعة من المفاهيم. الفَرْض (أو الإدّعاء) وهو تصريح مصمم ليكون إما "صحيحاً" أو "خاطئاً". مثلاً "جميع الثديّات تمتلك كِلى" هو فرض ويحدث أنَّه في هذه الحالة صحيح.[1] التصريح بأن "لا يوجد ثديات تمتلك كِلى" هو أيضاً فرض، ويحدث في هذه الحالة أنه خاطئ.

يتم تعريف الجدل في علم المنطق على أنَّه اثنين أو أكثر من الفرضيات، حيث تكون حقيقة الواحد منها مبنية على حقيقة الآخر أو الآخرين. أي أننا إن قلنا "(١) جميع الثديات تمتلك كِلى. (٢) جميع الكلاب هي ثديّات. (٣) لذلك جميع الكلاب تمتلك كِلى" هذا سينشئ لدينا جدلاً[2] إذ أنَّ الفرض الثالث قد تأكَّد بناءً على قاعدة كون الفرضين الأولين حقيقيّن. يدعى الفرض الذي تمَّ تأكيده (٣) بالإستنتاج. في حين يسمى الفرضين (١ و٢) بالمقدمة المنطقية أو البناء المنطقي. أما الإستنتاج فإنَّه غالباً ما يُسبق بكلمة "لذلك، بالتالي" الأمر الذي يجعل من تمييزه أمراً سهلاً.

في الجدل المنطقي، يتم أخذ الفرضيات بشكل مسلّمات؛ أي أنه من المفترض صحّتها. وغالباً ما يتم افتراض أن الطرفان سيوافقان على أنّ هذه الافتراضات هي صحيحة. (قد لا يكون الحال كذلك دائماً، إلا أنَّه على الأقل أمر مفتَرَضٌ من قبل الشخص الذي يُقدّم الجدل.) ثم من تلك الفرضيات (المقدمات المنطقية) نقوم باستخلاص الإستنتاجات. فإن كان يُراد للجدل أن يكون

---

[1] حتى نكون دقيقين، الفرض هو معنى التصريح. أي أن "جميع الثديات تمتلك كِلى،"و "جميع الأشياء التي هي من الثديّات هي أشياء تمتلك كِلى" هما ذات الفرض، بالرغم من أنه قد تمت صياغة التصريحين بكلمات مختلفة.

[2] يسمى هذا النوع من الجدل بالنموذج القياسي للقياس المنطقي القاطع.

جيّداً، فإنه يجب أن تكون جميع افتراضاته صحيحة، وأن تكون الإستنتاجات عقلانية وتتبع الفرضيات. ومن ثمَّ فإنه في الجدل الجيّد ستكون الإستنتاجات صحيحة أيضاً، أو أقل الإيمان ستكون متوقّعة (وذلك بالإعتماد على نوع الجدل). إن قوانين المنطق تشير لنا إلى نوع الإستنتاجات التي يمكننا أن نستخلصها بشكل شرعيّ من الفرضيات المتوفّرة. بما معناه أن قوانين المنطق هي التي تصف "السلسلة الصحيحة من المنطق" التي تنطلق من الفرضيات إلى الإستنتاجات.

الفرض: هو التصريح الذي يتم تصميمه بحيث يحمل قيمة للحقيقة. فالفرض إما أن يكون صحيحاً أو خاطئاً.	الإستنتاج: هو الفرض الذي يتم تأكيده في الجدل بناءً على الفروض الأُخرى.
الجدل: هو سلسلة من الفرضيات التي تكون حقيقة الواحد منها مبنية على حقيقة الآخر أو الآخرين.	المقدمة المنطقية: هو الفرض الذي يتم تقديمه في الجدل والذي يدعم الإستنتاج. هذه المقدمات يُفترض أن تكون صحيحة.

المغالطة المنطقية هي خطأ شائع في التفكير المنطقي. ففي بعض الأحيان يرتكب الأشخاص نوعاً من الأخطاء في "سلسلة المنطق المستخدم" للإنتقال من الفرض المنطقي إلى الإستنتاجات. فإنه وبالرغم من إمكانية كون المقدّمات التي وضعوها صحيحة بشكل كامل، إلا أنهم قاموا بالخلوص إلى نتائج خاطئة منها، على سبيل المثال: "(١) بعض الثديات هي قطط. (٢) جميع الكلاب هي ثديات. (٣) بالتالي فإن بعض الكلاب هي قطط." إن الفرضين (١) و(٢) هما صحيحان بشكل كامل، إلا أن الإستنتاج (٣) هو خاطئ بشكلٍ واضح وهو لا يتبع سلسلة الأفكار من الفرضيات المقدمة. وهذا النوع من الجدل هو مغالطة منطقية.[3] الأمر الذي يجعل منها مغالطة هو أسلوب التضليل الموجود، حيث أنها تُظهِر انطباعاً بأنها منطقية. ولهذا السبب فإنه من المهم أن نكون على اطلاع ومعرفة بأكثر المغالطات المنطقية شيوعاً.

ليست جميع الأخطاء المنطقية هي مغالطات منطقية. ففي بعض الأحيان تكون سلسلة الأفكار المنطقية شرعية تماماً، لكن الشخص قد ابتدأ من فرض خاطئ. ولنتأمل في المثال التالي: "(١) جميع الكلاب هي ثديات. (٢) جميع الثديات هي سحالي. (٣) بالتالي فإن جميع الكلاب هي

[3] هذه المغالطة المرتكبة هي نوع من أنواع مغالطات القياس، وتدعى "الوسيط غير الموزَّع" "fallacy of the undistributed middle".

سحالي." إن هذا الجدل سيء، لكنه لا يحتوي على مغالطة منطقية. فإن كانت الفرضيات التي فيه سليمة فإن الإستنتاج سيكون سليماً هو الآخر ويتبع تلك الفرضيات. لكن الفرض الثاني في المقدمة المنطقية هو خاطئ، الأمر الذي تسبب بأن يكون الإستنتاج غير صحيح. وبالتالي فإنه حين يقوم الأشخاص باستخلاص استنتاجات غير صحيحة، لا يمكننا أن نفترض بشكل فوري أنهم ارتكبوا أخطاء منطقية؛ بالرغم من أن ذلك قد يكون صحيحاً في بعض الحالات؛ إلا أنه يوجد احتمال أن تكون بعض الافتراضات التي قدّموها هي خاطئة. فالطريقة السليمة للرد على الجدل السابق هي: "على الرغم من أن السلسلة المنطقية التي قمت بتقديمها سليمة، إلا أن الفرض الثاني الذي قمت بتقديمه ألا وهو أن جميع الثديّات هي سحالي إنما هو خاطئ، وهو الأمر الذي أدى بك إلى الوصول إلى استنتاج غير صحيح."

إذاً، فإنه يوجد طريقتين يكون بهما الجدل خاطئاً. (١) إنه قد يحتوي على مغالطة منطقية - أي خطأ في سلسلة المنطق المستخدم. (٢) إنه قد يحتوي على فرض خاطئ. لقد تعلمنا عبر هذا الكتاب كيفية التعامل مع الفروض الخاطئة. فالافتراضات المسبقة العلمانية مثل (المذهب الطبيعي، المذهب التجريبي، المذهب النسبي) كلها خاطئة، وبالرغم من ذلك فإننا نجد أنَّ غير المؤمنين يفترضون صحّتها. وينتهون بالوصل إلى استنتاجات خاطئة. وذلك ليس بمغالطة منطقية. لكنه لايزال منطقاً خاطئاً لأن افتراضاتهم خاطئة. ونحن قادرون على كشف خطأ الافتراضات المسبقة التي يقومون بتقديمها من خلال الأساليب التي قمنا بتطويرها. أما الآن فإنه الوقت للتعامل مع المغالطات المنطقية - الأخطاء في المعالجات المنطقية بحد ذاتها.

أنواع المنطق

يوجد نوعان رئيسيان من المنطق: المنطق الإستقرائي (الإستدلالي) والمنطق الإستنتاجي (الإستنباطي). أما الجدل الإستقرائي فهو الذي يدّعي كون استنتاجاته تميل إلى أن تكون صحيحة في حال كانت الفرضيات سليمة. في حين أن الجدل الإستنتاجي هو المنطق الذي يدّعي بأنَّ استنتاجاته صحيحة بشكل قطعيّ في حال كانت فرضياته سليمة. إن الأمثلة السابقة كانت من النوع الإستنتاجي. وهذا النوع من المنطق يمكن أن يكون منطقاً سيئاً في بعض الحالات. فإن كان الإدّعاء بأن الإستنتاجات تتبع بالضرورة من الفرضيات، حينئذ يكون الجدل من النوع الإستنتاجي. أما إذا كان الإدعاء بأن الإستنتاجات تميل لأن تكون حقيقية في حال كانت الفرضيات سليمة فإنه يكون من النوع الإستقرائي.

الجدلات الإستقرائية تصنف على أنها إما أنّ تكون "قوية" أو "ضعيفة". القوية منها هي حين تكون الإستنتاجات ذات احتمالية عالية مع الأخذ بصحة الفرضيات، والضعيفة هي الحالة

المعاكسة. وهـهنا مثال على الجدل الإستقرائـي: "لقد قمت للتو بالإتصال بالدكتور لايل ولم يُجب. وبـالتالـي، فـإنـه غـالبـاً ليس موجـوداً فـي مكتبه." إن الإسـتنتـاج علـى مـايبدو مـدعـومـاً بـالفرض. وبـالتالي فـإن هـذا جدل يعتبر قويّ. ولكن فـي الجدل الإستقرائـي نجد أن المعلومات الإضـافية ستؤدي إلى تغيير الإستنتاجات. فعلى فرض أننا قمنا بإضافة الفرض التالي: "الدكتور لايل لا يجيب على هاتفه أبداً حتى عندما يكون متواجداً في مكتبه." في هذه الحالة فإن الإستنتاج " بالغالب فإنَّ الدكتور لايل ليس فـي مكتبه" لن يكون ذا احتمالية عالية. إن المعلومات الإضـافية قادرة على تغيير الجدل القوي ليصبح جدلاً ضعيفاً.

أما الجدل الإستنتاجي فيصنَّف إما على أنه "صالح (شرعي)" أو "باطل (غير صالح)". فإن كان الإستنتاج يتبع بشكل حقيقي للفرضيات حينئذٍ يكون الجدل صالح؛ وإلا فإنه باطل. ولا يوجد أي معلومات إضافية قادرة على تغيير الجدل الصالح إلى جدل غير صالح. ولنتأمل في الجدل الذي قدمناه سابقاً: "(١) جميع الثديّات تمتلك كِلى. (٢) جميع الكلاب هـي من الثديات. (٣) بالتالي فإن جميع الكلاب تمتلك كِلى." لا يوجد أي نوع من المعلومات الإضافية قادرة على تغيير صلاحية هذا الجدل. فإنه من غير المهم نوع المعلومات الإضافية التي نعرفها عن الكلاب، أو الكِلى، أو الثديّات، أو أي شيء آخر في الكون. فإن كان (١) و (٢) صحيحان فإن (٣) سيكون صحيحاً. وبالتالي فإن هذا الجدل صالح. وهو أيضاً جدل "سليم". حيث أنَّ الجدل "السليم" هو الجدل الصالح الذي يمتلك فرضيات صحيحة (وبالتالي فإن الإستنتاج يجب أن يكون صحيحاً هو الآخر.)

إن المناهج التي تدرس علم المنطق ستقوم أيضاً بتقسيم الموضوع إلى المنطق "الرسمي" و"غير الرسمي". أما المنطق الرسمي فهو حين يكون من الممكن التعبير عن هذا المنطق بطريقة رموز أو معادلات ومن ثم يتم اختبار صحته دون معرفة الافتراضات. أي أن المنطق الرسمي يشبه إلى حدّ كبير علم الجبر؛ فهو يحتوي على تعبيرات تشبه: (١) إن كان لدينا **س** فسيكون لدينا **ع** (٢) لدينا **س** (٣) وبالتالي سيكون **ع**. إن كل من الرمزين س، ع يشيران إلى افتراضات معينة، لكن صلاحية الجدل لا تعتمد على نوع الافتراضات! إنما تعتمد على "صيغة" الجدل - أي الجدل الرسمي. وإنه من الممكن أن يتم التعبير عن الجدل الإستنتاجي بهذه الصيغ. وسوف نتعامل مع مغالطات المنطق الرسمي في الفصل التالي.

أما المنطق غير الرسمي لا يستعمل الرموز؛ إنما يستعمل اللغة الإعتيادية وبالتالي فإنه من السهل تعلّمه. ولذلك فإننا سنبدأ بدراسة المغالطات المرتبطة بالمنطق غير الرسمي. وهي ما

يعرف "بمغالطات اللغة الإعتيادية". ويوجد الكثير من هذه المغالطات، لكننا سوف نقوم بتقديم الأكثر شيوعاً عند التعامل مع موضوع الدفاعيات.

المغالطات غير الرسمية

يوجد ثلاث فئات رئيسية من المغالطات المنطقية التي ترتبط باللغة الإعتيادية. وهي مغالطات الإلتباس أو الغموض، مغالطات الافتراضات المسبقة، ومغالطات العلاقة أو الإرتباط. وإن الجدالات التطورية تستعمل هذه الفئات الثلاثة من المغالطات، وكذلك تفعل المواقف غير الكتابية الأُخرى. وبما أن هذا الكتاب يتعامل بشكل مباشر مع الرؤية التطورية للعالم، سوف نقوم بتقديم الأمثلة المأخوذة من الجدالات التطورية التي تحتوي على هذه المغالطات. وأعتقد أنه من المفيد جداً للخلقي التوراتي أن يكون قادراً على كشف وتمييز هذه المغالطات عند وقوعها. وللأسف فإن المسيحيّين أيضاً لا يتمتعون بالحصانة ضد ارتكاب المغالطات المنطقية. ولهذا السبب فإننا سنقوم باستعراض المغالطات الشائعة التي ترتكب من قبل المسيحيّين. نريد أن نكون متأكدين من استخدامنا للجدالات الجيّدة حين نقوم بتقديم دفاع عن الإيمان؛ فأي شيء آخر لن يعطي المجد اللازم تقديمه للرب.

أولا - مغالطات الإلتباس والغموض

مغالطات الإلتباس هي الجدالات التي هي خاطئة نتيجة استخدام كلمات أو عبارات غير واضحة أو تحمل أكثر من معنى. ويوجد بالعادة ستة أنواع من المغالطات يمكن أن يتم إدراجها تحت هذه الفئة: المواربة، الإلتباس، اللكنة أو النبرة الصوتية، تجسيد المفاهيم، التعميم، التخصيص غير المبرّر. اثنتان من هذه الأنواع تتكرر بشكل اعتيادي في المواقف التي تختص بالدفاعيات.



مغالطة المواربة. إذ أن كلمة تطور قد استخدمت بحيث أنها تحمل معنيَين مختلفين.

مغالطة المواربة (خلط المفاهيم) تحدث عندما يتم تغيير معنى الكلمة في سياق الجدل. وكمثال على ذلك: "الممارسة تقود إلى الكمال. الأطباء يمارسون الطب. وبالتالي فإن الأطباء لابد أن يكونوا كاملين." لقد تم استخدام كلمة ممارسة بطريقتين مختلفتين ضمن السياق وهذا ما يجعل من الجدل مبنياً على مغالطة.

إن أكثر أنواع المغالطات شيوعاً بين التطوريّين هو مغالطة المواربة فيما يختص بكلمة "تطور". فالتطور كلمةٌ تعني ببساطة "التغيّر" بمعناه العامّ، أو إنها قد تشير إلى فكرة أن جميع أشكال الحياة تنحدر من سلف مشترك. وكلٌّ من المعنيّين هو معنى شرعيّ للكلمة، لكن يجب عدم المزج بينهما أثناء تقديم جدل منطقيّ.

مغالطة (المواربة) التجسيد للمفاهيم أو الأفكار تحدث حين يعمد الشخص إلى نسب صفات الشخصية إلى أحد الأشياء المجرّدة أو المفاهيم. وإن أحد أشهر الأمثلة على ذلك هو مقولة: "ليس لطيفاً أن تقوم بخداع الطبيعة الأمّ." فالطبيعة هي مفهوم، وهي الإسم الذي نطلقه على مجموعة الأحداث التي تتواجد في الكون. فإنه من غير الممكن أن يتم خداع "الطبيعة" فهي لا تمتلك أي عقل. إن التجسيد هو أمر مقبول تماماً في الكتابة الشعرية ولكن ليس في الجدل المنطقي إذ أنه يسبب نوع من الإلتباس الأمر الذي يسبب في غموض الأفكار المهمة. يقوم التطوريّون بشكل مستمر باستخدام هذا النوع تحديداً وخصوصاً فيما يتعلق بمفاهيم مثل التطور، الطبيعة، الأدلة والعلم.

"إن الخلقيين لا يؤمنون بالتطور. لكن التطور يحدث - ففي كل يوم الأشياء تتغير. وبالتالي فإنه من السخف أن يقوم الخلقيون بإنكار التطور." إن الجملتين الأولى والثالثة من الجدل المقدم تستعملان مفهوم "التطور" بمعنى وجود سلف مشترك. في حين أن الجدل يعتمد على الجملة الثانية التي تستخدم كلمة "تطور" بمعنى التغير العام. وبالتالي فإن هذا الجدل يستخدم مغالطة المواربة. فالأكيد هو أنَّه ليس من تناقض بين رفض هذا النوع من التغيير المزعوم (القائل بوجود سلف مشترك) في الوقت عينه الذي يتم القبول بوجود أنواع أُخرى من التطور.

ومن الأمثلة الأُخرى نجد "إن العلم هو أداة عالية الفعالية والموثوقيّة؛ لقد مكَّنَتْنَا من تحقيق التقدم التكنولوجي، ووضع أشخاص على سطح القمر. فلماذا ينكر الناس علوم التطور؟ " إن هذا الجدل يقوم بمواربة كلمة "علم" التي قد تعني العلوم التجريبية أو علم الأصول. إذ أن العلوم التجريبية هي ذات موثوقية عالية وهي الأداة المسؤولة عن كل هذا التطور العلمي والتكنولوجي، أما علم الأصول هو عبارة عن محاولة لفهم الأحداث الماضية في ضوء الأدلة الموجودة في الحاضر؛ ومن السهل أن يتأثر بالتحيز التاريخي أكثر من تأثر العلوم التجريبية كما أنه من غير الممكن أن يتم اختباره أو تكراره. إن هذان النوعان من أنواع العلم لا يجب أن يتم الخلط بينهما في سياق جدل منطقي واحد.



إن الأدلة هي مفهوم غير قادر على الكلام. لذلك فإن هذا الجدل يرتكب مغالطة شخصنة المفاهيم.

على سبيل المثال أيضاً، "الطبيعة قامت باختيار الأفراد الأكثر ملائمةً للبقاء." لكن الطبيعة لا تمتلك ذهناً أو خَيَاراً وبالتالي فإنها غير قادرة على أن تقوم بشكل حرفي باختيار أي شيء. "

التطور قد وجد طريقاً للإلتفاف حول هذه المشاكل" لكن التطور غير قادر على التفكير. "الإنتقاء الطبيعي قاد التطور وأوصلنا إلى جميع أنواع الحياة التي نراها على الأرض" لكن الإنتقاء الطبيعي هو مفهوم؛ وغير قادر على قيادة أي شيء. "إن العلم ذو وجهة نظر ومناهج إلحادية؟" لكن العلم لا يمتلك أي إيمان يتعلق بالله أو بأي شيء آخر!. "الأدلة تتكلم من تلقاء نفسها." الأدلة لا تستطيع الكلام، فوحدهم الأشخاص هُم القادرون على ذلك.

ثانياً - مغالطات الافتراضات المسبقة:

إن بعض الجدالات قد تتحول لتصبح جدالات جيدة في حال وُجدَت معلومات إضافية. لكن في حال لم يتم تقديم هذه المعلومات فإن هذا يعتبر خداعاً وارتكاباً لمغالطات منطقية. وإن مغالطات الافتراضات المسبقة هي جدالات خاطئة نتيجة لاحتواءها على واحد أو أكثر من الافتراضات غير المُثبَتَة أو التي لا تمتلك أي أساس. وفي بعض الحالات يمكن أن يكون الجدل جيداً في حال تم تقديم مجموعة إضافية من المعلومات بحيث يتم إسناد هذه الافتراضات. لكن حين يكون الشخص الذي قدَّم الجدل عاجزاً عن تبرير هذه الافتراضات، فإن الجدل سوف يحتوي على مغالطة ويعتبر مخادعاً. ويوجد العديد من المغالطات ضمن هذه الفئة.

مغالطات الافتراضات المسبقة تتضمن التعميم القطعي، التعميم المتسرّع، التشعب (التقليص الخاطئ)، التماس الطلب (السؤال)، التماس الطلب العاطفي، السؤال المركب، "لا يوجد اسكتلندي حقيقي"، التوسل الخاص، القياس الخاطئ، السبب الخاطئ، المنحدر الزلق. لقد رأيت كلّ واحدة من هذه المغالطات وقد ارتُكبَت أثناء الدفاع عن التطور. لذلك سنقوم بدراسة جميع أنواع هذه المغالطات في هذه الفئة.

مغالطة التعميم المتسرع تحدث حين يقوم الشخص باستخلاص استنتاج عامّ بناءً على حالات محدَّدة وقليلة جداً. فلنفترض أننا سافرنا إلى ولاية فلوريدا على سبيل المثال لعدّة أيام، وكان المناخ بارداً نوعاً ما. فحين عودتنا - نقوم باستنتاج خاطئ يفيد بأن المناخ في ولاية فلوريدا هو مناخ بارد عموماً. هذا التصريح يعتبر تعميماً متسرّعاً. فالمناخ الذي اختبرناه خلال اقامتنا المحدودة كان استثنائياً. وبالتالي فإن تعميمنا المبني على تلك الخبرة الصغيرة كان خاطئاً.

"إن (س) هو عالم مؤمن بالخلق، الأبحاث والدراسات التي يقوم (س) بتقديمها تفتقر للتوثيق ومشبوهة، لذلك لا بد وأن الباحثين الخلقيين على ذات المستوى من السوء." إن حقيقة كون أحد الباحثين الخلقيّين دون المستوى الموثوق في أبحاثه لا يعني ضمناً إلى أن جميع الباحثين الخلقيّين هم على ذات المستوى.

مغالطة التعميم القطعي تحدث حين يتم تطبيق نوع من التعميم على موقف غير مناسب لذلك التعميم. فالعديد من حالات التعميم ليست عالمية ويوجد لها استثناءات. وإن تجاهل هذه الحقيقة هو ارتكاب لمغالطة التعميم القطعي. على سبيل المثال "إن رياضة الجري مفيدة لعضلة القلب. سمير لديه نوع من أنواع المتلازمة القلبية، وبالتالي فإنه يجب عليه أن يمارس رياضة الجري. " بالرغم من كون رياضة الجري بشكل عام مفيدة لعضلة القلب، إلا أنه يمكن أن يوجد بعض الحالات التي لا ينصح بممارستها - خصوصاً بالنسبة لبعض الأشخاص المصابين بأمراض قلبية خاصّة.

"ليس كل ما يقول عنه الناس بأنه صحيح يكون صحيحاً، وبالتالي يجب ألا نقبل كلَّ ما يقوله الله. " إن هذا ارتكاب لمغالطة التعميم القطعي لأنه وبالرغم من أن هذه القاعدة صحيحة عموماً إلا أنَّ الله هو الإستثناء، فهو لا يكذب ويعرف كلّ شيء، ولذلك فإننا نأخذ كلامه دائماً.

التعميم القطعي هو بشكل ما يعاكس التعميم المتسرع، إذ أنَّه في التعميم المتسرع ينقل الجدل بسرعة من الحالات الخاصة والمحدودة إلى العموميات، في حين أن التعميم القطعي ينطلق من العموميات إلى الحالات الخاصّة. وتجدر الملاحظة إلى أنَّه في التعميم القطعي سيكون التعميم بحد ذاته صحيحاً لكن حين يتم تطبيقه على بعض الحالات الإستثنائية يكون خاطئاً. أما في التعميم المتسرع فإن التعميم خاطئ في حين أن تطبيقه على بعض الحالات يكون صحيحاً.

مغالطة التشعب تحدث حين يتم تقديم خيارين أو عدد محدد من الخيارات على أنها الخيارات الوحيدة والحصرية، في حين أنه يوجد بالفعل خيارات أُخرى وهي الصائبة. على سبيل المثال، " إما أن تكون إشارة المرور حمراء أو خضراء" هذا ارتكاب لمغالطة التشعُّب. لأنه يوجد خيار ثالث ألا وهو أن تكون صفراء. إن الحمراء والخضراء هما حالتان مختلفتان إلا أنهما غير متناقضتان.[4] ويمكن أن يكون الخَيَاران صحيحان، كما في قولنا "إما أن تذهب إلى المدينة أو أن تذهب إلى الكنيسة" وعلى اعتبار أنَّه من الممكن أن تقوم بالأمرين أو أن تكون الكنيسة هي في المدينة فإن هذان الخياران يمكن أن يكونا صحيحان معاً. هذه المغالطة تدعى أيضاً "التقليص الخاطئ" وتعرف شعبياً باسم "مغالطة إما أو".

وكمثال على ذلك "إما أن تحيا بالإيمان أو أن تكون مفكّراً عقلانياً." لكننا قادرون أن نحيا وفق الإيمان بالله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس ونكون مفكرين عقلانيّين في الوقت عينه؛ وحقيقة الأمر أننا قد رأينا في هذا الكتاب أن التفكير المنطقي يتطلب إيماناً بالإله الذي يقدّمه

4 حين يكون الخياران متناقضين، يجب أن يكون أحدهما صحيحاً والآخر خاطئاً. في حين أن الخياران المختلفان يمكن أن يكونان صحيحان معاً، أو يمكن أن يكونا خاطِئَين. "إشارة المرور حمراء" و "إشارة المرور خضراء" تصريحان مختلفان. أما "إشارة المرور حمراء" و"إشارة المرور ليست حمراء" هما تصريحان متناقضان؛ فإن كان الواحد صحيحاً فالآخر سيكون خاطئاً.

الكتاب المقدَّس. "أنا لا أستطيع أن أؤمن بالكتاب المُقدَّس لأنني أؤمن بالعلم." لا يوجد أي تناقض بين الموقفين. "إما أن يعمل الكون بطريقة شبه قانونيّة (أي وفق قوانين) أو أن الله يجري المعجزات بشكل مستمرّ." لكن يوجد خيار ثالث؛ فالكون يُدار بشكل عام وفق قوانين ولكن الله يجري بين الفينه والأُخرى معجزات.[5]

مغالطة التماس السؤال تحدث عندما يكون الإستنتاج من الجدل هو نسخة مكررة لأحد الافتراضات التي اعتمد عليها - أو حين تكون حقيقة الفرض تعتمد على حقيقة الإستنتاج. وتعرف إيضاً بالمنطق الدائري. "كيف أعرف أن التطور هو أمر صحيح؟ لأن التطور هو حقيقة." إن هذا الجدل يقوم بالتأكيد على أنَّ (أ) التطور هو صحيح بناءً على أنَّ (ب) التطور هو حقيقة. لكن (أ) هو مجرد نسخة معاد صياغتها من (ب). فالشخص الذي يجادل بهذه الطريقة يقوم بتأكيد الأمر الذي يحاول إثباته. ولكن تأكيد شيء ما يختلف اختلافاً تامّاً عن إثباته. هذه إحدى أكثر المغالطات ارتكاباً من قبل التطوريّين والخلقيين المؤمنين بقدم عمر الأرض. لذلك فإنه من المهم أن يتم أخذ الحيطة من هذه المغالطة.

على سبيل المثال، "المعجزات هي أمور مستحيلة لأنها غير ممكنة الحدوث." إن الإستنتاج هو الفرض عينه وبالتالي فإن هذا الجدل قد بُنِيَ على مغالطة منطقية. ويمكن أن يتفرع عنها العديد من الأمثلة التي قد لا تكون واضحة، مثلاً "الخلقيين المؤمنين بحداثة عمر الأرض على خطأ لأن التأريخ بالعناصر المُشعَّة يظهر أن الصخور ترجع إلى ملايين من السنوات." المشكلة في هذا الجدال هي أن الخلقيين المؤمنين بحداثة عمر الأرض لا يقبلون الافتراضات المرتبطة بالتأريخ بالعناصر المشعّة.[6] وبالتالي فإنه من خلال القبول بموثوقية القياس بالعناصر المشعة، قام المجادل بافتراض أن الموقف الذي يتخذه الخلقيون المؤمنون بحداثة عمر الأرض خاطئ، ومن ثمَّ استنتج بأنَّ الموقف عينه خاطئ. وهذا التماس للمطلوب. إن الغالبية العظمى من الجدالات المقدمة من قبل المؤمنين بقدم عمر الأرض تسقط في مغالطة التماس السؤال. إذ أنَّ المؤمنين بقدم عمر الأرض سواء كانوا من الخلقيين أم التطوريّين يقدمون وبشكل غير ملحوظ في سياق مقدمتهم المنطقية افتراضاً لما يحاولون إثباته.

---

[5] إضافة إلى ذلك فإن المعجزة لا تتطلب بالضرورة انتهاكاً لنظام عمل الكون وفق قوانين معيّنة. إذ أنَّ الله في أحيان عديدة يقوم بأمور تفوق الطبيعة ولكن ضمن قوانين الطبيعة التي وضعها، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل التاسع.

[6] بشكل خاص، الافتراضات التي تقول بثبات معدلات التفكك لتلك العناصر، حيث نجد أن هذه الافتراضات مرفوضة من معظم الخلقيّين. لقد قامت مجموعة RATE للأبحاث بالكشف عن مجموعة من الأدلة المقنعة التي تثبت أن هذه المعدلات كانت قد تسارعت بشكل صارم في الماضي. فإن افتراض ثبات معدلات الإنحلال هو افتراض لمذهب الطبيعة الواحدة. وبشكل عام يمكن لقول أن الجدال المقدم من قبل المؤمنين بقدم عمر الأرض يفترض بشكل مسبق مذهب الطبيعة الواحدة وفي معظم الحالات يفترض أيضاً المذهب الطبيعي؛ إلا أن هذه الافتراضات قد رُفِضَت من قبل الخلقيّين التوراتيّين. وإنه من خلال القبول بهذه الإدعاءات فإن المؤمنين بقدم عمر الأرض يقومون باتخاذ أحكامٍ مسبقة بأنَّ الكتاب المُقدَّس خاطئ.

لقد ذكرنا في وقت سابق أهمية النقد الداخلي للرؤية التي يمتلكها غير المؤمن للعالم. وهي ما ذكرناه في الخطوة الثانية من مقاربتنا الدفاعية السابقة. فالآن نحن نستطيع أن نرى أسباب أهمية النقد الداخلي. فإن مجرد قولنا أن غير المؤمن إنما هو على خطأ وذلك بناءً على رؤيتنا للعالم، فإننا سنرتكب مغالطة التماس المطلوب. وسيكون جدلاً مُشتّق بشكل أساسي من صيغة: " إن موقفك هو خاطئ ذلك لأن موقفي هو صحيح."

في كل مرة يحاول التطوري أن يدحض الخلق من خلال استخدام أي أسلوب عدا عن النقد الداخلي، سيقع في مغالطة التماس المطلوب.



مغالطة التماس السؤال هي أن الإفتراض باستحالة المعجزات هو افتراض بأن الكتاب المُقدَّس خاطئ. وبالتالي فإن هذا الشخص يجادل في دائرة مفرغة.

وللأسف فإننا نجد المسيحيّين في بعض الأحيان يقعون في مغالطة التماس المطلوب. "(أ) الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله لأنه يقول ذلك. (ب) إن ما يقوله الكتاب المقدَّس يجب أن يكون صحيحاً ذلك لأنه كلمة الله." لاحظ أن (أ) و (ب) هما تصريحان صحيحان؛ إلا أن هذا الجدل هو جدل خاطئ لأنه يعتمد على التماس السؤال. فإن (أ) صحيحة في حال كان (ب) صحيحاً و(ب) سيكون صحيحاً فقط في حال كانت (أ) صحيحاً، وهذا النوع من الجدال لا يثبت أي شيء.

إنه أمر متّسق تماماً أن يتم افتراض كلّ من (أ) و(ب) لكننا لا نستطيع أن نقوم ببساطة استخدام الواحد منها لاثبات الآخر. إن مغالطة التماس السؤال هي مغالطة غريبة من نوعها وفريدة. ففي جميع أنواع المغالطات الأُخرى نجد أنه وبالرغم من أنَّ الفرض يكون صحيحاً إلا أنَّ الإستنتاج قد يكون خاطئ. فيمكننا القول أنَّ "الإستنتاج لم يتبع الفرض." لكن الأمر مختلف تماماً في مغالطة التماس السؤال، حيث نجد أن الإستنتاج يتبع من الفرض. وبالتالي وإنه وفق التعريف سيكون الجدل من أنواع الجدل الصالح! وهذا الأمر قد يستوقفنا لنتساءل عما إذا كان التماس السؤال بالحق هو خطأ في التفكير المنطقي أم لا.

لكن يجب علينا أن نتذكر أننا حين نقوم بتقديم جدل، فنحن نأخذ وبشكل بديهي أن المقدمة المنطقية التي قدمناها هي صحيحة، وأن الشخص الذي نجادله هو الآخر يعتقد بصحّتها. والغاية تكون هي إقناع الخصم بصحّة الإستنتاج الجديد الذي نقوم بطرحه.لكن حين نقوم بالتماس المطلوب، فإن خصمنا إن كان يعتقد بصحة المقدمة المنطقية فإنه يعتقد أيضاً بصحة الإستنتاج ولن يكون هنالك من داعٍ لتقديم جدل، ولكن إن لم يكن الخصم يقبل بصحة الإستنتاج

فهذا يعني أنه لا يقبل بصحة المقدمة. وبالتالي فإنه وبالرغم من صلاحية الجدل، إلا أنَّه غير نافع، ولا يقدم إثباتاً لأي شيء.

لإن التماس السؤال هو نوع من أنواع التعسّف، فإنه من غير المسموح لنا أن نقوم بمجرد افتراض ما نحاول إثباته.[7] وبالتالي فإنه حين يقوم شخص ما بالتماس المطلوب، يمكننا أن نجيب: "لقد قمت وببساطة بافتراض الأمر الذي تحاول اثباته. هذا تعسّف. فهل تمتلك سببا منطقياً لاستنتاجك هذا أم أنك تقوم بافتراضه فحسب؟ "

التماس السؤال العاطفي تحدث حين يقوم الشخص باستخدام لغة متحيّزة (وغالباً ما تكون عاطفية) في محاولة لدعم استنتاجه الذي لم يتم إثباته بشكل منطقي. فالفكرة هي أن يتم اقناع أي شخص وذلك من خلال استخدام اللغة المتحيزة عوضاً عن المنطق. إن قام المراسل الصحفي بالقول "لقد تم اتهام المجرم بأنه قد قتل بطريقة وحشية الضحّية البريئة،" سيكون هذا استخداماً منه لالتماس السؤال العاطفي لأنه قد استخدم لغة متحيّزة ليقدّم قضيته علماً أن القضية لم تُحسَم بطريقة منطقية بعد. فالطريقة الموضوعية لنقل الخبر ستكون "لقد تم توجيه التهمة إلى المشتبه به بأنه قد قتل شخصاً آخر." ذلك لأن كون الشخص الآخر هو ضحيّة بريئة وبأن الأول هو مجرم أمور لم يتم إثباتها بعد. كما أن استخدام كلمة "وحشية" نوع من التحيز اللفظي واستنتاج لم يتم اثباته. فالعواطف قادرة أن تقوم بتشتيت الإنتباه بحيث أنها ستمنع الأشخاص من استعمال المنطق في الوصول إلى الإستنتاجات الصحيحة. وحين يستخدم الناس هذا الأسلوب يكون هذا ارتكاباً لمغالطة التماس السؤال العاطفي.

المجموعة الأولى من الأمثلة في الملحق (ب) تحتوي على مغالطة التماس السؤال بطريقة عاطفية. ففي المثال الثاني يقول المعترض، "أصلي أن يأتيك الوحي لتتوقف عن تضليل الناس ليؤمنوا في هذا الهراء والأكاذيب". عوضاً عن تقديم جدل منطقي لإثبات خطأ موقفنا، قام المعترض بافتراض هذا الأمر باستخدام لغة عاطفية لتدعيم افتراضه. يجب أن يتم الإنتباه إلى كلمات مثل "جهل"، " عدم الأمانة"، "غباء"، "سذاجة" إضافةً إلى الملاحظات الأُخرى التي تَعمَد إلى إهانة الأشخاص. حين يتم الإدلاء بهذا النوع من الافتراضات دون أي دليل، يكون الجدل مغلوطاً.

مغالطة السؤال المركّب وهي الصيغة الإستفهامية من مغالطة التماس السؤال. وتحدث حين يحتوي السؤال على افتراضٍ غير مثبت. وفي تلك الحالة فإن أي إجابة على هذا النوع من

---

[7] في بعض الحالات (وأثناء تعاملنا مع بعض الافتراضات المسبقة) سوف يكون من غير الممكن أن يتم عزل الإستنتاجات عن المقدمات، على سبيل المثال، سنكون قادرين على اثبات وجود قوانين المنطق، لكنه يجب علينا في البداية أن نقوم بافتراض وجودها (وإلا فإننا لن نكون قادرين على البدء بتقديم جدل منطقي من الأساس). في الجدل المنطقي الجيد لن يكون من المسموح لنا أن نقوم بافتراض مجرّد لما نحاول إثباته. فيجب علينا أن نقوم بتقديم افتراضات إضافية حتى يكون الجدل جيداً. وبالتالي فإنه يوجد نوع صحيح من الجدل الدائري. إلا أن الجدل في دائرة مفرغة (أي مجرد افتراض ما تحاول اثباته) هو أمر غير مقبول. وسوف نتعلم كيفية التمييز بين هذين النوعين في الفصل التاسع.

الأسئلة سيعطي انطباعاً بأن ذلك الإفتراض هو صحيح، في حين أن الواقع يخالف ذلك. وأحد الأمثلة الكلاسيكية هو: "هل توقفت عن ضرب زوجتك؟" فأياً كانت الإجابة سواء بالنفي أو بالإيجاب، إن السؤال يحمل تلميحاً إلى أنَّ هذا الشخص كان يضرب زوجته في الماضي، وهذا ربما يكون خاطئاً. إن هذا السؤال مركب إذ أنَّه يجب أن يأتي بشكل سؤالين:

١. هل قمت بضرب زوجتك من قبل؟

٢. إن كنت قد فعلت ذلك، هل توقفت عن ارتكاب هذا العمل؟

يجب الإنتباه إلى الأسئلة التي تأتي من قبل التطوريّين: "لماذا تتخذون أنتم أيها الخلقيون موقفاً ضد العلم؟" لكن الخلقيين ليسوا ضد العلم، وبالتالي فإن السؤال مغلوط. فإنه يجب أن يتم تقديمه بشكل سؤالين "(١) هل أنتم أيها الخلقيون ضد العلم؟ (٢) إن كنتم ضد العلم، فلماذا تتخذون هذا الموقف؟" مثال آخر هو: "أي قصة من القصتين المتناقضتين للخلق والمذكورتين في التكوين هي القصة التي تتبناها؟" لكن يوجد فقط سرد واحد للخلق وهو مذكور في سفر التكوين، ولا يوجد أي تناقض فيه.[8] وبالتالي فإن المعترض قد ارتكب مغالطة السؤال المركب. فإنه كان يجب أن يقسّم سؤاله هذا إلى قسمين "(١) هل يوجد قصتين متناقضتين للخلق في سفر التكوين؟ (٢) إن كان كذلك، أي منهما هي القصة التي تتبناها؟"

إن ما يعتقد الناس بكونه مغالطة يعتمد بشكل كبير على رؤيتهم للعالم. تأمل في السؤال التالي: "هل قُدِّمت توبةً عن خطاياك؟"

إن غير المؤمن سيعتبر أن هذا السؤال هو ارتكاب لمغالطة السؤال المركب وسوف يريد أن يقوم بتقسيمه إلى: ١. هل سبق لك وارتكبت أي خطيئة؟ ٢. إن قمت بذلك، هل قدمت توبةً عنها؟

مغالطة "**لا يوجد أي اسكتلندي حقيقي**" يمكن أن يتم اعتبارها إحدى الأنواع الفرعية من مغالطة التماس السؤال. ويتم ارتكاب هذه المغالطة حين يحاول الشخص أن يقوم بحماية ادعاءاته من الجدل المقدم ضدّها من خلال الدفاع باستخدام اسلوب متحيّز (وهذا الأسلوب يقوم بالتماس المطلوب). إن المثال الذي تم منه اشتقاق الإسم لهذه المغالطة هو التالي: "الشخص (أ) أكَّد بأنَّ الاسكتلندي لا يضع السكر على حساء الشوفان الخاص به. إذ أنَّه إن فعل خلاف ذلك سوف لن يكون اسكتلندياً حقيقيّاً." وبما أنَّ الفرض والإستنتاج هما متساويان، فإن هذا ارتكاب لمغالطة التماس السؤال.

[8] التكوين ٢ هو وصف لأحداث اليوم السادس من الخلق. والسرد المتعلق به يتوافق بشكل كامل مع التكوين ١ وذلك حين يتم فهم السياق بشكل جيد.

تأمل في الإدّعاءات التي يقدّمها التطوري (ت) وكيفية الرد عليها عند مواجهتها مع الأدلة التي يقدمها الخلقيّ (خ):

(ت): "لا يوجد أي عالم يؤمن بأن الخلق قد تمَّ في ستة أيام."

(خ): "العلماء العاملون في اجابات من سفر التكوين يؤمنون بأن الخلق قد تمَّ في ستة أيام"

(ت): "حسناً، لا يوجد أي عالم حقيقي يؤمن بأن الخلق قد تمَّ في ستة أيام".

(ت): "لا يوجد أي مجلة علمية تعتمد المراجعة بالقرائن تقبل بأن الخلق قد تمَّ في ستة أيام"

(خ): "مجلة إجابات البحوث تقبل الأوراق البحثية المتعلقة بالخلق بشكل دائم"

(ت): "حسناً، ليس من مجلة محترمة وذات سمعة جيدة ستقبل بالأوراق البحثية المتعلقة بالخلق."

إن الجدلين المقدمين أعلاه يرتكبان مغالطة "لايوجد اسكتلندي حقيقي". حيث أن كل من "المجلة طيبة السمعة" و "علماء حقيقيّون" قد تم تحديد المعنى الخاص بهما بطريقة تعسّفية، وهذا النوع من الإدعاءات يمكن أن يتم عكسه. فنحن نستطيع أن نقول بالمخالف تماماً: "في الحقيقة، لا يوجد أي عالم حقيقي سيؤمن بالتطور. والمجلات العلمية المحترمة سوف لن تقبل الأوراق البحثية المتعلقة بالتطور." بالطبع يجب ألا نقوم بهذا النوع من الإدعاءات، لكن من الجيد أن نشير للخصم أننا وبشكل فرضيّ نستطيع أن نقوم بتقديم ادعاءات متعسفة في كلّ مرة يرتكب فيها مغالطة "ليس من اسكتلندي حقيقيّ".

مغالطة التوسل الخاصّ وتقع حين يتم تطبيق معايير مزدوجة. أي أن المعترض يقوم بتطبيق معيار على خصمه دون أن يقبل بتطبيقه على نفسه. يمكن أن يكون هذا النوع من الإزدواجية خفيّا ويعتمد على نوعية الكلمات فقط مثلاً: "أنا متيّقن أما أنت فعنيد." أو قد تكون صريحة مثل: "لا يمكنك أن تقول للناس ما لا يجب فعله!" فهذه حالة واضحة للتوسل الخاصّ، فالمعترض لا يقوم بتطبيق المعيار على نفسه.

"لا يمكنك أن تقوم بافتراض أن الكتاب المُقدَّس صحيح؛ يجب عليك أن تثبت الشيء قبل أن تؤمن به." ونجد أن المعترض لا يمتلك دليلاً على موقفه هذا، فهو يطبق معايير مزدوجة.

"يمكنك فقط أن تستخدم الأبحاث التي نُشِرَت في المجلّات العلمانية؛ فالمجلات التي تؤيد الخلق لا تُحتَسَب." هذا نوع من المعايير المزدوجة التعسّفية. وإنه من الممكن أن يتم تقديم جدل معاكس تماماً بالإدعاء بأن المجلّات الخلقية فقط هي ما نقبل به وليس بالمجلات العلمانية.

مغالطة القياس الخاطئ وتحدث حين يتم القياس بين أمرين متشابهين بطريقة سخيفة لا ترتبط بالإستنتاج. "لماذا تتذمر من العمل لمدة ١٢ ساعة في اليوم، إن حواسبنا تعمل لمدة ٢٤ ساعة وها هي بحالة جيّدة." لكنه من الواضح أن البشر يختلفون عن الحواسب التي ليست بحاجة للراحة. وبالتالي فإن هذا القياس خاطئ.

أحد أشهر الأمثلة عن القياس الخاطئ والتي يتم ارتكابها من قبل التطوريّين هو في المثال الأول في الملحق ب. "إن رسالتك شبيهة بأن تطلب منّا أن نؤمن بأن الأرض مسطحة أو أن الشمس تدور حول الأرض على الرغم من الأدلة التجريبية الدامغة تثبت خلاف ذلك." إن المعترض هنا يقارن الإيمان بالأرض المسطحة ونظام مركزية الأرض بالخلق. إلا أن الأرض المسطحة ونظام مركزية الأرض هما نظامان يمكن إثبات بطلانهما من خلال الأبحاث العلمية التجريبية في الحاضر، وسيكون من السخف الإيمان بتلك الأفكار. لكن الخلق التوراتي يتعلق بالماضي؛ وليس من الممكن أن يتم إثبات بطلانه من خلال المعاينة في الزمن الحاضر (إنما المعاينات المعاصرة تتسق معه). وبالتالي فإن هذا القياس خاطئ.

مغالطة المُسَبِّبَات الخاطئة التي تُرتكب حين يصرح أحد الأشخاص بحتمية صواب علاقة سببية خاطئة بين حدثين. فإنه في بعض الأحيان يوجد علاقة سببية بين الأحداث - أي يوجد صلة بينهما. ولكن هذا لا يعني أن أحدها قد كان مُسبِّباً للآخر. فلنفترض بأن شخصاً قد قام بمشروع بحثي ووجد أن الأيام التي يكون فيها القطران لزجاً يوجد فيه عدد أكبر من حالات الأزمات القلبية من الأيام الأُخرى. وبالتالي قام باستنتاج خاطئ يفيد بأن القطران اللزج يسب الأزمات القلبية. في الواقع، إن ارتفاع درجات الحرارة هو ما يسبب لزوجة القطران ويمتلك تأثيراً في زيادة عدد الأزمات القلبية.

وفي حالات بديلة قد لا يكون هنالك أي علاقة بين الأحداث. فوقوع الأمرين في وقت واحد قد يكون مجرّد مصادفة. والخرافات تصنف على أنها ارتكاب لهذه المغالطة. مثل السير أسفل السلم، الرقم ١٣، مرور قطة سوداء في دربك وما يتبع ذلك من أحداث ومصائب، هذه الأمور هي ارتكاب لمغالطة المسببات الخاطئة.

"إنه من الممكن أن يتم ترتيب المستحاثات من الأبسط إلى الأعقد. وبالتالي فإنه من الواضح الأكثر تعقيداً بينها قد تطورت من الأشكال البسيطة." إن حقيقة امكانية ترتيب بعض المستحاثات في سلسلة بحيث تكون قبل مستحاثات أُخرى لا يعني أنَّها كانت سببا للأُخرى. فإنه من الممكن أيضاً أن يتم ترتيب الإصدارات المختلفة من السيارات الموجودة حالياً في سلسلة، لكن ذلك لن يعني أنها مرتبطة احيائياً بعضها ببعض من خلال سلف مشترك.

"إن الخلق يصبح أكثر شعبيةً في الولايات المتحدة، ومعدلات نتائج الإمتحانات تنخفض بشكل محزن. فإنه من الواضح أن المذهب الخلقي يُدَمِّر أُسُس التعليم!" إن الإدعاء بأن الحدث الأول سبب الحدث الثاني ليس صحيحاً فالحدثين ليسا مرتبطين بعضهما ببعض، ولهذا السبب فإن الجدل يرتكب مغالطة المُسَبِّبات الخاطئة.

مغالطة المنحدر الزلق هي الجدل القائل بأن مسار معين من الأحداث سوف يتسبب بردود أفعال معينة ستؤدي بشكل حتمي إلى نتائج غير مرغوبٍ بها، في حين أنه يتم إغفال العوامل التي تمنع مثل هذه النتائج. "إن قمنا بالسماح لهم بأن يرفعوا السرعة القصوى على الطريق إلى ٤٥ كم/ساعة، فإن ذلك لن يبدو كافياً بالنسبة لهم وسوف يرفعونها مرّات أُخرى الأمر الذي سيحول القيادة إلى أمر خطر جداً." إلا أن الرغبة في الحفاظ على الحياة البشرية سوف تقلل من احتمال السماح بالوصول إلى حدود خطرة للسرعة. ومن خلال إغفال هذه النقطة فإن المجادل هذا قد ارتكب مغالطة المنحدر الزلق. إلا أنَّه يوجد بعض المسارات الزلقة من الأحداث التي ليست بمغالطة - حين يكون حدث معين سيتسبب حقّاً بحدوث سلسلة من ردود الفعل. لكن حين يوجد عوامل ذات احتمالية بأن تَتَسبَّب بتجنُّب تلك السلسلة من الأحداث، حينئذٍ سيكون ذلك الجدل مغلوطاً.

"إن سمحنا بامكانية وقوع المعجزات، سيكون من المستحيل إجراء أي بحث علمي. فسوف لن يكون ممكناً أن نعرف ما إذا كُنَّا نعاين قوانين الطبيعة أم المعجزات." لكن هذا إغفال لحقيقة أن المعجزات هي نادرة الحدوث (وليست بالضرورة تتضمن انتهاكاً لقوانين الطبيعة). فإنه من الواضح أن الله فيما إذا اختار أن يوقف العمل بقوانين الطبيعة لفترة معينة في سبيل أن ينجز عمل معين وغير اعتيادي، فإن ذلك لن يمنعنا من دراسة قوانين الطبيعة التي تعمل بشكل اعتيادي. مثال آخر: "إن كان الأطفال قد تعلّموا أن الله قد خلق كلَّ شيء فإنهم لن يقوموا بإجراء البحوث عن التفسير الحقيقي. وسوف يفقدون حبّهم للإطلاع، وسوف لن يعرفوا أيّ شيءٍ عن العلم، ولن يكونوا قادرين على تحقيق الإنجازات في العالم الحقيقي." لكن لا يوجد أي سبب عقلاني يربط بين التعليم عن الخلق مع تلك السلسلة غير المنطقية للأحداث التي تم تقديمها.

ثالثاً - مغالطات العلاقة أو الإرتباط

إن الجدل الذي يكون الإستنتاج الصادر عنه غير مرتبطاً بالمقدمة المنطقية هو ما يدعى ارتكاباً لمغالطة العلاقة أو الإرتباط. وفق الرؤية المسيحية للعالم، إن جميع الأشياء مرتبطة بالله (وبالتالي فهي مرتبطة بعضها ببعض) بطريقة ما؛ لكن بعض الأشياء هي أقرب بعضها إلى بعض من الأشياء الأُخرى. وهذا هو ما تتناوله هذه المغالطات. فإن لم تكن الإستنتاجات على علاقة قوية

بالفرضيات، سيكون ذلك ارتكاباً لمغالطة من هذا النوع الذي نقوم بدراسته. إن هذا النوع من المغالطات يشتمل على مغالطة الأصل، مغالطة الشخصنة، الفرضيات غير المتصلة، رجل القش، وأنواع أُخرى من الإلتماس الخاطئ.

مغالطة الاصل تحدث حين تكون الفكرة التي يجري الجدال حولها خاطئة بطبيعتها وليس نتيجةً للتسلسل المنطقي. وسيكون أمراً واجباً أن تتم الإشارة إلى أن الإدّعاء سيأتي من مصادر غير موثوقة (على سبيل المثال، الصحف الساخرة)، حيث أن هذا الأمر يُحرّك شكوكاً حول مصداقية الإدعاء. لكن ذلك لا يثبت أن الإدعاء خاطئ. فإن قامت إحدى الصحف غير الموثوقة بالإدعاء بأن ٢+٢=٤، لن تكون عدم موثوقية المجلة سببا في رفض هذا الإدعاء. كما أنه يجب أن يكون هذا المصدر قد تم تصنيفه على أنَّه غير موثوق بشكل عام حتى يكون ذلك ذا صلة. وكل من الإدعاءات يجب أن يتم الحكم عليه بناءً على حيثيّاته، وليس بناءً على المصدر الذي أتى منه.

"إن الكتاب المُقدَّس قد كُتِبَ قبل آلاف السنوات من قبل أشخاص لم يمتلكوا معرفةً عن العِلْم المعاصر. فلماذا يجب أن نثق بالإدعاءات التي يقدّمها؟" إن حقيقة كون الكتاب المُقدَّس بالغ القِدَم وأن الكُتَّابْ لم يكونوا على معرفة بالعلوم المعاصرة لا علاقة لها بمصداقيّته. إضافةً إلى أن هذا الجدال (ومثله الكثير ممن يهاجم الوحي المُقدَّس) يتجاهل الوضع الخاص للكتاب المُقدَّس. وذلك أن الكتاب المُقدَّس يقدم ادعاءً بأنَّه الكلمة الموحاة من قبل الله وبالتالي فإنه يختلف عن باقي المستندات التاريخيّة. من المؤكد أن الكثير من المعترضين سوف يرفضون هذا الإدعاء، لكن إن قاموا بذلك فهم قد افترضوا بشكل مسبق بأن الكتاب المُقدَّس هو خاطئ وبالتالي فإننا يجب أن نشير لهم بأنهم ابتدأوا بهذا الإدعاء عينه؛ وبالتالي فإنهم قد ارتكبوا مغالطة التماس المطلوب.

مغالطة الشخصنة ترتكب حين يتم توجيه الجدل ضد الشخص عوضاً عن الموقف الذي يتخذه. وأصل التسمية لاتيني ويعني "إلى الشخص". إن هذا الأسلوب إنما هو مغلوط وذلك على اعتبار أن صلاحية الجدل لا تعتمد على الشخص الذي يُقدِّمه. ويوجد نوعان من الشخصنة: وهما الشخصنة النديّة والشخصنة الظرفية.

تحدث الشخصنة الندية حين يقوم المعترض بمهاجمة شخصية خصمه، بدلاً من الرد على الإدّعاءات التي بين يديه. "المسيحيّون مسؤولون عن ارتكاب بعض الأعمال الوحشيّة؛ تأمل في الحملات الصليبيّة. فكيف تستطيع أن تُفَكِّر في الإيمان بها؟" إن حقيقية كون بعض المسيحينّ في بعض الأحيان تصرفوا بطريقة خاطئة لا علاقة لها بموضوع الإيمان المسيحي والدفاع عنه (أي الرؤية المسيحية للعالم). "إن الخلقيين عديمي النزاهة؛ ولا يمكنك أن تعتقد بصحة نظرياتهم.

" حتى وإن كان بعض الخلقيين قد كذبوا حول بعض الأمور (هذا الأمر قد يحدث في بعض الأحيان للأسف). إلا أنَّ هذا الموضوع لا يعني بالضرورة بأن الموقف الذي يدافعون عنه خاطئ.

في بعض الحالات يتم استخدام الشخصنة النديّة في سبيل ثني الحاضرين أو المستمعين عن القبول بما يقوم الشخص بتقديمه. وهذا النوع من المغالطات يتم استخدامه غالباً في المناظرات الرسمية ويدعى باسم "تسميم البئر" على سبيل المثال، "ان خصمي في مناظرتنا اليوم قد طلَّق ثلاث مرّات. فإن أخذنا هذا الجانب من شخصيته، لا أعتقد بأنّه يمكننا أن نثق بأي شيء يقوله. " بالطبع إن المشاكل الزوجية لا علاقة لها بما تتناوله المناظرة (إلا في حالة كان الموضوع يتناول الزواج، وحتى في هذه الحالة فإن وجود المشاكل الزوجية لا يجعل من الموقف الذي يتخذه الشخص خاطئاً). وبالتالي فإن هذا التهجّم خاطئ. إلا أن عدد من الناس يميلون إلى التعامل مع هذا النوع من الإستجابات المخالفة بطرق غير ملائمة.

أما الشخصنة الظرفية فترتكب حين يتم رفض الإدعاءات من خلال الزعم بأن الشخص الذي يقدم الإدعاء يقوم به نتيجة لظروف خاصة، عوضاً عن تقديم أسباب منطقية. "أنت تؤيد رفع أسعار المحروقات لأنك تعمل في محطة وقود." لكن حتى في حال كانت الظروف قد تُحرِّك بعض الأشخاص للدفاع عن موقف معيّن، إلا أنَّ ذلك لا يعني بأن الموقف نفسه سيكون مغلوطاً أو أن الجدل المُقدَّم عنه هو جدل سيّء. فإنه يجب أن يتم تقييم الجدل بناءً على حيثيّاته، وليس بناءً على الظروف الخاصّة بالشخص الذي يقدّمه.

على سبيل المثال، "أنت مسيحيّ لأنك قد ترعرعت في أُسرة مسيحيّة." لا يوجد أي شك في أنَّ الأشخاص الذي ينشأون في أُسر مسيحية يمتلكون ميلاً لأن يكونوا مسيحيّين. لكن هذا لا يعني أنهم لا يمتلكون أسباباً خاصّة بهم للتمسك برؤيتهم للعالم. "أنت تجادل دفاعاً عن الخلق فقط لأنك قد قرأت كتاباً عن الموضوع." ربما قد يكون الموضوع أنك قرأت كتاباً قد حرّك لديك الرغبة في الدفاع عن الموقف الخلقيّ. لكن هذا لا صلة له فيما إذا كان الخلق صحيحاً أم لا. فإنه يمكن لأي شخص أن يقوم بالمثل ويقول، "أنت تؤمن بجدول الضرب الرياضي فقط لأن شخصاً ما قد قام بتعليمك إياه." إن هذا قد يكون صحيحاً لكن لن يعني بأي شكل من الأشكال أن جدول الضرب الرياضي خاطئ.

مغالطات الإلتماس الخاطئ وترتكب حين يقوم الشخص بالتماس شيء أو شخص لا علاقة له بالإدعاءات التي تتعرض للتحقيق. ويوجد العديد من المغالطات التي تُشمَل ضمن هذه الفئة. فالشخص قادر على التماس العواطف، كما في التماس الشفقة، الخوف، أو أسلوب "الغوغائية، الرُعاع"، كما يمكن إلتماس السلطة في بعض الأحيان أو التماس الجهل.

مغالطة التماس الشفقة تحدث حين يقوم الشخص بالجدل دفاعاً عن موقفه على قاعدة الشفقة. "أستاذ، من فضلك أعطني درجة ممتازة في هذا الفصل. فعائلتي قد وعدتني بمساعدتي على شراء سيارة في حال تحصّلت على درجات ممتازة." في الجدل عن التطور، قد يقوم البعض من المؤيدين للموقف بمحاولة إقناع المستمعين بتبني هذا الموقف من خلال الحديث عن الإضطهاد الذي تعرضوا له من قبل الخلقيّين. فحتى وإن كان ذلك صحيحاً، فإن ذلك لا يدعم موقفهم.

مغالطة التماس الخوف التي تحدث حين يقوم شخص بالجدال دفاعاً عن موقف معين على قاعدة الضرر الذي قد ينجم إن لم تؤيّد ذلك الموقف. على سبيل المثال، تخيل أحد المحامين يجادل "أيها السيدات والسادة أعضاء هيئة المحلّفين، يجب أن تحكموا بأن المتهم مذنب بجريمة القتل، وإلا فإنكم قد تكونون ضحيّته التالية!" بالطبع إن هذا التهديد لا علاقة له بكون المتهم مذنباً أم لا، وبالتالي فإن هذا الجدل مغلوط. بالطريقة عينها، يتم الضغط على التلاميذ ليؤمنوا بالتطور على قاعدة أنهم إن لم يفعلوا ذلك فإنه لن يتم قبولهم في أي من الجامعات المرموقة، أو أنه سيتم رفضهم بعد التخرج. كما أنه يتم الضغط على المعلمين ليقوموا بتعليم التطور فقط، وإلا فإنه سيتم حرمانهم من التعليم. ويتم منع معلمي المدارس الثانوية من مناقشة موضوع الخلق حيث يتم تهديدهم بإتخاذ اجراءات قضائية. وجميع هذه الأمثلة تتبع ذات الأسلوب المغلوط: "يجب أن تؤمن بما أؤمن به، وإلا فإنك ستواجه العواقب!"

مغالطة التماس الغوغائية وتحدث حين يتم محاولة إقناع الأشخاص (حيث غالباً ما يوجد مجموعة كبيرة من الأشخاص) من خلال استعمال خطابات تحفيزية عاطفية، عوضاً عن استخدام المنطق. وهذا النوع من المغالطات يتم استخدامه غالباً في المناظرات الرسمية أو الإجتماعات. تخيل أحد مناصري التطور يقوم بالرد على الإدعاءات المسيحية بأن الله هو مصدر الأخلاق وذلك من خلال القول:"أقول لكم بأننا لا نحتاج الله ليخبرنا الخطأ من الصواب. أنتم لديكم كلَّ الحق بأن تتبعوا معاييركم الخاصّة! لا تسمحوا للآخرين أن يقولوا لكم عما يجب أن تفعلوا. إنه حقٌّ من حقوقكم كمواطنين أن تفكروا بأنفسكم!" إن هذا النوع من الخطابات يُتبع غالباً بعاصفة من التصفيق - وذلك بالرغم من عدم استخدامه لأي نوع من المنطق ومن كونه ذاتي النقض. (فببساطة كيف يمكننا أن نتبع تعليمات بأن لا نسمح لأي شخص أن يقول لنا عما يجب فعله؟) إن هذا المجادل قد قام باستعمال العواطف مثل البطولة والإستقلالية في محاولة لجذب الجمهور من خلال هذا الخطاب المغلوط.

مغالطة التماس السلطة تحدث حين يجادل أحد الأشخاص بأن الموقف يجب أن يكون سليماً بسبب أن شخص ما أو مجموعة من الأشخاص تقول ذلك. ويوجد فئتين فرعيّتين سوف نقوم بذكرهما فيما يختص بهذه المغالطة: التماس السلطة الشخصية، والتماس السلطة الجماعية.

التماس السلطة الشخصية وتحدث حين يقول أحد الأشخاص أن الإدعاء يجب أن يكون صحيحاً لأن أحد الخبراء يقول ذلك. من الطبيعي أن رأي الخبير حول موضوع ما لا يجب أن يتم رفضه بشكل تعسّفي. لكن الخبراء يخطئون بشكل دائم، ولذلك فإنه لا يجب أن يتم الأخذ برأيهم على أنَّه غير قابل للشك. وهذا الأمر يكون واضحاً في الحالات التي نجد أن خبراء آخرين في نفس المجال يعارضون ذلك الرأي. ومن الطبيعي أن رأيين متناقضين لا يمكن أن يكونا صحيحان. وبالتالي فإنه حين يقوم أحد الأشخاص بتقديم رأي أحد الخبراء على أنَّه دليل حاسم عن موقف معين، فإنه يكون من الجيد حينها أن يتم استحضار هذه النسخة الفكاهية من قانون نيوتن الثالث: "لكل خبير يوجد خبير مضاد." أما في حال قام جميع الخبراء تقريباً ومن مختلف الرؤى للعالم بالتوافق على إدّعاء معيّن في حقل اختصاصهم، فإنه لن يكون أمراً مغلوطاً أن يتم القبول برأيهم على أنّه ذو احتماليه عالية ليكون صحيحاً. والواقع إنه سيكون أمراً تعسّفياً في الغالب أن يتم رفض هذا النوع من الإدعاءات.

كما أنَّه يجب أيضاً أن نقوم بالنظر إلى التحيّز الذي يمتلكه الأفراد، وكيفية تأثير هذا التحيز على استنتاجاتهم. فإن التطوري الخبير بمجال التأريخ بالعناصر المشعّة قد يعتقد بأنَّ هذا الأسلوب يدعم فكرة ملايين السنوات؛ لكن يجب أن يتم أخذ تحيّزه بعين الإعتبار قبل أن يتم القبول باستنتاجاته. [9] لا يوجد أي انسان يعرف كل شيء، وبالتالي فإنه من الواجب علينا أن نكون على درجة من الحيطة قبل أن نقبل رأي الخبراء القابلين للخطأ على أنه رأي غير قابل للشك. والطريقة الأُخرى التي يتم فيها ارتكاب هذه المغالطة، هي حين يقوم الخبير بتقديم رأي في مجال يقع خارج نطاق اختصاصة. فإن هذا النوع من الآراء يحمل قيمة ضعيفة جداً إلا في حال تم تدعيمه من خلال أدلّة إضافية.

التماس سلطة الجماعة هي الفئة الفرعية الثانية من التماس السلطة. وتدعى أيضاً **التماس رأي الأغلبية**. وتحدث حين يقوم الشخص بالجدل على أن الموقف لا بد أن يكون صحيحاً ذلك لأن الغالبية من الناس يعتقدون بذلك. وقد يبدو الأمر مريباً أن نجد بعض الأشخاص يقعون تحت تأثير هذا النوع من الأخطاء. لكنهم يفعلون. "فهل يمكن أن يكون جميع أولئك الأشخاص على خطأ؟" غالباً ما يتم ارتكاب هذه المغالطة مع مغالطة التماس السلطة الشخصية؛ ويحدث هذا

---

[9] هذا لا يعني بأنَّه يجب أن يتم رفض استنتاجاته بشكل فوري. وإلا فإن ذلك سيعتبر ارتكاباً لمغالطة الشخصنة الظرفية. لكن يجب أن نكون دائماً متنبّهين إلى الرؤية للعالم التي يمتلكها الشخص إلى كيفيّة تأثيرها على تفسيره للحقائق.

حين يقوم أحد الأشخاص بالتماس رأي أغلبية الخبراء. "كيف لجميع هؤلاء العلماء أن يكونوا على خطأ فيما يتعلق بالتطور؟" إن الكتاب المُقدَّس يقدم لنا الإجابة عن ذلك في رسالة رومية ١: ١٨-٢٣. الأمر الذي يجب معرفته فيما يتعلق بالتماس السلطة هو أن الإدعاء يُقَيَّم بناءً على حيثيّاته وليس بناءً على الشخص الذي يقدمه.

مغالطة التماس الجهل تحدث حين يتم الإدعاء بصحة الموقف لمجرد أن الموقف المخالف لم يتم اثباته. "لابد أن توجد حياة أخرى في الفضاء الخارجي. فليس من أحد قد أثبت العكس." لكن عدم وجود أي شخص قد دحض إدعاءً ما لا يعني بأنَّه صحيح. إن التماس الجهل يمكن أن يتم مواجهته من خلال التماس الجهل. فيمكننا أن نواجه الإدعاء السابق بطريقة عبثية مماثلة "لا يمكن أن يكون هنالك حياة في الفضاء الخارجي، فما من أحد قد أثبت وجودها." إن التماس الجهل هو مغالطة إذ أنَّ نقص الأدلة التي تدعم الموقف المضاد ليس دليلاً للموقف.



إن جون الصغير قد ارتكب مغالطة التماس الجهل. إذ أنَّ عدم القدرة على دحض إدعاءه لا يعني بأنَّ ادعاءه صحيح.

مغالطة الفرضيات غير المتصلة تحدث حين يحاول الشخص أن يقوم بإثبات استنتاج لا علاقة له بالموضوع قيد الدراسة. فالأسباب التي قد يمتلكها المجادل قد تكون منطقية وصحيحة، لكنها لا تقدم إجابة عن السؤال المطروح. "إن الناس الذين يريدون أن يخفضوا من كمية الأسلحة النووية هم على خطأ. فإن هذا النوع من الأعمال لن يقوم بحلّ مشاكل العالم." بالطبع، إن الجملة الثانية صحيحة لكن هذا غير مرتبط بالجزء الأول. وذلك أننا لا نجد أي شخص يقترح بأن تخفيض كمية الأسلحة النووية سيقوم بحلّ مشاكل العالم، إنما هذا الأمر له جوانب إيجابية. إن أنصار التطور يرتكبون هذا النوع من المغالطات بشكل متكرر، فلنتأمل في الجدالات التالية.

"لماذا نجد أن الكون مناسب لنشوء الحياة؟ لأنه إن لم يكن كذلك فإننا لن نكون هنا لنعاينه." إن الأمر صحيح أنه إن لم يكن الكون مناسباً للحياة فإننا لن نكون موجودين لنعاينه. لكن هذا لا

يجيب عن السؤال المطروح وهو لماذا نجد أن الكون مناسب للحياة - إن هذه الإجابة تقول لنا لماذا نحن قادرون على معاينة ومراقبة الكون. وبالقياس على هذا المثال، تخيل أنني كنت الناجي الوحيد من تحطّم طائرة. وحين تمَّ سؤالي عن سبب نجاتي من الحادث، سيكون أمراً سخيفاً أن أقول، "لأنني لو لم أنجُ لما كنت هنا لأجيب على سؤالك هذا!"

مثال شائع للخلقيين المؤمنين بقدم عمر الأرض هو: "إن أيام الخلق لا يمكن أن تكون أيام اعتيادية. فالشمس لم تُخلق حتى اليوم الرابع." إن مدة اليوم تُحدَّد بشكل رئيسي من خلال دوران الأرض حول محورها.[10] وإن حقيقة كون الشمس لم تُخلق حتى اليوم الرابع هي أمر غير متصل بالموضوع.

مثال آخر: "لماذا تمتلك الكائنات الحية أعضاء معقّدة تعمل بطريقة متناغمة بعضها مع بعض؟ لأنها إن لم تكن كذلك لكانت قد ماتت." إن الجملة الثانية من التصريح صحيحة، لكنها في الحقيقة لا تقدم إجابة على السؤال المطروح. "أنت لست بحاجة للمسيحية حتى تقوم بتفسير الأخلاق. هأنذا، مُلحد وأخلاقيٌّ للغاية." إن الجملة الثانية قد تكون صحيحة ـ لكن لا علاقة لها بتفسير وجود الأخلاق بمعزل عن المسيحيّة. إن جميع المغالطات من فئة الفرضيات غير المتصلة يمكن أن تتم الإجابة عليها من خلال عبارة "قد يكون الأمر صحيحاً، لكن هذا الموضوع لا علاقة له بالسؤال المطروح".

مغالطة رجل القشّ التي تعتبر فئة فرعية من مغالطات الفرضيات غير المتصلة. فإنه في الجدل الذي يعتمد على مغالطة رجل القش ، سيعمد الشخص إلى القيام بتقديم خاطئ لموقف الخصم ومن ثمَّ يقوم بتقديم جدل ضد "رجل القش" الذي قام بصنعه. فقد يكون الجدل الذي يقدمه جيداً جداً، لكن على اعتبار أنَّه ليس جدلاً ضد الموقف الحقيقي للخصم، فهو غير مرتبط وليس ذا صلة.



قد يكون من السهل على المؤمن بالتطور أن يجادل ضد موقفٍ قام باختراعه، لكن مواجهة الموقف الخلقي الحقيقيّ سيتسبب له بالكثير من التحديات.

إن الجدالات التي ترتكب مغالطة رجل القش هي شائعة جداً في المناظرات التي تتناول موضوع

---

[10] إن حركة الأرض حول الشمس تكافئ أربع دقاق من اليوم الشمسي. أما الـ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة الباقية هي دوران الأرض حول محورها في الفضاء، وليس لذلك أي صلة بالشمس. وطالما وُجد مصدر للنور (وهذا ما كان موجوداً في الأيام الثلاثة الأولى من الخلق) ودوران للأرض حول محورها، سوف ينتج لنا أيام اعتيادية.

الأصول وذلك لأن التطوريّين غالباً ما يفتقرون للإطلاع على الموقف الخلقي الحقيقي.
على سبيل المثال: "إن الخلقيين يؤمنون أن الله قد خلق كل الحيوانات كما نراها اليوم. لكن يوجد بعض الفصائل من الكلاب التي لم تُعرف حتى وقت قريب."
إن هذا الجدل يسيئ تقديم الموقف الخلقي التوراتي. فالله لم يقم بخلق الحيوانات كما نراها اليوم، إنما هو قد خلق الأنواع الرئيسية (كلاب، قطط، ...)وقد حدث تنوّعٌ ضمن هذه الأنواع منذ ذلك الوقت. "إن الخلقيين يقولون بأنك يجب أن تؤمن بأنّ الكون خُلِق في ستة أيام حتى تَخلُص. لكن الكتاب المُقدَّس لا يعلِّم عن ذلك" إن هذا الجدل قد يكون جدلاً جيداً ليستخدم ضد شخص يتخذ ذلك الموقف. لكن هذا ليس الموقف الخلقي التوراتي الذي لا يُعلّم بأن الإيمان بالخلق ذو الأيام الستة هو مَطلَب للخلاص. وبالتالي فإن هذا الجدل إنما يعتمد على مغالطة رجل القش.

خلاصة

لقد قمنا باستكشاف مجموعة من المغالطات المنطقية التي تُرتَكَبْ من خلال استخدام اللغة الإعتيادية. وهذه المغالطات يمكن أن يتم تقسيمها إلى ثلاث فئات عامّة: مغالطات الإلتباس أو الغموض، مغالطات الافتراضات المسبقة، ومغالطات العلاقة أو الإرتباط. وجميع أنواع المغالطات التي تناولناها قد ظهرت في جدالات أو محاضرات تدافع عن التطور، ويوجد أمثلة عديدة قد تم تضمينها أعلاه.

يمكنني القول ومن خلال خبرتي الشخصيّة بأن أغلب المغالطات غير الرسمية المرتكبة من قبل التطوريّين تختص بالمواربة والغموض (حول ما تعنيه كلمة "تطوّر")، شخصنة المفاهيم مثل (الطبيعة، التطور، أو الأدلة)، التماس السؤال (من خلال نقد الخلق على الأسس التطورية)، والجدالات التي تستخدم رجل القش (من خلال إساءة تقديم التعاليم الخلقية، وقد يكون هذا الأمر دون قصد في بعض الأحيان). إن معرفة المغالطات التي قمنا بذكرها أعلاه سوف تقوم بشكل ملحوظ برفع مستوى قدرة المؤمن بالخلق على كشف عدم الإتساق التطوريّ.

الفصل الثامن
المغالطات المنطقية - الجزء الثاني

الآن وبعد أن تعرّفنا على المغالطات المنطقية غير الرسمية التي ترتكب من قبل التطوريّين، وصلنا إلى الوقت المناسب لمناقشة المغالطات الإستنباطية الرسمية وكيفية الرد عليها. في هذا الفصل سوف نحاول أن نتناول بشكل مختصر أنواع مختلفة من المغالطات المنطقية الإستنباطية الرسمية، وإظهار كيفية دحض الجدالات غير الصالحة من خلال استخدام القياس المنطقي. ومن ثم سوف ننتقل إلى مغالطات محددة. يمكنني القول بالإعتماد على تجربتي بأنَّه يوجد نوعان فقط من المغالطات المنطقية الرسمية التي يتكرر الوقوع بها من قبل التطوريّين: وهما مغالطة برهان الطلب(مغالطة الخلط بين الواجب والكافي) ومغالطة انكار الفرض (مغالطة نقض الفرض). وهاتان المغالطتان هما ما سنقوم بتقديمه تحديداً في هذا الفصل. وهما متكررتان في جدالات التطوريّين والخلقيين المؤمنين بقدم عمر الأرض. وبالتالي فإنه من المفيد جداً أن نمتلك معرفة كافية لكفشهما. وفي النهاية سوف نقوم بمناقشة أهمية الإتساق في التفكير المنطقي.

أعتقد شخصياً أن المغالطات الرسمية هي موضوع مميز، وهي بديهية إلى حدٍّ ما. وتمتلك لمسة مختصّة بعلم الرياضيات مما يعطيها أهمية خاصة بالنسبة لي. بالطبع إن الله قد أعطى كلّ شخص منا مهاراته الخاصّة واهتماماته الخاصة. فبعض الأشخاص قد يجدون أن المغالطات الرسمية شديدة الصعوبة ومُشَتِّتَةً للتركيز. وذلك بسبب استعمال الرموز الريّاضية. من جانب أول، إني لا أريد أن يتسبب هذا الفصل بإحباط بعض القرّاء عن متابعة قراءة هذا الكتاب. فإن كنت قد وجدت أن هذا الفصل معقّداً بالنسبة لك - تجاوزه. (سوف لن أُخبر أحد عن ذلك). ومن جانب آخر، يوجد قيمة نفعية لدراسة المغالطات الرسمية وهي تخدم موضوع الدفاعيات. إن هاتان المغالطتان متكررتا الوقوع بشكل كبير، لذلك أرجو أن تعيد النظر في هذا الفصل وتعتبره بمثابة القشدة التي تُضاف على قطعة الحلوى في علم الدفاعيات.

إنه من الجميل أن نمتلك معرفةً عن المغالطات الرسمية حين نقدم دفاعاً عن الإيمان، لكن الأمر ليس حيوياً، فيمكنك الدفاع دونها.

أنواع المغالطات المنطقية الإستنباطية الرسمية

بداية يجب أن نتذكر أن المغالطات الرسمية يمكن أن يتم التعبير عنها باستخدام معادلات ورموز رياضية مثل "إن كان لدينا **p** سيكون لدينا **q**" حيث أنَّ كلّ من **p** و **q** يمثلان فرضاً عامّاً. وإن المغالطات الرسمية هي استنباطيّة بطبيعتها - أي أن الإستنتاج هو حتميّ التبعية للفرض (في حال كان الجدل صالحاً). مثال على الجدل الإستنباطي الصالح: "(١) إن كان **p** صحيحاً،

سيكون **q** صحيحاً. (٢) **p** صحيح. (٣) بالتالي فإن **q** هو صحيح." يمكنك أن تستبدل p و q بأي افتراض صحيح وسوف تجد أنه في حال كان الفرضان (١ و ٢) صحيحان فإن الإستنتاج (٣) سيكون هو الآخر صحيحاً. وبالتالي فإن الجدل صالح. ويوجد طريقة أشد اختصاراً لكتابة هذا الجدل وهي: "(١) إن كان **p** إذاً **q**، (٢) لدينا **p**، (٣) بالتالي **q**." وهذه الطريقة تحمل ذات المعنى للطريقة الأولى.

إن المنطق القطعي يتعامل مع كلمات مثل "**كلّ**، **بعض**، **لا**، و**ليس**".

القياس المنطقي: هو الجدل المكون من فرضين واستنتاج.

إن المنطق الرسمي الإستنباطي يُقسَّم عادةً إلى فئتين: المنطق القطعي و المنطق الإفتراضي " الإقتراحي".[1] المنطق القطعي يتعامل مع طبيعة التصنيفات، الفئات المُدرجة والمُستَبعَدة. كما أنَّ المنطق القطعي يتعامل مع كلمات مثل "كل، بعض، ليس، و لا".

إن الجدل التالي هو جدل يعتمد المنطق القطعيّ: (١) كل الكلاب هي ثديّات، (٢) لا يوجد ثديات من الزواحف، (٣) بالتالي لا يوجد كلاب من الزواحف.

القياس المنطقي هو جدل يمتلك فرضان واستنتاج. وسوف نتعامل مع هذا النوع من الجدالات في هذا الفصل.

المنطق الإفتراضي يتعامل مع موضوع العلاقة بين الفروض ويستعمل كلمات مثل"**إن كان - بالتالي**، **و**، **أو** و **ليس**".

إن المنطق الإفتراضي يتعامل مع الطريقة التي ترتبط بها الفروض بعضها ببعض. وهذا النوع من الجدل يستخدم كلمات مثل "إن كان - بالتالي، و، أو ، ليس". والجدل التالي هو مثال عن الجدل الإفتراضي "(١) إن كان الثلج يتساقط، سيكون الجوّ بارداً في الخارج. (٢) إن الثلج يتساقط. (٣) وبالتالي فإن الطقس باردٌ في الخارج". وفي الحقيقة إن هذا المثال يستخدم النموذج الرياضي الذي قمنا بتقديمه في بداية هذا الفصل. قم باستبدال "p" بـ "إنها تُثْلِجُ" و

[1] يوجد أيضاً طريقة للجمع بين المنطق القطعي والمنطق الإفتراضي؛ وتُدعى "المنطق الكمي، أو القياسي" وهو دراسة خاصة لن نتناولها في هذا الكتاب.

استبدل "q" بـ "إن الطقس باردٌ في الخارج". سوف ينتج لديك بشكل مباشر "(١) إن كان p إذاً q، (٢) لدينا p، (٣) وبالتالي q."

الدحض باستخدام القياس المنطقي

إن المغالطات التي سنقوم بالتركيز عليها في هذا الفصل هي من نوع المنطق الإفتراضي. لكني أريد أن أقوم بتقديم مختصر لكيفية تحديد ودحض الأنواع الأُخرى من المغالطات الرسمية أيضاً. والدحض يتم من خلال القياس المنطقي الذي هو أداة قوية لدحض أي جدل غير صالح دون الحاجة لمعرفة أسباب محددة لكون هذا الجدل مغلوطاً. وهذا الأسلوب يعمل مع جميع أنواع الجدالات، بالرغم من أنها قد تكون أصعب في التطبيق على بعض الجدالات من الأُخرى. لنتأمل الآن في الجدل التالي:

الجدل (أ):

١. بعض البشر جبناء.

٢. جميع المجازفين هم بشر.

٣. بالتالي فإن بعض المجازفين جبناء. (الإستنتاج.)

هذا الجدل يمكن أن يتم التعبير عنه بطريقة رياضيّة من خلال استبدال "البشر" بـ "ب" والمجازفين بـ "م"، و"الجبناء" بـ "ج" فيكتب الجدل بالطريقة التالية:

١. البعض من ب هم ج .

٢. جميع م هم ب.

٣. بالتالي فإن بعض م هم ج.

قد لا يكون الأمر واضحاً بشكل فوري فيما إذا كان هذا الجدل صالحاً أم لا. لكن يوجد طريقة بسيطة لإثبات أنه غير صالح وذلك من خلال إظهار عدم صلاحية مثال آخر يحمل ذات الصيغة (أي أنَّه يعطي ذات المعادلة الرياضية حين يتم اختزاله وكتابته بشكل رموز). ذلك يعني تقديم مثال آخر يحمل ذات الصيغة ويكون الإستنتاج المقدم منه باطلاً بشكل واضح فنقوم بتقديم الجدل (ب):

١. بعض الثديات هي قطط. (صحيح)

٢. جميع الكلاب هي ثديّات. (صحيح)

٣. بالتالي بعض الكلاب هي قطط. (خاطئ)



ان استخدام هذا الأسلوب في الجدل يُمَكِّن هذا الشاب من أن يجادل ضد وجود الرسّامين، مهندسي العمارة، البنّائين، وحتى والديه أيضاً !

لكن الجدل (ب) يمتلك ذات الصيغة التي يمتلكها الجدل (أ). ويمكن كتابته باستخدام الرموز ("م" للكلاب، "ج" للقطط، و" ب" للثديّات.) وسيظهر مطابقاً للجدل (أ) المكتوب بطريقة الرموز. وبما أن الجدل (ب) هو غير صالح وذلك أنه من الواضح أن الفروض التي قُدِّمت صحيحة ولكن الإستنتاج " بعض الكلاب هي قطط" إنما هو خاطئ بشكل بَيِّنٍ. فسيكون الجدل (أ) أيضاً غير صالح لأنه يمتلك ذات الصيغة التي يمتلكها جدل آخر غير صالح.

وبالتالي فإنه دون معرفة نوع المغالطة التي تم ارتكابها،[2] يمكننا أن نقوم بدحض أي جدل غير صالح من خلال القياس المنطقي. فإن قام أحد الأشخاص بتقديم الجدل (أ)، يمكننا أن نرد مستخدمين "في الحقيقة إن الجدل الذي قدَّمته (أ) ليس صالحا. وإن الأمر يشبه قولنا ب، (ونقوم بتقديم الجدل (ب) الذي يكون غير صالح بشكل أشد وضوحاً)". إن الدحض بالقياس المنطقي يمكن أن يتم استخدامه في مواجهة المغالطات غير الرسمية. حيث أننا في تلك الحالات نقوم بابتداع جدلٍ يحمل ذات الجوهر الذي يحمله الجدل المُقدَّم إلينا، وتكون نتائجه خاطئة. ولكي يتم دحض المغالطات غير الرسمية بطريقة القياس المنطقي لا بد أن يكون الجدل الذي نُقدِّمَهُ مماثل بما فيه الكفاية؛ وإلا فإن الخصم سوف يتهمنا بارتكاب مغالطة المغالطة.[3]

إن العائق الوحيد لاستخدام الدحض عن طريق القياس المنطقي هو أن القياس قد يكون صعباً في بعض الحالات، حيث أنَّه قد يكون من الصعب أن يتم "التفكير" بشكل فوريّ. تذكر أن الغاية هي تقديم جدل يتميز بأنَّه (١) ذو صيغة مماثلة للجدل الأصلي، (٢) أن يمتلك فرضيات صحيحة، و(٣) يكون الإستنتاج خاطئاً بطريقة واضحة. قد يشكّل هذا الأمر تحدياً فالمطلوب هو أن يتم اتباع هذه المعايير وخصوصاً عند الحاجة للقيام بذلك بسرعة. لذلك سيكون من المفيد أن يتم التعرف على عدد من المغالطات الرسمية.

---

[2] للقرّاء الفضوليّين، إن هذه المغالطة تدعى "مغالطة الوسط غير المُقسَّم أو الموزَّع" ، وهذا بسبب أن الوسط ب لم يتم استخدامه بطريقة تشير إلى تقسيم جميع أفراد المجموعة. يمكن التعبير عن ذلك بكلمات أُخرى فنقول أن ليس كلّ أفراد المجموعة ب هم ج، إنما فقط البعض من ب هم ج والبعض الآخر فقط هم م. يجب أن يتم تقسيم المدى الوسطي على الأقل في أحد الفروض حتى يكون القياس القطعي صالحاً.

[3] انظر الفصل السابع.

يوجد ستة مغالطات في المنطق القطعي،[4] وهي تتجاوز الغاية المرجوة من هذا الكتاب، إضافةً إلى أنها أقل استخداماً من المغالطتين المختصتين بالمنطق الإفتراضي. لذلك سنقوم الآن بالإنتقال إلى المنطق الإفتراضي.

المنطق الإفتراضي

أحد أنواع المنطق الإفتراضي يدعى المنطق الطِباقي (الفاصل، نقض الفرض)[5]، وهو بالشكل التالي:

١. p أو q (فرض)

٢. ليس p (فرض)

٣. بالتالي ليس q (استنتاج).

إن هذا الجدل هو جدل صالح. وبالتالي فإنه يمكننا أن نقوم باستخدام الفرضيات بدلاً p و q، وفي حال كانت الفرضان الذان استخدمناهما صحيحان فسيكون الإستنتاج كذلك. على سبيل المثال.

١. إما أنَّ الدكتور لايل في مكتبه أو أنَّه يعمل من المنزل.

٢. الدكتور لايل ليس في مكتبه.

٣. بالتالي فإن الدكتور لايل يعمل من منزله.

من الواضح أنَّه في حال كان الفرض صحيحاً فإن الإستنتاج سيكون كذلك. وبالتالي فإن الجدل صالح.

هذا سينقلنا الآن إلى نوع من الجدل نريد أن نركز اهتمامنا عليه في هذا الفصل ألا وهو: القياس المنطقي للإفتراضات المختلطة. بما أننا نعرف بأنه نوع من القياس المنطقي، فهذا يشير إلى أنَّه يمتلك اثنين من الفروض واستنتاجاً واحداً. واحداً من بين هذين الفرضين هو افتراضي (أي أنَّه مبني على افتراض): تصريح من نوع "إن كان - بالتالي". والتصريح الآخر ليس كذلك، وبالتالي فإن الجدل مبني على فروض "مختلطة".

يوجد فقط نوعان صالحان من القياس المنطقي المبني على الفروض المختلطة، وقد رأينا للتو مثالاً عن الأول:

القياس الإستثنائي:

١. إن كان لدينا p فسيكون q (فرض)

---

[4] يمكن أن يُضاف إليها أو يُنقص منها وذلك بناءً على المعايير المُتَّبعة في التصنيف.

[5] Disjunctive Syllogism.

٢. لدينا p (فرض)

٣. بالتالي سيكون q (نتيجة)

يمكن أن يتم التعبير عن هذاالمثال بطريقة أُخرى مطولة وهي"١. إن كان p صحيحاً فسيكون q صحيحاً. (٢) إن p هو صحيح. (٣) وبالتالي فإن q هو الآخر صحيح."

في كل مرّة يوجد لدينا فرض افتراضي (اذا كان p فسيكون q)، يُدعى الجزء الأول من الفرض p "المُسَبِّب أو السابقة" في حين القسم الثاني q يدعى "الناتج أو اللاحقة" وهذا النوع من الجدل يدعى باللاتينية Modus Ponens - الذي يعني "نظرية التوكيد". أي أن الفرض الثاني يؤكد p "المُسَبِّب". ولذلك يُدعى أيضاً "توكيد المُسَبِّب". ولنتأمل الآن في أمثلة حيّة حيث نستبدل الرموز بفروض:

١. إن كان الثلج يتساقط، فإن الطقس سيكون بارداً في الخارج. (إن كان p سيكون q)

٢. إن الثلج يتساقط. (لدينا p)

٣. وبالتالي فلابدَّ أن الطقس باردٌ في الخارج. (وبالتالي سيكون q)

أما الآن فسنقوم باستعراض النوع الآخر من القياس المنطقي المبني على الفروض المختلطة:

١. إن كان لدينا p فسيكون لدينا q (فرض)

٢. ليس لدينا p (فرض)

٣. بالتالي فإنه ليس لدينا q (استنتاج)

إن الفرض الثاني يؤكد على أن الناتج q ليس صحيحاً. وبالتالي فإن المُسَبِّب هو الآخر لا يمكن أن يكون صحيحاً، ذلك لأنه لو كان صحيحاً لكان الآخر كذلك. هذا النوع من الجدل يدعى باللاتينية Modus Tollens - الذي يعني "نظرية النفي أو النقض". في هذا الجدل، يقوم الفرض الثاني بنفي صحة النتيجة. وبالتالي فإن هذا الجدل يُدعى أيضاً "نقض الناتج أو نفي الناتج" وهو جدل صالح بشكل تامّ. وههنا مثال على نقض الناتج.

١. إن كان الثلج يتساقط، فإن الطقس سيكون بارداً في الخارج. (إن كان p فسيكون q)

٢. إن الطقس ليس بارداً في الخارج. (ليس q)

٣. وبالتالي فإنه لا يوجد تساقط للثلوج. (بالتالي فليس p)

توكيد الناتج

سنقوم الآن بالنظر في قياس منطقي غير صالح للفروض المختلطة:

الجدل ج:

١. إن كان p فسيكون q

٢. لدينا q

٣. بالتالي p

إن هذا الجدل هو جدل مغلوط. فعلى الرغم من أنَّ حقيقة p تؤكد حقية وقوع q (وفقاً للفرض)، إلا أنَّ العكس ليس صحيح. فالناتج q يمكن أن يكون صحيحاً دون أن يكون المُسبّب (السابق) صحيحاً. ولنقم الآن باستبدال الرموز بفروض ونعاين سبب عدم صلاحية هذا الجدل:

١. إن كان الثلج يتساقط، فإن الطقس سيكون بارداً في الخارج. (إن كان p فسيكون q)

٢. إن الطقس باردٌ في الخارج. (لدينا q)

٣ وبالتالي فإنه يجب أن يكون الثلج يتساقط. (وبالتالي p)

لكن من الواضح أن الطقس البارد في الخارج لا يعني بالضرورة بأن الثلج يتساقط. قد يكون هذا صحيحاً في بعض الحالات الإستثنائية من خلال المصادفة، لكن هذا لا يمكن أن يكون الحالة العامة، وبالتالي فإن الجدل ليس صحيحاً: لأنه حتى في حال كانت الفروض صحيحةً فإن الناتج ليس بالضرورة صحيحاً. وتدعى هذه "مغالطة التأكيد من خلال الناتج (الخلط بين الواجب والكافي)" إذ أنّ الناتج q قد تمَّ تأكيد وقوعه في الفرض الثاني، لكن هذا لا يضمن أن الإستنتاج سوف يكون صحيحاً. ولنتأمل الآن في بعض الأمثلة التطورية:

١. إن كان التطور صحيحاً، سوف نتوقع أن تمتلك الكائنات الحيّة تشابهاً في سلسلة الحمض النووي.

٢. الكائنات الحية تمتلك تشابهاً في سلسلة الحمض النووي.

٣. بالتالي فإن التطور صحيح.

لكن يوجد العديد من الأسباب التي قد تتسبب بالتشابه بين سلاسل الحمض النووي للكائنات الحيّة. مثلاً، جميع الكائنات تمتلك خالقاً واحداً، أو أن التشابه هذا هو ناتج عن التشابه في الكيمياء الحيوية.

١. إن كان الإنفجار الكوني صحيحاً، فإننا سنتوقع وجود أمواج الإشعاعات الكهرومغناطيسية الكونية (CMB).

٢. نحن نجد أمواج الإشعاعات تلك (CMB).

٣. وبالتالي فإن التطور صحيح.

إن هذا ارتكاب لمغالطة التأكيد من خلال الناتج. فيوجد أسباب كثيرة تفسر وجود الإشعاعات الكهرومغناطيسية المذكورة (CMB) ولا علاقة لها بالإنفجار الكوني الكبير.

١. إن كان التطور صحيحاً فإننا سنتوقع وجود سلاسل منطقية للمستحاثات في الطبقات الصخرية.

٢. إننا بالفعل نجد أن سلاسل من المستحاثات تتواجد في الطبقات الصخرية.

٣. بالتالي فإن التطور صحيح.

لكن وبناءً على النموذج الذي قد ينتج عن الطوفان، فإن الخلقيّين سوف يتوقعون وجود مثل هذه السلاسل من المستحاثات في الطبقات الصخرية. وبالتالي فإنه يمكن الجدل بأنَّ الخلق لابد أن يكون صحيحاً للأسباب عينها. من المؤكد أن الفروض لا تثبت الإستنتاج.

نفي المُسبِّب أو السابقة

سنقوم الآن بالنظر في القياس الثاني غير الصالح للفروض المختلطة:

الجدل د:

١. إن كان لدينا p فسيكون لدينا q (فرض)

٢. ليس لدينا p (فرض)

٣. بالتالي فإنه ليس q (استنتاج)

إن الجدل يقول بأن p ليس صحيحاً، ومن ثم يستنتج أن q يجب أن يكون خاطئاً. إلا أن هذا ليس بالضرورة صحيحاً. فالفرض q قد يكون صحيحاً حتى في حال كان p خاطئاً، وبالتالي فإن الجدل هذا ليس صالح. هذا ما يعرف بمغالطة نفي المُسَبِّب وذلك أنَّ الفرض الثاني ينفي السابقة أو المُسبِّب، إلا أن هذا الإستنتاج غير مؤكد. والآن فلنقم باستخدام الفرضيات بدلاً من الرموز.

١. إن كانت الثلج يتساقط، فلابد أن يكون الطقس بارداً في الخارج. (ان كان لدينا p فيكون لدينا q)

٢. إن الثلج لا يتساقط. (ليس لدينا p)

٣. وبالتالي فإن الطقس ليس بارداً في الخارج. (وبالتالي فليس q)

لكن من الواضح أن عدم تساقط الثلوج لا يعني أن الطقس ليس بارداً في الخارج. إن هذا الجدال مغلوط لأننا وبالرغم من امتلاكنا فرضيات صحيحة إلا أن الإستنتاج كان خاطئاً. ولنأخذ الآن مثالاً تطورياً يستخدم نفي المُسَبِّب:

١. إن وجدنا مستحاثات للبشر والديناصورات متموضعة في نفس الطبقة الصخرية، فإن هذا سيشير إلى أن البشر والديناصورات قد وجدوا في وقت واحد.
٢. نحن لا نجد مستحاثات للبشر والديناصورات في نفس الطبقة الصخرية.
٣. وبالتالي فإن البشر والديناصورات لم يوجدوا في وقت واحد.

إن هذا الجدل يرتكب مغالطة نفي المُسَبِّب. فيوجد عدد من الأسباب التي تدفعنا إلى عدم توقع وجود مستحاثات للبشر والديناصورات في مكان واحد، (على سبيل المثال، إن كانوا بشكل قياسي قد عاشوا في أقاليم مختلفة).

١. إن وجدوا الفُلك الذي بناه نوح، فإن ذلك سيُظهِر أن سفر التكوين يقدم تاريخاً حقيقيّاً.
٢. لكنهم لم يجدوا الفُلك الذي بناه نوح.
٣. لذلك فإن سفر التكوين ليس حقيقيّ.

لمجرد أنه لم يتم تحديد مكان قطعة أثرية قديمة فإن ذلك لن يعني أنها لم توجد. وبالتالي فإن هذا الجدل مغلوط.

إن كان لدينا p سيكون لدينا q لدينا p وبالتالي سيكون لدينا q	نظرية التوكيد - Modus Ponens تأكيد السابقة أو الفرض	ت.ف / الجدل صالح
إن كان لدينا p سيكون لدينا q لدينا q وبالتالي سيكون لدينا p	مغالطة تأكيد من خلال الناتج (الخلط بين الواجب والكافي)	ت.ن / جدل مغلوط
إن كان لدينا p سيكون لدينا q ليس لدينا q وبالتالي لن يكون لدينا p	نظرية النفي أو النقض - Modus Tollens نفي النواتج	ن.ن / الجدل صالح
إن كان لدينا p سيكون لدينا q ليس لدينا p وبالتالي لن يكون لدينا q	مغالطة نفي الفرض أو المُسَبِّب (نفي السابقة)	ن.ف / جدل مغلوط

بالنسبة إلى الأشخاص المبتدئين في المنطق الرسمي، قد يكون من الصعب في البداية أن يتم استدعاء أي نوع من الجدالات هو صالح وأيها مغلوط. واليكم "حيلة" للمساعدة على ذلك: أولا، نقوم باختصار أسماء أنواع الجدالات الأربعة كما هو وارد في العمود الثالث من الجدول السابق: ت.ف تشير إلى تأكيد الفرض، ت.ن تأكيد الناتج، ن.ن نفي الناتج، ن.ف نفي الفرض.

فنجد أن الإختصار الذي يمتلك ن واحدة هو مغلوط.

السليم في مواجهة الصالح

ليست كل الأخطاء في التفكير المنطقي هي مغالطات منطقية. فلنتأمل بداية في الجدل التالي:

١. إن كانت الشمس حارّة، حينئذ سيقوم سكان المرّيخ بغزو الأرض.

٢. الشمس حارّة.

٣. بالتالي، فإن سكان المريخ سيقومون بغزو الأرض.

هل هذا الجدل صالح؟ الإجابة هي نعم. إنه جدل من نوع تأكيد الفرض (Modus Ponens)، الذي سبق ورأينا أنه جدل صالح. وبالتالي فإن هذا الجدل لا يحتوي على مغالطة منطقية. ويجب أن نتذكر أن الجدل "الصالح" يعني ببساطة أن الإستنتاج يتبع الفروض. لكن الجدل المُقدَّم أعلاه يمتلك فرض خاطئ. وبالتالي فإن الإستنتاج الذي وصلنا إليه لن يكون بالضرورة صحيحاً بالرغم من أنَّه قد تَبِعَ الفروض. وبالتالي فإن هذا الجدل هو غير سليم. إن الجدل السليم هو الجدل الذي يكون صالحاً وجميع فروضه صحيحة. ففي ردٍّ على الجدل المُقدَّم أعلاه يمكننا الردّ بالقول: "بالرغم من أن الجدل الذي قدَّمتَه هو صالح، إلا أنه ليس سليم. فالفرض الأول الذي أدليتَ به هو فرض عبثيّ. وبالتالي فإن الإستنتاج الذي وصلت إليه غير موثوق به." إنه لأمر شائع بين الناس أن يدَّعوا بشكل خاطئ بأن الجدل غير صالح، في حين أن الجدل يكون صالحاً لكنه غير سليم.

الجدل (القياس المنطقي) الخطابي (Ethymemes)

من النادر أن نجد الأشخاص يستخدمون في حياتهم اليومية الحجج أو الجدل المنطقي بالطريقة التي ذكرناها في الأمثلة أعلاه. في الغالب أنهم سيقومون بتقديم التصريحات بطريقة بسيطة بحيث أنهم يفترضون أن بعض الحقائق متضمنة ومتفق عليها. إن هذا الأمر جيّد، ولكنه في الوقت عينه من المقبول أن نقوم "بترجمة" هذا النوع من الجدالات الخطابية إلى النوع القياسي - وذلك يتضمن أنه يتوجب علينا أن نحافظ على معنى الجدل.

في معظم الأحيان نجد أن الأشخاص قد لا يقومون بالتصريح العلني بأحد الفروض (أو حتى أنهم قد لا يصرّحون بالإستنتاج) في الجدل الذي يقدمونه. فإنهم يقومون بافتراض أن الأجزاء المفقودة مُتَّفَقٌ عليها من الجميع. وهذا النوع من الجدالات الذي يكون البعض من أجزاءه مفقوداً يُدعى الجدل الخطابي. إن هذا النوع من الجدل مقبول، كما أنَّه من المقبول أن نقوم نحن بملء الفراغات (أي أن نقوم بتقديم الأجزاء الناقصة) وذلك بُغْيَةَ إظهار خطأ ذلك الجدل.

في إحدى المناظرات مع تطوريّ يُدعَى (جيم) الذي كان قد جادل بأن: "من الواضح أن الديناصورات لم تتواجد مع البشر في نفس الفترة الزمنية. فنحن لا نجد بقاياهم في نفس

الطبقات الصخرية.“ ولإظهار سبب خطأ هذا الجدل الخطابي، يتوجب علينا ترجمته إلى صيغة القياس المنطقي[6] ونقوم بإظهار الفروض الناقصة:

١. إن وجدنا مستحاثات للبشر والديناصورات متموضعة في نفس الطبقة الصخرية، فإن هذا سيشير إلى أن البشر والديناصورات قد وجدوا في وقت واحد.

٢. نحن لا نجد مستحاثات للبشر والديناصورات في نفس الطبقة الصخرية.

٣. وبالتالي فإن البشر والديناصورات لم يوجدوا في وقت واحد.

إن هذا الجدل يعتمد على مغالطة انكار الفرض. وبما أنه جدل غير صالح فالإستنتاج هو الآخر لن يكون ذو موثوقيّة.

في بعض الأحيان حين يتم تحويل الجدل الخطابي إلى جدل قياسي، يتبيّن أن الجدل صالح إلا أنَّه ليس سليماً. في معظم الأحيان نجد أن الفرضيات الخاطئة هي الفرضيات التي يتم اسقاطها من الجدل الخطابي. على سبيل المثال: ”لا يمكن أن يوجد أي دليل على وجود الله. إذ أنَّه يوجد الكثير من الملحدين في العالم.“ من خلال إظهار الفرض المفقود (١) سيكون لدينا الجدل القياسي التالي:

١. إن كان يوجد دليل على وجود الله، فلن يوجد أي شخص مُلحِد.

٢. يوجد ملحدين كثيرين في العالم.

٣. بالتالي فإنه لا يوجد أي دليل على وجود الله.

إن الجدل المُقدَّم هو جدل صالح يعتمد على نظرية النقض Modus Tollens (إنكار الناتج)،[7] لكنه غير سليم إذ أنَّ الفرض الأول الذي تم إغفاله من التصريح المُعلَن إنما هو فرضٌ خاطئ. فإن وجود دليل لشيء ما لن يعني بالضرورة أن الجميع سوف يقبلون به.

ضرورة الإتساق

لقد قمنا سابقاً بلمس ضرورة وجود اتساق في رؤيتنا للعالم. حيث أننا أشرنا إلى فحص الرؤية للعالم والتدقيق في اتساقها وذلك في الخطوة الثانية من اختبار قائمة المراجعة (ت.ت.ش). والآن بعد أن قمنا بالإطلاع على مقدمة في علم المنطق، أصبحنا قادرين على أن نسأل ”لماذا؟ لماذا يكون من المهم أن تكون رؤيتنا للعالم متّسقة داخلياً ولا تمتلك أي تناقضات؟“ بمعزل عن الحقيقة

[6] إنه من الممكن أيضاً أن يتم ترجمة الجدل إلى جدل يعتمد نظرية التوكيد وذلك من خلال استبدال العبارة المفقودة: ”إن لم توجد مستحاثات الديناصورات والبشر في نفس الطبقة الصخرية، فذلك سيشير إلى أنهم لم يوجدوا في نفس الحقبة الزمنية.“ ‘لا أن هذا الجدل ليس سليماً، إذ أنَّ الفرض الذي استكملناه هو فرض خاطئ. إن الجدل غير السليم لا يمكن أن تتم ترجمته إلى جدلٍ سليم.

[7] إن هذا إنكار النواتج إذ أنه يعتمد على انكار عدم وجود أي مُلحِد. إن نفي عدم وجود الشي يفضي إلى وجوده.

الواضحة بأن الشيئين المتناقضين لا يمكن أن يكونا صحيحين، يوجد عدد من العواقب الوخيمة لوجود حتى مجرد تناقض واحد.

يقال عن فرضان أنهما خاطئان إذا كان الواحد منهما ينفي الآخر. بالتالي (أ) و(ليس أ) هما فرضان متناقضان. في اللغة نقوم بتحويل الفرض إلى نقيضة من خلال إضافة النفي إليه. وبالتالي فإن الفرض "ان الدكتور (س) في عمله اليوم." يتناقض مع الفرض "إن الدكتور (س) ليس في عمله اليوم". فحين يكون لدينا فرضان متناقضان سيكون الواحد منهما صحيحاً في حين يكون الآخر خاطئاً.

مالذي سيحدث في حال افترضنا وجود فرضين متناقضين وصحيحين في الوقت عينه؟

سوف يتبين لنا أننا سوف نكون قادرين على الوصول إلى أي نتيجة نريدها! إنه ممكن بشكل حرفي أن نقوم بالوصول إلى أي استنتاج باستخدام المنطق السليم فيما لو أننا انطلقنا من فرضين متناقضين. (إن هذا هو السبب في أهمية عدم وجود تناقضات في الرؤية للعالم.) وإليكم مثال عن ذلك:

فلننطلق من الفرض (p) الذي يقول "إن الدكتور لايل هو مؤلف هذا الكتاب"، إن هذا الإفتراض صحيح. وهذا سيعني بأن نفي هذا الفرض (ليس p) "ان الدكتور لايل ليس مؤلف هذا الكتاب." سيكون بالضرورة خاطئ. الآن فلنفترض بأنك قد سمحت بوجود تناقض أي أن الفرضين (p) و (ليس p) صحيحان. أستطيع حينئذٍ أن أضيف أي فرض سخيف أريده؛ ولنقل أنه (q)؛ والذي يصرح بأنَّ "القمر مصنوع من الجبنة الخضراء."

الآن، إن كان (p) صحيحاً فإن الفرض (p أو q) هو صحيح. إذ أنّه في علم المنطق يمكنني أن أضيف أي شيء إلى التصريح الصحيح من خلال ربطه باستعمال (أو) والناتج سيكون صحيحاً.[8] وبالتالي فإن التصريح "الدكتور لايل هو مؤلف هذا الكتاب أو أنَّ القمر مصنوع من الجبن الأخضر." هو فرض صحيح. لكنه قد سمح لي أيضاً لأن أفترض أن (ليس p) هو الآخر صحيح. أي "إن الدكتور لايل ليس هو مؤلف هذا الكتاب". فالآن أنا قادر على أن اقدم القياس التالي:

١. الدكتور لايل هو مؤلف هذا الكتاب أو أن القمر مصنوع من الجبن الأخضر. (p أو q)

٢. الدكتور لايل ليس مؤلف هذا الكتاب (ليس p)

٣. بالتالي فإن القمر مصنوع من الجبن الأخضر. (بالتالي ليس q)

[8] في علم المنطق يدعى هذا "بقانون الإضافة". (١) لدينا p (٢) وبالتالي لدينا p أو q.

إن هذا القياس من النوع الذي سبق أن أشرنا إليه في مطلع هذا الفصل ويدعى المنطق الطباقي أو القطعي). إن هذا القياس هو قياس صالح وذلك لأننا إن قمنا باستخدام الصيغة الرياضية له واستبدلنا الرموز بأي فروض سيكون من الممكن أن أقوم باستنتاج أي شيء من خلال تناقض واحد فقط وبطريقة صحيحة.

لربما تكون قد تعجبت سابقاً من سبب توصّل بعض الأشخاص إلى استنتاجات عبثية، والآن لدينا إجابة محتملة عن هذا التساؤل؟ فقد يكون المنطق الذي يعتمدونه بالحقيقة صحيح، إلا أن رؤيتهم للعالم تحتوي على تناقضات. قد راينا أنه من خلال تناقض بسيط استطعنا أن نستنتج أي شيء، وبغض النظر عن مدى عبثيته. قد لا يكون التناقض واضحاً كما سبق وقدمنا في المثال أعلاه، لكن سواء كان التناقض مخفياً أو ظاهراً، النتيجة ستكون أنَّه من الممكن إثبات أي شيء من خلال تناقض واحد فقط. ولهذا السبب فإنه أمر حيويّ للغاية أن يتم رصد عدم الإتساق في الرؤية التطورية للعالم.

التلخيص والخلاصة

ان المغالطتين المنطقيتين الرسميتين (توكيد الناتج، ونفي الفرض) هما من أكثر أنواع المغالطات شيوعاً في الجدالات التي يقدّمها التطوريّون. وغالباً ما يتم تقديمها بشكل جدالات خطابية إلا أنه من الممكن وبشكل دائم أن يتم ترجمتها إلى جدالات قياسية وذلك بتقديم الفروض المفقودة بشكل صحيح. يجب على الخلقي التوراتي أن يكون مستعداً بشكل دائم ليقوم بكشف هذه المغالطات ، إضافة إلى المغالطات التي تم تقديمها في الفصل السابق.

يجب أن نلاحظ أيضاً أن الإستنتاجات الخاطئة لا تنجم فقط عن المغالطات المنطقية. فالجدل المقدم قد يكون صالحاً لكنه غير سليم نتيجة لخطأ في الفروض. في الحقيقة لقد رأينا أنه من الممكن اثبات أي شيء أياً تكن عبثيته إن سمحنا بوجود فروض متناقضة.

إن القابلية لكشف المغالطات والفروض الخاطئة هي أمر حيوي إلا أنه يتم تجاوزه في الدفاعيات المسيحيّة.

الفصل التاسع
سدّ الثغرات

الآن أصبح لدينا مقاربة قوية للدفاع عن الإيمان المسيحي. إلا أن العديد من الأشخاص حين يتواجهون مع هذا الأسلوب لأول مرّة يتولد لديهم عدد من المفاهيم الخاطئة. حقيقة الأمر، أن الأسلوب الذي كنت أُقدمه وأدافع عنه في هذا الكتاب قد تعرض للنقد من بعض المسيحيّين إلا أن نقدهم غالباً ما يتبيّن أنه مبني على سوء للفهم. وفي بعض الحالات الأُخرى، كان الناقد لم يفكر مليّاً في عواقب تطبيق فلسفاته بشكل فعليّ (كما بالنسبة للإدعاء بوجود رؤية محايدة للعالم). بما أننا نمتلك الآن بعض الخبرة في التعامل مع الرؤى للعالم، الافتراضات المسبقة، الجدالات، المغالطات، وغير ذلك الكثير... فنحن الآن نقف في موقف الإجابة على هذه الإعتراضات وسدّ بعض الثغرات التي قد توجد من الفصول السابقة.

- هل من الضروري حقاً أن يوجد معيار أعلى، أم أنَّه يمكن أن يتم تقييم الأدلة بناءً على استخدام طريقة محايدة وموضوعية؟
- إن قمنا باستخدام الكتاب المُقدَّس في دفاعنا عن الكتاب المُقدَّس، هل يعتبر ذلك نوعاً من المنطق الدائري؟
- كيف دافع الأشخاص في الماضي عن الكتاب المُقدَّس قبل أن يُكتَب الكتاب المُقدَّس؟
- هل يوجد مكان للإيمان في الدفاعيات، أو أن الموضوع يختص بالمنطق؟
- هل يوجد انتظام في الطبيعة، هل سيشير ذلك إلى أنَّ الحاضر هو مفتاح لفهم الماضي (أي مذهب الطبيعة الواحدة)؟
- إن كانت المعجزات واردة الحدوث، كيف للبحث العلمي أن يكون أمراً ممكناً؟

إنه من السهل أن يتم الإجابة على هذه الأسئلة الآن وذلك بعد أن قمنا ببناء الأساسات.

الحاجة إلى المعيار الأعلى

يوجد قصة عن سيدة عجوز قامت بتحدّي عالم حول طبيعة الأرض.[1] إن العالم كان قد انتهى لتوّه من اعطاء محاضرة عن علم الفلك، متحدثاً عن كرويّة الأرض وكيفية اتباعها لمدار حول الشمس وما شابه ذلك. وبعد انتهاء المحاضرة، اقتربت السيدة إليه قائلةً: "إن ما قد قدَّمته لنا ليس إلا هراء. إن الأرض ليست إلا صفيحة مسطحة مثبّتة على ظهر سلحفاة عملاقة."

ابتسم العالم وقال، "وعلى ماذا تقف تلك السلحفاة؟" من الواضح أنها يجب أن تقف أو تتموضع على شيء ما - ربما سلحفاة أُخرى؟

[1] لقد قرأت هذه القصة أولاً في كتاب هوكينز "قصة قصيرة عن الوقت". ويوجد عدد من النسخ من هذه القصة، إلا أنها تحمل نفس المعنى.

وتلك يجب أن تقف على شيء آخر. لقد حاصرها هنا!

لكن تلك السيدة لم تقتنع. وأجابت، "أنت على ما يبدو شابٌ متّقد الذكاء. إلا أنَّ ذكاءك ليس مستخدماً بشكل جيّد. إنها سلسلة من السلاحف لا تنتهي!"

إن الإيمان يشبه السلاحف في فكر تلك السيدة العجوز. فإن معتقداتنا مبنية على معتقدات أُخرى، التي بدورها تعتمد على معتقدات أُخرى. فهل يوجد إذاً معيار أعلى يشكل الأساس لجميع تلك المعتقدات؟ أو أن الموضوع مجرد سلاحف متراتبة بعضها فوق بعض؟ لقد اقترح البعض أن المعيار الأعلى هو حصريّ "بالعقول الدينيّة"؟ فالعديد من الأشخاص قد يعتقدون بأنهم لا يمتلكون معياراً أو سلطةً عليا، أو التزاماً إيمانياً من نوع ما. عوضاً عن ذلك يؤمنون بأن فهمهم للعالم هو أمر نسبي، حيادي، ولا يعتمد على أي معيار أعلى. بالطبع إن هذه الفكرة بحد ذاتها هي معتقد حول كيفية تفسير جميع المعاينات عن العالم. وبالتالي فإن الإعتقاد بأنه لا يوجد معيار أعلى هو معيار أعلى بحد ذاته. وفي الفصل الثاني من الكتاب قد قمنا بتقديم مجموعة من الأسباب لتفسير سبب عدم صلاحية الموقف "الحيادي" وعدم امكانية اتخاذه. أما الآن وبعد أن امتلكنا معلومات أكثر عن الافتراضات المسبقة والجدالات، نستطيع أن نقوم بعرض هذا الموضوع بطريقة أشدّ صرامةً.

حين نسأل الشخص أي معتقد يعتمده (p)، "كيف تعرف أن هذا المعتقد صحيح؟" سيقوم الشخص بتقديم جدل دفاعي إما من النوع الإستقرائي أو من النوع الإستنتاجي. وفي جدله ذاك سيقوم الشخص بالتماس افتراض مسبق آخر (q) الذي يدعم الإفتراض الذي قدَّمه أي (p). لكن وبما أنَّه قد التمس افتراضاً مسبقاً آخر (q)، يجب أن نسأل "حسناً، لكن كيف تعرف أنَّ q هو صحيح؟" وفي دفاعه عن q، سيقوم الشخص بالتماس افتراض آخر وليكن (r)، ويمكننا في تلك الحالة أن نعيد استخدام السؤال السابق، وهذا سيقودنا إلى افتراض آخر وليكن (s)، وهلم جرا. وبشكل حتميّ إن هذه السلسلة من الافتراضات ستقود إلى نهاية. وهي ستنتهي بشكل أكيد بالمعيار الأعلى وليكن (t).

لماذا يجب أن تنتهي تلك السلسلة. إنها إن لم تنتهي فهذا يعني أنها يمكن أن تستمر إلى اللانهاية، وبالتالي فإن الجدل لا يمكن أن يُكمَل. والجدل غير الكامل لا يثبت أيَّ شيء على الإطلاق. ونحن في جميع الأحوال نعجز عن معرفة عدد غير محدود من الأمور. لذلك فإنه لابد أن يمتلك كل شخص معياراً أعلى: وهو الإفتراض المسبق (الذي تبنى عليه جميع المعتقدات الأُخرى) والذي لا يمكن أن يتم اثباته من خلال افتراض أساسي آخر. إن هذه هي الحالة لجميع الناس، سواء كانوا يدركون ذلك أم لا.

لكن لا بد أن نسأل السؤال "القاتل": "كيف تعرف أن معيارك الأعلى (t) هو معيارٌ صحيح؟"
في الحقيقة يوجد ثلاثة إجابات سيئة لهذا السؤال، وإجابة جيدة. إحدى الإجابات السيئة هي " أنا أعرف أن t صحيح لأنه يتبع بشكل منطقي من u." ولكن إن كان الوضع كذلك، لن يكون t هو المعيار الأعلى - أي أنَّه ليس الإفتراض التأسيسي في حال كان يتبع من افتراض آخر. وأي شخص يقوم بالرد بهذه الطريقة لم يفهم ماهو المعيار الأعلى.

إن كان الشخص يفهم ذلك فهو عاجز عن أن يلتمس معياراً أعلى، لكنه قد يقوم بالتماس معيار أدنى، فقد يقول إن t صحيح لأنه يتبع من s (حيث أن s قد اعتمد في إثبات صحته على t). لكن هذا جدل سيء لعدد من الأسباب. فهو يعتمد مغالطة التماس السؤال. وذلك على اعتبار أنَّ s صحيح في حال كان t صحيح، وسيكون الشخص يدافع بأن t هو صحيح لأن t صحيح. وحين نقوم بإعادة صياغة الجدل سنجد أنَّه يرتكب مغالطة التأكيد من الناتج (١.إن كان لدينا p سيكون لدينا q. ٢.لدينا q. ٣.وبالتالي سيكون لدينا p). فالشخص لا يستطيع أن يقوم باثبات المعيار الأعلى باستخدام هذه الطريقة. ونقوم بالسؤال مرّة أُخرى، "كيف تعرف أن معيارك الأعلى t هو صحيح؟"



كل شخص يمتلك معياراً أعلى، سواء كان يدرك ذلك أم لا، فإن لم يكن معياره الأعلى هو الكتاب المُقدَّس سيكون شيئاً آخر.

البعض من الأشخاص قد يجيبون "أعتقد أنني لا أستطيع أن أثبت حقاً معياري الأعلى. فأنا أقوم بقبوله على أنَّه افتراض مسبق." من المؤكد أن الافتراضات المسبقة بحسب طبيعتها هي افتراضات يجب أن يتم القبول بها قبل أن يكون من الممكن اثباتها. لكن إن لم يكن من الممكن اثباتها بشكل مطلق، حينها تكون تلك الافتراضات تعسّفية وبالتالي غير عقلانية. في الحقيقة، إن لم يكن المعيار الأعلى للشخص قابلاً للإثبات، فإن هذا الشخص لا يعرف بالحقيقة أي شيء! واليك الأسباب.

إننا نجادل بأننا نعرف p بسبب أنه يتبع من q، والذي يتبع من r، وهلم جرا، وبهذه الطريقة وصولاً إلى المعيار الأعلى(t). وبالتالي فإن حقيقة الافتراضات (p، q، r،وs)تعتمد على حقيقة t. وبالتالي فإننا إن كنّا لا نعرف أن t هو حقيقيّ، فإننا لا نعرف حقاً إن كان كلٌّ من p، q، r، وs حقيقيّين. ويجب أن نتذكر أن معرفة الشيء تتطلب وجود أسباب جيدة له. لكن إن لم يكن هناك

سبب جيد للإعتقاد بـ t، حينها لا يوجد سبب جيد للإعتقاد بكل من p، q، r، أو s ذلك لأن حقيقة كل منهم تعتمد على t. بما أن كل المعتقدات تعتمد من خلال سلسلة من المنطق على المعيار الأعلى للشخص، هذا يعني أنّه إن لم يُعرَف بأن المعيار الأعلى صحيح (أي قابل للإثبات)، حينها لا يمكن للشخص أن يعرف أي شيء كان. بالطبع إن بعض معتقدات الشخص قد تكون صحيحة، لكنه عاجز عن معرفة صحّتها.

وبالتالي فإننا قد أنجزنا التالي: (١) كل شخص لابد أن يمتلك معياراً أعلى (أي أنه لا يوجد حياديّة). (٢) المعيار الأعلى لا يمكن أن يتم إثباته من خلال معيار أعلى آخر (إذ أنه لا يوجد أعلى من المعيار الأعلى، ولا يمكن اثبات المعيار الأعلى من خلال معيار أدنى). (٣) لا يمكن أن يتم افتراض المعيار الأعلى بتجرّد (وإلا فإننا لن نكون قادرين على معرفة أي شيء على الإطلاق). وهذا سيتركنا مع إجابة واحدة محتملة لسؤالنا عن كيفية إثبات المعيار الأعلى. يجب أن يثبت نفسه أي يشهد عن صحّته. أي أنَّه يجب أن يؤمّن المعايير لما يمكن أن يتم اعتباره حقيقة، والتي يمكن من خلالها الحُكم على جميع الإدعاءات - بما في ذلك المعيار نفسه.

إن الإعتراض الذي يظهر بشكل مباشر هو: إن كان المعيار الأعلى يستخدم لإثبات نفسه، أليس ذلك جدلاً دائرياً؟ لقد قمنا للتو بإظهار أنَّه أمرٌ مغلوط أن يتم ببساطة افتراض ما نحاول إثباته - إنها مغالطة التماس السؤال. إنه من غير الممكن أن نقول بأن "t صحيح لأن t صحيح." ولكننا مجبرين على استنتاج قد يبدو غريباً إلا أنَّه من غير الممكن تفاديه وهو أنَّه يجب علينا استخدام معيارنا الأعلى لإثبات معيارنا الأعلى.

المنطق الدائري

يجب تذكّر أمران يتعلقان بالمنطق الدائري حين نتعامل مع الإلتزامات المطلقة (أي الإيمان). ١. إنه من غير الممكن أن يتم تجاوزه. ٢. إنه ليس بالضروري ارتكاب لمغالطة.

أولاً، يوجد بعض الدرجات من المنطق الدائري لا يمكن أن يتم تجاوزها حين نحاول إثبات المعيار الأعلى. وهذا ينبع مما قد سبق وأشرنا إليه: أنَّ المعيار الأعلى لا يمكن أن يتم إثباته من خلال استخدام أي شيء آخر، سوى المعيار الأعلى نفسه، وإلا فإنه لن يكون معياراً أعلى. وبالتالي فإنه لكي يتم اثباته يجب أن يكون صحيحاً كمعيار.

لاحظ أن الربَّ بذاته يقوم باستعمال نوع من المنطق الدائري حين يقوم بقسم. فالبشر يلتمسون سلطاناً أعظم حين يريدون أن يقدموا حلفاً أو قسماً (عبرانيين ٦: ١٦). لكن بما أن الله هو الغير المحدود، فهو يقدر أن يستعمل نفسه كسلطان. العبرانيين ٦: ١٣ تقول: "فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ،

إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ". من الواضح أنَّه يوجد درجة من المنطق الدائري لايمكن تجاوزها حين يكون الأمر متعلّقاً بإثبات المعيار الأعلى.

ثانياً، ليست كل أنواع المنطق الدائري مغالطات، فكما قلنا سابقاً، إن التماس السؤال ليس جدلاً غير صالح، إنما يتم رفضه لأنه تعسّفي. لكن ماذا لو كان غير تعسّفياً؟ ماذا لو كان الجدل يخرج من نطاق الدائرة الضيقة ويستعمل معلومات إضافية ليدعم الإستنتاج؟ ماذا لو أننا وجدنا أسباباً جيدة للإفتراض الذي قمنا به؟ هذا سيكون أمراً مشروعاً حينها.

في الحقيقة، إن أي افتراض مسبق يجب أن يستخدم نفسه كجزء من إثباته. فيمكن القول أنه يوجد درجة من المنطق الدائري تُستَخدم، لكنها ليس مجرّد دائرة مفرغة بسيطة. إن هذه الدائرة يجب أن تتجاوز حدودها، فلنتأمل في اثبات وجود قوانين المنطق:

١. إن لم يكن يوجد قوانين للمنطق، لن يكون من الممكن أن نقدّم أي جدل.

٢. نحن قادرون على تقديم جدل.

٣. بالتالي فإنه يوجد قوانين للمنطق.

إن هذا الجدل صالح تماماً. وهو من نوع القياس المنطقي باستخدام نقض الناتج (modus tollens).[2] والفروض المُقدَّمة هي صحيحة. وبالتالي فإنه جدل جيّد. إلا أنَّه ينطوي على جدل دائري. لقد افترضنا في هذا الجدل بأنه يوجد قوانين للمنطق؛ إذ أن القياس المنطقي (أي نقض الناتج) هو قانون من قوانين المنطق التي استعملناها في اثبات وجود قوانين المنطق. في هذه الحالة لم يوجد لدينا أيّ خيار آخر؛ ففي سبيل الوصول إلى نتيجة كان لا بد لنا من افتراض وجود قوانين المنطق بشكل مسبق. إلا أن هذا الجدل لا يقوم بمجرد افتراض لما يحاول أن يثبته؛ إنما يقوم باستخدام معلومات إضافية للوصول إلى استنتاجاته. لكن الأمر الذي يجعل هذا الجدال جيداً هو أنَّ أي ردٍّ محتملٍ عليه لا بد من أن يقوم باستعمال قوانين المنطق؛ وبالتالي فإن أي محاولة للرد سوف تكون ذاتية النقض. يوجد طريقة رائعة لإظهار أن الافتراضات المسبقة يجب أن تكون صحيحة وهي من خلال إظهار أن أي شخص يجب أن يفترض صحّتها في سبيل أن يكون قادراً على تقديم جدلٍ ضدَّها! إن الجدال الذي يقوم بإثبات الشروط المسبقة للفهم بهذه الطريقة يدعى جدل تجاوزي.[3]

---

[2] انظر الفصل الثامن.

[3] إن الجدل التجاوزي هو نوع من الجدالات التي قام الدكتور باهنسن باستخدامها في مناظراته حين دافع عن وجود الإله المُقدَّم في الكتاب المُقدَّس. وقد قدَّم الدكتور باهنسن مجموعة من المحاضرات مع ميخائيل باتلر تتناول موضوع الجدل التجاوزي. إن التسجيلات متوفرة عبر شبكة Covenant Media Foundatio (www.cmfnow.com).

إن المعيار المسيحي الأعلى هو يشابه ما سبق؛ فأي محاولة لدحض الكتاب المُقدَّس لا بد أن تفترض بدايةً أن الكتاب المُقدَّس هو صحيح حتى تكون قادرة على الإنطلاق. إن الكتاب المقدَّس لا يقدم المعايير فقط، إنما يفعل ذلك بالنسبة لجميع الحقائق. فهو يقدم لنا الأساس (الإله الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس) للتفكير المنطقي والعقلاني (بما في ذلك قوانين المنطق)، البحث العلمي، الأخلاق، اعتمادية الحواسّ والذاكرة، إلى ما هنالك. كما أنه يعطينا الأساس لتفسير سبب وجوب ابتعادنا عن عدم الإتساق أو التعسف (لأن الله ليس متعسّفاً أو متناقضاً، ونحن يجب أن نتمثل به أفسس ٥: ١). إن الكتاب المُقدَّس ينجح بامتحان المعايير التي يضعها للحقيقة (إنَّه متّسق، غير تعسّفي، ...) ويقوم بتأمين المعايير اللازمة لكل شيء آخر. إن الدائرة المسيحية ليست دائرة مفرغة، إنما هي قادرة على تقديم تفسير لجميع الإختبارات البشرية والمنطق. وكما هو الحال في الجدل المقدم لقوانين المنطق، فإن أيّ محاولة للردّ والدحض ستكون ذاتيَّة النقض، لأنها يجب أن تستعمل أشياء مثل (قوانين المنطق، أهمية الإتساق، وما شابه) وكل تلك الأمور تقوم وبشكل مسبق بافتراض الرؤية المسيحية للعالم.

سفر الأمثال ١: ٧ تقول "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ." فإنه إما أن نبدأ مع الربّ وإفتراضاته المسبقة (كما أعلنها لنا في الكلمة المقدّسة)، أو أن نرفض ما يقدّمه وينتهي بنا المطاف بأن ننحدر إلى درجة من الجهل.

نحن لا نقوم بتقديم جدال دائري بسيط من نوع "إن الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله لأنه يقول ذلك." إنما جدلنا هو "إن الكتاب المُقدَّس يجب أن يكون كلمة الله لأنه يقول أنَّه كذلك ولأننا إن رفضنا هذا الإدعاء فإننا ننحدر إلى درجة من الجهل." إن هذا يتجاوز حدود الدائرة المفرغة البسيطة للمنطق الدائري. فكما هو الحال بالنسبة لقوانين المنطق، لابد أن يكون الكتاب المقدَّس صحيحاً، لأنه إن لم يكن كذلك فإننا لن نكون قادرين على إثبات أي شيء.

الدوائر غير المسيحية

إن المعيار الأعلى يجب أن يكون أكثر من مجرد أنَّه يثبت نفسه. حيث أنَّه يجب أن يؤمن الأساس لإثبات كل شيء قابل للمعرفة. وهذا هو التحدي. فالمعيار المسيحي الأعلى هو قادر على أن يقوم بذلك. لكن غير المسيحيّين يواجهون تحدياً صعباً. إن فحص اعتراضات غير المسيحين يُظهر أنَّها ذاتية النقض، عوضاً عن كونها ذاتية الإثبات، وهي غير قابلة على تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم.



إن المنطق الدائري المستخدم من قبل غير المسيحيّين هو ذاتيّ النقض. إذ أنه لا ينجح في الإختبار الذي يقوم بوضعه.

تأمل في المذهب التجريبي - أي الإيمان بأن كلّ المعرفة تُحَصَّل بالتجربة والمعاينة. هل المذهب التجريبي ذاتيّ الإثبات؟ هل هو قادر على إثبات ذاته وفق المعايير التي يضعها؟ كلا، فإن كانت كل المعرفة تُحصَّل من خلال المعاينة فلن يكون من الممكن أن نعرف أنَّ المذهب التجريبي نفسه صحيح. فإن ثَبَتَ أن الفلسفة التجريبية صحيحة فستكون حينذاك خاطئة. وبالتالي فإنها ذاتية النقض.[4] تأمل في المذهب الطبيعي - الإدعاء القائل بأنَّه لا يوجد شيء سوى الطبيعة والمادة التي تتحرك وتتغير. هل هذا المذهب الطبيعي ينجح في الإختباره الذي يضعه للحقيقة؟ بالمطلق لا. فنحن عاجزون تماماً عن إثبات صحّة المذهب الماديّ باستعمال المعيار الذي يضعه، إذ أننا بحاجة لاستخدام قوانين المنطق (في سبيل اثبات أي شيء)، وهي أشياء غير ماديّة وبالتالي فإنه لا وجود لها في الكون الماديّ.

وبالتالي فإن السؤال ليس، "أي من الرؤى للعالم تقوم باستخدام درجات من المنطق الدائري؟ " فجميع الرؤى تفعل ذلك. إنما السؤال هو، "أي من الرؤى هي القادرة على أن تفعل ذلك بطريقة ناجحة؟" إن الرؤية المسيحية هي الرؤية الوحيدة والقادرة على إعطاء صلاحية لنفسها - وذلك لأنها تنجح وفق المعايير التي تضعها في الوقت عينه الذي تؤمّن فيه المعايير لجميع الأمور الأُخرى. ويجب أن نتذكر أن المنطق الدائري هو منطق صالح ولكنه يعتبر عادةً مغلوطا بسبب تعسّفه. لكن في حالة الخلق التوراتي فإنه لا يوجد أي تعسّف. إن المبرر لوجود دائرة منطقنا هو أنها الوحيدة التي تجعل من المعرفة أمراً ممكنا.

تجدر الملاحظة أن المعايير التي تُحاكِم جميع الرؤى للعالم هي في الحقيقة المعايير التوراتية. لقد كنا نكرر ونعيد بأنَّ الرؤية للعالم يجب أن تكون متّسقة. لكن لماذا؟ إن السبب هو أن الله نفسه هو ذاتي الإتساق، وبالتالي فهكذا ستكون كلّ الحقيقة. إن غير المؤمن الحذق كان لابد أن يجيب: " لا، لا. أنا لن أكون متّسقاً فالإتساق هو مبدأ توراتي." كما أننا قد أكدنا على أن الرؤية للعالم يجب أن تكون غير تعسفية لأن الله يمتلك تفسيرات منطقية لما يفعله. إن غير المؤمن الحذق كان يجب أن يجيب على عدم التعسف مستخدماً "لا، أبداً. أنا لن أقدّم مبرّرات لما أعتقد به. إن هذا هو مبدأ توراتيّ." ولكن لا يوجد أي شخص يجادل بهذه الطريقة.

فجميع الأشخاص غير المؤمنين هم مخلوقون على صورة الله. ولذلك، فإنهم جميعاً يعرفون في أعماق قلوبهم الله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس. فالله قد زرع فيهم المعرفة بأنهم يجب أن يكونوا متّسقين، غير تعسّفيّين، وعقلانيّين، وأشخاص أخلاقيّين. وأياً كانت درجة أو عدد

[4] يحاول الكثير من أتباع هذا المذهب بالإلتفاف على هذه المشكلة من خلال طلب رئيسي بالسماح باستثناءٍ واحد لقاعدتهم الفلسفية في سبيل أن يكونوا قادرين على البدء. لكن إن كانت قاعدة المذهب التجريبي هي مُستثناة من نفسها، و هم يؤمنون بأنها ستكون صالحة للحكم على حقيقة جميع الأمور الأُخرى. إلا أنَّ هذا عدم اتّساق وارتكاب لمغالطة تدعى "النزيف الذاتي". إضافة إلى أن ذلك تعسّفي، فلماذا سنسمح باستثناء ادّعاء من معيار معين ولا نسمح بذلك في معيار آخر.

محاولاتهم، فإنهم لن ينجحوا في الهروب من هذه المبادئ. فغير المؤمن لابد أن يعيش في هذا العالم الذي خلقه الله، وبالتالي فعليه أن يقبل الفروض المسبقة التي وضعها الله حتى يكون قادراً على الإنجاز. فغير المؤمن قادر على إنكار أنَّه مخلوق على صورة الله، إلا أنَّه غير قادر على الهروب من تلك الحقيقة.

الدفاع عن الكتاب المُقدَّس - قبل كتابة الكتاب المُقدَّس؟

ماذا عن أولئك الأشخاص الذين عاشوا قبل كتابة الكتاب المُقدَّس؟ هل كانوا قادرين على امتلاك رؤية عقلانية للعالم؟ كيف للمؤمنين أن يدافعوا عن الرؤية التوراتية للعالم قبل أن يُكتَب الكتاب المُقدَّس؟

أولاً، يجب أن نتذكر بأن الدليل الحاسم للخلق ليس أن الأشخاص يجب أن يعترفوا بالكتاب المُقدَّس - أو حتى يقرأوه حتى يكونوا عقلانيين. إنما الجدل هو بأن الكتاب المُقدَّس يجب أن يكون صحيحاً حتى تكون العقلانية أمراً ممكناً. فالرؤية التوراتية للعالم وحدها هي القادرة على تبرير العقلانية، الأخلاق، والعلم. والرؤية التوراتية لطالما كانت حقيقيّة، حتى قبل أن يتم نقش الكتاب المُقدَّس الذي قام بتوصيف وتفصيل تلك الرؤية.

ثانياً، بالرغم من أنَّ الأشخاص لم يمتلكوا وبشكل دائمٍ الكتاب المُقدَّس مكتملاً كما نمتلكه اليوم، لكنهم لطالما امتلكوا إعلانات خاصّة من الله. فالله قد خاطب آدم بشكل مباشر (كما في التكوين ٢: ١٦-١٧)، ولا شك في أنَّ آدم قد مرّر ما تعلّمه عن الله إلى أبناءه وأحفاده (تكوين ٤: ٢٦). في الحقيقة إن آدم قد عاش لسنين طويلة وإنه لمن الممكن أن يكون قد مرر تلك المعلومات التي تلقاها مباشرةً من الله إلى ذرّيته ولعدد من الأجيال. كما أنه من المرجح أن الكثير من تلك المعرفة قد تمَّ تسجيلها (تكوين ٥: ١). وبالتالي فإن الناس قد امتلكوا معرفة عن الإله التوراتي وعن الخلق التوراتي منذ البداية. وقد تابع الله خلال الزمن إعلاناته عن ذاته من خلال الأنبياء (بطرس الثانية ١: ٢١).

لطالما كان لدى الناس مقدرة على الوصول إلى الإعلانات الإلهية الخاصة، حتى قبل اكتمال الكتاب المُقدَّس. لهذا السبب فإن الناس لطالما امتلكوا أساسات للعقلانية والأخلاق والعلم. وفي أي نقطة من التاريخ، إن الناس سيكونون قادرين على استخدام الدليل الحاسم للخلق، لكنهم ربما كانوا سيقومون باختيار محاكاة تتناسب مع زمانهم وحضارتهم. ومن الطبيعي أنه بعد أن اكتمل الكتاب المُقدَّس فإن الدفاع عن الإيمان أصبح أسهل. لأننا نمتلك الإعلانات الإلهية الكاملة من الله إلى أجدادنا الأوائل. ولذلك، فإن الدينونة علينا هي أكبر حين لا نخضع لأوامر الله بأن نقوم بإعطاء تبرير لسبب الرجاء الذي فينا.

مكان الإيمان

ما هو مكان الإيمان في الدفاعيات؟ بما أننا نمتلك دليلاً على الرؤية المسيحية للعالم، فهل نحتاج حقاً للإيمان؟ ما هي العلاقة بين الإيمان والمنطق؟ في هذا الفصل سوف نستكشف هذه الأسئلة ونجد أن الإيمان هو أمرٌ رئيسيّ في دفاعياتنا. فهو الأمر الذي يكون مطلوباً بشكل مسبق حتى نكون قادرين على القيام بالتفكير المنطقي.

غالباً ما يكون لدى ناقدي المسيحية اعتقاد خاطئ حول ماهيّة الإيمان. إذ أنهم يعتقدون أن المسيحيين يحيَون في عالَمَين مُنفَصِلَين: في عالم الإيمان وفي عالم المنطق. فيعتقد الكثير من الناقدين أن المسيحيّين يعيشيون في عالم الإيمان حين يتخذون قراراتهم الأخلاقية، أو حين يتكلمون عن الدين، لكنهم يعيشون في عالم المنطق حين يتعلق الموضوع بأمور عمليّة. فإنهم يعتقدون بأن الإيمان هو أمر مخالف للمنطق. ونستطيع أن نفهم بأنهم يعتبرون هذا الإنقسام على أنه نوع من اللاعقلانية. ويعتقدون بأن المسيحيّين فخورون بهذه اللاعقلانية المزعومة: أي أننا نؤمن بأمور عبثية في سبيل العبثية ذاتها، أي كما لو أن "التدين" كان وسام شرف.

لكن هذا الفهم الخاطئ للإيمان هو فهم غير توراتيّ. فوفقاً لرسالة العبرانيين ١١: ١، إن الإيمان يتضمن الثقة بما هو غير منظور. وبالتالي فإن أي شخص يعتقد بشيء غير قادرٍ على التعرف عليه بحواسّه، يكون موقفه هذا عملٌ من أعمال الإيمان. ولكن الجميع يمتلكون اعتقاداتٍ بأمور تكون غير محسوسة بحواسهم. فقوانين المنطق هي خير مثال على ذلك، فهي غير محسوسة، وبالتالي فإنه يوجد تدخل للإيمان حين يتعلق الأمر بقوانين المنطق. وعليه فإن جميع أنواع التفكير المنطقي يتضمن نوعاً من الإيمان وبشكل مسبق. إلا أنه لا يوجد تساوي في جميع أنواع الإيمان. فوحده الإيمان بأن الكتاب المُقدَّس هو معيارنا الأعلى قادر على أن يفضي إلى رؤية متّسقة ومتماسكة للعالم وقادرة على أن تعطي معنى للإختبارات البشرية والمنطق.

إن الإيمان ليس في حالة من العَدَاءْ مع المنطق. بل على النقيض من ذلك، الإيمان المسيحي هو أمر مطلوب للمنطق. فإنه يتوجب على الشخص أن يؤمن حتى يكون قادراً على أن يفهم. فالإيمان يجب أن يأتي أولا، فنحن بحاجة لمجموعة من الافتراضات المسبقة حتى نكون قادرين على التفكير بشكلٍ منطقي. على سبيل المثال، يجب علينا أولاً أن نؤمن بوجود قوانين للمنطق قبل أن نكون قادرين على الجدل في سبيل إثبات وجودها بشكل منطقي. يجب علينا أن نؤمن أن حواسّنا موثوقة قبل أن نبدأ بقراءة الكتاب المُقدَّس. لكننا حين نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس، سنجد أنه قد تم تقديم تبرير لإيماننا. اذ أن الافتراضات المسبقة التي من الكتاب المُقدَّس مثل المنطق،

انتظام الطبيعة، اعتمادية الحواس والذاكرة، كلها أمور تحمل معنى في ضوء الرؤية المسيحية للعالم. فالكتاب المُقدَّس يقدم تبريراً لهذه الأشياء.

وبالتالي فإننا نجد أننا نمتلك سبباً جيداً لإيماننا. وأحد الأسباب الرائعة هو أننا دون الإيمان المسيحي لا نستطيع أن نبدأ بالتفكير المنطقي. فإن كنا نفهم هذا المبدأ بشكل جيّد وقادرون على شرحة بكل وداعة وتأنّي للآخرين، حينذاك نكون في طور إتمام ما جاء في رسالة بطرس الأولى ٣: ١٥. من خلال الإيمان بأن المسيح هو ربّ ومُخلّص في أذهاننا، نحن نكون قادرين على الإجابة في حال سألنا شخص ما عن سبب الرجاء الذي فينا.

انتظام الطبيعة ومذهب الطبيعة الواحدة

وحدها الرؤية الخلقية التوراتية للعالم تؤمن درجة معينة من الإنتظام في الطبيعة. أما الرؤى الأُخرى للعالم فإنها قد تسمح بالإنتظام طبعاً، لكنها غير قادرة على تأمين سبب مقنع لذلك. إذ أن الخلقيين التوراتيّين يؤمنون بأن الله الغير محدود بالزمن، قد أعلن عن ذاته للبشر، هو الذي وعد بدرجة معينة من الإنتظام والإتساق في المستقبل (تكوين ٨: ٢٢). وبهذه الطريقة لا يوجد أي شخص آخر عدا المؤمن بالخلق التوراتي يعرف بأن المستقبل سيكون مشابهاً للماضي.[5] وعليه فإن الخلقي التوراتي يمتلك قاعدة منطقية للبحث العلمي.

لكن لا يزال يوجد سؤال. إلى أي درجةٍ ستكون الطبيعة منتظمةً؟ هل تتضمن قدرة الله التي تدير كل شيء، وجود معدّلات وشروط متّسقة؟ هل يستطيع الله أن يقوم بتغيير الطريقة التي يدير بها الكون؟ إن قام الله بالفعل بتغيير الطريقة التي يدير بها الكون، هل سيدمر ذلك القدرة على إجراء البحث العلمي والتطور التكنولوجي؟ في سبيل الإجابة على هذه الأسئلة، يجب علينا أن ننظر إلى معيارنا الأعلى: الكتاب المُقدَّس.

رسالة العبرانيين ١: ٣ تقول لنا بأن المسيح هو حامل " كل الأشياء بكلمة قدرته." ولذلك فإنه من خلال السلطان المباشر لله فإن الكون يستمر بالوجود والعمل. كولوسي ١: ١٧ تقول لنا بأن المسيح "فيه يقوم الجميع". وهذا يتضمن الكواكب، النجوم، وحتى أن الذرات تجتمع بعضها مع بعض بقوة الله وسلطانه.

قد يعترض العلمانيون على هذا. فقد يقولون، "ألا تعرف بأن الكواكب والنجوم تُدار بقوانين الجاذبية، وبأن الذرات تجتمع مع بعضها من خلال الطاقة الإلكترومغناطيسية؟" هذا صحيح بالطبع، لكن هذا هو أيضاً ارتكاب لمغالطة التشعب (التقليص الخاطئ). فكل من طاقة الجاذبية والطاقة الإلكترومغناطيسية هي وصف للطريقة التي يدير بها الله الأشياء التي في الكون.

---

[5] يستطيع الخلقي أن يقوم بهذا الأمر بشكل متسق. فمعرفته هذه تعتمد على رؤيته للعالم. أما التطوري فهو قادر عل معرفة هذا فقط في حال قام بشكل غير متسق بالإلتجاء والإستعارة من الرؤية الخلقية التوراتية للعالم.

وقوانين الفيزياء ليست بديلاً لقدرة الله؛ إنما هي أمثلة عن سلطانه. إن حقيقة إمكانية كتابة الكثير من تلك القوانين باستخدام معادلات رياضيّة بسيطة يقدم لنا لمحات عن فكر الله وأعماله.

حقيقة أن الله لا يخضع للمكان والزمن، مع أنَّه قد وعد بأن يؤمن أموراً معينة في المستقبل (تكوين ٨: ٢٢)، تخبرنا بأننا نستطيع أن نتوقع بأنَّ قوانين الطبيعة ستكون متّسقة سواء كان ذلك عبر المكان أو عبر الزمان. وبوصفي خلقيّ توراتي، أنا أعتقد بأن قوانين الطبيعة ستكون هي ذاتها في مركز كوكب زحل كما هي هنا على الأرض، وبأنها ستكون ذاتها يوم الجمعة كما كانت يوم الإثنين. فالكتاب المُقدَّس يعلمنا بانتظام الطبيعة. لكن هذا لا يعني بأن الظروف في مركز كوكب زحل ستكون هي نفس الظروف التي هي هنا على الأرض، ولا يعني بأن الظروف (كالطقس على سبيل المثال) يوم الجمعة ستكون هي نفسها يوم الإثنين. فالكتاب المقدَّس لا يُعلم بمذهب الطبيعة الواحدة - الذي هو الإدعاء بأن جميع المعدلات الحالية هي ثابته عبر المكان والزمن.

إن قدرة الله المُتَّسقة لا تعني بأن الظروف والمعدلات سوف تكون متطابقة. في الحقيقة إننا نجد أن الكتاب المُقدَّس ينكر هذا بشكل محدَّد. التكوين ١: ٣١ يعلم بأن الكون كان حسن جداً، لكنه الآن في حالة من الفساد بسبب خطيئة آدم (رومية ٨: ٢٠-٢٢). وهذا العالم كان في يوم من الأيام مغموراً بشكل كلّي بالماء (تكوين ٧: ١٩-٢٣)، لكنه الآن ليس كذلك. فإنه من المؤكد أن بعض الأشياء قد تغيّرت. لقد صنع الله الكون بطريقة تكون فيها الظروف والمعدَّلات قابلة لأن تتغير بشكل جذري، إلا أنَّ الله بذاته لا يتغيّر. فهو يدير الكون بطريقة متسقة. وبالتالي فإن الكتاب المُقدَّس يعلم بانتظام الطبيعة وليس بثباتها (أي مذهب الطبيعة الواحدة).

كما أن انتظام الطبيعة لا يتطلب ولا بأي شكل من الأشكال وجود الطبيعة الواحدة، إلا أنَّ مذهب الطبيعة الواحدة يتطلب وجود الإنتظام. على افتراض أن الظروف والمعدلات كانت ثابتة عبر الزمن، فإن ذلك سيتطلب أن تكون قوانين الطبيعة ثابتة عبر الزمن أيضاً. لكنه من الواضح أن الظروف لن تكون متسقة في حال كانت قوانين الفيزياء والكيمياء تتغير بشكل مستمر. لكن في حال نظرنا إلى هذا الأمر بمعزل عن الكتاب المُقدَّس، فإنه لا يوجد أي أساس للإنتظام. ولقد رأينا للتو بأن الكتاب المقدَّس ينكر مذهب الطبيعة الواحدة بشكل محدَّد.

وبالتالي فإنَّ أولئك الذين يؤمنون بمذهب الطبيعة الواحدة سيكونون في موقف محرج، إذ أنهم يعتمدون على الكتاب المُقدَّس (حتى يبرروا الإنتظام) في الوقت الذي يقومون بانكاره (لإيمانهم بمذهب الطبيعة الواحدة). إن هذا المذهب هو غير عقلاني بطبيعته.

المعجزات

إن كانت الطبيعة تدار بشكل شبه قانوني، ألا يعني ذلك أن المعجزات هي أمر مستحيل؟ في البداية، نحتاج إلى أن نقرر ما هي المعجزة. إن الكلمة اليونانية التي تترجم "معجزة" في بعض الترجمات للكتاب المُقدَّس هي "σημεῖον" والتي تترجم في بعض الأحيان باستخدام "آية أو عجيبة" (يوحنا ٤: ٤٨). إن يسوع المسيح قد قام بالكثير من المعجزات: فهو قد حوَّل الماء إلى خمر، شفى المرضى، أعاد البصر إلى العُمي، وأقام الموتى. وهذا قد تم بسلطان اللاهوت المطلق. ولكننا قد أشرنا سابقاً إلى أن الكون بأكمله يُدار بسلطان الله (عبرانيين ١: ٣). فما هو الأمر الذي يجعل المعجزة أمراً مختلفاً عن أي شيء آخر؟

إن جميع المعجزات التي قام بها المسيح كانت تتجاوز اختباراتنا الإعتيادية اليومية. فهي كانت مصممة لإتمام هدف معيّن. فالمسيح قد شفى المرضى لتعاطفه معهم، ولكن تلك المعجزات قد أكدت لاهوته في الوقت عينه. وهذا ما يجعل المعجزة أمراً مختلفاً عن أي نوع آخر من أنواع العناية الإلهية الإعتيادية. فالمعجزة هي أمر استثنائي وغير اعتيادي ويعلن قدرة الله على إتمام أمور بشكلٍ يحمل قصداً معيّناً.

بناءً على التفسير المُقدَّم أعلاه، هل المعجزات تنتهك قوانين الطبيعة. الإجابة هي: لا ، ليس بالضرورة. فالعديد من الأمور المعجزية التي أتمَّها الله، كان قد أتمها مستخدما قوانين الطبيعة ولم تتضمن أي انتهاك لهذه القوانين. تأمل في عبور البحر الأحمر (تكوين ١٤: ٢١-٢٢، ٢٩). لقد كانت تلك الحادثة وبشكل أكيد هي إعلان واضح عن سلطان الله المطلق وقد أمَّنت للعبرانيين الخروج من مصر. وهي تتفق مع تعريفنا للمعجزة، وبالرغم من ذلك فإن الله قد استخدم الرياح ليُرجع المياه إلى الوراء (خروج ١٤: ٢١). إن الرياح هي من قوى الطبيعة، وبالتالي فإن عبور البحر الأحمر لم يكن انتهاكاً لأي من المبادئ الفيزيائية.

البعض من الأشخاص قد يجادلون بأن المعجزات هي بالضرورة انتهاك لقوانين الطبيعة. "(١) قوانين الطبيعة هي الطريقة الإعتيادية التي يقوم الله فيها بإتمام مشيئته. (٢) المعجزات هي اعلانات استثنائية (غير اعتيادية) لقدرة الله. (٣) بالتالي فإن المعجزات لا يمكن أن توصف من خلال قوانين الطبيعة." لكن هذا الجدل يرتكب مغالطة المواربة[6] أو الإلتباس فيما يتعلق بكلمة " اعتيادي". يوجد درجات لما يتم اعتباره اعتياديّاً. فبعض الأشياء يمكن أن يتم اعتبارها غير اعتيادية بناءً على التوقيت الإستثنائي لوقوعها ، لكنها تُعتبر اعتيادية بمعنى أنه قد تم وصفها من خلال قوانين الطبيعة. وبالتالي فإن المعجزات ليست بالضرورة استثناءات لقوانين الطبيعة.

[6] مغالطة الإلتباس أو المواربة تُسمى "الشروط الأربعة المزيفة" في حال تم استخدامها في القياس المنطقي الرسمي الإستنتاجي.

ومن ناحية أُخرى، بعض المعجزات قد تكون خارج حدود قوانين الطبيعة. إذ إنَّ الله ليس مُلزماً بإدارة الكون بطريقة منتظمة (إذ أنَّ الإستثناءات التي يقوم بها لا تكسر وعده بأنه سوف يقوم بضمان درجة معينة من الإنتظام). فالمعجزات التي تشابه معجزة اليوم الطويل ليشوع (يشوع ١٠: ١٢-١٤) وسير يسوع على الماء (متى ١٤: ٢٥) قد تتضمن نوعاً من الإيقاف المؤقت لقوانين الطبيعة.

بشكل تقني، ليس من الممكن أن يتم اثبات أن أي معجزة تقوم بانتهاك قوانين الطبيعة. والسبب هو أننا لا نعرف جميع قوانين الطبيعة. وبالنتيجة فإن أيّ معجزة قد تكون نوعاً من الإعلانات لقانون غير مُكتَشف من قوانين الطبيعة أو الفيزياء، أو بأنه إعلان لأحد المبادئ التي تعمل بطريقة لم نفهمها.[7] لكن فلنفترض وعلى سبيل النقاش بأن بعض المعجزات تنتهك بالفعل قوانين الطبيعة. فهل ذلك سيتسبب بمشكلة بحسب الرؤية المسيحيّة للعالم؟ فهل سيجعل ذلك من البحث العلمي أمراً مستحيلاً؟

البعض الآخر من المعترضين قد يجادلون بأنَّ أي انتهاك للقوانين الفيزيائية قد يقوم به الله سوف يؤدي إلى انهيار إمكانية اجراء البحث العلمي. وبالتالي فإننا نجدهم يرفضون امكانية حدوث المعجزات - أو أنهم على الأقل يرفضون تلك لمعجزات التي تبدو على أنها تنتهك قوانين الطبيعة. لكن هل يعتبر هذا الموقف عقلانياً؟ إن البحث العلمي يتطلب درجة معينة من الإنتظام في الطبيعة. ولكن لا يوجد أي سبب عقلاني للقول بأن اجراء البحث العلمي يتطلب أن يكون الكون ذا طبيعةٍ واحدة كلَّ الوقت. وطالما أنَّ المعجزات هي نادرة الحدوث (هذا الأمر معروف من تعريف المعجزة)، فإن البحث العلمي أمر ممكن. إن الإدعاء بأنَّ المعجزات ستجعل من البحث العلمي أمراً مستحيلاً ليس أكثر من مغالطة المنحدر الزلق.

وبالتالي فإن الرؤية المسيحية للعالم تستطيع أن تفسر الطبيعة شبه القانونية للكون. وإن كان يوجد عدد من الإستثناءات النادرة فإن الرؤية المسيحية تستطيع أن تقدم تفسيراً لذلك. إلا أنّ الرؤية العلمانية للعالم عاجزة عن فعل أيٍّ من الأمرين السابقين. في الرؤية العلمانية للعالم، لا يوجد أي سبب على الإطلاق للتوقع بأن الكون سيعمل بطريقة شبه قانونية الشكل. ولا يوجد أي سبب للاعتقاد بأن الكون سوف يتابع العمل في المستقبل بنفس الطريقة التي عمل فيها في الماضي. والفكاهي في الرؤية العلمانية للعالم هو أننا في كلّ مرة نستطيع أن نقوم بتوقّع ناجح

[7] قام البعض من الملحدين بالجدال بأنهم سوف يؤمنون بالله إن رأوا معجزة تحدث أمام أعينهم. لكن في حال حدث ذلك، فإنه من شبه المؤكد بأن الملحد سيقوم باستدعاء جهاز انقاذ؛ فهو سيقوم بالجدال بأن تلك المعجزة ليست إلا إعلان لقانون من قوانين الطبيعة غير المكتشفة، أو تطبيق غير مكتشف لأحد القوانين الطبيعية. وأنا أعتقد أنَّ هذا النوع من أجهزة الإنقاذ هو مبرَّر بالكامل، وذلك على اعتبار أن خبراتنا الماضية قد أظهرت لنا أن العديد من الأشياء كانت في مرّة من المرات مجرد اعتقادات ولكنها الآن مفهومة في ضوء القوانين الطبيعية. وبالتالي فإن المعجزات لن تقوم بإقناع أيّ شخص قد سبق له وقرَّر بأنَّه لن يؤمن بالله.

حول المستقبل (موقع الكواكب على سبيل المثال)، يكون ذلك ضرباً من ضروب "المعجزات" لأن الرؤية العلمانية للعالم لا تمتلك أي سبب منطقي من أي نوع كان لتبرير انتظام الطبيعة، والنجاحات العلمية.

الفصل العاشر
الدفاعيات في الكتاب المُقدَّس

يوجد منظورات مختلفة للكيفة التي يتوجب على المسيحيّين أن يقدموا دفاعاتهم؛ لكن ليست جميع هذه الأساليب جيدة. فالبعض من الأشخاص يعتقدون بأن الإيمان هو نوع من المُعتَقَد الصَّرفْ، وبأنَّه لا يوجد أي سبب للدفاع عنه. البعض الآخر يقول باننا يجب ألا نفترض حقيقة الكتاب المُقدَّس إلى أنّ نُقنِع غير المؤمن بأن الكتاب المقدَّس صحيح. والغريب هو أن بعض الأشخاص فقط هم من يحاولون الرجوع إلى الكتاب المُقدَّس ليقرأوا ما قد كُتِبَ فيه عن الكيفيّة التي يجب وفقها القيام بالدفاعيات. وهذا الأمر إنما هو مؤسف، إذ أنَّ الكتاب المُقدَّس يمتلك الكثير ليقدمه فيما يختص بعلم الدفاعيات. فالطريقة التي يجب الدفاع من خلالها عن الكتاب المقدَّس تبدأ بأن نكون أوفياء للكتاب المُقدَّس.

أولاً، يجب علينا أن نتعامل مع اولئك الذين يدعون بأن الكتاب المقدَّس لا يحتاج للدفاع عنه. وبالرغم من أن هذا الموقف قد يُعطي الإنطباع بأنَّه صريح وشُجاع، إلا أنَّه غير متسق مع الوحي المُقدَّس. فإن رسالة بطرس الأولى ٣: ١٥ تقول لنا بأننا يجب أن نكون دائماً على استعداد للدفاع عن إيماننا، وأولئك الذي يسألوننا إن كنا نمتلك سبباً لإيماننا يجب أن يتم تقديم إجابات لهم. وكما قد سبق وعرضنا في هذا الكتاب، فإنَّ المسيحيّين يمتلكون بالحقيقة سبباً جيداً للإيمان. فإنه دون وجود الإله المُقدَّم في الكتاب المُقدَّس سوف لن نكون قادرين على معرفة أيّ شيء. إذ أن تفكيرنا المنطقي يتطلب افتراض الإيمان التوراتي بشكل مسبق. وبالتالي فإن الإدعاء بأنَّه من غير الممكن إثبات المسيحيّة أو بأن المسيحية لا تحتاج لأن يتم إثباتها هو ادعاء غير متسق مع تعليم الكتاب المُقدَّس أو مع الموقف العقلاني.

الأدلة أولاً أم الكتاب المُقدَّس أولا

يجب على المسيحيّ أن يكون مستعداً ليعطي اجابةً - سبباً منطقياً للإيمان. لكن ما هو نوع الأسباب المنطقية الذي يتوجب علينا أن نقدّمها؟ بصورة عامة، يوجد موقفين من هذه القضية. يوجد الموقف القائل بأن "الأدلة أولاً"، ويوجد الموقف الآخر القائل بأن الكتاب المُقدَّس أولاً. ونجد أن الموقف القائل بأن الأدلة أولاً يحاول إظهار أنَّ التقييم الموضوعي ("الحيادي") للأدلة سوف يقود بالنهاية إلى حتمية صحة الكتاب المُقدَّس (أو الخلق بأكثر تدقيق). أما مؤيدوا الموقف القائل بأن "الكتاب المُقدَّس أولاً" يبدأون بالوحي المُقدَّس، ويظهرون بأنه إن لم نفترض بشكل مسبق أن الكتاب المُقدَّس صحيح فإنه لن يكون هنالك أي معنى للأدلة.

ونحن قد أظهرنا سابقاً بأن الموقف القائل بأنَّ "الأدلة أولاً" ليس بموقف قادر على حلّ الصراع بين الرؤى للعالم بطريقة عقلانية. فالأدلة هي أمر عمليّ حين نتفق على الطريقة التي يجب أن يتم تفسيرها. لكن في حال كان قواعد التفسير هي الأمر الذي نختلف عليه (كما هو الحال في الجدل هو الأصول)، فالأدلة بشكل مستقل ستكون عاجزة عن تقديم حلّ للمشكلة. لذلك حين يعتقد البعض من الأشخاص بأنَّ كمية معينة من الأدلة ستكون كافية لإثبات أي من الخلق أو التطور، هذا يظهر بأنهم لا يعرفون بالحقيقة طبيعة الصراع هذا.

فالناس سوف يقومون بشكل دائم بتفسير الأدلة على ضوء رؤيتهم للعالم. وبالتالي، فإن الأدلة بشكل مستقلٍّ سوف لن تتسبب بأن يقوم أيُّ شخص عقلانيّ بالتفكير في تغيير رؤيته للعالم. كما أن الموقف القائل بأن الأدلة أولاً، يرتكب مغالطة إدّعاء الحيادية. فإنه لا يوجد "حيادية" فيما يتعلق بتقييم الأدلة. فجميع الأدلة تُفسَّر في ضوء الرؤية الشخصية للعالم - لا يوجد استثناءات لذلك. إن مقاربة "الأدلة أولاً" هي بكلّ بساطة غير عقلانية لأنها لا تتعامل مع المشكلة الأساسية وهي: الرؤى المتصارعة للعالم.

ومن الجانب الآخر، فإن مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً هي ما استعملناه عبر صفحات هذا الكتاب. ونحن قادرون على إعادة تقديم الدليل الحاسم للكتاب المُقدَّس بالشكل التالي: "الكتاب المُقدَّس يجب أن يكون صحيحاً، لأنه لا يوجد أي معيار آخر قادر على أن يجعل من المعرفة أمراً ممكنا. " إن الكتاب المُقدَّس يجب أن يأتي أولاً؛ فهو يجب أن يكون مفترضاً بشكل مسبق قبل أن نتمكن من تقديم تقييم جيد للأدلة. وتجدر الملاحظة بأن مقاربة الكتاب المُقدَّس أولا تستعمل الأدلة بشكل جيد. ولكن بما أن كل الأدلة تحتاج لأن يتم تفسيرها من خلال معيار أعلى، لذلك يجب أن نبتدئ أولاً مع الكتاب المُقدَّس (المعيار الأعلى الوحيد الذي يؤكد ذاته و بشكل متسق دون أي تناقضات) حين نقوم بتفسير أي دليل.

إن الموقف القائل بأن الكتاب المُقدَّس أولا لا يعني بالضرورة أن ذلك يتم حسب الترتيب الزمني. فإنه من الواضح أننا نحتاج لأن نثق بحواسّنا أولا حتى قبل أن نبدأ بقراءة الكتاب المُقدَّس، وهو الذي يؤمن المُبرِّر لموثوقية حواسّنا. إنما مقاربة الكتاب المقدس أولا تعني وبكل بساطة بأن الكتاب المُقدَّس هو القاعدة المعيار الأعلى الذي نمتلكه، وتعني باننا حين نجادل عن حقيقة الكتاب المُقدَّس، يجب أن نبدأ جدلنا بافتراض مسبق هو أنّ الكتاب المُقدَّس هو معيارنا الأعلى لتقييم جميع الحقائق. إن المعترضين سوف يقومون باتهامنا بالمنطق الدائري، لكننا سبق وأظهرنا في الفصل السابق بأن هذا النوع من المنطق ليس بالضرورة خاطئ وذلك في حال تمَّ استخدامه بشكل جيّد. يجب أن نتذكر بأنَّ جميع الأشخاص يحتاجون لالتماس معيارهم الأعلى حين

يقومون بالدفاع عنه. لكن ووفقا للوحي المُقدَّس، فإن الكتاب المُقدَّس وحده قادر على اتمام هذا الأمر بنجاح؛ وحده الإله المُقدَّم في الكتاب المُقدَّس قادر على أن يكون الأساس للمعرفة (أمثال ١: ٧؛ كولوسي ٢: ٣). لم يستطع أي شخص قط أن يقدم معياراً آخر قادر على أن يقدم تفسيراً للعقلانية، البحث العلمي، والأخلاق.

الكتاب المُقدَّس أولاً في سبيل التفكير المنطقي

إن مقاربة الأدلة أولاً غير قادرة على الصمود في مواجهة الإختبارات العقلانية. في حين أنه من الجانب الآخر نجد أن مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً تقدم لنا دليلاً حاسماً للرؤية التوراتية للعالم. والأهم هو أننا نجد أن الكتاب المُقدَّس نفسه يوصي باستخدام مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً. ففكرة أننا لا نستطيع معرفة أي شيء بمعزل عن الإله المقدم في الكتاب المُقدَّس هي ليست أمر قد تم الإدعاء به في عصرنا الراهن؛ إنه أمر من وحي الكتاب المُقدَّس. كما ناقشنا الأمر سابقاً فالآية الواردة في سفر الأمثال ١: ٧ تقول: "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ". يجب أن نبتدء بالطاعة والتوقير لله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس في سبيل أن نكون قادرين على المعرفة. إن هذه الآية من سفر الأمثال تُظهر أيضاً نتائج رفض التعليمات والحكمة الصادرة عن كلمة الله: حيث أن النتيجة هي الجهل والعبثية.

إن فكرة كون كلّ المعرفة تبتدء مع الإله التوراتي موجودة عبر صفحات الكتاب المُقدَّس بأكمله. ففي رسالة رومية ١: ١٨-٢٣ نجد عرضاً رائعاً للدليل الحاسم. فهذه الآيات تخبرنا بأن الجميع يمتلكون معرفة مبدأيّة عن الله (الآيات ١٩-٢٠)؛ ولهذا السبب فإن الجميع يعرفون قوانين المنطق، الإنتظام، والأخلاق. لكن الناس يحجزون هذه المعرفة (الآية ١٨). حيث أنهم لا يعترفون بالله على أنَّه أساس كلّ المعرفة، وهذا الأمر ينتهي بهم إلى أن تنحدر أفكارهم إلى درجة من العبثية والسخف (الآيات ٢١-٢٢).

في الرسالة إلى أهل كولوسي ٢: ٣ نعرف بأنَّ "جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" هي مودعة في المسيح. وبالتالي فإنه لا يمكننا الحصول على المعرفة الحقيقة إلا من خلال المسيح. كولوسي ٢: ٨ تحذرنا من أن نُسبى فنفقد هذا الكنز بقبول وتبني المعايير العلمانية - والفلسفات الأرضية. فتصرّح الآية بالتالي "اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِل، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ."

إن الموقف المؤيد لاستعمال الأدلة أولاً هو موقف علماني بحقّ. فهو يؤكد على أنَّ الإنسان قادر على الوصول إلى الإستنتاجات الصحيحة دون أن يقوم بتبني الوحي المُقدَّس. إلا أنَّ الله يقول بأنَّ "الحكمة" التي من العالم إنما هي عبثية، وغير عملية، وعديمة الجدوى، وتقود إلى الجهل.

ورسالة كورنثوس الأولى ٣: ١٩ تقول لنا بأن "أَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ»." وكورنثوس الأولى ٣: ٢٠ تصرّح: "وَأَيْضًا:«الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ»." أما رسالة أفسس ٤: ١٧-١٨ تقول عن التفكير العلماني: "فَأَقُولُ هذَا وَأَشْهَدُ فِي الرَّبِّ: أَنْ لاَ تَسْلُكُوا فِي مَا بَعْدُ كَمَا يَسْلُكُ سَائِرُ الأُمَمِ أَيْضًا بِبُطْلِ ذِهْنِهِمْ، إِذْ هُمْ مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ."

لاحظ أن آخر جزء من الآية يقدم لنا سبب الجهل الذي يتملّك الفكر العلماني - وهو غلاظة قلوبهم. وهذا لا يعني مجرّد تبني افتراضات مسبقة - وإنه من المهم أن نعرف بأن غير المؤمن لديه مشاكل روحية. فهو متمرد على الله ولا يريد أن يقبل بالمعايير الإلهية. ورسالة كورنثوس الأولى ٢: ١٤ تقول: "وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا." فإنه دون مساعدة وإرشاد الروح القدس، فإن غير المؤمن ليس قادر على فهم الأشياء الإلهية. وهذه هي الحقيقة الكبرى التي يتم التغاضي عنها في الدفاعيات. وهذا هو السبب في أننا غير قادرين على "ادخال اي شخص إلى الفردوس باستخدام المنطق" فإنه يجب أن يقدم التوبة لله الذي منح الغفران (تيموثاوس الثانية ٢: ٢٥؛ أعمال الرسل ٥: ٣١؛ رومية ٢:٤).

إن مقاربة الأدلة أولاً تدفع بنا إلى أن نحاول أن نظهر أن الكتاب المُقدَّس صحيح من خلال الإنطلاق من معيار محايد. لكن الكتاب المُقدَّس يعلم وبكل وضوح بأنّه لا يوجد أي معيار آخر للمعرفة، إنما الله هو المعيار الوحيد (الأمثال ١: ٧؛ كولوسي ٢: ٣). وبالتالي فإن كان من الممكن أن يتم اثبات الكتاب المُقدّس بعيدا عن الكتاب المُقدَّس نفسه، سيكون الكتاب المُقدَّس في تلك الحالة خاطئاً! فالكتاب المُقدَّس يؤكد على أنَّ الناس لا يرجعون لله من خلال المنطق العلماني: كورنثوس الأولى ١: ٢١ تقول "أَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ." إن الساخر بالأمر أنه ومن خلال تبني ما يعتقد العالم بأنَّه جهالة (أي كلمة الله)، نستطيع أن ننجو من جهالة العالم.

كورنثوس الأولى ٢: ٥ تقول لنا بأن إيماننا لا يجب أن يعتمد على حكمة الناس إنما على قوة الله. وهنا يقوم بولس بإدانه الحكمة - أي الحكمة العلمانية فقط. ويشير في الآيات الثلاث التي تلي بأننا يجب أن نمتلك الحكمة التي تأتي من الله فقط: الحكمة التي لن يفهمها هذا العالم العلماني. فجميع كنوز الحكمة والمعرفة هي مُكتَنَزَة في المسيح يسوع (كولوسي ٢: ٣) وبالتالي يجب أن نُسَلِّم أفكارنا لله في سبيل الحصول على الحكمة والمعرفة. رسالة كورنثوس الثانية ١٠:

٥. تقول لنا بأننا يجب أن نكون "مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" فإن أردنا أن نمتلك المعرفة، يجب ألا نُطوِّع أفكارنا للعالم (رومية ١٢: ٢) إنما للمسيح.

هل تستطيع الأدلة أن تقنع الناس

يمكن أن يتم استخدام الأدلة في اقناع الناس بنقطة معينة وذلك في حال كانوا يمتلكون الرؤية الصحيحة للعالم - أي الإطار الصحيح الذي من خلاله يتم تفسير الأدلة. لكن إن كانت رؤيتهم للعالم خاطئة، لن يوجد هنالك أي ضمانة بأنهم قد يقتنعون بأي شيء. لذلك فإن من اللازم علينا أن نتجنب استعمال مقاربة الأدلة أولاً. وقد يكون من المُغري أن نجد بعض الأدلة التي نعتقد بأنها غير قابلة لأن تُفسر بأكثر من طريقة: أدلة من النوع الذي يثبت صحّة الكتاب المُقدَّس. لكن هذا النوع من "الرصاصة الفضيّة" المقاربة غير فعال. يوجد وبشكل دائم جهاز انقاذ ليقوم بإبعاد آثار ذلك الدليل وتقديم تفسير بديل موافق. فإن الأشخاص إن امتلكوا افتراضات مغلوطة، قد لا يكون من الممكن أن يتم اقناعهم، وذلك أياً بلغت درجة جودة الأدلة.

لقد أدرك يسوع المسيح نفسه ضرورة استعمال مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً. حيث أنَّه قد قدَّم محاكاة لهذا المفهوم حيث قدَّم مثل الغني ولعازر (لوقا ١٦: ١٩-٣١). فالغني في ذلك المثل قد رفض الإنجيل، وبالتالي فإنَّه قد مات وذهب إلى العذاب الأبديّ. وقد صرخَ من الجحيم منادياً إلى ابراهيم حتى يرسل لعازر إلى أخوته الخمسة ليبشّرهم، لئلا ينتهوا هم أيضاً في العذاب الأبديّ. ولكن إجابة ابراهيم كانت بأن اخوته يمتلكون الوحي المُقدَّس: "عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ." ولكن الغني ردَّ عليه: "لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ!" لكن ابراهيم أجاب "فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ". إنه لردّ عجيب: فأولئك الذي لا يقبلون الوحي المُقدَّس حتى القيامة لن تقوم بإقناعهم.

إن ذلك الرجل الغني قد امتلك عقلية تعتمد على الأدلة أولاً. وقد اعتقد بأنّ رؤية أحد الأشخاص الذين يقومون من الأموات سوف يكون دليلاً مميزاً يقنع أُخوته بشكل مؤكد ويسبب تغييراً في رؤيتهم للعالم. لكن يسوع المسيح (متكلماً على لسان ابراهيم) قال إن هذا لن يحدث. بالرغم من أن القيامة من الأموات هو دليل مدهش - لكنه سوف لن يُفسَّر على أنَّه دليل للمسيحيّة إلا إن كان المُفسّر قد قبل المبادئ التوراتية أولاً. وبالتالي فإن قبل الناس الوحي المُقدَّس (موسى والأنبياء)، سوف يقبلون دليل القيامة.

قد يجادل البعض قائلين "إنه من المؤكد أن هذه الحالة استثنائية." فنحن نعرف أن هذا المبدأ قد استخدم في قيامة المسيح. متى ٢٨: ١٧ تقول لنا بأن المسيح قد ظهر لأتباعه بعد قيامته: "وَلَمَّا

رَأَوْهُ سَجَدُوا لَهُ..." نعم إن هذا الأمر صحيح إذ أن العديد من أتباعه قد قبلوا مبادئ الوحي المُقدَّس وسجدوا للمسيح القائم من بين الأموات، ولا يوجد أي مفاجأة في ذلك. لكن الكلمات الأخير من الآية الواردة في متى ٢٨: ١٧ هي مميزة: "... وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ شَكُّوا." إذ أنَّه وفي حضرة الرب القائم من الأموات، كان يوجد شكوك! إن المسيح القائم من بين الأموات هو واحد من بين أهم الأدلة وأكثرها تميّزاً على لاهوته. ولكن ذلك لم يكن كافياً لإقناع الجميع، حتى اولئك الذين رأوه بأمّ أعينهم. هذا يجب أن يكون كافياً للرد على القائلين "رأيت فآمنت!"

يوجد اولئك الذين يقولون : "إن رأيت معجزة، حينها سوف أؤمن. إن قام الله بإظهار علامة مميزة لي، سوف أصبح مسيحيّاً." إن هذا مجرّد هراء، يوجد اولئك الذين رأوا المعجزات ولم يؤمنوا، تأمل في جميع تلك الجموع التي رأت معجزات المسيح؛ هل سجدت جميعها له وأعطته التمجيد الواجب كربٍّ وإله؟ لا، بل أسلموه ليصلب. المشكلة ليست في أنَّ الناس لا يمتلكون أدلة كافية. بل المشكلة هي أنَّهم يكتُمُون الحق الذي يعرفونه (رومية ١: ١٨). وبالتالي فإن الحل لن يكون من خلال إغداق الأدلة على غير المؤمنين، إنما بكشف معرفتهم عن الله التي كتموها بالإثم.

أمثلة مضادة محتملة؟

البعض من الأشخاص قد يعترضون على مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً ويعتقدون بأن لديهم أمثلة مضادة لذلك: "لكن فلان من الناس قد اقتنع بأن الكتاب المُقدَّس لا بد أن يكون صحيحاً نتيجة لتقديم الأدلة له." وبالتالي ماذا نستطيع أن نفعل مع مثل هؤلاء الأشخاص الذين وعلى ما يبدو قد اقتنعوا من خلال الأدلة العلمية؟ هل تعني هذه الأمثلة المضادة بأنَّ مقاربة الأدلة أولاً هي مقاربة مقبولة وفعالة في بعض الأمثلة؟

بدايةً، يجب علينا أن نتذكر أحد الأشياء التي افتتحنا بها هذا الكتاب. إن الناس يميلون إلى الإقتناع بجدالات سيئة. والكثير من الأشخاص لا يمتلكون تفكيراً واضحاً وجيّداً لذلك نجدهم يقتنعون في بعض الحالات من خلال المغالطات. وحقيقة أن المسيحي قد يرى شخصاً ما قد تحول إلى المسيحيّة بعد استخدام مقاربة الأدلة أولاً، لا يعني ذلك بأنَّ تلك المقاربة سليمة وقادرة على الإقناع بشكل منطقي! فالجدل الذي قدّمناه في هذا الفصل هو أنَّ مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً وحدها هي التي توافق الوحي المُقدَّس وبأن مقاربة الأدلة أولاً هي غير عقلانية بشكل مطلق إذ أنَّ الأدلة تُفسَّر بطريقة سليمة فقط في ضوء الوحي المُقدَّس. وبالتالي فإن اقتناع بعض الأشخاص بين الحين والآخر من خلال استعمال مقاربة الأدلة أولاً إنما هو أمر غير مرتبط بالإدعاء بعدم عقلانية تلك المقاربة وعدم مطابقتها للتعليم الكتابي.[1]

---

[1] مغالطة القضايا غير المترابطة.

ثانياً، حتى في تلك الحالات التي نجد أن الأشخاص قد اقتنعوا من خلال الأدلة، يجب أن نعرف أن ذلك لم يكن تقييماً "حيادياً" للأدلة. إن الأدلة يمكن أن تُستَخدَم لكشف حقيقة معرفة الله التي يكتمها غير المؤمن؛ وهذا هو استخدام سليم للأدلة. يجب أن نتذكر بأن جميع غير المؤمنين يعرفون الله في أعماق قلوبهم. وهم يعتمدون على المبادئ التي أعلنها لهم (إنما يفعلون هذا بشكل غير متسق)، ولذلك نجد أنهم في بعض الأحيان يقومون بتفسير الأدلة بشكل جيّد. في كلّ مرّة يقوم غير المؤمن بتفسير الأدلة بشكل صحيح، سيكون ذلك نتيجةً لعدم الولاء للرؤية العلمانية التي يعلن تبنّيه لها. لذلك فإننا لا نستطيع أن نعتمد على أنَّ غير المؤمن سوف يقوم بتفسير الأدلة دائماً بشكل سليم، لكنه قد يفعل ذلك نتيجةً لعدم اتساقه.

ثالثاً، إن كنا نحاول أن نجادل أنَّ الكتاب المُقدَّس هو صحيح بناءً على دليل ما، فإن هذا نوع من التعليم بأن الكتاب المُقدَّس هو أقل أهميةً ومركزية من الفهم البشري للأدلة العلمية. وهذا يعني بأنَّنا سوف نقدم تعليماً يقول بأنَّ الفهم البشري للأدلة هو المعيار الأعلى - وليس كلمة الله. وبما أن معظم الدفاعيات المسيحية لا تستخدم مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً، فنحن نقوم بتنشئة جيل من المسيحيّين الذين لا يتخذون الكتاب المُقدَّس كمعيارٍ أعلى. وبالرغم من أنهم يؤمنون بالكتاب المُقدَّس، إلا أنَّ إيمانهم هذا محدود بفهمهم وتقييمهم الشخصي للأدلة. وإن كان فهمهم وتفسيرهم لبعض الأدلة لا يتوافق مع الكتاب المقدَّس فإنهم يشعرون بأنه من الواجب إعادة تفسير الكتاب المُقدس، ولذلك نجد عددا من المسيحيّين الذين يؤمنون بملايين السنين "نظرية اليوم الممتد لعصور"، التطور الربوبي، وماشابه ذلك. لدينا جيل من المسيحيّين "مَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ" (أفسس ٤: ١٤) لأنهم لم يُؤَسَّسوا ويُثَبَّتوا في كلمة الله على أنها المعيار الأعلى لهم.

في النهاية، أشعر بأنه من الضروري بأن أشير مرّة أُخرى إلى أنَّه من العَمَلي أن يتم استخدام الأدلة العلمية والتاريخية كجزء من دفاعياتنا- لكن ليس كأساس وقاعدة للدفاع الذي نقدّمه. لقد سبق ورأينا في الفصل السادس عدداً من الإستخدامات الجيدة للأدلة في الدفاع - من خلال إظهار عدم الإتساق الداخلي في الرؤية العلمانية للعالم. ولذلك فإننا قادرون بل ويجب علينا أن نستخدم عدد من الأدلة كجزء من الدفاع الذي نقدّمه - آخذين بعين الإعتبار أن نقوم باستخدام الأدلة بطريقة جيدة. وللأسف الشديد يوجد بعض المواقف التي لا يسمح بها القانون أن نَذكُر الكتاب المُقدَّس بالتحديد، لكننا نستطيع أن نستخدم الأدلة العلمية لإتمام جزء من دفاعياتنا. يوجد دائما طريقة جيدة لاستخدام الأدلة. والخطأ هو في أن نعتقد بأننا قادرون بطريقة ما على اثبات صحّة الكتاب المُقدَّس من خلال تقييم "حيادي" وموضوعي للأدلة. يجب أن نبقي حاضراً في أذهاننا بأن الأدلة تحمل معنى نتيجة لصحّة الكتاب المُقدَّس وليس العكس.

أمثلة من الكتاب المُقدَّس

إن الكتاب المُقدَّس يقدم لنا أمثلة عديدة عن خطأ المقاربة باستخدام الأدلة أولاً: كما في حالة الأشخاص الذي وضعوا ثقتهم في تفسيرهم الشخصي للأدلة عوضاً عن إعلانات الله في كلمته المُقدَّسة. وأحد أول الأمثلة هو حوّاء في سفر التكوين في الإصحاحين ٢ و ٣. فالله قال لآدم ألّا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وهذه التعليمات قد مُرِّرَت إلى حواء أيضاً.[2] لكن حين قامت الحيّة (الشيطان) بتحدي أوامر الله، قامت حواء بالرد باستخدام مقاربة الأدلة أولاً. فاختارت أن تتعامل مع كلمة الله على أنها واحد من الافتراضات، وبأن كلمة الشيطان على أنها ادعاء آخر. وقرَّرت أنها هيَ من ستختار بين ذينك الموقفين. وقامت بعدها بما سيقوم به أي متبني للمذهب التجريبي؛ أي أنها أجرت اختباراً لترى أي من الإدعائين هو الصحيح.

إن تصرّفها لم يكن غير أخلاقي فقط، إنما غير عقلانيّ أيضاً. فلنتأمل في الأمر: إن حواء قد اعتمدت على حواسّها وعلى فهمها لتحكم ما إذا كان الله صادقاً أم لا، لكن الله هو من خلق حواسّ حواء وذهنها. وبالتالي فإن كان الله غير أمينٍ، فعلى أيّ أساس في تلك الحالة يمكن لحوّاء أن تثق بحواسها وذهنها في المقام الأول. وما هي النتائج التي كانت حواء تنتظرها من تلك التجربة؟ إن ردّها على الشيطان كان يجب أن يكون: "كلام الله حق. وبالتالي، أنت كاذب. اذْهَبْ عني يَا شَيْطَانُ!" لكنها اختارت بأن يكون معيارها الأعلى هو فهمها الشخصي. ومن ثم قام آدم بالمثل.

ومن الناحية الأُخرى نجد أن المسيح الذي هو آدم الأخير، كان يستعمل مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً في جميع الأشياء. ولنتأمل في التجربة على الجبل المذكورة في متى ٤: ١-١١. قام الشيطان بتجربة يسوع بالقول، "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا" لم يكن ذلك أن الشيطان قد تشكك، فإنه قد عرف من هو يسوع المسيح. لكن الشيطان قد اقترح مقاربة الأدلة أولاً لتقييم الإدعاء. لكن المسيح أجاب من الوحي المُقدَّس: "مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ". فليس أن يسوع المسيح قد أجاب مستخدماً مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً إنما الآية التي استدعاها تشير إلى استخدام مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً - أي أننا يجب أن نحيا بكلمة الله.

الكثير من المسيحيّين يضعون الثقة في تقديراتهم الشخصية للأدلة عوضاً من أن يضعوها في الكلمة المعصومة لله. يعتقدون بأنّه من الواجب أن يتم اثبات حقيقة الكتاب المُقدَّس أولاً وذلك

---

[2] نحن نعرف أن حواء قد عرفت بأوامر الله على اعتبار أنها قد أجابت الحية مستخدمةً اقتباساً من كلام الله إلى آدم وذلك في التكوين ٣: ٢-٣. فسواء كان الله قد قال لها ذلك بشكل مباشر أو أن التعليمات مُرِّرَت لها من خلال آدم ، فالأمر سيّان، إذ أنها كانت تعرف التعليمات. فالنص الكتابي صامت عن هذا التفصيل.

باستخدام الأدلة غير المتحيّزة؛ ومن ثمَّ بعد ذلك يحنُونَ الركب للمسيح؛ وذلك فقط بعد أن وصلوا إلى الرضى من خلال معيارهم المستقل للحكم على ملكوت وسيادة المسيح. لكن هذا النوع من السلوك إنما هو غير عقلاني وغير كتابي أيضاً. فلقد سبق وأظهرنا أن دفاعياتنا يجب أن تبدأ أولاً بأن نَحنِي ركبتَينا للمسيح يسوع. فيجب أن نبدأ بالإعتراف بسيادته وملكوته وبأن كلمته هي المعيار الأعلى في حال أردنا أن نصل إلى أي استنتاج حقيقيّ وعقلانيّ.

وحقيقة الأمر أن هذا هو مفتاح النجاح في الدفاعيات. إن رسالة بطرس الأولى ٣: ١٥ لا تبدأ بالقول "مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا" إنما تبدأ بالقول "قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ". إن القسم الأول من رسالة بطرس ٣: ١٥ هو مطلب مسبق لإتمام بقية الآية. لذلك فإنه يجب أن نبدأ دفاعنا بتقديس المسيح في قلوبنا . فنبدأ بالمسيح كما أعلن عن ذاته في الوحي المُقدَّس. ونتعلّم أن نرى كيف أن الأشخاص غير المؤمنين يحجبون معرفتهم به. ومن ثمَّ بعد ذلك نكون مستعدين في كلّ حين للدفاع وتبرير سبب الرجاء الذي فينا.

الدفاعيات التي قدمها المسيح

لقد استخدم كل من المسيح يسوع والرسل مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً في الدفاعيات. ليس ذلك فقط، بل إنهم أيضاً قد استخدموا المقاربة التي قمنا بتقديمها في هذا الكتاب. وقاموا بتطبيق استراتيجية "لا تُجِب، بل أجِب" في ردودهم على الإدعاءات العبثية . كما أنهم قدموا الرؤية المسيحية للعالم وقاموا بنقد داخلي للرؤى غير المسيحية للعالم. ومن خلال نقدهم للأفكار التي طرحها غير المؤمنين قاموا بإظهار عبثيتها وعدم اتساقها، كما وأنهم قد استخدموا الشروط المسبقة لقابلية الفهم. بالطبع لم يستخدموا المصطلحات المعاصرة، إنما المفاهيم هي موجودة. فلنتأمل في البعض من الأمثلة.

نبدأ مع يسوع المسيح. إن الإجابات التي قدمها المسيح للمعترضين عليه كانت غاية في الذكاء. لم يرتبك أبداً بل كان دائماً مستعداً للدفاع. ولنتأمل في متى ١٢: ٢٤-٢٩. لدينا هنا الفريسيّين الذين كانوا يؤكدون أن المسيح كان قادراً على طرد الشيطان باستخدام قوة الشيطان (" بعلزبول")-وليس الله. قام يسوع بالرد عليهم مستخدماً استراتيجية "لا تُجِب، بل أَجِبْ". فهو لم يقبل معيارهم العبثي ("لا تُجِبْ")، إنما أظهر لهم سُخف الموقف الذي قدّموه من خلال محاكاة افتراضية لنتائج ذلك الموقف ("أَجِبْ").

لقد أشار المسيح إلى أنَّ أيَّ مدينة أو مملكة منقسمة على ذاتها لا تصمد. وبالتالي فإنه لا معنى لأن يقوم الشيطان بطرد الشياطين التابعين له، وإلا فإنه سوف ينقسم على ذاته. وبعد ذلك سألهم يسوع قائلاً:"وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟" وبهذا أشار لهم

بأنهم غير قادرين على إدانته دون أن يدينوا أنفسهم. لقد كانوا مُدانين بارتكاب مغالطة "المعاملة الخاصّة (المعايير المزدوجة)". لقد قام المسيح وبكل ذكاء بإظهار عدم اتساقهم وتعسّف الموقف الذي كانوا يتخذونه.

مثال آخر يوجد في متى ٢١: ٢٣-٢٧. حيث قام رئيس الكهنة بسؤال المسيح عمّن أعطاه السلطان ليعلّم هذا التعليم. لكن المسيح يسوع كان يعرف بأنهم يمتلكون معايير عبثية (لأنه لو كان الأمر بخلاف ذلك، لكانوا عرفوا الإجابة). لذلك فهو لم يَقُم بإجابتهم بحسب معاييرهم، إنما أظهر لهم عدم الإتساق في موقفهم من خلال طرح سؤالٍ عليهم: بأي سلطان كانت معمودية يوحنا؟ إن هذا السؤال قد وضع المعترضين في مأزق. فإنهم إن قدّموا الإجابة الصحيحة، حينها يستطيع يسوع أن يسألهم وببساطة لماذا لم يؤمنوا بما قاله يوحنا عنه. وإن قالوا أمراً آخر، سيخافون الشعب من أن يرجموهم لأن يوحنا كان عند الجميع مثل نبيّ من الله. لقد أبطَل المسيح اعتراضهم، ولم يقدروا على إجابته.

يوجد عدد من الأمثلة في متى ٢٢: ١٥-٤٦. حيث قام المسيح بتقديم إجابات لمعترضيه بكل وداعة ولكنه بعد ذلك قام بكشف عبثية أفكارهم من خلال تقديم بعض الأسئلة لهم. ويجب الإنتباه إلى أنَّ غير المسيحيّين لا يمتلكون دفاعيات؛ حيث أنهم غير قادرين على تقديم دفاع عقلاني عن موقفهم. لذلك يكون من المهم أن نتذكر بشكل دائم أنّ نسأل المعترض بعض الأسئلة لنطلب منه أن يقدم دفاعاً عن إيمانه أيضاً. إن المعترضين على المسيح لم يكونوا قادرين على تقديم إجابات. "فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً." (متى ٢٢: ٤٦).

دفاعيات بولس الرسول

لقد استعمل الرسول بولس الكتاب المُقدَّس كمعيار أعلى. حيث قدّم الرؤية المسيحية للعالم، وقام بنقد داخلي للرؤية العلمانية للعالم مستخدماً لائحة المراجعة "ت.ت.ش"، واستخدم استراتيجية " لا تُجِب، بل أجب" في إجاباته. ومثال رائع عن دفاعيات بولس الرسول يُقدَّم لنا في أعمال الرسل ١٧: ١٦-٣٤. حيث نجد بولس الرسول في أثينا - مدينة تعجُّ بالعبادات الوثنية. وقد كان يُحاجِجُ في المجمع وفي الأسواق كلَّ يومٍ مع اولئك الذين كان يصادف حضورهم هناك. إن بولس الرسول لم يستعمل المقاربات العاطفية ليبشّر؛ إنما كان يُحاجِج الناس. والفلاسفة كانوا معادين للمسيحيّة وقاموا بالهزء والسخرية منها. ثم أنهم أحضروا بولس إلى أَرِيُوسَ بَاغُوسَ (التي تشبه

مجلس العدل) ليسألوه عن التعليم الذي كان يقدّمه. وتسجل لنا الآيات ٢٢-٣١ النقاط الرئيسية التي كانت في دفاعيات بولس عن الإيمان.

لقد ابتدأ بولس من خلال تحليل رؤية معارضيه للعالم (أعمال ١٧: ٢٢-٢٣). وهذه هي خطوة مهمة إن أردنا أن نقوم بنقد داخلي. وقد لاحظ بولس أن الأثينيّين كانوا متديّنين- من ناحية أنهم كانوا يعبدون الأوثان. وواحد من معابدهم كان يحمل وصف "لإله مجهول." وقام بولس باستعمال ميزة الجهل هذه كجسر ليقدم لهم الرؤية المسيحية للعالم. وفعل هذا في الآية ٢٤ حيث انطلق عائداً إلى سفر التكوين - حيث أنه فسر لهم أن الله هو خالق العالم وكلَّ شيء فيه. وقد صحَّح الأخطاء في الرؤية التي يمتلكها المعارضين له عن الله من خلال الإشارة إلى أنَّ الله الخالق لا يسكن في معابد ولا يحتاج إلى أن يُخدَم بأيادي بشرية، إذ أنَّ الله هو نفسه معطي الحياة للجميع (الآية ٢٥).

يتابع بولس الرسول في الآيات ٢٦-٢٧ تقديم الرؤية المسيحية للعالم من خلال إظهار أننا جميعاً ننحدر من آدم. وقد أشار إلى أنَّ الله هو صاحب السلطان في التاريخ البشري و بأنه ليس بعيداً عنّا. ويعود في الآية ٢٨ إلى النقد الداخلي - من خلال الإشارة إلى أن الله هو ما نحيا به ونتحرك ونوجد؛ هذه الحقيقة التي على ما يبدو أن الأثينيّين قد عرفوها مسبقاً. لكن كان السؤال، أي رؤية للعالم تقدم تفسيراً ذا معنى لهذه الحقيقة؟ الأكيد أنها لم تكن الرؤية التي تكون الآلهة وفقها مصنوعةً من ذهبٍ وحجارة، إنما الرؤية المسيحية تجعل من هذه الحقيقة أمراً قابلاً للفهم. إن الإله في المسيحية هو كلي القدرة، وبالتأكيد فإنه قادر على أن يحافظ على وجود الإنسان.

يتابع بولس الرسول في النقد الداخلي مشيراً إلى أنَّ شعراءَ المعترضين يؤكدون ما كان يقوله. لقد أظهر أن الأثينيّين كانوا بالفعل يعرفون الإله التوراتي في أعماق قلوبهم. فالشعر قد صرّح بأننا ذريّة الله - وهو الأمر الصحيح من حيث أننا مخلوقون على صورة الله. وفي الآية ٢٩ يشير بولس الرسول إلى أن الرؤية المسيحية وحدها قادرة على أن تجعل من هذا الأمر مفهوماً. فالرؤية المسيحية تصرّح بأن الله قد خلق الإنسان على صورته. لكن الآلهة التي يعبدها الأثينيّن كانت مصنوعة من ذهب وفضة وحجارة - وقد كانت مصنوعة بأيدي الناس؛ فكيف لنا أن نكون ذريتها؟ إن بولس يظهر هذا التناقض المفجع في الرؤية التي يمتلكها المعترض للعالم.

بعد أن أظهر عيوب موقف معارضيه، عاد بولس الرسول إلى تقديم الرؤية المسيحية للعالم في الآيات ٣٠-٣١. وابتدأ يعلم أن الجميع يجب أن يتوبوا وأن يعودوا إلى عبادة الإله الحقيقي المُقدَّم في الكتاب المُقدَّس، لأن الله سوف يقوم بإدانة العالم بالمسيح. وينتهي بولس بالحديث عن المسيح القائم من الأموات. وتجدر الملاحظة إلى أنَّ بولس يستعمل قيامة المسيح كدليل على لاهوته - لكنه

يستعمل هذا الدليل بعد أن ينتهي من وضع الإطار الصحيح لكيفية تفسير الأدلة. فهو قد قام للتو بتدمير الرؤية الأثينيّة للعالم وأظهر بأن الرؤية المسيحية تؤمن الشروط المسبقة لقابلية الفهم والتي كان الإغريق قد عرفوها بشكل مسبق.

إضافة إلى أنَّ بولس قد قدَّم الخلفية التوراتية لفهم التطبيق اللاهوتي للقيامة. وذلك من خلال العودة إلى التكوين، أظهر بولس بأن الله هو الخالق صاحب السلطان وصاحب الحق بوضع القوانين. لكن الجنس البشري قد تمرَّد ضدَّ الله ويستحق الدينونة. إلا أنَّ الله يدعونا للتوبة - لقبول المسيح كإله مخلّص في حياتنا. إن قيامة المسيح (وفق الرؤية المسيحية للعالم) تستعرض بأن المسيح هو بالحقيقة كما قال عن نفسه - ابن الله. إن العديد من المسيحيّين يبدأون التبشير في عصرنا الراهن من صلب المسيح وقيامته. إلا أنَّ هذا لن يمتلك أيَّ تأثير إن لم يمتلك غير المؤمن الإطار السليم الذي يمكنه من التفسير بشكل صحيح. يجب أن نفعل ما فعله بولس؛ يجب أن نعود إلى سفر التكوين ونبدأ بتفسير المسيحية من البداية.

نجاح بولس الرسول

لقد وُجِدَت ثلاث أنواع من الردود على بولس الرسول. (١) بعض الأشخاص كانوا هازئين (أعمال ١٧: ٣٢)، (٢) البعض الآخر أرادوا أن يسمعوا أكثر (الآية ٣٢)، و(٣) البعض الآخر انضموا إليه وآمنوا (الآية ٣٤). ونستطيع نحن أيضاً أن نتوقع أن نصادف كل واحد من هذه الردود الثلاثة. الغريب بالأمر هو أن البعض من المسيحين يصرّحون بأن بولس الرسول لم يكن ناجحاً في دفاعه عن الإيمان في أثينا. ويقومون بمقارنة نتائجه مع الثلاثة آلاف شخص (أعمال ٢: ٤١) الذين خَلصوا بعد عظة بطرس لليهود في أورشليم (أعمال ٢: ١٤-٣٦). حتى أن البعض اقترحوا بأن عظة بطرس التبشيرية كانت أفضل بكثير من العظة التي ألقاها بولس وذلك نتيجة للعدد الأكبر من الأشخاص الذين آمنوا في أورشليم. إنما هذا الإدعاء يسقط ولعدد من الأسباب.

أولاً، بطرس وبولس قد استخدما الأساس نفسه ألا وهو "الكتاب المُقدَّس أولاً" في دفاعياتهم عن الإيمان، والإثنان قد بشّرا بقيامة المسيح. ويوجد نوع من التباين في تفاصيل الوعظ بينهما وذلك يرجع إلى أن جمهور بولس من المستمعين كان شديد الإختلاف عن جمهور بطرس. وهذا ما يصل بنا إلى النقطة الثانية.

يجب أن نصنّف عظة بطرس بأنها كانت موجهة إلى جمهور مؤمن بالكتاب المُقدَّس (اليهود)، في حين أن عظة بولس كانت موجهة إلى جمهورٍ علماني (اليونانيّين). والأمر الأكيد أن بولس كان يواجه جمهوراً أشدَّ عدائية، وبالتالي فإننا لن نتوقع بأن العديد من اليونانيّين سيتحولون إلى الإيمان. في حين أنَّ اليهود كانوا قد امتلكوا للتو رؤية توراتية مبنية على الكتاب المُقدَّس؛ فهم قد

آمنوا بالعهد القديم وكانوا ينتظرون مُخلّصاً. إذ انَّهم قد فهموا مشكلة الخطيئة نتيجة لقبولهم وفهمهم لسفر التكوين. لقد عرفوا إله الكتاب المُقدَّس وبالتالي فإن بطرس لم يحتاج لأن يقوم بتفسير الكثير من الأمور لهم. لقد ساعدهم فقط على تجاوز "حجر العثرة" (١ كورنثوس ١: ٢٣)- وهو حقيقة أن يسوع هو المسيح الذي كانوا ينتظرونه.

إن عظة بولس الرسول كانت موجهةً إلى أشخاص يمتلكون تفكيراً مختلفاً تماماً - أشخاص يمتلكون رؤيةً علمانية للعالم. فلو أنَّه ابتدأ دفاعياته بقيامة المسيح، لن يكون لما يقدّمه أي معنىً. ولاعتبرها اليونانيّون "جهالة" (١ كورنثوس ١: ٢٣). إن بولس قام بنقد رؤيتهم للعالم ومن ثم قام بتقديم الرؤية المسيحية للعالم من بدايتها في سفر التكوين. إن جمهور بولس الرسول كان غريباً بشكل كامل عن الرؤية المسيحية للعالم، وبالرغم من ذلك فإننا نجد أن البعض منهم قد آمنوا من بعد تقديمه هذا. لقد كان ناجحاً بالحقيقة!

في النهاية، إن "النجاح" في الدفاعيات لا يجب أن يقاس بقبول المعترض للمسيح أم لا. فالله لم يدعونا لنقوم بتحويل الناس إلى المسيحية؛ إذ أنَّ هذا يتجاوز حدود قدراتنا. لقد دعانا لأن نقوم بتقديم دفاع عن إيماننا. وسواء قبل هذا الشخص المسيح أم لا، هذا الأمر سيكون فيما بينه وبين الله. إلا أنَّ الله يستخدمنا عادةً كجزء من العملية؛ فنحن يجب علينا أن نقدم إجابات. وبالتالي فإن مسؤليتنا هي أن نتأكد من أننا نقدم دفاعاً أميناً للرؤية المسيحية للعالم. لقد قام بولس بذلك. وقد كان ناجحاً لأنه أطاع الله. وقد بارك الله مسعاه فآمن عدد من الأشخاص ونالوا الخلاص. وحقيقة الأمر أن اثنين من هؤلاء الأشخاص قد ذكروا بالإسم (أعمال ١٧: ٣٤) وهذا يشير إلى أنهما قد يكونان من مشاهير ذلك المجتمع. ومن يعرف ما هو نوع التأثير الذي قاما به في نشر رسالة الإنجيل؟

لقد قام كل من بطرس وبولس باستخدام مقاربة "الكتاب المقدس أولاً" المُقنِعَة في دفاعياتهم عن الإيمان. لكن كلّ منهما قد طوَّع التفاصيل لتتلاءَم مع جمهور المستمعين الحاضرين. لقد كان بولس مُصيباً في امضاءه فترة أطول من الوقت لتدمير الرؤية العلمانية للعالم التي امتلكها جمهوره وبتقديم الأبعاد الأساسية للرؤية المسيحية للعالم بدايةً من سفر التكوين. وبطرس كان مصيباً أيضاً حين تجاوز تلك الخطوات على اعتبار أن جمهور الحاضرين كانوا يعرفون تلك الأمور. لهذا السبب فإنه من المهم أن نفهم الرؤية التي يمتلكها المعترض للعالم حين نقوم بالدفاع عن الإيمان.

إن حضارتنا المعاصرة تتشابه إلى حدٍّ كبير مع جمهور "اليونانيّين" أكثر من تشابهها مع " اليهود". فمعظم الأشخاص في يومنا الراهن لا يعلنون اعترافهم بالخلق التوراتي. وبالتالي فإنهم

لا يعرفون بحق مفهوم الخطيئة، الصلاح والعدالة الإلهية، وبأنهم يحتاجون للتوبة. إنهم لا يمتلكون الإطار اللاهوتيّ الصحيح لتفسير موت وقيامة المسيح. وبالتالي فإن معظم الأشخاص في يومنا هذا يجب أن يتم تبشيرهم بطريقة تشابه التي قام بها بولس الرسول مع اليونانيّين. يجب علينا أن نتعلم كيفية نقد الرؤية العلمانية للعالم ومن ثم أن نقدم الرؤية المسيحية للعالم من البداية في سفر التكوين.

أن يكون ذهننا عاملاً في المسيح

إن الرؤية المسيحية للعالم تؤمن الشروط المسبقة اللازمة للمعرفة. وهي ذات موقف عقلاني ويمكن الدفاع عنه. ومن ناحية أُخرى نجد أن الرؤى غير المسيحية للعالم ليست إلا توقعات الناس التي تم اختراعها كي لا يحتاج الناس أن يخضعوا لسلطان الله. من خلال مطابقة أفكارنا مع كلمة الله، نحن نستطيع أن نتعلم كيفية دحض الافتراضات غير التوراتية. إن رسالة كورنثوس الثانية ١٠: ٥ تصرّح "هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ". إن دفاعنا عن الإيمان المسيحي لا يجب أن ينتهي بأن نستأسر كل أفكارنا إلى طاعة المسيح فقط، بل بالحري يجب أن يبدأ به.

الخاتمة

يوجد حكاية قديمة عن رجل يمتلك مشكلة غريبة من نوعها: لقد كان مقتنعاً بأنَّه ميّت. وقد حاول طبيبه أن يؤكد له بأنه لم يكن ميتاً، وبأنه كان بصحة جيدة. لقد حاجَجَهُ الطبيب قائلاً "انظر، ها أنت قادر على السير والكلام." لكن ذلك الرجل بقي متمسكاً بقناعته بأنَّه ميّت. فقد أشار إلى أنَّ العضلات قادرة على أن تتقلص بعد الموت السريري، وهذا قد يفسّر قدرته على السير والكلام. ثم أظهر له الطبيب جداول ورسوم بيانية طبيّة. لكن الرجل هذا لم يغيّر موقفه؛ إنما أشار إلى أن هذه الجداول والرسوم البيانية قد تكون خاطئة، وبأن الطبيب ربما قرأ تلك المعلومات بشكل خاطئ.

في النهاية لمعت للطبيب فكرة مميزة - طريقة ليثبت فيها بأن ذلك الرجل كان حيّاً. سأله الطبيب، " هل ينزف الموتى؟" فأجاب الرجل "لا، الأشخاص الموتى لا ينزفون." فأخذ الطبيب إبرة صغيرة ووخز بها يد الرجل. فخرجت نقطة صغير من الدم. وقال الطبيب "أترى هذا؟". حينها أجاب الرجل "حسناً، أعتقد أن الموتى ينزفون أيضاً!"

هل امتلك الطبيب أدلة تدعم موقفه؟ بالطبع لقد فعل. لكن ذلك الرجل لم يقتنع بالأدلة لأنه قد امتلك افتراضات مسبقة خاطئة. وقد كان قادراً على اختراع أجهزة انقاذ مختلفة تتناسب مع جميع الأدلة التي قام الطبيب بتقديمها. إن مقاربة الطبيب لم تكن فعالة لأنه قد فشل في تقدير قيمة الرؤى للعالم. إن الأدلة المجرّدة ليست كافية. لقد كان يتوجب على الطبيب أن يتحدى الرؤية التي يمتلكها ذلك الرجل للعالم. لقد كان يتوجب عليه أن يسأل ذلك الرجل عن سبب قناعته بأنه ميت؟ لقد كان الطبيب بحاجة لأن يمتلك فهماً أفضل للرؤية التي امتلكها الرجل "الميت" للعالم، وهذا الأمر كان مكّنه من تقديم نقدٍ داخلي لها، عوضاً عن تقديم الأدلة المختلفة له.

إن الجدل حول الأصول هو قياس مشابه لهذه الرواية. فالخلقيون والتطوريون عادةً "يتكلمون متجاوزين بعضهم البعض" لأنهم فشلوا في تمييز أهمية الافتراضات المسبقة. فعوضاً عن تقديم ورمي الأدلة ذات اليمين وذات اليسار، يجب على كلٍّ من التطوريّين والخلقيّين أن يتعلموا كيفية التعامل على مستوى الرؤى للعالم. ونحن كخلقيّين يجب أن نتحدى الرؤى غير المسيحية للعالم ونقوم بنقد داخليٍّ لها. ويجب أن نكشف التعسّف وعدم الإتساق والفشل في تأمين القاعدة العقلانية للمعرفة. إن الرؤية للعالم التي تبنى على إعلانات الله وحدها قادرة على الوقوف في وجه الفحص العقلاني.

وجميع الأشخاص الذين يقدمون الوقار والطاعة لله وكلمته سوف يكونون حكماء؛ أما اولئك الذين يرفضونها سوف يهبطون إلى درجة من الجهالة (أمثال ١: ٧). يسوع المسيح قد أكد هذا المبدأ الحيوي في متى ٧: ٢٤-٢٧.

"فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا ، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَلاَ يَعْمَلُ بِهَا ، يُشَبَّهُ بِرَجُل جَاهِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الرَّمْلِ. فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَصَدَمَتْ ذلِكَ الْبَيْتَ فَسَقَطَ، وَكَانَ سُقُوطُهُ عَظِيمًا!"

وحدها الرؤية التي تُؤَسَّسُ على الصخرة التي هي كلمة الله ستقف صامدة.

الصراع بين الرؤى للعالم

يوجد نوع من الحرب التي تستعر في العالم في يومنا الراهن - إنها حرب الأفكار. إنه صراع بين أصحاب السيادة. فنجد جانباً يجادل بأن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس وحده قادر على تأمين الأساس للحقيقة والمنطق. والجانب الآخر يجادل أن الناس المنفصلين والمستقلين عن إعلانات الله قادرون على تحديد الحقيقة. المشكلة التي تعصف بجميع الرؤى للعالم التي تعتمد على استقلالية التفكير المنطقي للذهن البشري هي أن الذهن البشري غير قادر على اتمام هذه المهمة. فالبشر يمتلكون خبرات محدودة وعاجزون عن التفكير بشكل سليم بشكل دائم؛ وبالتالي فإنه في حال البعد عن الله؛ كيف سنكون قادرين على أن نمتلك معرفةً مطلقة عن أي شيء؟

بالإعتماد على معرفتنا المحدودة، كيف يمكننا أن نكون متيقنين من عدم وجود أي حقائق غير مكتشفة قادرة على دحض كل ما نعتقد بأننا نعرفه؟

إن كنا نخترع معيارنا الأعلى للحقيقة، كيف لنا أن نجادل بأنَّه معيار سليم؟

إلا أنَّ طبيعة الله كلية الإختلاف عن طبيعتنا. فهو لا يعاين ليتعلم عن الكون بالطريقة التي نفعل نحن بها ذلك فهو ليس محدوداً مثلنا. الله (بحكم طبيعته) كليّ المعرفة (كولوسي ٢: ٣) وبالتالي فهو الوحيد الذي يقف في موقف يمكنه من أن يكون متيقناً من أي شيء وذلك بناءً على سلطانه. والله قد أعلن عن البعض من معرفته من خلال كلمته. ولذلك فإنه لزام علينا أن نتعلم كيف نقوّم تفكيرنا ليتوافق مع إعلانات الله، وندحض جميع اولئك الذين يتحدّون خالقهم.

رسالة كورنثوس الثانية ١٠: ٣-٥ تقول هذا عن الحرب الدائرة بين الرؤى للعالم "لأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ. إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ

الْمَسِيحِ،" إن مفتاح النصر هو أن نسلم أفكارنا لطاعة المسيح. رومية ١٢: ٢ تقول لنا بأننا يجب ألا نكون على شاكلة هذا الدهر إنما يجب أن نتغير ونجدِّد أذهاننا في المسيح.

إن دفاعياتنا ليست مجرد دفاع عن الرؤية التوراتية للعالم، إنما هي تطبيقٌ لها. من خلال معرفة أن الخوف المُقدَّس من الله هو رأس المعرفة، نستطيع أن نكشف عبثية المواقف الرافضة للإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس وبأن ذلك يقود إلى الجهالة (أمثال ١: ٧). إنَّ هذا لا يجب أن يتم بطريقة فظّة أو ساخرة، إنما يجب أن يتم دوماً بروح الوداعة والاحترام للمعارضين لنا. فهؤلاء المعارضين هم مخلوقين على صورة الله أيضاً وبالتالي فإنهم يستحقون أن ينالوا كلّ الاحترام والكرامة. ويجب أن نتذكر دائماً أننا في يوم من الأيام كنا معارضين وناقدين.

ان اولئك الذين يجادلون ضد الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس هم يحاربون الشخص الوحيد القادر على انقاذهم وتخليصهم من المصير الذي نستحقه جميعاً - الجحيم الأبدي. إضافةً إلى أنَّ المعترضين يحتاجون لأن يستعملوا المبادئ التوراتية في سبيل أن يكونوا قادرين على أن يجادلوا ضد الكتاب المُقدَّس. إن المعترضين يعارضون أنفسهم في الحقيقة. لذلك يجب أن نقوم بتصويب وتصحيح هذا الأمر بوداعة ومحبة، مُصلّين إلى الله أن يعطي التوبة. رسالة تيموثاوس الثانية ٢: ٢٤-٢٥ تصرّح "وَعَبْدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ، مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، " نحن يجب أن نقوم بدحض التطوريّين وذلك لمصلحتهم. إن هذه ليس مجرد مباراة أكاديمية، فنحن نريد للناس أن يَخلُصوا.

العديد من المسيحيّين يودون الحصول على تلك "الرصاصة الفضية" أي دليل علمي قادر على اثبات الرؤية المسيحية للعالم بطريقة حاسمة وغير قابلة لأن يتم تفسيرها بطريقة مخالفة. لكن جميع الأشخاص يفكرون مستعملين رؤية ما للعالم، وبالتالي فإنهم وبشكل دائم سوف يقومون بتفسير أي دليل علمي أو تاريخي بشكل يتوافق مع رؤيتهم للعالم وفي ضوء معيارهم الأعلى. لهذا السبب فإن "الرصاصة الفضية" مقاربة (الأدلة أولاً) ليست سليمة منطقياً. وبالرغم من أن بعض الأشخاص سوف يقتنعون بين الحين والآخر من خلال جدل سيء. إلا أن المسيحيّين يقعون تحت لزام أخلاقي بأن يجادلوا باستخدام الحقيقة. وإن كنا صادقين فيجب أن نعرف أن الكتاب المُقدَّس لا يمكن أن يتم إثباته من خلال مقاربة الأدلة أولاً على اعتبار أنَّه يجب أن يتم افتراض صحة الكتاب المُقدَّس أولاً في سبيل امتلاك القدرة على تقديم أي تفسير عقلاني للأدلة.

يجب علينا أن نستخدم مقاربة الكتاب المُقدَّس أولاً في الدفاع عن الإيمان المسيحي. وحين نقوم بهذا، نجد أننا في الحقيقة نمتلك دليلاً حاسماً للخلق وللرؤية المسيحية للعالم عموماً.

لا يوجد دحض عقلاني للدليل الحاسم للخلق، وذلك لأن أي معترض يحتاج لاستعارة المبادئ التوراتية مثل قوانين المنطق في سبيل أن يؤسس لجدله الذي يقدّمه. كما هو حال المعترض على وجود الهواء، يجب على التطوريّين أن يستعملوا مبادئ تناقض رؤيتهم للعالم في سبيل أن يجادلوا لاثبات صحتها. ففي سبيل أن يكون جدلهم ذا معنى فإنه يجب أن يكون خاطئاً. إن جميع الجدالات التي تعارض الخلق التوراتي تقوم وبشكل مسبق بافتراض الخلق التوراتي!

مجادلوا هذا العصر

لا أحد يستطيع أن يقف في وجه الرب. رسالة كورنثوس الأولى ١: ٢٠ تصرّح "أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟" إن معظم الدفاعيات التي هي ببساطة جيدة، عقلانية، تقوم على التفكير الكتابي. فنحن حين نتعلم أن "نطوّع أفكارنا على أفكار الله" نصبح أفضل في الدفاع عن الإيمان وأفضل في التفكير بشكل ملائم. إن هذه العملية تستمر طوال الحياة. لكنها تبتدئ مع الطاعة لمعيار الله.

إن هذا هو الدليل الحاسم للخلق. إن الكتاب المُقدَّس لا يتم اثباته من خلال دليل خارجي وباستخدام معيارٍ أعلى منه للمعرفة. بما يعني أنَّه يثبت نفسه. فوحدها الرؤية المسيحية للعالم قادرة على تأمين القاعدة العقلانية لجميع الإختبارات البشرية والمنطق من خلال النجاح بالمعايير التي تضعها. أما الرؤى الأُخرى للعالم يتبين أنها مجرد أوثان، تفشل في تأمين القاعدة اللازمة للمعرفة وتدحض نفسها بشكل ذاتيّ أثناء المعالجة. إن الخلق التوراتي يُثبَت من خلال حقيقة أنه في حال لم يكن صحيحاً، لن نكون قادرين على اثبات أي شيء.

من المؤكد أن المعترضين سوف لن يُعجَبوا بهذا الجدل. سوف يحاولون رفضه على قاعدة أنه " فلسفيّ" أو "انه ليس جَدل جيّد". لكنه لن يكون ممكنا أن يقوموا بدحضه. وهذا هو المفتاح الذي يجب أن ندرك أننا نمتلكه. ويجب أن نتذكر أن واجب المسيحي ليس "أن يفتح قلوبهم." فالروح القدس وحده قادر على فعل هذا الأمر. إن واجب المسيحيّ هو أن "**يسدَّ أفواههم**" - من خلال تقديم جدل جيّد للدفاع عن الإيمان. إن الدليل الحاسم هو جدل غير قابل للدحض للرؤية المسيحية للعالم.

أُصلّي أن يكون هذا الكتاب مساعداً للمسيحيّين في الدفاع عن إيمانهم. لقد تعمَّدتُ التأكيد على الدفاع عن سفر التكوين على اعتبار أنه الأساس لجميع أسفار الكتاب المُقدَّس؛ وجميع التعاليم المسيحية الرئيسية تعتمد على سفر التكوين التاريخي، سواء كان ذلك الإعتماد بشكل مباشر أم غير مباشر. كما أن سفر التكوين أمسى واحداً من أكثر الأسفار التي تتعرض للهجوم بين

أسفار الكتاب المُقدَّس. ولذلك فإنه من المهم أن نكون قادرين على الدفاع عن سفر التكوين بالطريقة عينها التي نستطيع أن ندافع عن الأسفار الخمسة والستين الأُخرى.

إن دفاعنا عن الإيمان لا يأتي من خلال معرفة عدد أكبر من الأدلة العلمية والحقائق التاريخية من بقية الناس. بالرغم من قناعتي الكاملة بأن تلك المعرفة هي أمرٌ جيد وتظهر لنا كيفية توافق تلك الأدلة (في حال تم تفسيرها بشكل جيد) مع سفر التكوين. إجابات في سفر التكوين وعدد آخر من المواقع التي تعمل على تأمين عدد من الموارد لتلك الغاية. لكن العلم ليس قاعدة دفاعنا عن الإيمان، وليس أن دفاعنا عن الإيمان يعتمد على التعليم الرسمي أو الدرجات الأكاديمية. إنه أمرٌ مساعد أن نتحصّل على شهادات دكتوراه سواء في الفلسفة أو اللاهوت أو أحد فروع العلوم. لكنه ليس أمراً مطلوباً. فالأمر الذي أُعطيَ لنا هو أن نكون جاهزين لتقديم تبرير للرجاء الذي فينا وذلك ما قدّمه لنا بطرس الرسول في (رسالة بطرس الأولى ٣: ١٥). إن بطرس كان صيّاداً للسمك (متى ٤: ١٨) وهي مهنة شريفة للغاية، لكننا لن نعتبرها عادةً على أنها أكاديميّة.

إن دفاعنا عن الإيمان يأتي من تمرسنا على الدفاع باستعمال الطرق الكتابية. إذ أنّ الله هو منطقيّ، ولذلك فنحن أيضاً يجب أن نكون كذلك. والله يقول لنا بأن كل المعرفة تصدر عنه (كولوسي ٢: ٢-٣)، وبالتالي يجب علينا أن نُدَرِّب أنفسنا على تمييز هذه الحقيقة. لذلك يجب علينا أن نتعلم كيفية رؤية أساسات الشروط المسبقة لقابلية الفهم في الله الذي أعلن عن ذاته في الوحي المُقدَّس. يجب أن نتعلم أيضاً كيفية كشف التعسّف وعدم الإتساق في الرؤية العلمانية للعالم. ونتعلم أيضاً رؤية وكشف المغالطات المنطقية والمقدمات المنطقية الخاطئة في الجدالات التي يقدمها التطوريّون. ويجب أن نفعل ذلك ليس لغاية ربح الجدل إنما لربح النفوس. يجب ألا يكون هدفنا المجد الذاتي - أي أن نظهر على أننا أشد ذكاءً من الآخرين. إنما هدفنا هو أن نُمجّد الله من خلال تقديم دفاع عن سبب الرجاء الذي لنا به وحده.

الملحق أ
تمييز الحقيقة

بالرغم من أننا في هذا الكتاب قد افترضنا أنه من الواجب قراءة الكتاب المُقدَّس بطريقة أمينة ومباشرة: أي أنه يعني ما يقوله. لكن يوجد عدد ممن يعلنون إيمانهم المسيحي ويقفون موقفاً رافضاً لهذا الفكر. فيوجد اولئك الذين يقولون بأن الكتاب المُقدَّس لم يُرد منه أن يؤخذ بشكل تاريخيّ، إنما بطريقة مجازية. وأيضاً هنالك البعض الآخر الذين يقولون بأن الكتاب المُقدَّس هو بالحقيقة كتاب تاريخ، لكنه لا يعني ما يقوله؛ على سبيل المثال، يعتقد البعض من الناس أن كلمة "يوم" في الإصحاح الأول من سفر التكوين لا تعني حقاً يوم، إنما تعني حقبة أو فترة من الزمن. ولكنهم يقولون بأنه يوجد أجزاء أُخرى من الكتاب المُقدَّس لاتزال صحيحة. في هذا الملحق سوف نعالج السؤال عن الكيفية التي يجب علينا أن نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس وفقها؟ وكيف يجب أن نقوم بتفسير الكلمات؟

على الرغم من وجود عدد من وجهات النظر المختلفة عن كيفية قراءة الكتاب المُقدَّس، واحدة فقط من بينها سوف تكون عقلانية ويمكن الدفاع عنها: ما يمكننا أن ندعوه قراءة "طبيعيّة" أو "مباشرة". لهذا نتخذ الموقف المؤيد لهذا الأسلوب بالقراءة في هذا الكتاب. قبل أن نقدم دفاعاً عن هذا المنظور، سيكون من المفيد أن نقوم بتقديم تفسير لما تعنية القراءة الطبيعية. إن الفريق العامل في موقع إجابات من سفر التكوين، يستخدم "المقاربة القواعدية التاريخية" لتفسير الوحي المُقدَّس. قد تمت تسمية هذه المقاربة لأننا نستخدم القواعد والتاريخ لفهم معنى النص. ونحن على قناعة تامّة بأنه يجب أن يتم تفسير النص بناءً على نيّة المؤلف. ومن خلال فهم التاريخ وقواعد اللغة، نستطيع أن نصل بطريقة متّسقة إلى فهم ما أراد الكاتب أن ينقله إلينا. إن القواعد والتاريخ يساعدان على فهم نوع الكتابة الأدبية وهذا الأمر يمكننا من التحقق من معاني الكلمات.



معظم أجزاء الكتاب المُقدَّس قد كُتبت بشكل سردٍ تأريخيّ للأحداث. أي أنه ببساطة كتاب تأريخ. وبالتالي فإنه يجب أن يتم قرائته ككتاب تأريخ - أي على أساس أنه ينقل لنا التاريخ الحقيقيّ.

إن كُتُب موسى والأناجيل على سبيل المثال، هي تاريخية من حيث أسلوب كتابتها، وبالتالي فإنه يجب أن نأخذها بشكل حرفي. والكتاب المُقدَّس يحتوي على التعاليم المذهبية - أي الكتب التي تشرح وتفصل التعاليم المسيحية. والرسائل كما في رسالة رومية قد كتبت بهذا الاسلوب. ورسالتها واضحة وحرفية. وبالتالي فإننا نأخذ القسم التأريخي من الكتاب المُقدَّس والرسائل بطريقة حرفية. لاحظ أيضاً، أنه حتى في الأسلوب الحرفي للغة يوجد بين الحين والآخر استخدامات مجازية ومن الواضح أنه من غير المقصود أن تتم قراءتها بصورة حرفية متصلّبة. إن هذا لا يختلف كثيراً عن أسلوبنا في الكلام، الذي هو بشكل أساسي أسلوب حرفي (لكن ليس بكامله).

لكن ليست جميع أقسام الكتاب المُقدَّس قد كُتِبَت بهذه الطريقة. فالكتاب المُقدَّس يحتوي أيضاً على الكتابات الشعرية. وسفر المزامير هو خير مثال على ذلك. فالشعر لا يجب أن يتم أخذه بطريقة حرفية متشددة. فالأقسام الشعرية في الكتاب المقدَّس هي صحيحة بالكامل وموحى بها من قبل الله، لكنها تحتوي على مجموعة من الإستعارات المجازية التي لا يراد لها أن تؤخذ بشكل حرفي. والكتاب المُقدَّس يحتوي أيضاً على الكتابات النبوية، مثل سفر دانيال وسفر الرؤيا الذان كُتِبا بهذا الأسلوب. وهذا النوع من الكتابة يستعمل وبشكل كثيف الإستعارات المجازية ويقدم الكثير من التلميحات والإشارات إلى الأسفار الأُخرى من الوحي المُقدَّس. ولا يُراد للكتابات النبوية أن تتم قرائتها بطريقة حرفيّة صرفة، بالرغم من أنها في بعض الأحيان تحتوي على الشرح الحرفي لمعنى الصور الرمزية المقدمة فيها. في الأقسام النبوية من الكتاب المُقدَّس ، نقوم باستخدام التعاليم الواضحة الحرفية الموجودة في الأقسام التاريخية لتساعدنا على فهم المعنى وتفسير غير الواضح في ضوء الواضح.

يمكن أن يتم التمييز بين جميع هذه الأنواع الأدبية من خلال استخدام قواعد اللغة. ويكون أمراً جيداً في أكثر الأحيان أن تتم العودة إلى اللغة الأصلية أيضاً: فالنظر إلى الإستخدام العبري للحرف (و) الذي يفيد التوالي سيساعدنا على تحديد السرد التاريخي، والتوازي المترادف أو المضاد في الأفكار يساعدنا على تمييز الأسلوب الشعري.[1] حتى أنه من خلال طريقة استعمال الأفعال العبرية يمكن أن يتم تبيان نوع الكتابة الأدبية وهذا الأمر الذي قام بتوثيقه الدارس الدكتور ستيڤن بويد.[2] وهذه التفاصيل تتجاوز الحدود المقترحة لهذا الكتاب. ومن الكافي في هذا المقام أن نقول بأنَّه أمرٌ سهلٌ نسبياً أن يتمَّ التمييز بين الأنواع المختلفة من الكتابات الأدبية. وبأنه

[1] انظر كتاب بعنوان "التحقيق مع المؤمنون بالأرض القديمة" لكل من توم تشافي وجيسون لايل (Greem ForestK AR: Master Book, 2008).

[2] انظر كتاب RATE الجزء الثاني، متوفر عبر موقع إجابات في سفر التكوين www.answersingenesis.org.

يجب علينا أن نقوم بقراءة كل جزء بالطريقة التي يتوافق فيها مع الأسلوب الأدبي الذي كُتب وفقه. وفي المحصلة نستطيع القول بأنه يجب أن نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس بطريقة طبيعيّة، وبنفس الطريقة التي نقوم فيها بقراءة أي كتاب آخر. ونقوم باستخدام السياق التاريخي والقواعدي للقيام بتفسير الوحي المقدس في ضوء الوحي المقدس لفهم قصد وغاية المؤلف.

وهذا هو الأسلوب الذي نتَّبعه حين نقوم بقراءة أي لغة من اللغات. فلن نقوم بقراءة كتاب عن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية على أساس أنه كتاب شعريّ. فكل نوع من الأنوا ع الأدبية يجب أن يتم التعامل معه بطريقة تناسبه. لكننا نجد العديد من الأشخاص الذين يتخبطون في مواقفهم حين يتعلق الأمر بالكتاب المُقدَّس. حيث أنهم لا يقومون بتفسير أقسام الكتاب المقدس بالطريقة عينها التي سيقومون بتفسير أي من الكتابات المعاصرة التي كتبت بنفس الأسلوب الأدبي. وسنرى أن هذا الأسلوب في قراءة الكتاب المقدَّس سوف يقود إلى مشاكل مستعصية، وسيؤدي إلى تدمير إمكانية المعرفة. لهذا السبب يجب علينا أن نقرأ الكتاب المُقدَّس بطريقة طبيعية وذلك إن أردنا أن نكون عقلانيين. وأي بديل لهذا سوف يقود إلى نتائج عبثية. لذلك فلنستكشف هذه الفكرة.

الرؤى البديلة

حين نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس بطريقة طبيعية، فإننا سوف نجد تفسيراً للشروط المسبقة لقابلية الوضوح. وجميع الإختبارات البشرية والمنطق سيكون لها معنىً في ضوء القراءة الطبيعية للكتاب المقدس. وإنه لمن المؤكد عدم اتفاق الجميع على أن الكتاب المقدس يجب أن يُقرأ بطريقة طبيعية مباشرة. فيوجد اولئك الذين يرفضون أجزاء من الكتاب المُقدَّس، أو الذين يأخذون الأسفار التاريخية (مثل التكوين) على أساس غير حرفيّ. على سبيل المثال، يوجد عدد كبير من المسيحيّين الذين لا يؤمنون بأنَّ الله قد خلق الكون في ستة أيام، وبالرغم من ذلك فإنهم يصرحون بإيمانهم بالكتاب المقدس. البعض يقول بأن الله قد خلق من خلال التطور ويصرّ بأنَّ ذلك متوافق مع الكتاب المقدَّس. ومن الواضح أن هؤلاء الأشخاص لا يقومون بقراءة الكتاب المُقدَّس بطريقة طبيعية. فماذا يجب علينا أن نفعل مع من يقرأ الكتاب المقدس بطريقة غير طبيعية؟

إن التحقيق سيكشف لنا بأن الرؤية التي تعتمد على قراءة غير مباشرة لسفر التكوين تمتلك نفس العيوب التي تمتلكها الرؤية العلمانية للعالم. ولذلك فإنه من الممكن أن نستخدم ذات المقاربة الدفاعية والأسلوب اللذان قدمناهما سابقاً وذلك في سبيل دحض المقاربات غير المباشرة للنص المقدَّس. وحين نقوم بتطبيق لائحة "ت.ت.ش" لاختبار القراءة غير المباشرة والطبيعية للوحي الإلهي سوف نجد أنها لن تنجح في هذه الفحوصات. فهي تعسّفية، غير متّسقة و تفشل في تأمين الشروط المسبقة لقابلية الوضوح. ومن الواضح أننا لن نتمكن من أن نقوم بمعالجة كل

واحدة من هذه الرؤى بشكل مستقل، لكنه من الجيد أن نقوم بدحض البعض من الأكثر شهرةً من بينها.

الرؤية القائلة بأن الوحي المقدس يجب أن يخضع للعلوم المعاصرة

يوجد فكرة شائعة وبقوة بأننا يجب أن نقوم بتفسير الكتاب المقدس بناءً على "ما يقوله العلم." إن هذه المقاربة ترتكب مغالطة شخصنة المفاهيم؛ إذ أنَّ العلم هو مفهوم وأداة عاجزة عن قول أيّ شيء. ويقوم المدافعون عن هذه الرؤية بإعادة صياغة الخطوط العريضة لرؤيتهم تلك بحيث يحاولون التهرب من ارتكاب مغالطة شخصنة المفاهيم بالقول: "يحب أن يتم تفسير الكتاب المقدس بحيث يوافق رأي غالبية العلماء." لكن هذا استبدال للمغالطة الأولى بمغالطة أُخرى - فالآن هي مغالطة التماس رأي الغالبية (التماس السلطة). عادة ما يتم تمييز مغالطة الإلتماس الخاطئ من خلال الكلمات المستخدمة فيها؛ فالبعض قد يقول "يجب أن نقوم بتفسير الكتاب المُقدَّس في ضوء المعرفة العلمية." لكن ما يُعتبر معرفة علمية قد يختلف من شخص إلى آخر. وبالتالي فإن ما يقصدونه حقيقة هو "بناءً على ما يعتبر معرفة بموافقة الغالبية من العلماء."

أياً تكن الطريقة التي يتم وفقها تقديم هذه الرؤية فإنها تتطلب موافقة مجموعة معينة من العلماء على فهم معين في سبيل تفسير الكتاب المُقدَّس. وأحد أشهر الصيغ هي بأننا يجب أن نقوم بتفسير كلمات سفر التكوين بطريقة تتوافق فيها مع الإنفجار الكوني العظيم ومع الإدعاءات القائلة بأن الأرض تعود إلى مليارات السنين. وذلك بالإعتماد على تفسير سفر التكوين بناءً على أفكار مثل "اليوم = حقبة زمنية" و "الخلق التدريجي أو التصاعدي".

وفقاً لهذه الرؤية فإن كلمة يوم في سفر التكوين يجب أن يتم تفسيرها على أنها حقبة زمنية طويلة، وليس يوماً اعتيادياً. والمؤيدون لها يؤمنون بأن الله قد قام بفعل الخلق على مدى مليارات من السنوات. والأمر الذي مكنهم من مطابقة الإطار الزمني للخلق مع الإطار الزمني المفترض من قبل التطوريّين. إن هذه الرؤية تحتوي على العديد من العيوب الداخلية المتناقضة. ومن بينها على سبيل المثال، إن الترتيب الذي تم وفقه خلق الحياة والمذكور في سفر التكوين لا يتطابق مع الترتيب المفترض من قبل التطوريّين، وبالتالي فإن إطالة أمد اليوم ليمسي حقبة زمنيةً طويلة الأمد لن يقوم بحل المشكلة. للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع بإمكانكم الرجوع إلى كتاب التحقيق مع المؤمنين بقدم عمر الأرض. [3]

إن الأفكار القائلة بقدم عمر الأرض والإنفجار الكوني العظيم هي أفكار حديثة نسبياً. ومن المؤكد أن الغالبية من العلماء لم يؤمنوا بهذه الأفكار حتى منتصف القرن العشرين. وهذا نوع من عدم

---

[3] لكل من توم تشافي وجيسون لايل، متوفر عبر موقع إجابات في سفر التكوين. www.amswersingenesis.org.

الإتساق في فكرة أن الكتاب المقدس يجب أن يتبع للعلوم المعاصرة. وتفسير الكتاب المُقدس "الذي يتم اعتباره صحيحاً وفق هذه الرؤية" لن يكون ثابتاً؛ فهو سيتغير بشكل دائم ليتلائم مع رأي الأغلبية من العلماء كلما حدث تغيّير في إجماع المجتمع العلمي. فهل يجب علينا أن نؤمن بأن الناس قد فشلوا في تفسير سفر التكوين طوال السنوات الماضية، إلى أن وصلنا إلى العصر الراهن حيث قام العلماء باكتشاف ما يعتقدون أنه "الحقيقة"؟



قُلْ لي مرَّة أُخرى، لماذا يجب أن أثق بقدرة العلماء على أن يكونوا دقيقين في موضوع الحياة على كوكب الأرض "منذ ملايين السنوات"...

إن كان مطلوباً وجود نسبة معينة من المعرفة العلمية لفهم الكتاب المقدَّس، حينها كيف سيكون من الممكن أن نعرف بأننا قد وصلنا إلى تلك النسبة؟ من المؤكد أن ما نعرفة عن الكون في عصرنا الراهن سوف يتم اعتباره معارف بدائية بعد مرر فترة من الزمن. وذلك نتيجة للتقدم العلمي الذي يحدث بشكل متسارع، وبالتالي فإنه من غير الممكن أن نعرف فيما إذا كان فهمنا للكتاب المقدس هو فهم صحيح. وإن لم يكن فهمنا للكتاب المقدس مؤكّداً، فكيف لنا أن نعرف صحّة أي شيء، لأن الرؤية التوراتية للعالم هي الوحيدة القادرة على تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم. وبالتالي فإن الموقف القائل بأن الكتاب المقدس يخضع للتفسير بطريقة يتوافق فيها مع رأي الأغلبية من العلماء إنما هو موقف ذاتي النقض. والأشخاص الذين يتمسكون بهذه الرؤية لا يتمسكون بالكتاب المُقدَّس على أنَّه المعيار الأعلى لهم. لكننا نعرف أن بدء المعرفة هي مع الله (أمثال ١: ٧)، وليست مع الإنسان.

إن الرؤية القائلة بأن الوحي المقدس يجب أن يخضع للعلوم المعاصرة ستؤدي إلى نتائج عبثية.

ويوجد لدينا طريقة أُخرى للتفكير بالأمر. فنحن قد أنجزنا الكثير من التقدم في هذا الكتاب. (١) كلّ شخص يحتاج لامتلاك معيار أعلى (الفصل التاسع). (٢) وحدها الإعلانات الإلهية الخاصة التي أعطاها الله (الكتاب المقدس) قادرة على أن تكون المعيار الأعلى حيث أنها الوحيدة القادرة على تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم (١-٣). (٣) بالتالي: اولئك الذي لا يكون الكتاب المقدس معيارهم الأعلى سوف يكونون غير عقلانيّين. (٤) اولئك الذين يقومون بتفسير الكتاب المقدس ليطابق إدعاءات العلماء لا يشكل الكتاب



رسالة بطرس الأولى ١: ٢٤-٢٥

"...وهذه الإكتشاف الحديث سيغيّر كل ما نعرفه عن أصل الحياة. آه، لحظة، يوجد اكتشاف أحدث سيغيّر كل ما قد أعلَنتُهُ ..."

المُقدَّس معيارهم الأعلى. يجب أن يكون هذا الأمر واضحاً؛ إن قمنا بتعديل وضبط فهمنا للكتاب المُقدَّس ليطابق إدعاءً من نوع آخر، حينها سيكون ذلك الإدعاء الآخر أساسي لتفكيرنا أكثر من الكتاب المُقدَّس. إن المعيار المطلق لا يمكن أن يتم تعديله نتيجة لإدعاءات خارجية، وإلا فإنه لن يكون معياراً مطلقاً. وبالتالي (٥) فإن الذين يقومون بتفسير الكتاب المقدَّس ليطابق رأي العلماء ليسوا عقلانيّين. إن الرؤية الوسطية للوحي المقدس قد تنازلت عن سلطان الكتاب المُقدَّس وانحدرت إلى مستوى من العبثية التي تُميِّز الرؤية العلمانية للعالم.

الإعلانات من خلال الطبيعة

في الغالب سنجد أن الرؤية التي تقول بأن فهمنا للكتاب المُقدَّس يجب أن يتم تعديله ليطابق رأي الأغلبية من العلماء يجري الدفاع عنها من خلال جدل كالتالي: "إن الله قد أعلن عن ذاته في الطبيعة. وبما أنَّ الله لا يستطيع أن يكذب، فإنَّه يجب على الكتاب المقدَّس أن يوافق تلك الإعلانات." إن هذا التصريح شائع جداً بين التطوريّين الربوبيّين والمدافعين عن قدم عمر الأرض. إن هذا التصريح يرتكب مغالطة تجسيد المفاهيم - إذ أنَّه قد تمَّ التعامل مع الطبيعة على أنَّها شخصية قادرة على امتلاك موقف معين في الحوار. ويوجد مشكلة أُخرى في هذا التصريح وهي مشكلة عدم تطابق الفئات: فالطبيعة ليست مصدر يقترح ويقدّم الحقيقة- فهي غير مصنوعة من مجموعة من التصريحات. إن الطبيعة لا تستطيع أن تتوافق (بشكل حرفيّ للكلمة) مع الكتاب المقدس. وفي الحقيقة إن "ما يقوله أغلبية العلماء عن الطبيعة" هو ما يؤمن المدافعون عن قدم عمر الأرض والتطوريّين الربوبيّين بأنه يجب أن يقود تفسيرنا للكتاب المقدَّس. ولقد رأينا للتو مشكلة هذا الإقتراح.

ولكن ربما أكثر الأمور تميّزا في هذا التصريح هو أنَّه ذاتي النقض. فلنفترض بأننا سألنا أحد المدافعين عن الرؤية هذه، "كيف تعرف أنَّ الله قد أعلن عن ذاته في الطبيعة. وكيف تعرف أن الله متّسق ولا يناقض نفسه؟" إن الإجابة العقلانية الوحيدة التي يستطيع أن يقدّمها هي، "حسناً، إن الكتاب المُقدَّس يقول ذلك. فرسالة رومية في الإصحاح الأول تعلم بأن الله قد أعلن عن ذاته للجميع." إلا أنَّه يقع أسيراً لتصريحه هذا، لأننا إن لم نأخذ الكتاب المقدس بطريقة طبيعية ومباشرة، هل سوف نستنتج بأنَّ الله قد أعلن عن ذاته في الطبيعة. فإن الإصحاح الأول من رسالة رومية لن يكون صحيحاً بشكل حرفيّ، حينها لن يكون لدينا أي سبب للاعتقاد بأنَّ الله قد أعلن عن عن ذاته حقاً (وبشكل حرفي) في الطبيعة. وبالتالي فإن الرؤية التي تقول بأننا يجب أن نرفض القراءة الطبيعية المباشرة للكتاب المُقدَّس في ضوء الطبيعة تفترض وبشكل مسبق أن نقوم بقراءة طبيعية مباشرة للكتاب المقدس! وبالتالي فإنها ذاتية النقض.

الرؤية المجازية

يوجد اولئك الذين يُعلِّمون بأن الكتاب المقدس ليس إلا كتاباً عن الحقائق الروحية والأخلاقية وبأنه ليس مقصوداً أن يتم أخذه بشكل حرفيّ. لكن الكتاب المُقدَّس يقدِّم الأخلاق خلال السياق التاريخي. فجميع التعاليم المسيحية تفترض بشكل مسبق حقيقة التاريخ المسجل في الكتاب المقدس. فإننا مسؤولون عن أعمالنا أمام الله ذلك لأنه هو من قام بخلقنا. ولأن الله قد خلق حوَّاء من ضلعٍ من جنب آدمَ فإننا نمتلك أساساً لمفهوم الزواج. كما أنه فقط في حال كان التاريخ المسجل في سفر التكوين حقيقيّاً يمكننا حينها أن نمتلك أساساً للشروط المسبقة لقابلية الفهم.

فقط في حال كان الله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس قد قام حقاً وبشكل حرفيّ بخلق آدم وحواء كما قال أنَّه فعل، حينها يجب علينا أن نعتقد بأن الإنسان قد خُلق على صورة الله وبالتالي فإنه يستحق الكرامة. فقط إن كان التكوين ٨: ٢٢ حقيقيّ بالفعل فإننا نستطيع أن نمتلك انتظاماً في الطبيعة وهو الأمر الذي يعتمد عليه كل البحث العلمي. وبالتالي فإن اولئك الذين يرفضون التاريخ الذي يقدمه الكتاب المقدس في الوقت عينه الذي يحاولون التمسك بالأخلاق التي فيه يقفون موقفاً مساوياً للذين يرفضون الكتاب المُقدَّس بالكامل؛ وهذا الموقف عاجز عن تجاوز اختبار "ت.ت.ش" وهو يُشكِّلُ رؤى خاطئة بطبيعتها.

الرؤية المتنوعة

يوجد اولئك الذين يقولون بأن جزء من الكتاب المقدس فقط هو صحيح. حيث يقبل المدافعون عن هذا الموقف أجزاء من الكتاب المقدس في حين أنهم يرفضون الأجزاء العَسِرَة. إن هذه الرؤية هي تعسفية بشكل كامل؛ كيف لنا أن نقرّر بأن نأخذ بعض الأجزاء من الكتاب المُقدَّس ونرفض أجزاءً أُخرى؟ أياً يكن السبب، فإن المدافعين عن هذا الموقف يجب أن يمتلكوا معياراً أعلى وسلطاناً أعلى من الكتاب المقدس والذي يستخدمونه للحكم على الأجزاء التي سيقبلونها من الكتاب المقدس. كما هو حال حوّاء، هؤلاء قد قرروا أن يحكموا على كلمة الله بأنفسهم ووفقاً لمعاييرهم التعسّفية. لكن وبشكل مطلق، إن الكتاب المُقدَّس وحده قادر على أن يكون المعيار المطلق وغير التعسُّفي. ونجد أن المدافعين عن هذا الموقف يقومون بالحكم على المعيار المطلق من خلال استعمال معيار أدنى منه، وبالتالي فإن موقفهم هذا عبثيّ.

المعايير المزدوجة

يوجد العديد من الأشخاص الذين قاموا بتقديم كتب تعمل على تسويق قراءة غير طبيعية (مباشرة) للكتاب المُقدَّس. إلا أنَّه يوجد شيء ساخر للغاية يتعلق بأولئك الكتَّاب؛ فجميعهم ينتظرون أن نقوم بقراءة الكتب التي قدّموها بطريقة طبيعية ومباشرة! حاول فقط أن تتخيل ماذا ستكون النتائج إن استعملنا مع الخلقيين المؤمنين بقدم عمر الأرض المعيار عينه الذي يستخدمونه مع الكتاب المقدَّس - بحيث أننا نعيد تفسير الكلمات لتتفق مع إيماننا. لذلك فإن جميع الأشخاص الذي يحاولون التسويق للقراءة غير الطبيعية للكتاب المقدس يقعون في مغالطة المعاملة الخاصة (أو المعايير المزدوجة)؛ حيث أن المعايير التي يطبقونها على أنفسهم تختلف عن تلك التي يطبقونها على الكتاب المقدّس. إن تم تطبيق الرؤى ذات القراءة غير الطبيعية بشكل متّسق، فسوف نجد أن جميع تلك الرؤى ستكون ذاتية النقض.

النقض الذاتي

إن ضرورة التعامل مع الكلام بطريقة طبيعية وبقراءة مباشرة للنص هو أحد الشروط المسبقة لقابلية الفهم. إن الجدالات العقلانية ستكون أمراً مستحيلاً إن لم يقم جميع الأطراف بافتراض أنهم يتكلمون بطريقة طبيعيّة ومباشرة بحيث أن كلماتهم تعني ما تعني وليست بحاجة إلى إعادة تفسير. وبالتالي فإن أيَّ شخص يجادل ضد الموقف الذي يقول بأن الكلام يجب أن يتم فهمه بطريقة مباشرة، هو بذاته يجب عليه أن يفترض بأن الكلام لا بد أن يتم فهمه بطريقة مباشرة. وبالتالي فإنه في سبيل أن يكون الجدل الذي يقدمه ذا معنى فإنه يجب أن يكون خاطئاً!

إن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس هو القاعدة الأساسية لأشياء مثل قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق - لكن هذا صحيح فقط في حال تم فهم الكتاب المُقدَّس بطريقة مباشرة وطبيعيّة. فإن تمَّ رفض أجزاء من الكتاب المُقدَّس، أو في حال تم فهم التاريخ الحرفيّ بطريقة مجازيّة، حينها سنفقد القاعدة التي نحتاجها للتفكير المنطقي والخبرات البشرية. لن يوجد أي سبب يدفعنا لأن نثق بأن حواسنا هي ذات اعتمادية أو أنَّ الجنس البشري يمتلك كرامة في حال كانت الأجزاء التي تمسّ هذه المواضيع من الكتاب المُقدَّس غير صحيحة؟

إن كان الكتاب المقدس بالحقيقة معيارنا الأعلى، حينها (١) يجب أن يكون صحيحاً بكامله، و (٢) يجب أن تتم قراءته بطريقة مباشرة وطبيعية. وإلا فإننا سنحتاج لامتلاك معيارٍ أعلى منه لكي نقوم (١) بالحكم على الأجزاء التي سنعتبرها صحيحة أم خاطئة، أو (٢) لكي نعرف كيفية تفسير الأجزاء المختلفة من الكتاب المُقدَّس. وبالتالي فإن أي اقتراح لاعتماد قراءة غير مباشرة للكتاب المُقدَّس من قبل الخلقيين المؤمنين بقدم عمر الأرض أو من قبل التطوريّين أو أي شخص

آخر، تشير وبشكل مباشر إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس ليس هو المعيار الأعلى لهم. ولقد رأينا سابقاً عبر صفحات هذا الكتاب النتائج العبثية التي تتبع عدم اتخاذ الأفراد للكتاب المُقدَّس كمعيارٍ أعلى: وهي أنهم سينحدرون إلى الجهالة. وحدها القراءة الطبيعية المباشرة للكتاب المُقدَّس سوف تُفضي إلى رؤية متسقة منطقية وغير تعسفية للعالم، وفيها سيكون من الممكن أن يتم البحث العلمي والتطور التكنولوجي.

الملحق ب
إجابة المعترضين - الجزء الأول

إنه الوقت الآن لكي نقوم بتطبيق ما تعلمناه سابقاً في هذا الكتاب. فإننا قد رأينا بأن الدليل الحاسم للخلق قد زوّدنا بجدل غير قابل للدحض للخلق التوراتي، وبأنه يمكن كشف الرؤى غير التوراتية للعالم من خلال اختبار "ت.ت.ش" بالإضافة إلى استخدام استراتيجيّة "لا تُجِبْ، بلْ أجِبْ". لقد قمنا بتقديم العديد من الأمثلة، لكن تلك الأمثلة كانت افتراضية، ومخصصة لتوضيح أجزاء معينة من الموضوع المطروح. في هذا الملحق سوف نقوم باختبار رسائل كتبت من قبل أشخاص مؤيدين للتطور (أو معارضين للكتاب المقدس). وسوف نجد أن الجدالات التطورية سهلة الدحض باستخدام المعلومات التي سبق وتعرفنا عليها.

إن هذا الملحق سيساعد في صقل مهاراتنا وتنمية قدراتنا على استخدام التقنيات التي طورناها خلال الفصول الخمسة الأولى من هذا الكتاب.

إن جميع الرسائل التي ترد في هذا الملحق هي رسائل وردت إلى بريد موقع إجابات في سفر التكوين. وبما أنَّ هدفنا ليس أن نقوم بإحراج أي شخص، فإن أسماء المرسلين قد تم استبدالها بالأحرف الأولى من أسماءهم.

بعد أن يتم طرح رسالة المعترض، فإنني سوف أقوم بتقديم تحليل للرسالة. والبعض من هذه الرسائل قد نُشِرَت جنباً إلى جنب مع التحليل الذي قدّمته لها على موقع إجابات في سفر التكوين في قسم الردود. إلا أنَّه يوجد العديد من الرسائل التي ينقصنا الوقت الكافي لنشرها كون العدد الذي يصلنا من الرسائل أكبر بكثير من أن يتم نشرها جميعها.

إن كنت خلقياً تريد أن تشحذ مهاراتك الدفاعية، فإن هذا الملحق هو فرصة مناسبة لك للتدريب. وأقترح أن تقوم بالتعامل مع كل من الحالات بطريقة منفصلة، بحيث أنك تقوم بقراءة الرسالة التي يقدمها المعترض، ومن ثمَّ فكر بالرد الذي قد تقدّمه قبل أن تقوم بقراءة التحليل الذي وضعته. وأود أن أقترح أن تقوم بكتابة ردّ بنفسك للبعض من تلك الإعتراضات، فقط في سبيل التدريب. وبعد ذلك انظر فيما إذا قد نجحت في رصد التعسف وعدم الإتساق المستخدم في رسالة المعترض. حاول أن تقوم بتحديد ماهية الرؤية للعالم التي يمتلكها كاتب الرسالة، وحاول أن تحدد الكيفية التي تفشل فيها في تحقيق الشروط المسبقة لقابلية الفهم. واستعمل دائماً استراتيجية "لا تُجِبْ، بل أجِبْ" أثناء تقديم إجابتك. ولتكن سمة إجابتك هي الوداعة والإحترام، إنما لا تتنازل عن الحقيقة.

بعد أن تقوم بتقديم ردك على الرسالة، قارن مع الرد الذي قمتُ بتقديمه. والرجاء لا تعتقد بأن الرد الذي قُمتُ بتقديمه هو أفضل ردّ ممكن؛ فإنه من الممكن أن تقوم بتقديم العديد من الردود الأفضل. بحيث أنك قد ترصد أموراً قد غَفِلتُ عن رصدها، وهذا سيكون أمراً جيداً! ولكن في الوقت عينه قد تجد أنك أغفلتَ جانباً معيناً، وذلك سيكون أمراً جيداً لتتعلم من خلال التدريب. نصحية إضافية: غالباً ما تكون الردود القصيرة أفضل من الطويلة. فالمعترضون يفضلون الردود القصيرة أكثر من الردود الطويلة (بالرغم من أن الردود الطويلة قد تكون ضرورية في بعض الأحيان). لذلك لا تشعر بأنه من الواجب أن تقوم بالإشارة إلى جميع الأخطاء المرتكبة من قبل المعترض في تفكيره؛ حاول أن تستهدف النقاط الرئيسية.

١. "اتبع الأدلّة"

ج من كندا كتب:

إن رفضك لأساسيات العلوم سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى فقدانك لمصداقيتك ومصداقية قضيّتك. إن الأدلة التجريبية متوفرة لجميع الراغبين بالبحث. إن ما تقدّمه يشبه مطالبتك لنا بأن نؤمن بأن الأرض مسطحة وليست كروية أو بأن الشمس تدور حول الأرض بحيث نتجاهل الأدلة التجريبيّة المضادّة.

التحليل:

قبل أن نقوم بالرد على رسالة (ج)، سيكون من المهم أن نقوم بفهم رؤيته للعالم. من الواضح أنه ليس خلقياً توراتياً كونه يكتب ضد الموقف الذي نتخذه في "إجابات من سفر التكوين". إنه غالباً مؤمن بالتطور أو أنَّه خلقي مؤمن بقدم عمر الأرض؛ وفي كلا الحالتين فإنه يرفض أن سفر التكوين يقدم تفسيراً للخلق. وقد قام باستخدام مصطلح "تجريبي" مرّتين في رسالته القصيرة. وهذا يقدم اقتراحاً بأن (ج) قد يكون مؤمناً بالمذهب التجريبي "الإمبريقي" - أي أنَّه يؤمن بأنه يتم اكتساب كلّ المعرفة بشكل مطلق من خلال المعاينة. وإن هذا الموقف يدمر قابلية الحصول على المعرفة كما سبق وأظهرنا أكثر من مرّة.

لاحظ أن (ج) ينظر بوقار شديد للعلم؛ وبما أنَّه ليس مؤمناً بالخلق التوراتي، فإنه لا يمتلك أي أساس عقلاني لانتظام الطبيعة وهو الأمر الذي يعتمد عليه البحث العلمي. هذا نوع من عدم الإتساق ويجب أن نشير إليه في ردنا: كيف له أن يؤمن بالبحث العلمي بالإعتماد على رؤيته للعالم؟ كما أن (ج) يؤمن بأن حسم الجدل القائم حول الأصول يمكن أن يتم من خلال التحقيق " المحايد" في الأدلة. لكن هذه هي مغالطة ادعاء الحيادية. وهذا يظهر أن (ج) لا يدرك طبيعة

الجدل القائم حول الأصول؛ فالجدل بحد ذاته يتناول الكيفية التي يجب أن يتم تفسير الأدلة وفقها.

وحقيقة كون (ج) يتهم "الفريق العامل في موقع إجابات من سفر التكوين" بأنهم "ينكرون العلم" تظهر بأنَّه غير مدرك لما نقدمه من تعليم. وهذا الأمر شائع بين التطوريّين؛ لذلك فإنه يجب علينا أن نكون مستعدين لأن نقدم تعليماً متأنيّا عن معنى الخلق التوراتي، والنتائج التي ستنتج عن الرؤية التي يتبناها للعالم.

ردّ محتمل:

عزيزي (ج)،

مع كل الإحترام، يبدو أنك قد أسأت فهم الموقف الذي نتخذه، فنحن لا ننكر العلم إنما نحترم البحث العلمي! وحقيقة الأمر، أننا كخلقيّين نتوقع أن يكون الكون قابلاً للفهم، وأن يعمل بطريقة منتظمة، وبأسلوب منطقي ذلك لأنه قد خُلِقَ من قبل الله المنطقيّ والذي وعد بأن يديره بطريقة متسقة. لكن بناءً على معتقدك، لماذا يجب علينا أن نتوقع أن يكون الكون قابلاً للفهم؟ فإن كان الخلق التوراتي غير صحيح، كيف للعلم أن يكون ممكناً؟

أود أن أطلب منك أن تقوم بقراءة بعض المقالات التي تشرح موضوع الرؤى للعالم والافتراضات المسبقة. فنحن نحترم الأدلة المخبرية عينها التي تحترمها أنت؛ إنما المشكلة ليست في الأدلة بحد ذاتها، إنما هي في طريقة تفسير الأدلة. فنحن نقوم بتفسير الأدلة في ضوء التاريخ التوراتي، والذي يبدو أنك قد رفضته بطريقة اعتباطية تعسّفية. في حين أن فهم الأدلة يُظهِر اتساقاً كاملاً مع الخلق التوراتي؛ انظر إلى عدد من المقالات التي تتناول علم المعلومات والتعقيد غير القابل للاختزال.

- د.ل.

٢. "توقفوا عن الكذب على الناس!"

ر. من كاليفورنيا كتبَ:

كيف يمكنك أن تقوم بإنكار العلوم وتجاهل الحقيقة الواضحة حول البدايات؟ أنا أصلي أن تحصل لك رؤيا من نوعٍ ما، لتتوقف عن تضليل الناس لتقودهم ليؤمنوا بهذا الهراء والأكاذيب. أنت ستودي بالناس إلى أن يبتعدوا بشكل كامل عن الله. فإن كان لدى أي شخص نصف دماغ سوف ينظر إلى العلم ليرى الحقيقة، وليس ٤٠٠٠ عام كُتِبَت من قبل بعض رعاة الأغنام.

التحليل:

إن هذا الشخص على ما يبدو يتخذ موقف التطور الربوبيّ؛ فهو يؤمن بوجود الله لكنه يرفض الكتاب المقدس. لكن بمعزل عن نور الإعلانات الإلهية، كيف سيكون من الممكن أن نعرف أي شيء عن الله؟ إن أول جملتين من هذه الرسالة مبنيتان على مغالطة رجل القشّ - بحيث أنَّه قد تم إساءة تقديم الموقف الذي نتخذه. حيث أنَّ المعترض قد أشار إلى أننا "ننكر العلم" ونعلم "الهراء والأكاذيب." وهذا الأمر ليس صحيحاً، كما أنه من السهل أن نقوم بعكس هذا الإدعاء: فنحن نستطيع أن ندلي بتصريح مساوٍ له عن التطوريّين (لكننا لن نفعل المثل لأن ذلك سينطوي على قلّة احترام.)

إنه من المثير للإهتمام أن هذا المعترض قلق حيال أننا يجب ألا نقوم بتعليم "الهراء والأكاذيب." أي أنَّه يؤمن بأننا انتهكنا أحد القوانين الأخلاقية. لكن القانون الأخلاقي المطلق ليس متّسقاً مع الموقف التطوري. إن هذا المعترض قد اشار بشكل ضمني إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس مجرد مجموعة من "القصص"، وليس تاريخاً حقيقيّاً. لكن هذه الإشارة لم تدعم بأي دليل يثبتها. وهذا بالحقيقة كما ذكرنا سابقاً نوع من التخمين المجحف - وهو أحد أنواع التعسف.

ردّ محتمل:

عزيزي (ر)،

أنا أقدر اهتمامك وقلقك البالغ حيال موضوع تعليم الناس للأكاذيب أو تضليل الآخرين. ونحن نوافق بشكل مؤكد على موقفك هذا - ولهذا السبب عينه نحن نقوم بتعليم الخلق. بما أن الله قد خلق الإنسان على صورته (وفقاً لما يعلّمه سفر التكوين)، فنحن سنكون مسؤولين أمامه عن تصرفاتنا. والله قد قال لنا بأن الكذب هو أمر مخالف لطبيعته (العدد ٢٣: ١٩)، وبأنه يجب علينا ألا نقوم بذلك العمل (الخروج ٢٠: ١٦). لكنك على ما يبدو تقوم برفض التاريخ المسجل في الكتاب المقدَّس بطريقة تعسفية، وأنا لا أستطيع أن أفهم لماذا (ووفق نظام إيمانك هذا) سيكون الكذب على الآخرين مثيراً للقلق، أو حتى قتلهم؟ فها نحن لا نقوم بوضع أسدٍ ما في السجن لقتله غزالاً ما.

على ما يبدو أنك تقوم برفض الكتاب المُقدَّس لكنك في الوقت نفسه تقول بأنَّه يجب النظر إلى العلم لإيجاد الحقيقة. لكن بمعزل عن الكتاب المُقدَّس كيف لنا أن نثق بالمناهج العلمية؟ إذ أنَّ العلم يتطلب وجود كون منتظم ومنطقيّ بحيث يكون قابلاً للفهم من خلال العقل البشري. وهو بالضبط ما يتوقعه المؤمن بالخلق التوراتي؛ إذ أنَّ الله قد خلق كوناً منتظماً وخلق أيضاً عقولنا لتكون قادرةً على فهمه. لكن بمعزل عن الإله الذي يقدمه الكتاب المُقدَّس، كيف يمكننا أن نثق بأن

حواسنا تقدم لنا معلومات موثوقة عن الكون؟ وبمعزل عن الإله الذي في الكتاب المُقدَّس، لماذا سوف نتوقع أن يكون الكون منتظماً وقابلاً للفهم؟ على ما يبدو أنَّ قبولك للعلم غير متّسقٍ مع رفضك للكتاب المُقدَّس.

د.ل.

٣. "لا يوجد أيّ معنىً للعالم- تعامل مع هذا!"

(ب) من نيويورك، كتبَ:

تجاوزوا أفكاركم الطفولية، ومذهب السلام الداخلي هذا وتعاملوا مع حقيقة أن هذا العالم لا معنىً له. إن شاءت المصادفة أن يوجد إله ما وأن يوجد أيّ معنى خلف هذا الجنون، لن يكون ذلك في كتاب مليء بالأخطاء ومثير للإشمئزاز مثل الكتاب المُقدَّس (إلا إن كنتم تسوّقون للعبودية، ولكره النساء، وإدانة مليارات البشر لقضاء الأبدية في العذاب.) إنَّ إدّعاءكم بأنَّ ديناصور التي ريكس كان نباتياً حتى وقت السقوط إنما هو سخيف إلى درجة أنَّه لا يستحق التعليق.

التحليل:

يقول لنا هذا الشخص بأنَّه لا يوجد أي معنى للكون وفي تلك الحالة فإنه لا يوجد أي قانون أخلاقي. لكنه يعطينا توجيهات بأنه يجب علينا أن...، وبأنَّ الكتاب المُقدَّس هو "مثير للإشمئزاز،" وبذلك فهو يشير ضمناً لوجود قانون أخلاقيّ - أي أنَّه يوجد معيار للصلاح. إن هذا الشخص ليس متسقاً؛ إذ أنَّ هذا نوع من الإضطراب السلوكي.

يجب علينا أن نتجنب ميلنا لمحاولة "إجابة الأحمق وفقاً لحماقته" بمعنى قبول مبادئه العبثية التعسفية لئلا نصير مثله. لذلك فإنه يجب علينا الا نحاول أن نظهر أن الكتاب المُقدَّس هو " جيّد" وفقاً للمعايير التعسّفية للمعترض هذا (والتي هي على سبيل المثال "مجرّد رأي"). عوضاً عن ذلك، نقوم بالإشارة إلى أنَّه بمعزل عن الكتاب المُقدَّس فإنه لا يوجد أي أساس لمعيار الصلاح. ولذلك فإننا "نجيب الأحمق وفقاً لحماقته" بمعنى أن نظهر له كيف ستكون افتراضاته متناقضة بعضها مع بعض وتفشل في تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم.

ردّ محتمل:

عزيزي ب،

إن كان الكون عديم المعنى كما تدّعي، فلماذا سيكون أمراً مهماً ماذا نؤمن أو ماذا نعمل؟ لماذا تتعب نفسك وتكتب لنا لتصويب موقفنا؟ وأكثر من ذلك، لماذا تقوم بأيّ شيء؟ أنت ترفض الكتاب المقدس الذي تصفه بأنَّه "ملئ بالعيوب ومُقَزِّزْ،" لكني أريد أن أسألك، ما هو المعيار الذي

تستخدمه في هذا التقييم؟هل هذا مجرّد رأي تعسّفي، أو أنك تمتلك أساساً عقلانياً للقياس- وفي تلك الحالة ما هو هذا المعيار؟

بوصفي مسيحيّ، إن الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس هو الذي يعطيني المعيار للحكم على كون الأشياء صالحة أم خاطئة، عقلانية أم عديمة المعنى. لكن في حال ابتعدنا عن الوحي المُقدَّس، ما هو الذي سيكون المعيار الذي يُمكِّنُكَ من تقديم تقييم غير تعسّفي لتحكم فيما هو "مُقزِّز" من ما هو جيّد؟ في الحقيقة، إن كان الكون عديم المعنى كما تدَّعي، كيف سيمكنك أن تمتلك معياراً مطلقاً للحكم على أيّ شيء؟ بالمناسبة، هل تمتلك أي سبب عقلاني للقول بأن ديناصور التي ريكس لم يكن عاشباً قبل السقوط، أم أنَّك تقدم مجرّد تخمين مجحف؟

د.ل.

٤. "الكتاب المُقدَّس هو مجرّد قصّة."

(س) من روما، إيطاليا كتب:

يجب على هذا الأمر أن يتوقف، إن الكتاب المقدس هو مجرد إعادة صياغة لقصص أُخرى وديانات كانت منتشرة في الزمن وجميعها مشكوك بها. إنه من الجنون القول بأنه كلام إلهٍ ما. إن يسوع ليس إلهاً أكثر من كريشنا أو حورس. إن الإيمان بالخرافات أمر مسيء للبشرية وهو في الحقيقة جهل. لا يوجد لديكم أي دليل على الطبيعة الإلهية للكتاب المقدس ليس أكثر من الأدلة على لاهوت ساي بابا والذي يمتلك أتباعاً بالملايين. إن الكتاب المقدس يقدم تزويراً مثل تزوير التلمود.

التحليل:

يقدم هذا المعترض نموذجاً عن التعسف الذي سبق ووصفناه بأنَّه تخمين مجحف. فلقد افتتح الرسالة واختتمها بادعاءات لا يمكن إسنادها بأدلّة: الكتاب المقدس هو تزوير وليس أكثر من مجرد إعادة صياغة لقصص أُخرى. لو أنَّه قد بذل القليل من الجهد في الذهاب إلى إحدى المكتبات العامة، لوجد عددا كبيراً من الإكتشافات الأثرية التي تتوافق مع ما يقدمه الكتاب المقدس إضافةً إلى المخطوطات القديمة منه.

إن المعترض قد التجأ إلى معيار عقلانيّ "إنَّه من الجنون أن..." ومعيار أخلاقي "إنه أمر مسيء إلى ...". لكن بمعزل عن التاريخ الحقيقي المُقدَّم في الكتاب المقدس (الذي يرفضه المعترض)، لا يوجد أي أساس لهذه الأشياء. ولقد قام بالتأكيد على أنَّ يسوع المسيح ليس إلهاً ودون تقديم أي دليل يدعم هذا الإدعاء. إن هذا الرفض للكتاب المقدس ليس أكثر من موقف متعسّف: "تحيّز فلسفي غير قابل للنقاش." ويؤمن المعترض بأنَّه ليس أمراً جيداً للبشرية أن تكون "متعلّقة

بالخرافات وتعيش بجهل عن الحقائق،" إلا أنَّ هذا في الحقيقة يشكلّ وصفاً للموقف الذي يتخذه المعترض والذي يظهر أنَّه لم يقم ببحث يتعلق بهذا الموضوع.

ردّ محتمل:

عزيزي (س)،

بما أنك لم تقدم أيَّ دليل ليدعم ادعاءك بأنَّ الكتاب المقدس هو مجرد تزوير أو أنَّه إعادة صياغة لقصص من ديانات أُخرى، أشعر بالفضول لمعرفة كيفية وصولك إلى مثل هذا الموقف. على الرغم من كل شيء فإنّ علماء التاريخ العلمانيّون سوف يعترفون بوجود كمية كبيرة من المكتشفات الأثرية تدعم التاريخ المسجل في الوحي المُقدَّس. لذلك يجب أن أسألك، هل يوجد لديك سبب عقلاني ومنطقي لترفض الإجماع الذي يقدمه دارسي الكتاب المُقدَّس أم أنَّه مجرد موقف شخصي غير مدروس؟

لربما يكون الأمر الأكثر تميزاً هو أنَّه وفي حال لم يكن الكتاب المُقدَّس كلمة الله، ماذا سيكون الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق أو التفكير المنطقي؟ إن هذه الأشياء تحمل معنى في وجود الله صاحب السيادة على كلّ الكون، والذي أعلن عن معاييره من خلال كلمته. لكن دون وجود الكتاب المُقدَّس، فإننا سنجد أن المعايير الأخلاقية والعقلانية قد انحدرت إلى مجرّد كونها آراء شخصية لا تحمل أي سلطة إلزامية من أيّ نوع كان. أنا أوافق معك بشكل كامل على أنَّه ليس أمراً جيداً للبشرية أن "تتعلق بالخرافات وتتجاهل الحقائق" ذلك لأن الله قد وجهنا إلى أنه يجب علينا أن ندرس ونتحصل على المعرفة (الأمثال ٤: ٥، ٧؛ ١٦: ١٦). لكن بمعزل عن التاريخ الحقيقي المسجل في الكتاب المُقدَّس (الذي أنت ترفضه)، ما هو الأساس الذي يقودك إلى هذا الإستنتاج؟

د.ل.

٥. "الأخلاق ليست أكثر من فطرة سليمة!"

(د) من ولاية داكوتا كتب:

بعد كل الفظائع التي ارتكبها الله، لماذا يتوقع من "خليقته" أن تكون مختلفةً عنه! هل تتوقع من كائن عقلاني أن يقبل كلمات من أساطير تعود للعصر البرونزي ويتجاهل الأدلة العلمية المعاصرة؟ أنا آسف، لكنني أحتاج أن أرى دليلاً على وجود تفسير منطقي قبل أن أستطيع أن أؤمن. إن كنت تستطيع أن تقوم بتزويدي بأي دليل ليثبت قصّتك الخرافية، سأقوم بالتراجع عن جميع التصريحات التي قمت بها عن اسطورة الله!

لماذا يعيش الملحدون حياةً أخلاقيةً أعلى من أولئك الذين يؤمنون بوجود إله؟ إن الأخلاق ليست إلا فطرة سليمة! فأنا أعرف أنَّ القتل هو أمر خاطئ لأنني لا أُريد أن أُقتَلْ. والأمر سيّان بالنسبة

لجميع ما تدعوه أنت بالوصايا! أنا آسف إن كنت فظّاً، لكن غباء الجنس البشري هو أمر يؤرّقني. أنا أعتقد بأن كلّ شخص يمتلك الحق في أن يؤمن بما يريد، لكن يجب عليك ألا تفرض خرافاتك الربوبيّة عليّ، أو على أيّ طفل بريء أو أي شخص آخر. إن هذه هي مشكلتي الرئيسية مع الدين!

التحليل:

إن هذا المعترض يمتلك الكثير ليقوله عن الكتاب المقدَّس. لكن لاحظ عدم الإتساق في تفكيره. إنه يؤمن بالأدلة العلمية في الوقت الذي يرفض أساسات العلم: أي الكتاب المقدس الذي يرفضه على أساس أن خرافة من العصر البرونزي. إن هذا النوع من عدم الإتساق هو ما أشرنا إليه بالافتراضات المقنّعة. لقد أشار إلى أنَّه بحاجة إلى دليل حتى يؤمن بأي شيء؛ وهذا يشير إلى أنَّه لا يدرك طبيعة المنطق والافتراضات المسبقة. فالافتراضات المسبقة يجب أن يتم افتراضها في سبيل أن يتم اثباتها. إن عدم الإتساق الذي يتمتع به سوف يقوده إلى أنَّه عاجز عن الإيمان بوجود المنطق- نقض الضدّ.

إضافةً إلى أنَّ (د) يدعي بأنَّ الأخلاق هي فطرة سليمة. لكن هذا لا يؤمِّنُ قاعدةً للأخلاق. وهو يدّعي بأن الملحدين هم أكثر أخلاقاً من المؤمنين. إن هذا أمر مشكوك به لكنه ليس ذا صلة بالسؤال المطروح عن كيفية وجود الأخلاق المطلقة في العالم التطوري. وبما أنه قام بطرح عدد كبير من النقاط سوف نقوم بالرد على كلّ واحدة وحدها: والتعليقات سيتم الإشارة إليها بوسم " د.ل:" حيث أنها تضاف إلى كل جزء من أجزاء رسالة السيد (د)

د.ل: شكراً لكم عزيزي على بريدكم الإلكتروني الذي قمتم بإرساله. سوف أقوم حالياً بالردّ على تعليقكم مستخدماً أسلوب الردّ المنفصل على كل نقطة بشكل منفصل. وآمل أن يكون هذا مفيداً لكم.

د: بعد كل الفظائع التي ارتكبها الله، لماذا يتوقع من "خليقته" أن تكون مختلفةً عنه!

دل: أحد المشاكل التي ستواجهها حين تقوم بفحص الإلحاد أو أي رؤية غير توراتية للعالم وذلك باستخدام منظور عقلاني ستكون عدم وجود أساس للقيام بأي ادعاءات أخلاقية من أيّ نوع كان. ذلك يعني أنك وبوصفك غير مسيحيّ، لا تستطيع أن تدعي بشكل عقلاني بأنَّ أي شيء هو عمل فظيع أو وحشيّ، أو بأنَّ أيَّ شخص قد قام بأي عمل خاطئ، بإمكانك أن تقول أن الله في الكتاب المُقدَّس قد قام بأعمال لا ترضيك، لكن مفهوم الخطأ والصواب لا معنىً له في الكون العلماني الإلحادي لأنه من غير الممكن أن يوجد معيار موضوعي عالمي - إنما يوجد آراء شخصية وغير موضوعيّة.

د: هل تتوقع من كائن عقلاني أن يقبل كلمات من أساطير تعود للعصر البرونزي ويتجاهل الأدلة العلمية المعاصرة؟

د.ل: لا، ولكننا ننتظر من الناس العقلانيّين أن يقبلوا التاريخ المسجل (أي الكتاب المقدس) وليس أن يقوموا بمجرد رفض تعسفي نتيجةً لعدم توافقها مع ما يريدون أن يؤمنوا به. إن الكتاب المقدس ليس كتاب أساطير إنما كتاب تأريخ قد تم تأكيده مرّات عديدة. إضافةً إلى ذلك، إنه ليس مجرّد كتاب تاريخ، إنما هو يدّعي بأنَّه كلمة الله. وهذا الإدعاء يمكن أن يتم عرض صحّته من خلال إظهار أن جميع البدائل سوف تقود إلى نتائج عبثية بحيث أنَّه لن يكون من الممكن معرفة أيّ شيء.

د: أنا آسف، لكنني أحتاج أن أرى دليلاً على وجود تفسير منطقي قبل أن أستطيع أن أؤمن.

د.ل: ماذا عن قوانين المنطق؟ هل يوجد لديك دليل منطقي لتثبت قوانين المنطق قبل أن تقبل بها؟ إنه أمر واضح أنَّ هذا الأمر غير ممكن؛ إذ أنَّه يتوجب علينا أن نقوم أولاً بافتراض وجود قوانين المنطق في سبيل إثبات وجودها. إن بعض الأشياء يجب أن يتم القبول بها قبل أن يكون من الممكن اثباتها؛ وهي ما ندعوه "بالافتراضات المسبقة" وجميعنا نمتلك افتراضات مسبقة تسيطر وتقود فهمنا للعالم. لكن ليس كلّ شخص يمتلك افتراضات مسبقة عقلانية. إن قمت بدراسة هذا الموضوع سوف تجد أن الافتراضات المسبقة الإلحادية سوف تقود إلى استنتاجات غريبة لن يكون من الممكن وفقها معرفة أيّ شيء (لأنه لن يوجد أي تفسير لوجود قوانين المنطق أو البحث العلمي).

د: إن كنت تستطيع أن تقوم بتزويدي بأي دليل ليثبت قصّتك الخرافية، سأقوم بالتراجع عن جميع التصريحات التي قمت بها عن أسطورة الله!

د.ل: إنه من السهل أن أُظهر لك أن رؤيتي للعالم هي الرؤية الصحيحة. لدي أساس عقلاني للأشياء اللازمة للمعرفة: قوانين المنطق، انتظام الطبيعة، والأخلاق. لكن هذه الأشياء لن تحمل أي معنى في الكون الإلحادي. انظر في موضوع الأخلاق على سبيل المثال. لماذا يجب على أي شخص أن يتصرف وفق طريقة معينة. إن كنا مجرّد غثاء بركة ما وقد أُعيد ترتيبه فلن يكون لذلك الإدعاء أي معنى. لكن إن كان هنالك إله خالق، حينها سنكون مسؤولين أمامه عن جميع أعمالنا.

د: لماذا يعيش الملحدون حياةً أخلاقيةً أعلى من أولئك الذين يؤمنون بوجود إله؟

د.ل: أنا لست واثقاً من أن هذا هو الحال. لكن حتى وإن كان كذلك، فإن ذلك لن يصيب الهدف. فالسؤال هو: "كيف يمكن أن يوجد شيء مثل الأخلاق في الكون الإلحادي؟" فنحن لا ندّعي بأنَّ

الملحدين هم أشخاص سيئون. إلا أنّ محاولة الملحدين لأن يلتزموا بالمعايير الأخلاقية تُظهر بأنَّهم في أعماق قلبهم يعرفون عن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس.

د: إن الأخلاق ليست إلا فطرة سليمة!

د.ل: هذا الأمر صحيح وفق الرؤية المسيحية للعالم! يوجد في الكون المسيحي معيار للتصرّف نتيجة لوجود الله صاحب السلطان على جميع المخلوقات. إضافةً إلى أنَّ الله قد "زرع" فينا قوانينه لأنه عرف بشكل مسبق بأننا نحتاج إليها. وبالتالي فإن الرؤية المسيحية للعالم تستطيع أن تفسّر سبب (١) وجود قانون أخلاقي مطلق، وسبب (٢) معرفة الجميع عنه (إذ أنَّ ذلك "فطرة سليمة"). إن الرؤية الإلحادية للعالم لا تستطيع أن تفسر هذا الأمر. وبالتالي فإن الملحدين مضطرون "لسرقة" الأخلاق من الرؤية المسيحية للعالم. (بالمناسبة أليست السرقة أمر خاطئ؟)

د: أنا أعرف أنَّ القتل هو أمر خاطئ لأنني لا أُريد أن أُقتَلْ.

د.ل: إن هذه هي القاعدة الذهبية من الوحي المقدس في متى ٧: ١٢. إن القاعدة الذهبية تحمل معنى في ضوء الرؤية المسيحية للعالم. فنحن جميعاً مخلوقون على صورة الله، ولذلك فإنه يجب علينا أن نتعامل بعضنا مع بعض باحترام وبطريقة نحافظ فيها على كرامة الآخر. لكن إن كنّا قد تطورنا من بعض المُركَّبَات الكيميائية، ما هو السبب الذي يدفعنا لأن نهتم بالآخرين؟ لماذا لا نؤذي الآخرين إن كان ذلك سيزيد من فرصتنا في البقاء في هذا الكون الذي يتميز بوسم البقاء للأفضل؟

د: والأمر سيّان بالنسبة لجميع ما تدعوه أنت بالوصايا!

د.ل: إن جميع الوصايا التي من الكتاب المقدس تحمل معنى في حال كان الناس مخلوقين على صورة الله ومسؤولين أمامه عن تصرفاتهم. وإلا فلماذا لا تقوم بما تشعر أنَّك تريد أن تفعله؟

د. أنا آسف إن كنت فظّاً، لكن غباء الجنس البشري هو أمر يؤرّقني.

د.ل: أود أن أشجعك أن تبذل المزيد من الجهد في التفكير بهذا الموضوع. اقرأ بعض المقالات عن الأخلاق من صفحة إجابات من سفر التكوين.

د: أنا أعتقد بأن كلّ شخص يمتلك الحق في أن يؤمن بما يريد.

د.ل: إن الساخر في الأمر، أنه في حال كان الإلحاد صحيحاً؛ فإنه لن يكون من الممكن للناس أن يفكروا بما يريدون؛ فأفكارهم ليست أكثر من تفاعلات كيميائية في أدمغتهم. فقط في ضوء الرؤية المسيحية للعالم يمكننا أن نقدم تفسيراً لحرية الإختيار لدى الجنس البشري وللعقلانية. ففي الرؤية المسيحية للعالم، إن البشر هم أكثر من مجرد ذرات مجمّعة ومرتبة بطريقة معينة.

د: لكن يجب عليك ألا تفرض خرافاتك الربوبيّة عليّ، أو على أيّ طفل بريء أو أي شخص آخر.
إن هذه هي مشكلتي الرئيسية مع الدين!

د.ل: إن كلّ شخص يمتلك رؤية "دينية" حتى وإن كانت رؤيته الدينية تقول بأنّه "لا يوجد إله." من الساخر أنك أنت أيضاً "تفرض" رأيك علينا. لقد وجدت أن الرؤى غير المسيحية للعالم (بما في ذلك الإلحاد) تتأثر كثيراً بالخرافات؛ أنها غير قابلة للتفسير بشكل عقلاني. إذ أن تلك الرؤى للعالم عاجزة عن تفسير الأشياء التي نأخذها بشكل مسلّمات، مثل قوانين المنطق أو الأخلاق. آمل أن تجد في تعليقاتي هذه مساعدةً من نوع ما، وأود أن أشجعك على دراسة هذا الموضوع. وأعتقد بأنك ستجد بأنّه يقودك إلى الإستنارة.

٦. "هل خلق الله المنطق؟"

ج من ألمانيا كتب:

يوجد لدي سؤال يتعلق بمقالكم "الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم" الذي كتبه د. لايل، والذي يبدو لي أنَّه مقال غريب ولا يرقى إلى مستوى منشوراتكم - لكن ربما هذا رأيي الشخصي فقط.

يفترض الدكتور لايل أنَّ قوانين المنطق قد خُلِقَت من قبل الله، وإن عدم الإيمان بالله هو أمر غير عقلاني. وهو لم يقم بتقديم سبب عقلاني لإيمانه، وهو على ما يبدو يخلط بين الإلحاد، المذهب المادي، مذهب الطبيعة الواحدة في مقاله، لكن هذا موضوع آخر.

سؤالي هو: إن كان الله هو من خلق قوانين المنطق كما يدّعي الدكتور لايل، هل كان يتصرف بطريقة غير منطقية قبل خَلقِهِ لها؟

التحليل:

نجد في هذه الرسالة أن ج يقوم بانتقاد المقال الذي كتَبتُهُ منذ فترة وقمت بنشره عبر موقع إجابات من سفر التكوين. والمقال يُشابه العرض الثاني للمنطق الذي قدمناه في الفصل الثالث، الفارق هو أن المقال يدحض الإلحاد عوضاً عن التطور (كِلَا الرؤيتين تمتلكان نفس نوع العيوب - وهما عاجزتان عن تفسير وجود المنطق). وعلى ما يبدو أن المعترض اعتقد بأننا نجادل بأن الله قد خلق المنطق، لكن هذا ليس دقيقاً. إن الرد الذي وضعته على اعتراضه قد نُشِرَ على موقع اجابات من سفر التكوين ويعتمد على اسلوب الرد المنفصل على كل نقطة.

الرد:

ج: يوجد لدي سؤال يتعلق بمقالكم "الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم" الذي كتبه د. لايل، والذي يبدو لي أنَّه مقال غريب ولا يرقى إلى مستوى منشوراتكم - لكن ربما هذا رأيي الشخصي فقط.

د.ل: عادةً ما يتخذ الناس الحقائق التوراتية على أساس أنها مسلّمات (كما هو الحال بالنسبة لقوانين المنطق). فنحن لسنا معتادين على التفكير والتأمل في هذا النوع من المعضلات: لماذا يوجد قوانين للمنطق، وما هي الرؤية للعالم التي تستطيع أن تقدم تفسيراً لوجود قوانين المنطق؟ قد يبدو المقال غريباً بالنسبة لك لأنه يتعامل مع هذا السؤال المركزي.

ج: يفترض الدكتور لايل أنَّ قوانين المنطق قد خُلِقَت من قبل الله،

د.ل: إن هذا ليس صحيحاً بشكل دقيق. فالمقال لا يصرّح بأن قوانين المنطق قد خُلِقَت من قِبَل الله، كما لو أنها كيانات مستقلة قد وُجِدَت في مرحلة أو نقطة من الزمن.إنما المقال يُعلِّم بأنَّ قوانين المنطق تعتمد على الله. فهي انعكاس للطريقة التي يفكر وفقها الله. وبالتالي فإن قوانين المنطق لا يمكن أن توجد بمعزل عنه بنفس الطريقة التي لن توجد بها صورتك المنعكسة على المرآة دون وجودك. وبما أن الله هو كيان مفكّر وبما أنَّه دائم الوجود (سرمديّ)، فإن قوانين المنطق لطالما كانت انعكاساً لتفكيره.

ج: وإن عدم الإيمان بالله هو أمر غير عقلاني.

د.ل: أنا لا أعتقد أنك قد استوعبت الجدل بشكل جيد. فإن قوانين المنطق لاتستطيع أن توجد في الكون المادي أو الإلحادي لأن قوانين المنطق ليست مادّية. إن قوانين المنطق هي معايير عالمية للتفكير والمنطق، لكن كيف يمكن للملحد أن يمتلك معياراً عالمياً (غير تعسّفي) لأي شيء؟ إن الملحدين يؤمنون بقوانين المنطق، لكنهم لا يستطيعون أن يبرروا وجود قوانين عالمية، مجرّدة، وثابتة وفق تلك الرؤية للعالم. الإيمان غير المُبَرَّر هو إيمان تعسّفي، وهو نوع من اللاعقلانية.

ج: وهو لم يقم بتقديم سبب عقلاني لإيمانه،

د.ل: إن الأساس المنطقي موجود في المقال لكن ربما أنك لم تراه. وأنا سعيد بإعادة تفصيله لك: أولا، إن الرؤية المسيحية للعالم قادرة على تقديم معنى لقوانين المنطق. فالمسيحيّ يؤمن بوجود إله عالمي، غير ماديّ، ذو كيان ثابت لأن الله كليّ الوجود، غير ماديّ، وثابت. إضافة إلى أن الله يمتلك أفكاراً، وهذه الافكار تنعكس من خلال الطريقة التي يدير وفقها الكون. وكمثال على ذلك، نحن رأينا كيف أن قانون عدم التناقض هو انعكاس للإتساق الذاتي لله: كل الحقيقة هي في الله (كولوسي ٢: ٣)، والله لا يستطيع أن ينكر ذاته (٢تيموثاوس ٢: ١٣)؛ وبالتالي، فإن الحقيقة لا يمكن أن تكون متناقضة. إن قانون عدم التناقض يحمل معنى في ضوء الرؤية المسيحية للعالم.

ثانياً، لا يمكن للإلحاد أن يقدم معنىً لقوانين المنطق لأنه لا يوجد أي مبرر لوجود كيان عالمي، غير ماديّ وثابت في الكون الإلحادي. وبشكل أخصّ، اولئك الملحدون المتمسكون بالفلسفة المادية

سيكونون عاجزين بشكل مطلق عن تفسير وجود قوانين المنطق لأن قوانين المنطق ليست كيان ماديّ.

ج: وهو على ما يبدو يخلط بين الإلحاد، المذهب المادي، مذهب الطبيعة الواحدة في مقاله، لكن هذا موضوع آخر.

د.ل: في الحقيقة إن استخدامي لهذه المصطلحات هو أمر دقيق ومتسق مع الاستخدام الفلسفي لها.

ج: سؤالي هو: إن كان الله هو من خلق قوانين المنطق كما يدّعي الدكتور لايل،

د.ل: إن هذا جدل يعتمد مغالطة رجل القش؛ فموقفنا قد أُسيء تقديمه (ربما يكون ذلك بشكل غير مقصود،) على اعتبار أنني لم أصرِّح بأن قوانين المنطق قد خُلِقَت من قبل الله. إنما قوانين المنطق هي انعكاس لفكر الله؛ والله هو سرمديّ الوجود (وهو لطالما امتلك فكراً)؛ فهي سرمدية، إلا أنها تعتمد على الله (هذا يعني أن وجودها مرتبط بوجود الله فهي انعكاس لفكر الله.)

ج: هل كان يتصرف بطريقة غير منطقية قبل خَلقِهِ لها؟

د.ل: على اعتبار أن قوانين المنطق ليست مخلوقة إن هذا السؤال لا يحمل معنى. لكن ربما أستطيع أن اساعدك لتوضيح بعض الأمور. إن الله لا يستطيع أن يتصرف بطريقة غير منطقية لأنه لا يفكر بطريقة غير منطقية. فإنه من المستحيل على الله أن يفكر بطريقة غير منطقية لأن قوانين المنطق وفق الرؤية المسيحية للعالم هي انعكاس للطريقة التي يفكر فيها الله. إن المؤمنين يمتلكون معياراً عالمياً للمنطق الذي يحمل معنى وفق رؤيتهم للعالم. الملحدون يفتقرون لهذا.

آمل أن يكون هذا قد ساعدك.

د.ل.

٧. "انتظام الطبيعة لا يحتاج تبرير"

ل. لم يحدد المدينة كتب:

أولاً: إن انتظام الطبيعة ومذهب الطبيعة الواحدة هما ذات الأمر. الثبات (سواء إلى الأمام أو إلى الخلف) عبر الزمن (المنتظم) لقوانين الطبيعة هو مسبّب الأمرين: فالمستقبل هو انعكاس للماضي والحاضر هو مفتاح لفهم الماضي. إن لم تكن قوانين الطبيعة ثابتة، ستكون حينها جميع العمليات التي التي تنتج عن قوانين الطبيعة هي الأُخرى غير ثابتة: التفاعلات الكيميائية في STP التي أجريت على T1 سوف تكون نفس التفاعلات التي أجريت في STP على T2 وبغض النظر عن T1 و T2.

ثانياً: لماذا تصر على أن يقوم التطوريّون بتبرير مذهب الطبيعة الواحدة؟ إنه أمر بديهيّ! إن العالم (تطوريّاً كان أم خلقياً) يتعامل مع الطريقة التي يعمل بها الكون؛ لا يهتم بالسبب الذي يقف وراء ذلك. وهذا لن يجعل منه غير متسق.

ثالثاً: هل تقول أن التكوين ٨: ٢٢ هو التفسير المنطقي الوحيد لانتظام الطبيعة. فأي شخص يستطيع أن يستنتج الإنتظام بناءً على طبيعة الله غير المحدود بالزمن، المتسق، الوفي، الكلي القدرة، الكلي الوجود بدون استدعاء التكوين ١-١١.

التحليل:

إن هذا المعترض يقوم بالرد على أحد مقالاتي بعنوان (التطور: ضدّ العلم) والذي عرضت من خلاله بأن البحث العلمي يتطلب انتظام الطبيعة، وبالتالي فإنه من غير الممكن تفسيره بمعزل عن الرؤية المسيحية للعالم (كما ورد في التوضيح الثالث من الفصل الثالث). وبناءً على القسم الثالث من الإعتراض، يبدو أنه تطوريّ ربوبيّ، أو من الممكن أن يكون خلقيّ مؤمن بقدم عمر الأرض. فهو يؤمن بالله لكنه على ما يبدو يرفض الإصحاحات الأحد عشر الأولى من سفر التكوين.

يخلط المعترض بين انتظام الطبيعة وبين مذهب الطبيعة الواحدة، ولذلك فإنه سيكون من الضروري أن يتم تعليمه عن الفارق. لاحظ أيضاً أن هذا المعترض يناقض نفسه: فإنه في البداية يقول بأن انتظام الطبيعة ومذهب الطبيعة الواحدة هما الأمر عينه ومن ثم يشير إلى أنَّ انتظام الطبيعة سيقود بطريقة ما إلى مذهب الطبيعة الواحدة - الأمر الذي يشير إلى أنهما مرتبطين وليسا أمراً واحداً. لقد اخترت ألا أتناول هذا الأمر في ردّي إنما قررت التوجه إلى النقاط الرئيسية عوضاً عن ذلك.

ربما الأمر الأجدر بالملاحظة، أن المعترض لا يشعر بالحاجة إلى تفسير إيمانه؛ وهذا اعتراف صريح بالتعسّف- الذي هو نوع من اللاعقلانية. إن هذه الرسالة بالإضافة إلى ردّي قد نُشرا على موقع إجابات من سفر التكوين تحت عنوان (مراجعات: هل الحاضر هو مفتاح لفهم الماضي؟) وقد كان ردي بالشكل التالي:

ل: أولاً: إن انتظام الطبيعة ومذهب الطبيعة الواحدة هما ذات الأمر. الثبات (سواء إلى الأمام أو إلى الخلف) عبر الزمن (المنتظم) لقوانين الطبيعة هو مسبّب الأمرين: فالمستقبل هو انعكاس للماضي والحاضر هو مفتاح لفهم الماضي.

دل: إن انتظام الطبيعة هو أمر متميز عن مذهب الطبيعة الواحدة. فالأول يشير إلى الإتساق بالطريقة التي يعمل وفقها الكون (في حال كانت الظروف واحدة، يستطيع المرء أن يتوقع النتائج عينها). وبكلمات أُخرى يمكن القول أن قوانين الطبيعة متَّسقة، لكن الظروف الخاصة بالعمليات

قد تكون مختلفة سواء عبر الزمان أو المكان. وعلى العكس من ذلك، فإن مذهب الطبيعة الواحدة يؤكد أنَّه يوجد اتساق في الظروف والعمليات. ومذهب الطبيعة الواحدة، كجزء من علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض)، يؤكد بأنه يجب أن يتم فهم علم طبقات الأرض في ضوء الظروف والعمليات الراهنة.

على سبيل المثال تأمل في تشكل الوديان. في عصرنا الراهن نجد أن الوديان تزداد عمقاً بشكلٍ تدريجيّ من خلال عمليات الحت التي يقوم بها الماء المتدفق ببطء عبر الطبقات الحجرية والصخرية. والشخص المتبني لمذهب الطبيعة الواحدة سوف يفترض بأنَّ الوديان قد تشكّلت من خلال عمليات الحت البطيئة للماء عبر الطبقات الصخرية وذلك على اعتبار أنَّ "الحاضر هو المفتاح لفهم الماضي."

إلا أن هذا ليس بالضرورة صحيح. فيوجد عدد من علماء طبقات الأرض (الجيولوجيّين) يؤمنون بأن الوديان (مثل الوادي الكبير في الولايات المتحدة) لم تتشكل (بشكل كلّي) من خلال الحت التدريجي البطيء للنهر الذي في يجري فيها الآن. إنما بعض من الوديان قد تشكلت بشكل سريع في ظروف استثنائية كارثيّة. وبالتالي فإن الحاضر ليس مفتاحاً لفهم الماضي في تلك الحالات. بالرغم من أن قوانين الطبيعة هي نفسها. بالتالي إن هذا هو مثال عن الإنتظام في الطبيعة ولكن ليس مثالاً عن الطبيعة الواحدة.

ل: إن لم تكن قوانين الطبيعة ثابتة، ستكون حينها جميع العمليات التي تنتج عن قوانين الطبيعة هي الأُخرى غير ثابتة:

د.ل: لا، إن هذا الإستنتاج غير مترابط منطقياً. يوجد العديد من العمليات (مثل الحت) لا تعتمد فقط على قوانين الطبيعة، إنما على الظروف. مثلاً، في ظل ظروف كالطوفان، تجري عمليات الحت بسرعة أكبر من الأوقات الأُخرى، وذلك بالرغم من أن قوانين الطبيعة بقيت متسقة.

ل: التفاعلات الكيميائية في STP التي أجريت على T1 سوف تكون نفس التفاعلات التي أجريت في STP على T2 وبغض النظر عن T1 و T2.

د.ل: إن القياس الذي قمت بتقديمه أعلاه هو مثال عن الإنتظام وليس عن مذهب الطبيعة الواحدة. فإن كانت الظروف واحدة سوف تكون النتائج واحدة. لكن لا يوجد أي ضمان بأن الظروف ستكون متسقة بشكل دائم. فالتفاعلات الكيميائية في الطبيعة ،على سبيل المثال، ربما تكون قد حدثت على درجات حرارة وضغط جوي مختلف عما هو عليه الحال في عصرنا الراهن. وبالتالي فإننا نمتلك انتظاماً في الطبيعة وليس طبيعةً موحّدة. آمل أن يكون الأمر واضحاً.

ل: ثانياً: لماذا تصر على أن يقوم التطوريّون بتبرير مذهب الطبيعة الواحدة؟

د.ل: إنه من الضروري أن يتم تقديم مبرر للإيمان حتى يتم اعتباره عقلانياً. وإلا فإنه سوف يكون تعسفاً و تخميناً "أعمى". إن الأطفال يؤمنون بأشياء دون وجود أسباب جيدة؛ قد يؤمنون بوجود وحش ما تحت سريرهم أو في خزانة الملابس. ولا يشعرون بالحاجة لتبرير إيمانهم؛ إنه يكفي بالنسبة لهم أن يتصرفوا بناءً على إيمانهم هذا (ربما من خلال تغطية رؤوسهم). لكن يُتَوَقع أكثر من ذلك من قبل البالغين. فالشخص العقلاني يجب أن يمتلك سبباً (أو مجموعة أسباب) للأشياء التي يؤمن بها.

ل: إنه أمر بديهيّ!

د.ل: حتى في حال قبلنا بالأمر كبديهيّ، الإعتقاد يحتاج إلى نوع من التبرير حتى يتم القبول بأنَّه عقلاني وليس تعسفي، وإلا فلماذا لا نقوم بافتراض الضدّ؟ إن انتظام الطبيعة يحمل معنىً في ضوء رؤيتي للعالم: فانتظام الطبيعة هو ما سأتوقعه بناءً على الكتاب المُقدَّس. أنا أمتلك سبباً للإعتقاد بانتظام الطبيعة وبالتالي فإنني أمتلك تبريراً للعلم. أما التطوريّ لا يمتلك هذا. فإما أن يقوم بقبول انتظام الطبيعة دون سبب (بناءً على "إيمان أعمى") أو أن يقوم بتبريره بالإعتماد على الكتاب المُقدَّس، الذي يقف على النقيض من التطور. إن الشخص التطوريّ لا يستطيع التهرب من غياب العقلانية في موقفه.

بالمناسبة، أنا أرفض مذهب الطبيعة الواحدة لأن الكتاب المقدس يشير إلى أنَّ الظروف التي وُجِدَت في الماضي (كما هو الحال في عام الطوفان) كانت مختلفةً جداً عن الظروف الحالية؟

ل: إن العالم (تطوريّاً كان أم خلقياً) يتعامل مع الطريقة التي يعمل بها الكون؛ لا يهتم بالسبب الذي يقف وراء ذلك.

د.ل: في سبيل معرفة كيفية عمل الكون، نحن بحاجة لامتلاك نوع من المعرفة عن سبب عمله بهذه الطريقة. الأمران مختلفان تماماً لكن يوجد علاقة بينهما. إن كان الكون حدث عرضيّ غير مُوجَّه، لماذا سنتوقع أن يكون منتظماً، أو أن يخضع لقوانين الرياضيات. لماذا سأتوقع أن تكون حواسّي موثوقة لتُقَدِّم معلومات لذهني، في حال كان كلاهما مجرد نتائج عرضية لطفرات وراثية نُقِلَت لي نتيجةً لامتلاكها قيمة إيجابيّة في البقاء على قيد الحياة؟ لا يوجد أي سبب للاعتقاد بأن العلم هو أمر ممكن في كونٍ مشابه لذلك. ومن الناحية الأُخرى، فإن الرؤية التوراتية للعالم تجعل من العلم أمراً ذا معنىً. وبالتالي فإن الطريقة التي نقوم وفقها بإجراء البحث العلمي (مجرّد امكانية القيام بالبحث العلمي بحد ذاته) تتطلب أن نمتلك بعض المعرفة عن كيفية نشوء الكون.

ل: وهذا لن يجعل منه غير متسق.
ثالثاً: هل تقول أن التكوين ٨: ٢٢ هو التفسير المنطقي الوحيد لانتظام الطبيعة. فأي شخص يستطيع أن يستنتج الإنتظام بناءً على طبيعة الله غير المحدود بالزمن، المتسق، الوفي، الكلي القدرة، الكلي الوجود بدون استحضار التكوين ١-١١.
د.ل: إن انتظام الطبيعة لا يمكن أن يتم تبريره دون الكتاب المقدس. إن الخصائص اللاهوتية التي أدرجتها هي مطلوبة ولكنها ليست كافية لضمان الإنتظام. فإن قدرة الله على ادارة الكون بطريقة منتظمة لا تعني أنَّه سيقوم بذلك، فهو قد يختار ألا يقوم بذلك. إن الله الذي أعلن عن ذاته للجنس البشري هو مطلوب. ودون الكتاب المُقدَّس سوف لن يكون لدينا أي ضمانة بأن الله قد اختار أن يدير الكون بطريقة منتظمة في المستقبل. ولن يمكننا أن نعرف بالحق أن الله كليّ القدرة، وبأنَّه سرمديّ، وفيّ، وجميع الصفات الأُخرى، إن لم يكن قد قال لنا هذا.
إضافةً إلى أنَّه يوجد آيات غير التكوين ٨: ٢٢ التي قد يستنتج الشخص منها وجود انتظام في الطبيعة، إلا أنَّ الرؤية التوراتية للعالم هي أمر مطلوب. وبما أن جميع الأسفار الأُخرى في الكتاب المقدس تعتمد على سفر التكوين الحرفيّ في سبيل أن تكون ذات معنى، فإن سفر التكوين مطلوب لتبرير وجود انتظام الطبيعة.
شكراً لرسالتك وأتمنى أن يكون هذا الردّ قد ساعدك.
د.ل.

٨. "أنا ملحد، أنا أخلاقيّ!"

د من فلوريدا كتب:
لقد صادف وقرأت مقالة عن كيفية بناء قنبلة في نظام التعليم العامّ، للكاتب ديفيد كاتشبول. أودّ أن أسأل فيما إذا كان هذا المقال جدّيّ حقاً؟ أعني، لقد تخرجت تواً ... بدون الله. مع محبة العنف. وفهم لاتفاقية التطور. لكن الموضع الذي أشعر بالحيرة بخصوصه هو ... لماذا لم أقم بإطلاق النار على جميع الأطفال في المدرسة؟ أو لماذا لم "افجر" كل شيء؟
أريد القول، أنني وبعد كل شيء انسان خاطئ، عليّ لعنةٌ بالذهاب إلى الجحيم إلى الأبد. وواحدة من بين الفرق الموسيقية المفضلة بالنسبة لي لديها أغنية تحمل عنوان "أطلق النار على الأطفال في المدارس."
الآن، سأقوم بافتراض أنك لا تستطيع الإجابة عن سبب عدم قتلي لأي شخص أو حتى تخرجي من المدرسة بوجود أصدقاء، وحياة اجتماعية جيدة، وتعليم محترم... بالرغم من كوني ملحداً.

الإجابة بسيطة حقاً. إن الله ليس حقيقيّ. ولم يكن أبداً حقيقيّاً. وعدم إيماني بوجود صديقك الخيالي لم يقدني إلى قتل أيّ شخص. الحياة دون الله لا تعني حياة مع خيارات غبية. إنما العكس صحيح.

التحليل:

لقد أشرنا في مرات عديدة إلى أنَّ الأشخاص يمتلكون ميلاً إلى أن يتصرفوا بناءً على معتقداتهم. ولذلك فإننا نتوقع أن تعليم الأطفال في المدارس بأنهم ليسوا إلا غثاءً قذراً معاد ترتيبه (تطوراً من حَساءٍ بدائي)، سوف يودي إلى ازدياد موجات العنف التي تضرب المدارس. وإن هذا لا يعني بأنه لا يوجد حرية اختيار في ذلك. لكنه ليس مستغرباً أنَّ الأطفال الذين يتعلمون أنَّ الحياة ليست إلا نتائج عرضية لأحداث عديمة المعنى سيتصرفون بناءً على ذلك النوع من الإيمان. إن (د) لديه مشكلة مع هذا المبدأ. لكنه على مايبدوا لم يستطع فهم الجدل المقدم بطريقة جيدة.

الأمر الجيد أن هذا المعترض كان صريحاً فيما يتعلق برؤيته للعالم - فهو ملحد. إن هذا يساعدنا على معرفة الردّ المناسب وطريقة تقديمه وذلك لأننا نعرف "خلفيته". على ما يبدو أن د يعتقد بأنه وبوصفه ملحداً قادر على أن يكون أخلاقياً بشكل ممتاز. لذلك فإنه يجب علينا أن نظهر له بأن الأخلاق لا تحمل أيَّ معنى في الكون التطوريّ. فهو يستطيع أن ينكر وجود الله (كما هو حال المعترض على وجود الهواء)، لكن الله لا بد أن يوجد حتى يتمكن من أن يكون أخلاقياً (كما يجب أن يوجد الهواء في سبيل أن يكون أي شخص قادر على التنفس). لقد لاحظت أن هذا البريد الإلكتروني يستحق رداً مفصلاً لذلك فإن ردّي الذي يستعمل أسلوب الإجابة على كل نقطة بشكل منفصل سوف يكون مطولاً. في الحقيقة أود من د أن يفهم القضايا المطروحة؛ وفي النهاية أود أن أراه وهو آت لمعرفة المخلص والفادي ربنا يسوع المسيح.

الردّ:

د: لقد صادف وقرأت مقالة عن كيفية بناء قنبلة في نظام التعليم العامّ، للكاتب ديفيد كاتشبول. أودّ أن أسأل فيما إذا كان هذا المقال جدّيّ حقاً؟

د.ل: الإجابة هي نعم، لكن على ما يبدو أنك قد أسأت فهم المقال. لا يوجد أي شخص يجادل بأن التطوريّين هم وبشكل دائم غير أخلاقيين في كل شيء يفعلونه. إنما نحن نجادل أنَّ الرؤية المسيحية للعالم قادرة على أن تؤمن الأساس العقلاني والمنطقي لوجود معيار أخلاقي مطلق ومُلزِم. لذلك فإننا حين نجد أن التطوري يتصرف وكما لو أنَّه يوجد معيار أخلاقي، هو يتخذ موقفاً غير عقلانيّ. إضافةً إلى أنَّ التطوريّ حين يتصرف كما لو أنَّه مجرّد نوع من الحيوانات (على

سبيل المثال حين يقوم بقتل الأشخاص الآخرين الذي لا يحبهم،) هو في الحقيقة يبدأ بالتصرف بشكل متسق مع رؤيته للعالم.

د: أعني، لقد تخرجت تواً ... بدون الله.

د.ل: حقيقة الأمر، دون وجود الله أنت عاجز عن فعل أيّ شيء. ومن المؤكد أنك لن تكون قادراً على التخرج، لأن ذلك يتطلب منك أن تمتلك بعض المعرفة. لكن كل المعرفة هي في الله (كولوسي ٢: ٣؛ الأمثال: ١: ٧). ودون وجود الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس لا يوجد أي أساس للمنطق، لاعتمادية الحواس، لاعتمادية الذاكرة، لانتظام الطبيعة، للتحليل العقلاني (كما سبق وأظهرنا عبر موقعنا [إجابات في سفر التكوين])، وأنت بحاجة إلى استخدام جميع هذه الأشياء حين تقوم باكتساب المعرفة. في الحقيقة أن السبب الوحيد في أنك لا تزال موجوداً هو أن الله يدير ويدبر وجودك (العبرانيين ١: ٣). لذلك فإنك وبالرغم من عدم اعترافك بوجود الله أو امتنانك له، إلا أنك تعتمد عليه.

وكما يقول الدكتور كورنيليوس ڤانتل: الملحد يشبه الطفل الذي يجلس على حضن والده ويقوم بصفع وإهانة والده. إن هذا الطفل قادر على فعل ذلك، فقط لأن والده يدعمه ويحمله. وبنفس الطريقة فإن الملحد قادر على الإساءة لله فقط لأن الله يحفظه ويدعمه.

إن كنت لا توافق على هذا، أرجوك أطلعني على الأساس لوجود الإنتظام في الطبيعة في حال غياب الله؟ هذا سيكون صعب الفعل، كما يظهر لك تالياً [التطور: ضد العلم - انظر المحاكاة الثالثة من الفصل الثالث.] وللسبب عينه، ما هو السبب في موثوقية حواسك أو اعتمادية ذاكرتك؟ هل تستطيع أن تفسر بطريقة عقلانية (ودون أن تقوم "بالتماس السؤال") أي من هذه الافتراضات المسبقة دون وجود الإله الذي أعلنَ عن ذاته في الوحي المقدس؟

د: مع محبة العنف.

د.ل: المزمور ١١: ٥ يعلمنا بأن الذي يحب العنف والخصام لا يحب نفسه. أود أن أسألك فيما إذا كنت ستحب العنف والخصام في حال كنت أنت الضحية.

د: وفهم لاتفاقية التطور.

د.ل: الساخر في الأمر هو أنَّه إن كان التطور صحيحاً، فإنه لن يكون من الممكن لك أن تفهمه. " الفهم" يتطلب امتلاك ذهن عاقل وحرية اختيار لتأمُّل البدائل المتاحة واختيار الأفضل بينها. لكن إن كان التطور صحيحاً فإن عقلنا ليس إلا نتاج عمليات كيميائية عشوائية صادف وامتلكت قيمةً ايجابية لتساهم في ابقاءنا على قيد الحياة. وبالتالي فإنه بشكل أساسي لن يوجد أي سبب يدفعنا للاعتقاد بقدرتنا على التفكير المنطقي في العالم التطوريّ. إن كان التطور صحيحاً،

حينها فإن ما تقوله أو تفكر به لا يمكن أن يكون عقلانياً، إنما هو نتيجة حتمية للتفاعلات الكيميائية التي تحدث عبر الزمن.

د: لكن الموضع الذي أشعر بالحيرة بخصوصه هو ... لماذا لم أقم بإطلاق النار على جميع الأطفال في المدرسة؟ أو لماذا لم "افجر" كل شيء؟

د.ل: لأن الموقف الإلحادي هو موقف غير متسق. فمن ناحية نجد أن الإلحاد يعلّم بأنَّ الأشخاص هم مجرّد حوادث كيميائية عرضية. ومن جانب آخر نجد أن الإلحاد يتعامل مع الأشخاص كما لو أنهم ليسوا مجرد نتائج ثانوية لتفاعلات كيميائية. لذلك ومع احترامي لك إن الموقف الذي تتخذه هو موقف فصامي. إن الكتاب المُقدَّس يفسر السبب في أنَّ الملحدين يتصرفون بهذه الطريقة. فهو يقول لنا أن كلّ شخص في أعماق قلبه يمتلك معرفة الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدَّس (رومية ١: ١٩-٢٠). (هذا هو السبب في أنَّ الجميع يعرفون أن القتل خاطئ.) لكن الناس يكتمون الحقيقة (رومية ١: ١٨). يرفضون نور المعرفة الذي هو في المسيح (كولوسي ٢: ٣) لأنهم أحبوا الظلمة (يوحنا ٣: ١٩) والجهل (الأمثال ١: ٧، ١: ٢٩). (د) أنا لا أشك في كونك شخص أخلاقيّ، وبأنك تعرف أنَّه من الخاطئ أن تقتل. إنما النقطة التي أحاول أن أقوم بتقديمها لك هي أن الموقف الذي تعلن اتخاذك له لا يحمل أي معنى للأخلاق.

د: أريد القول، أنني وبعد كل شيء انسان خاطئ، عليّ لعنةٌ بالذهاب إلى الجحيم إلى الأبد.

د.ل: من الناحية العقلانية، أنت لتوك هناك. فالملحد يعيش في "جحيم" فكريّ غير عقلانيّ - فهو يؤمن بأشياء متناقضة في الوقت عينه. فمن جانب تجد أن الناس يمتلكون قيمة جوهرية، ومن جانب آخر، تجد أن الناس ليسو أكثر من مجرد نتائج عرضية لحوادث كيميائية عديمة المعنى. هل ترى التناقض وعدم الإتساق؟

إن السبيل الوحيد للخروج من "الجحيم الفكري" الذي تعيش به (أي من جحيم امتلاك رؤية غير عقلانية وغير متسقة للعالم) هو من خلال التوبة والطلب من الله أن يجدد ذهنك، كما فعلت أنا وجميع المسيحيّين. حينها فقط، ستكون قادراً على امتلاك رؤية عقلانية ومتسقة للعالم ويكون للمنطق والإختبارات البشرية فيها معنىً. أعرف أنك لا تريد أن تستمع لهذا الكلام. لكن كما ترى إن هذا جزء من المشكلة؟

د: وواحدة من بين الفرق الموسيقية المفضلة بالنسبة لي لديها أغنية تحمل عنوان "أطلق النار على الأطفال في المدارس."

د.ل: بالاستناد إلى وجة النظر الإلحادية البحتة التي لا تعزز القيمة المتأصلة للحياة البشرية، هل يمكنك أن تشرح لي لماذا سيكون خاطئاً أن نتصرف وفقاً لعنوان تلك الأغنية؟

د: الآن، سأقوم بافتراض أنك لا تستطيع الإجابة عن سبب عدم قتلي لأي شخص أو حتى تخرجي من المدرسة بوجود أصدقاء، وحياة اجتماعية جيدة، وتعليم محترم... بالرغم من كوني ملحداً.

د.ل: إن هذا افتراض خاطئ. ليس فقط أنني قادر على إجابة سؤالك، إنما أنا قادر على تفسير سبب عدم قدرتك على تفسيرك لموقفك هذا بشكل مقنع وبناءً على مبادئك؟

أنت لم تقم بقتل أي شخص لأنك في أعماق قلبك تعرف الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس (رومية ١: ٢١)، وبالتالي فإنك تعرف أنَّه سيكون من الخاطئ أن تقتل أي شخص. وأنت تمتلك أصدقاء وحياة اجتماعية جيدة لأنك تعرف أن الأشخاص ليسوا مجرد نتائج عرضية لأحداث كيميائية ومخرجات تطوريّة. ولكنك تدّعي أنك ملحد، وتصرفك غير متسق وغير عقلاني. أرجو ألا تسيء فهمي؛ هذا لا يعني أني أقول بأنك غير ذكي أو غير مثقف. هذا يعني ببساطة أنك لم تقم بالتفكير في هذه القضايا. فمن جانب تقول أنه لا يوجد إله. ولكنك تعرف في أعماق قلبك الله كما أعلن عن ذاته في الوحي المقدس وبأن الناس مخلوقون على صورته ومسؤولون عن تصرفاتهم. ومن تصرفاتك يظهر أنك لا تؤمن بشكل حقيقي بما تعلنه. وهذا نوع من الاضطراب السلوكي- وهو أحد أشكال اللاعقلانية التي ذكرناها في الفصل الخامس.

الغريب في الأمر، أنك عاجز عن الإجابة على سؤالك باستخدام رؤيتك التي تعلنها للعالم. فمن منظور إلحاديّ، لماذا لم تقم بقتل الأشخاص الذين يزعجونك؟ إن كانوا مجرّد رغوة من بركة ما وقد أُعيد ترتيبها (تطوراً من حساءٍ بدائي)، وإن كان الأشخاص الآخرون كذلك، لماذا لا تعيد ترتيبهم من جديد؟ سأقوم بتقديمها لك على طبق: "وفق العالم الإلحادي: لماذا سيكون من الخاطئ أن تقوم بقتل أي شخص؟"

السبب في عدم إمكانية الإجابة على هذا السؤال بناءً على الرؤية الإلحادية للعالم هو أنك بحاجة إلى الالتجاء إلى وجود معيار أخلاقي مطلق وعالمي يقول بأن القتل هو خاطئ. لكن في العالم العلماني، "الأخلاق" هي أمر شخصي ونسبيّ.

د: الإجابة بسيطة حقاً. إن الله ليس حقيقيّ.

د.ل: هل تمتلك أي دليل على صحة إدعاءك هذا (أي "أن الله ليس حقيقيّ")، أو أنَّه مجرد إيمان أعمى؟ حتى تثبت أن الله ليس حقيقيّ يتوجب عليك أن تعرف كل شيء عن الكون؛ وإلا كيف تعرف أن الله ليس موجودا في جانب من جوانب الكون الذي لم تسبر أغواره بعد؟ ويتوجب عليك أيضاً أن تعرف كل شيء عن الأشياء التي يمكن أن تتواجد وراء الكون - وإلا كيف تعرف أن الله ليس موجوداً في ما وراء هذا الكون الماديّ؟

يجب أن تعرف كل شي عن كلّ شيء في سبيل معرفة أنه لا يوجد إله: وفي تلك الحالة يجب أن تكون كليّ الوجود - وهذه إحدى ميزات اللاهوت. أي أنه يجب أن تكون إلهاً في سبيل أن تعرف أنه ليس إله - وفي تلك الحالة فإن الله موجود. إن هذا أحد الأمثلة على اللاعقلانية في المواقف الإلحادية؛ فإن المشكلة أنهم لا يفكرون بالأمور بشكل عميق. وإيمانهم تعسفي (ولا يمتلك مبرر عقلاني)؟

د. ولم يكن أبداً حقيقيّاً. وعدم إيماني بوجود صديقك الخيالي لم يقدني إلى قتل أيّ شخص. الحياة دون الله لا تعني حياة مع خيارات غبية.

د.ل: في الحقيقة، إن هذا غير صحيح. فإنه دون وجود الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس سوف تكون جميع القرارات مبنية على أساس تعسفي وغير عقلاني. ولن يوجد أي قاعدة لقوانين المنطق التي تقود التفكير المنطقي، وهذا الأمر قد قدّمته في مقال [الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم - متوفر على موقع إجابات في سفر التكوين]. إن كل المعرفة تبتدء مع الله (الأمثال ١: ٧).

د. إنما العكس صحيح.

د.ل: أود أن أشجعك على أن تفكر بهذه القضايا. ويوجد عدد من المواضيع التي قدمناها وهي تظهر بأن الإلحاد التطوري عاجز عن تفسير معنى الإختبارات البشرية والفكر البشري و المنطق، في حين أنَّ الرؤية المسيحية للعالم تستطيع ذلك. أرجو أن تقوم بقراءة المقالات التي أشرت إليها وأن تتأمل بها (عوضاً عن أن تقوم بشكل عاطفيّ برفضها على أسلوب "ما هذا الغباء" وهو ما يفعلة الكثير من قرّاءنا الأعزّاء.) وأن تمتلك المصداقية العلمية لتتأمل في البدائل المطروحة لرؤيتك للعالم؛ فالرؤية المسيحية للعالم سوف تجيب عن أسئلتك التي تتعلق بانتظام الطبيعة، قوانين المنطق، الأخلاق، وما شابه. قارن هذا بما تجده في (اللا-)إجابات التي يقدمها الإلحاد عن هذه المواضيع الحيوية.

بشكل محدد أرجو أن تطلع على المناظرة الشهيرة بين الدكتور غريغ باهنسن والدكتور غوردن شتاين، التي ستقدم لك المساعدة. إن وجود الله، الأخلاق، والتطور هي أكثر من مجرد مواضيع أكاديميّة مثيرة للإهتمام. أود لو أنك تقوم بدراسة هذه المواضيع بعناية عوضاً عن افتراض تعسفي للرؤية الإلحادية للعالم.

-د.ل.

٩. "الإلحاد قادر بحقّ على تفسير قوانين المنطق"

م من نيوكاسل، استراليا كتب هذه الرسالة المطوّلة:

بإشارة إلى مقال كتبه الدكتور جيسون لايل تحت عنوان "الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم،" أود أن أقدم نوع من التقييم وذلك أنني وجدت هذا الجدل مميزاً، إلا أنَّه كان جدلاً يحتوي على خلل بالنسبة لي، ولأكون صادقاً لقد استلزمني فترة من الزمن حتى تبيّنت عدم الإتساق الذي فيه.

لأكون واضحاً من البداية (وبما أنّي أعرف رؤيتكم للعالم بشكل كامل)، أود أن أصنف نفسي على أني معتنق للمذهب "اللا أدري"، ولكن في سبيل تسهيل الحوار سأحتاج للقول بأني ملحد (أنا لا أؤمن بأي آلهة ولا أفضل إحداها عن الأُخرى، واللا أدريّة ليست قاعدة عملية لأي حوار حول الأخلاق).

إن العنصر الأول الذي جذب انتباهي هو "قوانين المنطق هي انعكاس للطريقة التي يفكر بها الله." كيف لنا أن نوافق هذه الفكرة مع أشعياء ٥٥: ٨-٩ التي تقول:

"«لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ."

وعلى ما يبدو بأن هذه الآيات لا تسمح لنا بالإدعاء أن فهمنا لقوانين المنطق إنما هو تقليد أو استنساخ للمنطق الذي لدى الله. إن هذا الشاهد هو من الكتاب المُقدَّس وهو يطرح تساؤلات حول فكرة "أننا يجب أن نستأسر أفكارنا أو نطوّعها بحسب فكر الآلهة."

لكن إن وضعنا هذه الفكرة جانباً للحظة، إن المحور الرئيسي في جدلك على ما يبدو هو أن الإلحاد لا يستطيع أن يفسّر وجود المنطق - وبالتالي استخدام ذلك لإضعاف أي جدل يقومون بتقديمه. وهذا يجعل منه افتراضاً مسبقاً مميزاً للدحض، ذلك أن المنطق هو أداة لا يستطيع خصمك استخدامها. لكني أرجو أنك ستسمح لي بتلك الحرية لوهلة.

أود أن أشير لكم بوجود زلَّة قلم في طرحكم للمشكلة - "الملحد الماديّ" يختلف عن "الملحد". الملحد هو وبكل بساطة ينكر وجود أي آلهة - وهذا لا يعني بالضرورة أنهم ينكرون وجود أي شيء غير ماديّ وهو الأمر الذي ينكره الملحدون الماديّون.

يوجد العديد من الملحدين الذين يقبلون بوجود أشياء غير ماديّة - وأنا هنا أقوم بتحديد وتمييز الأشياء غير الماديّة عن الروحية أو المعجزية. فالكيانات غير المادية هي التي تمتلك تأثيراً على العالم الحقيقي والذي يمكن أن يتم معاينته بشكل جيد هو أمر مقبول بالنسبة لمعظم أشكال الإلحاد - الأمر المهم أيضاً هو اننا لا يمكن أن نقوم بمعاينة بعض التعاملات مع العالم الحقيقي

(هذا هو السبب في أني عزلت الكيانات الروحية والمُعجزية) - والمنطق هو ما أضعه في هذه القائمة، بجانب عدد من المفاهيم الأُخرى مثل الوعي، حرية الإرادة، وماشابه ذلك.

إن هذا لا يقدم تفسيراً للأصول، ولكنه أيضاً لا يتعثر بالافتراض المسبق الذي تم تقديمه في المقال المذكور بأنَّ قوانين المنطق لا تستطيع الوجود في الرؤية التطورية للعالم.

أما بالنسبة لأصل المنطق - أود أن أقدم جدلاً شخصياً بأنَّها انعكاس للعالم الذي نعيش فيه وهو أمر لا يمكن أن يختلف عن العالم الذي نمتلكه. هذا يعني، أني لا أستطيع أن أقوم بركن سيارتي في المنزل وأن لا أقوم بركن سيارتي في المنزل في الوقت عينه - فإن كنا نعيش في عالم يسمح بذلك فحينها نعم ، سيكون مفهومنا عن المنطق مختلفاً بطبيعته.

إنني أجد هذا الجدل جيد في الردّ على المسيحيّين الذين يزعمون بأنَّ المنطق يصدر عن الله - أي أن المسيحين يقومون بتحويل أصل المنطق إلى أصل الله - والذي كما يدّعون بأنَّه سرمديّ - وهو مجرد خروج عن موضوع أصل المنطق. فالتطوريّ يستطيع أن يقوم بتقديم سلسلة من الإدعاءات بحيث أنه يقول بأن الكون هو أزليّ وبأن قوانين المنطق مرتبطة به بشكل مباشر - أي أن يقوم بالهروب بطريقة مشابهة.

أنا أُقدّر أن عددا كبيرا من المسيحيين سوف لن يوافقوا على نقدي القصير نسبياً لتفسيرهم لأصل المنطق، لكني أريد فقط أن أظهر لهم أن تفسيرهم ليس أفضل من تفسير الملحدين - الذي لن يكون بالضرورة أفضل من الآخر.

نقطة إضافية ... "وحده الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس يشكل الأساس للمعرفة" - أنا لا أعتقد أن هذه هي الحقيقة، إن هذا الجدل قابل للاستخدام للدفاع عن أي إله أزلي، ومطلق وغير متغيّر. أنا متفهم بأنك مدافع عن المسيحية، فأنت تأخذ القليل من الحرية في هذا المجال، إلا أنني لا أستطيع أن أرى أي شيء في هذا الجدل (عدا عن كونه يستدعي شواهد من الكتاب المقدس)، وهذا ما يحدد هذا الجدل بالإله المسيحي.

سأقوم بغض الطرف عن كلامك عن أخلاق الملحدين، وذلك أنك اخترت ألا تبني ادعاءات على أيّ شيء - وأعتقد أن ذلك سيكون نقاشاً طويلاً.

في جميع الأحوال، أتمنى أن تكون النقاط التي قمت بتقديمها أثارت اهتمامك - فالجدل الذي قمتَ بتقديمه إنما هو موجه ومحدود بالملحدين الماديّين وربما ليس مستقى من القراءة المباشرة للكتاب المقدس.

تحياتي،

م.

التحليل:

إن الأمثلة التي قمنا بتقديمها سابقاً كانت قصيرة نوعاً ما، والمعترضين كانوا لا يعلمون ما هو التعليم الحقيقي الذي يقدمه الخلقيون. وهذا الأمر واقعي ذلك بالإعتماد على خبرتي في هذا المجال فإن ٩٩٪ من المعترضين لا يفهمون بشكل كامل الموقف الذي يقومون بالإعتراض عليه، أو حتى الموقف الذي يتخذوه (فيما يتعلق بالافتراضات المسبقة تحديداً.) إلا أنَّ هذه الرسالة مختلفة. فعوضاً عن تقديم الردّ العاطفي "هذا مجرّد هراء" الرافض، نجد أن هذا المعترض قد قام بالتفكير في النقاط التي طرحها المقال موضع الإعتراض، وقد قام بالرد بطريقة مهذبة ومدروسة. وأنا أقدر كثيراً الحوار الودّي من هذا النوع، وقد قمت بالرد وبكلِّ وداعة.

لقد رغبت في إضافة هذا المثال بالرغم من أنَّه مثال طويل وذلك لأنه واحد من بين أفضل الردود التي وجدتها صادرة عن معسكر الملحدين. بالرغم من ذلك فهو ردٌّ فاشل أيضاً. وإنه لمن الجدير بالإهتمام أن نظهر أنَّه حتى أفضل المواقف الإلحادية المدروسة هي بكل بساطة عاجزة عن تقديم تفسير لوجود قوانين المنطق أو أي من الافتراضات المسبقة لقابلية الفهم. وحدها الرؤية المسيحية للعالم قادرة على فعل ذلك.

لاحظ أيضاً أن المعترض قد اعترف بعجز الإلحاد المادي عن تبرير وجود قوانين المنطق. لكنه يظن أنَّ الموقف المزدوج يستطيع انقاذ الموقف. في الصفحات التالية سيرد ردّي الذي استخدمت فيه اسلوب الرد على كل نقطة من النقاط بشكل مستقل.

الرد:

م: بإشارة إلى مقال كتبه الدكتور جيسون لايل تحت عنوان "الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم، " أود أن أقدم نوع من التقييم وذلك أنني وجدت هذا الجدل مميزاً، إلا أنَّه كان جدلاً يحتوي على خلل بالنسبة لي، ولأكون صادقاً لقد استلزمني فترة من الزمن حتى تبيّنت عدم الإتساق الذي فيه.

لأكون واضحاً من البداية (وبما أنّي أعرف رؤيتكم للعالم بشكل كامل)، أود أن أصنف نفسي على أني معتنق للمذهب "اللا أدري"، ولكن في سبيل تسهيل الحوار سأحتاج للقول بأني ملحد (أنا لا أؤمن بأي آلهة ولا أفضل إحداها عن الأُخرى، واللاأدريّة ليست قاعدة عملية لأي حوار حول الأخلاق).

د.ل: أود شكرك لكونك صريحاً وواضحاً فيما يتعلق برؤيتك للعالم. إن هذا الأمر يساعدنا على معرفة الخلفية التي تأتي منها مما يساعد على تقديم أفضل ردّ.

م: إن العنصر الأول الذي جذب انتباهي هو "قوانين المنطق هي انعكاس للطريقة التي يفكر بها الله." كيف لنا أن نوافق هذه الفكرة مع اشعياء ٥٥: ٨-٩ التي تقول:

"«لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ."

وعلى ما يبدو بأن هذه الآيات لا تسمح لنا بالإدعاء أن فهمنا لقوانين المنطق إنما هو تقليد أو استنساخ للمنطق الذي لدى الله. إن هذا الشاهد هو من الكتاب المُقدَّس وهو يطرح تساؤلات حول فكرة "أننا يجب أن نستأسر أفكارنا أو نطوّعها بحسب فكر الآلهة."

د.ل: لاحظ أن الآية التي استدعيتها كشاهد لا تقول بأن "أفكاري هي من طبيعة مختلفة عن أفكاركم." إنها تقول لنا بأن أفكار الله أسمى من أفكارنا. وهذا يتضمن إشارة إلى وجود تشابه فيما بينها وإلا لما كان من الممكن تقديم مقارنة بينها (فتصنيف أعلى أو أدنى سيكون عديم المعنى)، فهي تقول بأن أفكار الله هي تفوق أفكارنا نوعاً ما - وهي غير محدودة ("كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ"). وهذا يحمل معنى وقيمة ذلك أنَّ المعرفة التي يمتلكها الله غير محدودة، في حين أن معرفتنا نحن البشر محدودة. كما أنَّ أفكار الله عقلانية، ونحن بوصفنا مخلوقين على صورته نمتلك القدرة على على التفكير بشكل عقلاني، وهو ينتظر منّا أن نقوم ببناء أفكارنا وفق معاييره، لأنه لا يوجد أي أساس للمعرفة أو الحقيقة بمعزل عن الله كما أعلن عن ذاته (الأمثال ١: ٧؛ كولوسي ٢: ٣).

م: لكن إن وضعنا هذه الفكرة جانباً للحظة، إن المحور الرئيسي في جدلك على ما يبدو هو أن الإلحاد لا يستطيع أن يفسّر وجود المنطق - وبالتالي استخدام ذلك لإضعاف أي جدل يقومون بتقديمه. وهذا يجعل منه افتراضاً مسبقاً مميزاً للدحض، ذلك أن المنطق هو أداة لا يستطيع خصمك استخدامها. لكني أرجو أنك ستسمح لي بتلك الحرية لوهلة. أود أن أشير لكم بوجود زلّة قلم في طرحكم للمشكلة - "الملحد الماديّ" يختلف عن "الملحد". الملحد هو وبكل بساطة ينكر وجود أي آلهة - وهذا لا يعني بالضرورة أنه ينكر وجود أي شيء غير ماديّ وهو الأمر الذي ينكره الملحدون الماديّون.

د.ل: لقد تم تناول كل من الإلحاد المادي والإلحاد غير المادي في المقال. وبما أنَّ الملحدين الماديّين هم الأكثر اتساقاً بين المجموعتين (حيث أنهم يرفضون كل الكيانات غير المادية بشكل متسق، في حين أن الآخرين يقومون بشكل تعسفي برفض البعض منها وقبول البعض الآخر)، كان هو السبب في توجيه المقال نحوهم بشكل رئيسيّ. إلا أن الملحد قد يتخذ موقف إزدواجي؛ وعلى ما يبدو أن هذا هو ما تدافع عنه. ووفق ذلك الموقف يوجد العالم المادي (الذي يحتوي على الأشياء

مثل الإوز، المفتاح الإنكليزي والحجارة) ويوجد العالم غير المادي (الذي يحتوي الأشياء مثل قوانين المنطق، العلاقات التصورية غيرالمادّية، وما شابه ذلك). لكن المشكلة حينذاك هي كيف يمكن التوفيق بين هذين العالمين؟ وما هي نقطة الإلتقاء بينهما؟ ولنقدم السؤال بطريقة أُخرى: ما هو سبب خضوع العالم المادي لقوانين العالم غير المادي؟ إضافةً إلى ذلك: ما هو السبب الذي يُمكِّن العالم المادي من التغير، في الوقت الذي يبقى فيه العالم غير المادي ثابتاً؟ إن الإجابة سهلة وفق الرؤية المسيحية للعالم، لكنني لم أجد إجابة مُقنِعَة من المعسكر الإلحادي.

م: يوجد العديد من الملحدين الذين يقبلون بوجود أشياء غير مادّية - وأنا هنا أقوم بتحديد وتمييز الأشياء غير الماديّة عن الروحية أو المعجزية. فالكيانات غير المادية هي التي تمتلك تأثيراً على العالم الحقيقي والذي يمكن أن يتم معاينته بشكل جيد هو أمر مقبول بالنسبة لمعظم أشكال الإلحاد - الأمر المهم أيضاً هو اننا لا يمكن أن نقوم بمعاينة بعض التعاملات مع العالم الحقيقي (هذا هو السبب في أني عزلت الكيانات الروحية والمُعجزية) - والمنطق هو ما أضعه في هذه القائمة، بجانب عدد من المفاهيم الأُخرى مثل الوعي، حرية الإرادة، وماشابه ذلك.

د.ل: إن فكرت بالموضوع، فإننا لا نعاين العلاقة السببية. وفي أحسن الأحوال فإننا نعاين التتابع أو النتائج المتعاقبة. فالعلاقة السببية هي فقط قابلة للإستنباط وليس للمعاينة. (العلاقة السببية هي "تفرض ضرورة التتابع بالنتائج" - لكنه من الصعب أن تثبت أن التتابع ضروري بالمطلق). فنحن لا نعاين التفاعل والتعامل بين العالمين المادي وغير المادّي. فواحدنا لا يستطيع أن يرى قوانين المنطق (أو الوعي والإدراك أو حرية الإرادة) أثناء عملها في العالم المادي. إنما نحن نعاين تتابع الأحداث وتعاقبها ويتم الإستدلال على أن السبب في بعض الأحيان يرجع إلى الأشياء غير المادية.

إن هذا النوع من الافتراضات يحمل معنى في ضوء الرؤية المسيحية للعالم وذلك نتيجة لوجود الكيانات غير المادّية. لا أريد أن أتشعَّب عن الموضوع الرئيسي إلا أن توجيه هذه الملاحظة هو أمر مهم، حتى وإن كان ذلك بشكل مختصر. إن قوانين المنطق هي أمر ضروري لفهم الكون، بالرغم من أننا لا نعاين هذه القوانين. والله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس هو ضروري حتى يكون لقوانين المنطق أيّ معنىً، وبالرغم من أننا لا نعاينه بشكل مباشر بحواسنا.

م: إن هذا لا يقدم تفسيراً للأصول، ولكنه أيضاً لا يتعثر بالإفتراض المسبق الذي تم تقديمه في المقال المذكور بأنَّ قوانين المنطق لا تستطيع الوجود في الرؤية التطورية للعالم.

د.ل: إن الجدل المقدم ضد الإلحاد بشكل عام هو أنَّ الملحد لا يستطيع أن يفسر وجود وخصائص قوانين المنطق في ظلّ رؤيته للعالم بالتحديد، ما هو السبب والكيفية التي تكون وفقها قوانين

المنطق عالمية، مجرّدة وثابتة؟ إن الرؤية المسيحية تستطيع أن تجيب على هذا السؤال. وأنا قد جادلت بأن الرؤية الإلحادية لا تستطيع فعل ذلك. وبالرغم من ذلك نجد أن الملحد يؤمن ويستعمل قوانين المنطق. ولكن الإيمان (والتصرف بناءً على الإيمان) غير القابل للتبرير إنما هو نوع من التعسف - وهذا بدوره أمر غير عقلاني.

م: أما بالنسبة لأصل المنطق - أود أن أقدم جدلاً شخصياً بأنّه انعكاس للعالم الذي نعيش فيه وهو أمر لا يمكن أن يختلف عن العالم الذي نمتلكه. هذا يعني، أني لا أستطيع أن أقوم بركن سيارتي في المنزل وألا أقوم بركن سيارتي في المنزل في الوقت عينه - فإن كنا نعيش في عالم يسمح بذلك فحينها نعم ، سيكون مفهومنا عن المنطق مختلفاً بطبيعته.

د.ل: إن كانت قوانين المنطق انعكاساً للعالم الذي نحيا به، حينها ستكون معتمدة على هذا العالم. وهذا سوف يقودنا إلى نتائج لا تود أن تقبل بها في الغالب. فإننا لن نكون قادرين على أن نقول أي شيء عن عالمية أو ثبات قوانين المنطق ذلك إن كانت معتمدة على الكون. فعلى سبيل المثال، سوف لن نستطيع أن نقول بأن قوانين المنطق تنطبق في مركز نجم (ألفا سنتور)؛ ذلك لأنه لا يوجد أيّ شخص قد اختبرها بمعزل عن العالم الذي نحيا به. وأيضاً لن نكون قادرين على الجدل بأن قوانين المنطق سوف تكون صالحة للاستخدام غداً، ذلك نتيجة لعدم وجود أي شخص قد اختبر المستقبل. نحن نأخذ ثبات قوانين المنطق وعالميتها على أنّه من المسلَّمات، لكن هذه الافتراضات لن يكون لها أيّ قيمة في حال كانت قوانين المنطق مُعتَمِدة على العالم المادي.

إن الأجزاء المختلفة من الكون تختلف عن بعضها بشكل كبير. فلماذا حينها ستكون خاضعة لذات قوانين المنطق؟ إن كانت قوانين المنطق هي مجرد انعكاس للعالم المادي، حينها سنتوقع بأن الأجزاء المختلفة من الكون والتي تختلف عن بعضها بشكل فيزيائي سوف تخضع لقوانين مختلفة للمنطق. إضافةً إلى أنَّ العالم الماديّ يتغير بشكل مستمر، إلا أنَّ قوانين المنطق لا تفعل المثل. وبالتالي فإنه من الواضح أنَّ قوانين المنطق لا تستطيع أن تكون انعكاساً للعالم الماديّ.

م: إنني أجد هذا الجدل جيد في الردّ على المسيحيّين الذين يزعمون بأنَّ المنطق يصدر عن الله - أي أن المسيحين يقومون بتحويل أصل المنطق إلى أصل الله - والذي كما يدّعون بأنّه سرمديّ - وهو مجرد خروج عن موضوع أصل المنطق.

د.ل: فقط للتوضيح في حال كان يوجد التباس أو سوء فهم، إن الجدل المُقدَّم في المقال لا يطرح موضوع الأصول أو المُسَبِّب الأول. إنما هو يتناول موضوع التبرير. أي من الرؤى للعالم تستطيع أن تقدم معنىً لقوانين المنطق؟

م: فالتطوريّ يستطيع أن يقوم بتقديم سلسلة من الإدعاءات بحيث أنه يقول بأن الكون هو أزليّ وبأن قوانين المنطق مرتبطة به بشكل مباشر - أي أن يقوم بالهروب بطريقة مشابهة.

د.ل: مرة أُخرى، إن الجدل هو حول التبرير وليس الأصل. أنا أؤمن بأن قوانين المنطق هي أزلية لأنها انعكاس لفكر الله السرمدي. إلا أن هذه القوانين تحتاج لتبرير في حال أردنا أن نقوم باستخدامها. فالنقطة الرئيسية هي: كيف للشخص أن يمتلك قوانين منطق ثابته ومطلقة وكونية في الكون الإلحادي؟

م: أنا أُقدّر أن عددا كبيرا من المسيحيين سوف لن يوافقوا مع نقدي القصير نسبياً لتفسيرهم لأصل المنطق، لكني أريد فقط أن أظهر لهم أن تفسيرهم ليس أفضل من تفسير الملحدين - الذي لن يكون بالضرورة أفضل من الآخر.

نقطة إضافية ... "وحده الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس يشكل الأساس للمعرفة" - أنا لا أعتقد أن هذه هي الحقيقة، إن هذا الجدل قابل للاستخدام للدفاع عن أي إله أزلي، ومطلق وغير متغيّر. أنا متفهم بأنك مدافع عن المسيحية، فأنت تأخذ القليل من الحرية في هذا المجال، إلا أنني لا أستطيع أن أرى أي شيء في هذا الجدل (عدا عن كونه يستدعي شواهد من الكتاب المقدس)، وهذا ما يحدد هذا الجدل بالإله المسيحي.

د.ل: إن هذا القلق هو موضوع جدير بالنقاش. لم يوجد مجال كافي في المقال المختصر للتوسع في تفاصيل جميع الأسباب التي تجعل من كون الله كما أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس وحده القادر على تفسير وجود الشروط المسبقة لقابلية الفهم (مثل قوانين المنطق). كما أنَّني لا أمتلك الوقت الكافي لتقديم التبرير الكامل لهذا التصريح هنا، لكن سوف أحاول أن أقدم لك عيّنات من الجدل. إن قوانين المنطق كما نعرفها تحتاج إلى ما هو أكثر من مجرَّد إله. ليس أي إله قادر على تقديم المطلوب. فالإله يجب أن يمتلك بعض السمات الخاصة في سبيل أن يكون لقوانين المنطق أو أي من الشروط المسبقة لقابلية الفهم أي معنى.

لقد ذكرت البعض من هذه: السرمدي، المطلق والثابت. وهذا ما يجب أن يكون عليه الحال في سبيل أن تكون قوانين المنطق التي تعكس تفكير الله، هي الأُخرى ثابتة ومطلقة. شيء آخر للإضافة سيكون كليّ الوجود، الأمر الذي يجعل من قوانين المنطق تنطبق في كلّ مكان. وكليّ المعرفة هو أمر مطلوب، وإلا فإنه يوجد بعض الأشياء التي لا يعرفها الله (وهذا سيكون حال قوانين المنطق). الإله الذي لا يستطيع أن ينكر ذاته هو مطلوب لتبرير قوانين عدم التناقض (التي تمَّت الإشارة إليها في المقال المذكور).

الله الذي أعلن عن ذاته للجنس البشري مطلوب؛ فلن يكون من الممكن أن نعرف عن قوانين المنطق إن لم يكن الله قد أعلن عن جزء من أفكاره لنا. إن التبرير الكامل سوف يكون مطولاً لكن أعتقد أن الفكرة يجب أن تكون قد وصلتك. ويكفي القول بأنني لم أجد أي من التصورات غير المسيحية عن الله ملائمة لتوفير الشروط المسبقة لقابلية الفهم والمطلوبة لتفسير الإختبارات البشرية والتفكير المنطقي بما في ذلك (ودون حصرها) قوانين المنطق.

إضافةً إلى أن "استخدام الشواهد الكتابية" هو أمر متصل بالقضيّة. فالإدعاء الذي تم طرحه في الوحي المُقدَّس هو أن كل المعرفة تبدأ مع الله (أمثال ١: ٧). وبالتالي فإن الكتاب المُقدَّس سوف يكون معيارانا المطلق للمعرفة. أنا على دراية بعدم قبول الجميع لهذا الإدعاء، لكننا لا يمكن أن نقوم برفض ما يقوله الكتاب المقدّس بشكل تعسّفي، وذلك أنَّ ما يقدّمه الكتاب المُقدَّس هو القضية التي يتم الجدال حيالها.

م: سأقوم بغض الطرف عن كلامك عن أخلاق الملحدين، وذلك أنك اخترت ألا تبني ادعاءات على أيّ شيء - وأعتقد أن ذلك سيكون نقاشاً طويلاً.

د.ل: للتوضيح فقط، إن هذا لم يكن تهجماً على أخلاقيات الملحدين؛ فلا يوجد أي شخص هنا يقول بأنَّ الملحدين ليسوا أخلاقيّين. إنما هذا يتعلق بالشروط المسبقة لقابلية الفهم. فأي من الرؤى للعالم هي التي تحمل معنى للأخلاق؟ أي من الرؤى للعالم تجعل من البشر خاضعين لقانون سلوكي عالمي؟

إن الأسلوب المستخدم في المقال يُدعى "الجدل المتسامي" لوجود الله؟ إن هذا النوع من الجدل يطرح أسئلة تتعلق بالشروط المسبقة لقابلية الفهم - أي الأشياء التي يجب أن تكون صحيحة في سبيل أن يكون للاختبارات البشرية والمنطق البشري معنى. وأهم ثلاثة أشياء تتعلق بهذا الأمر هي (١) قوانين المنطق، (٢) قوانين الطبيعة، و (٣) الأخلاق. الدكتور غريغ باهنسن قد استخدم هذا النوع من الجدل بطريقة فعالة جداً. فإن كنت تريد أن تتابع في دراسة هذا الموضوع، فإن مقالات وكتب ومحاضرات الدكتور باهنسن ستكون مكاناً جيداً للإنطلاق. والعديد منها متوفر عبر شبكة الإنترنت. وأود أن أرشح لك "المناظرة الكبرى: هل الله موجود" بين الدكتور باهنسن وشتاين وهي متوفرة عبر موقع إجابات في سفر التكوين.

م: في جميع الأحوال، أتمنى أن تكون النقاط التي قمت بتقديمها أثارت اهتمامك -

د.ل: لقد كانت مثيرة للاهتمام للغاية. وأنا مُمتّن لما كتَبتَه كما أنني قد استمتعت بقراءة رسالتك والرد عليها.

م: فالجدل الذي قمتَ بتقديمه إنما هو موجه ومحدد بالملحدين الماديّين وربما ليس مستقى من القراءة المباشرة للكتاب المقدس.

د.ل: أود أن أشكر مراسلتك إيانا. وأتمنى أن تكون تعليقاتي قد ساعدتك وقدَّمت لك مادّة للتأمل بها في المستقبل.

د.ل.

الملحق (ج)
إجابة المعترضين - الجزء الثاني

سوف نقوم الآن بالنظر إلى رسائل حقيقية كُتِبَت من قِبَل أشخاص يمتلكون مواقف مناقضة لمواقفنا وسوف نفكر في طريقة الردّ عليها. وكما ذكرنا سابقاً، إن هذه رسائل حقيقيّة تم تسليمها إلى موقع إجابات في سفر التكوين. وسوف نقوم بتطبيق مقاربتنا الدفاعية (١) تقديم الرؤية المسيحية في أثناء (٢) القيام بنقد داخلي للرؤية غير المسيحية. وسوف نقوم بتطبيق اختبار لائحة "ت.ت.ش" أثناء القيام بالنقد الداخلي، البحث عن التعسف، عدم الإتساق والفشل في تأمين الشروط المسبقة لقابلية الفهم في الرؤية التي يتبناها المعترض للعالم.

لكن في هذا الملحق سوف نقوم باستخدام الأدوات التي طورناها في الفصول ٦-١٠. على سبيل المثال، لدينا الآن بعض التعليمات التي تسهم في كشف المغالطات المنطقية الرسمية وغير الرسمية. ونستطيع أيضاً تقديم إجابات على عدد من الأسئلة المعقدة التي يتم طرحها في الدفاعيات. وكما في الملحق السابق، سوف أقوم بتقديم البريد الوارد من المعترضين، ومن ثم نقوم بالتحليل وتقديم الردّ المقترح. وقد يكون من المفيد أن تقوم بكتابة ردّ قصير.

١٠. "كيف يمكنك أن تمتلك هذه الكمية من المعلومات الخاطئة"

ج (الذي قدَّم عنواناً وهمياً) كتبَ:

كيف لمجموعة من الأشخاص أن يكونوا مخطئين لهذه الدرجة وأغبياء؟؟؟ كيف تحصلت على المال اللازم لبناء هذا الهراء والكلام الفارغ؟ يا إلهي، إنه من المذهل أن يكون الناس على هذا المستوى من الجهل في هذا العصر. إن سفاح القُربى كان أمراً جيداً، لابدَّ أنكم تمارسونه حتى الآن ... أشياء مضحكة للغاية. يوماً ما حين تبلغون الرشد سوف تنظرون إلى الماضي وتضحكون على أنفسكم.

التحليل:

إن هذه الرسالة تبدأ بمغالطة السؤال المركب. ويمكننا أن نقول أن هذه الرسالة بالمحصلة هي عبار عن مثال ضخم من مغالطة التماس السؤال بطريقة عاطفية. حيث لم يتم تقديم أي جدل فيها. فالكاتب قام وببساطة باستخدام لغة عاطفية وساخرة عوضاً عن تقديم قضية منطقية. وهذا نوع من التعسف الذي ندعوه "مجرَّد رأي."

أثناء التعامل مع الرسائل من هذا النوع، سوف يكون من المهم أن نتذكر الأمثال ٢٦: ٤ - يجب ألا نجيب الأحمق وفق حماقته. ويجب أن نتجاوز الميل إلى الجدل وفق المعايير الخاطئة والتعسفية

والعاطفية. يجب علينا أن نشير فقط إلى أنَّ المعترض لم يقدم أي قضية منطقية. وردي سوف يكون قصيراً للغاية .

الردّ المحتمل:

عزيزي ج.:

هل لديك أي جدل منطقي أو أي دليل حقيقي تعتقد بأنَّه يتحدى موقفنا؟ مع كلّ الإحترام لك، إن رسالتك تحتوي على الكثير من الآراء الشخصية العاطفية، لكنني لم أستطع أن أجد أي جدل منطقي فيها. إن كنت قادراً على تقديم اعتراض عقلاني لموقفنا، سوف أكون سعيداً بتقديم ردّ عليه.

د.ل.

١١."أنا في المستوى المتوسط من الإختصاص"

س. من برايتون، ماساشوسيتس، كتب:

أنا في السنة الثالثة من التعليم بعد المتوسط اختصاص كيماء حيوية في جامعة بوستن. ولديّ خلفية واسعة حول مواضيع الأحياء، التطور، علم الوراثة، والكيمياء. إن ما تدعونه "دليل-دراسي" وتقدمونه عبر موقعكم ليس إلا مواد سخيفة وعبثية. ويجب عليكم جميعاً أن تخجلوا من أنكم تحاولون أن تقنعوا الأطفال بهذا الهراء. يوجد العديد من التصريحات الخاطئة التي قد قرأتها في ذلك الدليل الدراسي، دليل لأصل الإنسان، لكنت قد ضحكت، لو لم يكن الموضوع مثيراً للإضطراب بأنكم في الحقيقة تعنون ما تقولونه...

التحليل:

إنه أمر مشروع للغاية أن تقوم بمحاولة تصحيح أخطاء الشخص المخالف لك بالموقف. لكن لاحظ كيف حاول س. أن يقوم بذلك. لقد بدأ من خلال الإلتماس الخاطئ للسلطة؛ فعلى ما يبدو أنَّه حاول ترهيبنا من خلال الإشارة إلى الخلفية التي يمتلكها بصفته طالباً في السنة الثالثة في الإختصاص الأمر الذي سيجعل منه خبيراً في التطور، علم الوراثة، ... والخ. بمعزل عن ذلك. لو أنه بذل القليل من الوقت في تفقد موقعنا لوجد أنه يوجد لدينا ضمن فريق العمل المتفرغ: حامل لشهادة الدكتوراه في علم الأحياء، وآخر في علم الوراثة، وثالث طبيب معالج. وكل منهم يمتلك خبرة أكثر من التي يمتلكها س. لكن وبشكل مطلق فإن الجدل يجب أن يتم تقييمه بناءً على حيثيّاته، وليس بناءً على الإنجازات التعليمية التي يمتلكها مقدمه.

أمر آخر للملاحظة هو أن س. يحاول استخدام الأخلاق للجدل ضد موقفنا، وذلك من خلال الجدل بأننا يجب أن نشعر بالعار كوننا "نحاول إقناع الأطفال بهذا الهراء؟" لكن بناءً على أي قاعدة

يقوم س. باستخدام قانون أخلاقي؟ إن هذا المفهوم ليس له أي معنى إلا في الكون الخلقيّ التوراتي، الذي على ما يبدو أن س يرفضه. والجملة الأخيرة في التصريح الذي قدمه س. ليست أكثر من التماس السؤال بطريقة عاطفية.

ردّ محتمل:

عزيزي س،

نحن نرحب وبشكل دائم بأي اعتراض منطقي لمنشوراتنا. ولدينا عدد من العلماء الذين يحملون شهادات دكتوراة كما أنَّه لدينا طبيب ممارس للمهنة، وجميعهم سيكونون سعداء بمناقشة تفصيلية معك. وأنا أشعر بالسعادة كونك تشعر بالقلق حيال أهمية أن يكون الدليل الدراسي الذي نقدمه حاملاً للحقيقة وصادق، وأنك مهتم بشكل خاصّ بما يتعلَّمه الأطفال. لكن أنا أريد أن أسأل: بناءً على رؤيتك للعالم، لماذا يجب عليك القلق حيال أمور مماثلة؟

الأمر الأكيد هو أن الخلقيّين التوراتيّين مهتمين جداً بأنه يجب ألا نكذب- فهذه واحدة من الوصايا العشر. والأطفال (كما بالنسبة للبالغين أيضاً) هم مخلوقات مميزة، ومخلوقين على صورة الله. وبالتالي فإنه من المهم أن يتم التعامل معهم باحترام مع الحفاظ على كرامتهم. لكن إن كان التطور صحيحاً، لماذا يجب علينا أن نقلق حيال ما تفعله نتائج الحوادث العرضية الكيميائية بعضها ببعض؟

د.ل

١٢. "متى ستقبلون بالعلم؟"

أ (الذي لم يقدّم عنوان) كَتَب:

متى ستقبلون بالعلم وتتوقفون عن محاولة ابتداع عصر مظلم جديد للبشرية؟ إن موقفكم هذا متصلّب جداً ولو أن الجميع كانوا يتمسّكون بموقفٍ مشابه، لكنتم الآن دون سيارات، حواسب الكترونية، رياضيات، كيمياء، جيولوجيا (علم طبقات الأرض)، علم الآثار، وأي فرع آخر من فروع العلم. ... أنا على أمل بأنكم ستغيرون موقفكم في يوم من الأيام، وبأن البشرية ستسير بشكل موحّد باتجاه التقدم والازدهار والمعرفة.

التحليل:

إن هذه الرسالة تبدأ باستخدام مغالطة السؤال المركّب. ونجد أن (أ) قد افتتح رسالته برأيه الشخصي بأنَّ موقفنا هو موقف مناهض للعلم وبأننا نحاول أن نخلق عصراً مظلماً جديداً، وهذا ليس موقفنا وهو أمر واضح. بعد ذلك (أ) يتقدم من خلال مغالطة تدعى باسم "الرشق كالفيل" حيث أنه ابتدأ بسرد عدد من حقول العلم والتكنولوجيا آملا بأن تقديم لائحة طويلة سوف

تشعرنا بالرهبة بحيث أننا لن نلاحظ أن هذه العملية لا صلة لها بالموضوع قيد النقاش. في المحصلة، إن فروع العلم التي قام بسردها لا تعتمد على التطور. وهذا الأمر سوف يمنحنا فرصة كبيرة للتكلم عن الإنتظام في الطبيعة. أما الجملة الأخيرة التي ذكرت "المعرفة،" التي تتضمن إشارة إلى نظام من العقلانية (واستخدام القوانين) و"التقدم والإزدهار،" الأمر الذي ينطوي على نظام من الخير والصلاح (أي الأخلاق).

إن هذه الرسالة جميلة بعيوبها. فالمعترض قد قام بافتراض الافتراضات الثلاثة الرئيسية الضرورية لقابلية الفهم، مما يجعل الأمر سهلاً في تقديم ردّ. وأنا سأختار التركيز على انتظام الطبيعة والبحث العلمي.

ردّ محتمل:

عزيزي أ،

على ما يبدو أنَّك وبصفتك مؤيّدا للعلم لم تقرأ ما فيه الكفاية من منشوراتنا. وبصفتنا خلقيّين فإننا سوف ننتظر بأن يكون الكون منطقياً ويمتلك نوعاً من الانتظام في الطبيعة، وذلك لأن الله يدير كل الأشياء بسلطانه المطلق والمُتَّسِق. إضافةً إلى ذلك، إنَّ الله قد قام بتصميم الذهن البشري، وسيكون من المنطقي أن نكون قادرين على دراسة وفهم جوانب الكون. لكن في ظل رؤيتك للعالم، كيف للعلم أن يكون أمراً ممكناً؟ وما هو السبب الذي يدفعك لأن تتوقع بأن يكون الكون قابلاً للفهم، أو بأن يكون الذهن البشري قادراً على التفكير العقلاني؟

كيف لهذه الفروع من العلم التي سبق وسردتها أن تكون ممكنة في حال كان الكون مجرّد مصادفة كونية؟ إذ أنَّ جميع هذا الحقول العلمية تتطلب وجود كونٍ منتظم وعقلانيّ. إضافةً إلى ذلك، إن كان البشر مجرَّد غثاءً قذراً معاد ترتيبه (تطوراً من حساءٍ بدائي)، لماذا يجب أن نهتمَّ بإتمام "التقدم والإزدهار"؟ إن هذه الأشياء تحمل معنى فقط في ضوء الرؤية التوراتية للعالم.

د.ل

١٣. "موثوقية الحواس يجب أن تأتي أولاً."

ك. (الذي طلب ألا يتم نشر عنوانه) كتب:

لقد قرأت مقالاً لكم تحت عنوان "ردود: هل يستطيع المنطق أن يَستَبدِل الكتاب المُقدَّس،" وأثناء قرائتي له، حضرني تساؤل شخصي. وهذا هو الإقتباس الذي كنت أفكر به بالتحديد:

"في سبيل أن تكون معاينتنا للعالم ذات معنى، يجب أن يكون الكتاب المُقدَّس صحيحاً. وإلا فإننا لا نستطيع أن نثق بأنَّ حواسَّنا وذاكرتنا قابلة للإعتماد عليها، أو بوجود انتظام في الطبيعة. "

ألم أقم بافتراض مسبق بأنني قادر على الإعتماد على حواسّي في سبيل أن أكون قادراً على قراءة الكتاب المُقدَّس وفهمه؟ فأنا أحتاج لاستخدام إما عينيّ للقراءة، أو أذنيّ للاستماع له في حال لم أكن قادراً على القراءة. كما أنني محتاج لاستخدام عقلي لفهمه وذاكرتي لتذكره. ألا يجب عليّ أن أفترض بأنَّه يمكنني الإعتماد على حواسي حتى أكون قادراً على معرفة ما إذا كان الكتاب المُقدَّس صحيحاً أو خاطئاً أو حتى أن رسالته هي موجودة في الحقيقة؟

شكراً للرد،

التحليل:

ك. ليس بالضرورة معترض. فهو مؤدَّب للغاية ويطلب توضيحاً. ولكني وجدت أن السؤال كان جيداً، وهو قد طرح من قبل معترضين. وأجبت بالتالي:

الرد:

أنت بالحقيقة على صواب في قولك بأننا يجب أن نفترض قابلية الإعتماد على حواسّنا في سبيل أن نكون قادرين على قراءة الكتاب المقدس. إذ أنَّ اعتمادية الحواس والذاكرة هي من الأمور التي يجب افتراضها بشكل مسبق - أي أنها الأمور التي يجب أن يتم افتراضها في البداية حتى نكون قادرين على التحقيق في أي دليل. لكن في سبيل أن تكون هذه الافتراضات ذات معنى، لابد أن تمتلك أساساً أو قاعدةً من نوعٍ ما، والكتاب المقدس يجب أن يكون صحيحاً (بغض النظر عما إذا كان أي شخص قد قرأه أو سمع به).

فالله قد عرف أننا سنحتاج لافتراض بعض الأمور بشكل مباشر في سبيل امتلاك معنى للعالم الذي نعيش فيه. بالتالي فإن الله قد "زرع" بعض الافتراضات المسبقة في ذهننا؛ فنحن لا نتعلم أن حواسنا يمكن الإعتماد عليها، إنما نفترض ذلك بشكل مسبق. ثم حين نقوم بقراءة الكتاب المقدس، نجد أن موثوقية حواسنا قد تم تبريرها: أي أنها ليست مجرد افتراضات "عمياء". فالكتاب المقدس يقول لنا بأن الله قد قام بتصميم ذهننا وجسدنا، وهو من قام بخلق هذا الكون؛ وبالتالي فإنه من المنطقي أن يكون ذهننا قابلاً لاستيعاب وفهم جوانب مختلفة من الكون. لكن إن كان التطور صحيحاً، إن كان دماغنا ومستقبلاتنا الحسية مجرد نتاج حوادث عرضية في الطبيعة، وإن كانت الطبيعة بحد ذاتها مجرد حادث عرضي من مخلّفات الإنفجار العظيم، حينئذٍ لن يوجد أي سبب للوثوق بأنَّ حواسنا موثوقة، أو بأنَّه يجب أن يوجد أي نوع من أنواع الإنتظام في الكون لنقوم بدراسته.

بالتالي فإنه على الرغم من أننا يجب أن نقوم بافتراض موثوقيّة حواسنا بشكل مسبق، قبل أن نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس، إن الكتاب المقدس سيكون هو الأساس لموثوقية الحواس. وهذا الأمر

صحيح بالنسبة لجميع الافتراضات المسبقة الحيوية التي نأخذها بشكل مسلّمات. وجميع الافتراضات المسبقة التي يمتلكها الجنس البشري بشكل عامٍّ هي مُبررة في الرؤية المسيحية للعالم، لكن الأمر معاكس تماماً في الرؤية التطورية للعالم.

د.ل.

١٤. "الإنفجارات النجمية الضخمة (سوبر نوفا) هي دليل على أنَّ الكون يبلغ من العمر مليارات السنين."

س. من كاليفورنيا، كتب:

لقد قرأت المقال الذي قدمته بعنوان "أين هي بقايا الإنفجارات النجمية (سوبر نوفا)؟" والذي قدمت فيه ادّعاءً بأنَّه لا يوجد عددٌ كافٍ من بقايا السوبر نوڤا لتدعم فكرة الكون الناجم عن الإنفجار الكوني العظيم. هل طرأ على ذهنك أن وجود بقايا نجم واحد متفجر (سوبر نوفا) يجعل من الستة آلاف سنة كعمر للكون، التي تتبناها مجرد فكرة لا يمكن الدفاع عنها؟ إذ أن العمالقة الزرقاء (نوع من النجوم) تحتاج على الأقل إلى مليون سنة لاستنفاذ مخزونها من الطاقة النووية قبل أن تنفجر. لذلك فإنه وبغض النظر عن مدى انتشارها، فإن وجود بقايا نجم متفجر هو دليل على أنَّ الكون يرجع إلى ملايين السنين، ومن المؤكد أنَّه ليس بعمر ستة آلاف سنة.

التحليل:

س. (الذي قام بمراسلتنا عددا من المرات) على ما يبدو يتخذ موقف الخلقي المؤمن بقدم عمر الأرض أو التطور الربوبيّ. وغالباً ما كانت جميع رسائله الإلكترونية منطوية على ذات النوع من المغالطة المنطقية. في الحقيقة إن معظم الأشخاص الذين يدَّعون بامتلاك دليل علمي على أنَّ الكون يرجع إلى مليارات السنين يرتكبون ذات المغالطة، وربما قد لاحظت نوعها. إن س. قد قام بالتماس السؤال. نه من الممكن أن يتم اختزال الجدل الذي قدَّمه كالتالي: "إن الكون لا يمكن أن يكون بعمر محدّدٍ بآلاف من السنين لأننا نعرف أنَّه يرجع إلى مليارات من السنوات."

س. قد افترض بأن الفكرة العلمانية عن التطور النجمي هي فكرة صحيحة، ومن ثم جادل بأن هذا يبطل الخلق التوراتي، ولكنه قد رفض بشكل متعسّف الخلق التوراتي. إن الطريقة الوحيدة لدحض الرؤية المناهضة لرؤيتك للعالم، هي من خلال النقد الداخلي - أي تبنّي الرؤية المناهضة على سبيل الجدل ومن ثم إظهار النتائج العبثية وغير المتسقة التي ستقود إليها. وسيكون من الملائم أيضاً أن نشير إلى أن الموقف غير الخلقي الذي يتبناه س. لا يقدم له أي سبب للثقة بالطرائق والمناهج العلمية. لكنني قد قمت بالتركيز على التماس السؤال في الردّ الذي قدّمتُه.

الرد:

عزيزي س:

شكراً لرسالتكم. إن الجدل الذي قمت بتقديمه إنما هو جدل دائري في الحقيقة. أي أنك قد قمت بافتراض وتبنّي التفسير العلماني للدليل الفلكي في سبيل اثبات التفسير العلماني الفلكي للدليل. على سبيل المثال: كيف تعرف أن العمالقة الزرقاء (نوع من النجوم) تحتاج على الأقل إلى مليون سنة لاستنفاذ مخزونها من الطاقة النووية قبل أن تنفجر؟ من المؤكد أنَّه لايوجد أي شخص قد عاين ذلك. حتى وإن افترضنا وجود معرفة عن المعدلات، كيف سيكون من الممكن لك أن تعرف الظروف التي ابتدأ بها ذلك النجم؟ فدون معرفة الظروف المبدأية لا يمكن أن يتم احتساب الإطار الزمني للعملية.

من المؤكد أن الفلكيين العلمانيين يفترضون بأن النجوم قد تشكلت بشكل تلقائي أو ذاتيّ من انهيار سحب هيدروجينيّة، وهذا قد يقدّم تقديراً للظروف التي ابتدأت بها. لكن الخلقيين لا يفترضون هذا الأمر عينه. وبالتالي فإنك تحاول الجدل ضد الموقف الخلقي من خلال افتراض أن ذلك الموقف خاطئ، وهذا الأمر ليس عقلانياً.

إن السبيل السليم للجدل هو من خلال تبنّي الموقف الذي يطرحة خصمك وذلك على سبيل الجدل والمقارنة ومن ثمَّ إظهار أنه سيقود إلى نتائج غير متّسقة. على سبيل المثال، افتراض علم الكونيات القياسي - بأن الكون يرجع إلى مليارات السنين، وبأن معدلات حدوث السوبرنوڤا هو مماثل للمعدلات الحالية. ومن ثمّ إظهار أنَّه يجب أن يتواجد عدد هائل من بقايا الإنفجارات النجمية السوبرنوڤا. ولكننا لا نرصد إلا عدداً محدوداً - هذا عدم اتّساق.

أي أنّ المقال الأصلي يستخدم المنطق بطريقة سليمة وذلك بإظهار عدم الإتساق في التفكير العلماني. ولكن بقايا الإنفجارات النجمية المتواجدة تتوافق مع الكون حديث العهد.

د.ل.

١٥. "إن العلم لا يمتلك افتراضات مسبقة. الحقائق تتكلم من تلقاء ذاتها!"

س. من كاليفورنيا كتب:

في أحد المقالات المنشورة على موقعكم، يقول المؤلف: "إن الفارق هو في الطريقة التي نقوم من خلالها بتفسير الأدلة. وما هو سبب تفسيرنا المختلف للأدلة؟ هو أننا نبتدئ من افتراضات مسبقة مختلفة."

إن هذا "المؤلف" يستمر في استخدام كلمة افتراضات مسبقة. أرجو أن تساعدوني هنا، ما هي البديهيات التي يبنى عليها العلم الحديث؟ أنا أعرف عن بديهيات علم الرياضيات، لكني لم أسمع أي شيء مثل البديهيات العلمية. ما هو الذي "يفترض" العلماء بأنه صحيح؟

في كلّ مرة أسأل أي شخص متديّن عن هذا الموضوع، يفشل بتقديم ردّ جدير بالتصديق. علماء الأحياء يقومون بتفحّص الأدلة، ولكن لا يوجد أي مجال للتفسير. فلا يمكنكم أن تقول أن التأريخ بالكربون المشع هو مبني على المسلّمات... إنّه ليس كذلك. هل أنتم من الأشخاص المؤمنين بأن الأرض مسطّحة؟

لقد خُنقتم ومُتّم بكتابك المقدس.

التحليل:

إن هذا المعترض على ما يبدو لا يفهم ما هو الدور الرئيسي الذي تلعبة الافتراضات المسبقة في العلم. فهو يعتقد بأنَّه "لا يوجد أي مجال للتفسير" - وهذا مثال عن مغالطة إدّعاء الحيادية. بما أنَّ هذا المعترض قد سألنا عن المسلمات العلمية (أي الافتراضات المسبقة)، يجب علينا أن نقوم بتقديم معلومات تثقيفية عن هذا الموضوع. وسيكون من المفيد أن نظهر له أن الرؤية المسيحية للعالم هي الوحيدة التي يمكنها أن تقدم تبريراً للشروط المسبقة لقابلية الفهم، مثل انتظام الطبيعة.

لاحظ أن س. قد ارتكب مغالطة القياس الخاطئ، من خلال الإشارة إلى أنَّ موقفنا يشابه موقف القائلين بالأرض المسطحة. فملاحظته الختامية تُظهر نوعاً من العاطفية والعقلية المتعصبة، ويجب علينا أن نشير إلى ذلك. وعلى اعتباره أنَّه لا يؤمن بالخلق، فليس لديه أي أساس ليكون عقلانيّ.

لقد قمت بالإجابة باستخدام الرد الذي يعتمد نقطة فنقطة.

الردّ:

س: في أحد المقالات المنشورة على موقعكم، يقول المؤلف: "إن الفارق هو بين الطريقة التي نقوم من خلالها بتفسير الأدلة. وما هو سبب تفسيرنا المختلف للأدلة؟ هو أننا نبتدئ من افتراضات مسبقة مختلفة."

د.ل: إن المقال صحيح. الافتراضات المسبقة هي الافتراضات الأساسية التي نمتلكها عن العالم. والافتراضات المسبقة هي الأمور التي نتخذها بشكل مسلّمات: مثل حقيقة وجودنا، قابلية الإعتماد على ذاكرتنا، الهوية الشخصية، القوانين الأخلاقية، قوانين المنطق، الاستقراء، والكثير مما يمكن أن يتم سرده هنا. إن معظم الأشخاص يقومون بافتراض معظم هذه الأشياء، إلا أننا نجد عدداً قليلاً من الأشخاص يتوقفون ليفكروا في سبب افتراضهم لهذه الأشياء. إن جميع هذه

الافتراضات المسبقة التي سردناها أعلاه، تحمل معنىً في ضوء الرؤية الخلقية للعالم، لكن المشاكل تظهر في الرؤى غير الخلقية للعالم. سوف تجد عدداً من الأمثلة أدناه.

س: إن هذا "المؤلف" يستمر في استخدام كلمة افتراضات مسبقة. أرجو أن تساعدوني هنا، ما هي البديهيات التي يبنى عليها العلم الحديث؟

د.ل: إن البحث العلمي يستند في الحقيقة إلى عدد كبير من الافتراضات المسبقة (الافتراضات المسبقة هي مثل البديهيّات، إلا أنَّ الفارق هو الافتراضات المسبقة المسيحية هي قابلة للإثبات.) بعد تقديم هذه الافتراضات المذكورة أعلاه، يجب أن يتم الإفتراض بأنه يمكن الإعتماد على حواسّنا. ماذا ستكون الفائدة من القيام بأي تجربة، إن لم تكن عيوننا ستنقل لنا نتائج تلك التجربة. وما هي الفائدة إن كانت عيوننا ستقوم بنقل الصورة الصحيحة في حال كان الضوء ينتقل بصورة متقطعة؟ نحن نقوم بافتراض يفيد بأنَّ الضوء ينتقل بسرعة منتظمة. وما هي الفائدة من القيام بأي تجربة إن لم يكن الكون يعمل بطريقة منتظمة ومنطقيّة؟ فنحن نفترض وبشكل مسبق وجود انتظام في طريقة عمل الكون. آمل أن تكون قد بدأت في ملاحظة الافتراضات المسبقة المطلوبة وبشكل عقلاني حتى يكون البحث العلمي أمراً ممكنا.

س: أنا أعرف عن بديهيات علم الرياضيات، لكني لم أسمع عن أي شيء مثل البديهيات العلمية. ما هو الذي "يفترض" العلماء بأنه صحيح؟

د.ل: لقد وجدت مثالاً بنفسك. العديد من جوانب البحث العلمي هي ريّاضيّة بطبيعتها، وتعتمد على الافتراضات المسبقة الرياضيّة. لكن دعني أُقدِّم لك مثالاً آخر: إن البحث العلمي يتطلب الإستقراء. افترض بأنني قد قُمت بتجهيز تجربة من نوع ما وحصلت على نتائج معينة. سأتوقع أنني إن قمت بتجهيز التجربة عينها في الظروف عينها ستكون النتيجة واحدة. لكن لماذا؟ العديد من الأشخاص لا يتوقفون للتفكير في السبب الكامن وراء ذلك؛ إن هذا الأمر يؤخذ بشكل مسلّمات. لماذا يجب أن يكون المستقبل انعكاساً للماضي بهذه الطريقة؟ يوجد معنى للإستقراء في الرؤية المسيحية للعالم. فالله (الذي لا يخضع للزمن) يدير الكون بطريقة منتظمة - وقد قال لنا بأننا نستطيع أن نعتمد على انتظام عدد من الأمور في المستقبل (تكوين ٨: ٢٢). وبالتالي فإنني سوف أتوقع أن أحصل على نتائج مطابقة في الإختبارات المُطابقة التي أُجريها في المستقبل وذلك لأن الله يدير الكون في المستقبل كما أدار الكون في الماضي.

لكن بمعزل عن الكتاب المُقدَّس، لماذا يجب علينا أن نفترض أنَّ المستقبل هو انعكاس للماضي؟ نحن وبصفتنا مخلوقين على صورة الله، فإننا نعتمد وبشكل غريزي على الإستقراء. لكن كيف للشخص غير المسيحي أن يفترض أنَّ المستقبل سوف يكون انعكاساً للماضي بالإعتماد على

رؤيته للعالم؟ قد يقول "حسناً، إنه لطالما كان كذلك" - لكن هذا لا يعني أنّ الكون غالباً سيستمر بهذه الطريقة إلا إن افترضنا وبشكل مسبق معرفتنا بأنَّ المستقبل هو انعكاس للماضي. وبكلمات أُخرى، حين يقول الشخص "حسناً، في الماضي، كان المستقبل انعكاساً للماضي، بالتالي فإنني سأتوقع أنه في المستقبل سوف يكون المستقبل هو انعكاسُ للماضي،" إنه يستعمل منطقاً دائرياً. (فكر في هذا للحظة؟) لقد افترض الإستقراء في سبيل إثبات الإستقراء. إن هذا التماس للسؤال وهذا ليس بأمر عقلانيّ.

س: في كلّ مرة أسأل أي شخص متديّن عن هذا الموضوع، يفشل بتقديم ردّ جدير بالتصديق.

د.ل: إن الساخر في الأمر، هو أنَّ الرؤية المسيحية للعالم هي الوحيدة القادرة على تقديم تفسير عقلاني للإفتراضات المسبقة المطلوبة للقيام بالبحث العلمي. الكون المنطقي والمنتظم، التفكير العقلاني، الحواسّ الموثوقة، البديهيّات الرياضيّة، الاستقراء، وقوانين المنطق هي عدد من الافتراضات المسبقة الضرورية لإجراء البحث العلمي والتي تؤمّنها الرؤية المسيحية للعالم والتي لا تحمل أي معنى في ظل الرؤية التطورية للعالم.

س: علماء الأحياء يقومون بتفحص الأدلة، ولكن لا يوجد أي مجال للتفسير.

د.ل: إن هذا ليس واقعيّ؛ فهذه ليست هي الطريقة التي يتم إجراء البحث العلمي وفقها. إذ أنَّ عالم الأحياء يمتلك افتراضات مسبقة أثناء القيام بتفحّص الأدلة مثل امكانية الإعتماد على حواسّه على سبيل المثال. وهذا النوع من الافتراضات يتبناه جميع العلماء، وإلا فإنهم لن يكونوا قادرين على القيام بأي بحث علمي. لكن علماء الأحياء التطوريّون وعلماء الأحياء الخلقيّين يمتلكون افتراضات مسبقة مختلفة تتعلق بتاريخ الأرض. لذلك نجد أنهم يخلصون إلى نتائج مختلفة حين يقومون بفحص الأدلة.

س: فلا يمكنك أن تقول أن التأريخ بالكربون المشع هو مبني على المسلّمات... إنّه ليس كذلك.

د.ل: إن التأريخ بالكربون المشع يعتمد على جميع الافتراضات المسبقة التي ذكرناها أعلاه إضافةً إلى عدد آخر. فهو يعتمد على افتراض بأن معدّل تحلُّل النظير المشع للكربون ١٤ في الماضي كان كما هو في يومنا الراهن، وبأن معدّل الكربون ١٤ في الغلاف الجوي كان مطابقاً المعدل الحالي، وبأن هذا النظام غير ملوَّث، وقانون الإحتمالات، والكثير من الافتراضات المسبقة الأُخرى- كالإستقراء، موثوقية الحواس، وهلم جرا.

بالمناسبة، إنَّ التأريخ بالكربون يقدّم تأكيداً قوياً على الإطار الزمني التوراتي. فالعلماء قد وجدوا ذرات كربون ١٤ في الفحم والماس والتي يفترض أنها تعود إلى ملايين السنين (أو حتى مليارات من السنوات بالنسبة للماسّ) وفق الرؤية التطورية للعالم. إلا أنَّ الكربون ١٤ يمتلك معدل نصف

حياة يقدر بحوالي ٥٧٠٠ سنة - أي أنَّه لا يستطيع الإستمرار لملايين السنين. فهل تعتقد أن التطوريّين يقتنعون بمثل هذا النوع من الأدلة ويعترفون بأن الأرض تعود إلى بضعة آلاف من السنوات فقط كما يعلّم الكتاب المقدس؟ أو هل يقومون برفض هذا النوع من الأدلة من خلال افتراض وجود نوع من التلوث (وبغض النظر عن وجود دلائل للتلوث) ببساطة لسبب أنّ افتراضاتهم المسبقة تقول بأنَّ الأرض ترجع إلى مليارات السنين؟

إن الأمر الواضح هو أنَّ الافتراضات المسبقة تؤثر بشكل كبير في طريقة تفسيرنا للأدلة. المشكلة (بالنسبة للعلماء العلمانييّن) هي أنَّ البحث العلمي بحدّ ذاته يعتمد على الافتراضات المسبقة المسيحية. فالعلم ممكن فقط لأن الله يدير الكون بطريقة منطقية ومنتظمة ولأن الله قد خلق ذهننا ليكون قادراً على التفكير بطريقة منطقية ويقدّم تفسيراً منطقياً للكون.

س: هل أنتم من الأشخاص المؤمنين بأن الأرض مسطّحة؟

د.ل: لا، فنحن نؤمن بأن الكتاب المُقدَّس يشير إلى أنَّ الأرض كروية الشكل من خلال قراءة آيات مثل أشعياء ٤٠: ٢٢ وأيوب ٢٦: ١٠. هل سبق لك وقرأت الكتاب المقدس؟

س: لقد خُنقتم ومُتّم بكتابكم المقدس.

د.ل: إن التصريح الذي قمت به والذي تم تقديمه أعلاه، إنما هو مثال جيد على كون الإعتراض على الخلق التوراتي هو وبشكل مطلق شخصي وعاطفي بطبيعته - وليس منطقياً أو عقلانياً.

د.ل.

١٦. "كيف نعرف أن الكتاب المقدس هو كلمة الله بالحقيقة؟"

ر. من ألبيرتا، كندا، كتبَ:

لقد قرأت مقالاً لكم بعنوان "هل يوجد في الحقيقة إله؟"وإنني أوافق معكم بشكل كامل على حقيقة منطقكم الذي قدمتموه عن وجود تصميم ذكي ووجود الله. إلا أنني أخالفكم الرأي في نقطة قرب نهاية المقال. حيث أنكم قد كتبتم "... إنَّه من المنطقي أن نبني رؤيتنا للعالم على ما قد كتبه الله في كلمته." من الطبيعي أنكم تشيرون "بكلمته" إلى الكتاب المقدس. وهنا أود أن أسألكم هذا: بناءً على أيّ منطق تشيرون إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله؟ إن كان ذلك بسبب مطابقة ما نراه في العالم مع ما نقرأه في الكتاب المقدس، ألن يكون ذلك إشارةً إلى أنَّ ما نعاينه في العالم يتفوق في الأهمية على ما نقرأه في الكتاب المُقدَّس؟ إن كان ما رأيناه في العالم قد ناقض ما قرأناه في الكتاب المُقدَّس، فما هو الذي سنؤمن به حينها؟ إن تمّ اثبات خطأ الكتاب المُقدَّس بأي طريقة، هل سيعني ذلك بأنَّ الله غير موجود، أم أن المنطق الذي تكلمتم عنه

سابقاً سيثبت وجود الله دون أي تغيير؟ وإن كان الوضع كذلك، ألن يعني ذلك بأنَّ المنطق يتفوق في الأهمية على الكتاب المُقدَّس. مجرّد أشياء للتأمل بها.

التحليل

على ما يبدو أنّ كاتب هذه الرسالة يتعاطف مع موقفنا، ويحاول الحصول على بعض التوضيحات: كيف نعرف أنَّ الكتاب المُقدَّس هو بالحقيقة كلمة الله؟ ولقد رأيت أنَّه من الجيد أن أضع هنا هذه الرسالة غير النقدية إذ أن المعترضين يسألون هذا السؤال بعينه. وهذه الرسالة توضّح السبب الذي يدفعنا لئلا نقوم باثبات الكتاب المُقدَّس من خلال استخدام أدلّة "غير متحيّزة" وخارجية. إذ أنَّ هذا النوع من التكتيك قد يعطي انطباعاً بأنَّ الأدلة قد تفوق الكتاب المقدس أهميّةً، وسوف نكون في موقف غير مُحبَّب في قبول المذهب التجريبي كمعيار أعلى لنا (وهو ذاتي النقض.) إن هذا البريد الإلكتروني يفسح المجال للكلام عن المعيار الأعلى وأيضاً عن طبيعة المنطق الدائري.

الردّ

ر: ... إنَّه من المنطقي أن نبني رؤيتنا للعالم على ما قد كتبه الله في كلمته." من الطبيعي أنك تشير "بكلمته" إلى الكتاب المقدس. وهنا أود أنا أسألكم هذا: بناءً على أيّ منطق تشيرون إلى أنَّ الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله؟

د.ل: أود أن أقدم لك الشكر على تواصلك معنا. لقد قمت بطرح سؤالٍ جيد. اسمح لي بالبداية بالإشارة إلى أننا لا نقوم ببساطة باستنتاج أنَّ الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله. إنما نحن نقبل ذلك على أساس أنَّه افتراض مسبق، على أساس أنَّه سيكون معيارنا الأعلى وهذه نقطة الإنطلاق. والجدل لا يمكن أن يستمر إلى اللانهاية. وبالتالي فإن جميع سلاسل الحُجَج والمنطق يجب أن تنتهي إلى المعيار الأعلى - أي إلى معيار لا يُمكن أن يَتمَّ تأسيسه على أيّ شيءٍ آخر عدا المعيار نفسه (وإلا فإنَّه لن يكون معياراً أعلى). وبما أنَّ المعيار الأعلى لا يمكن أن يتم إثباته بالإعتماد على أيّ شيء عدا المعيار عينه، فيجب أن يكون ذاتي الإستنتاج. والكتاب المُقدَّس هو كذلك. إذ أنَّه يدعي بأنَّه كلمة الله والشخص إما أن يقبل هذا الإدعاء أو لا. (وكما سنرى أنَّ عدم قبول هذا الإدعاء سوف يقود إلى موقف لا عقلاني.)

البعض سوف يجادل بأنَّ قبول الكتاب المُقدَّس على أنَّه وببساطة كلمة الله كونه يقول عن نفسه ذلك هو منطق دائري. ويوجد عدد من الأشياء التي يمكن قولها بهذا الخصوص. إن هذا الإعتراض يعتمد معايير مزدوجة. على سبيل المثال، تأمل في هذا المقال. ربما لم يطرأ على ذهن أي شخص بأن هنالك شخصاً آخر سواي قد كتب هذا المقال. فهذا المقال يدَّعي بأنَّه قد كُتِبَ من

خلالي، ومعظم الناس سوف يقبلون بأنَّني الكاتب على ذلك الأساس بذاته! إلا أنَّ الأشخاص يقومون باستخدام معايير مزدوجة حين يتعلق الأمر بالكتاب المقدس.

ثانياً، من الضروري أن يتم الإشارة إلى وجود درجة من المنطق الدائري والتي لا يمكن أن يتم تفاديها حين يتعلق الأمر بالمعيار المطلق . وذلك لأن المعيار الأعلى لا يمكن أن يعتمد على معيار أعلى منه ليأخذ شرعيته، فيجب أن يعتمد على ذاته. وهذا الأمر صحيح بالنسبة لأي معيار مطلق شرعي- وليس بالنسبة للكتاب المُقدس فحسب. فحين يقوم الأشخاص بقبول الكتاب المُقدَّس على أنَّه كلمة الله لأنه يصرّح بذلك، يكون هذا دائري. لكن حين يرفض الأشخاص أيضاً أنّ الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله فهم يكونون أيضاً يستخدمون المنطق الدائري؛ ما يعني أنهم قد بدأوا بافتراض أنه لا يجب أن يبدأوا تفكيرهم بالله (وهذا يعني أنهم يفترضون بأنَّ الكتاب المقدس هو خاطئ - الأمثال ١: ٧)، وثمّ يقومون باستنتاج أنَّ الكتاب المُقدَّس هو خاطئ. فأي معيار أعلى يتضمن نوعاً من المنطق الدائري.

ثالثاً، إن المسيحيّين وغير المسيحيين يحتاجون إلى الإلتجاء إلى نوع من المنطق الدائري حين يتعلق الأمر بالمعيار الأعلى، وليست جميع أنواع المنطق الدائري متساوية. فالرؤية المسيحية للعالم قادرة على تقديم تفسير منطقي للاختبارات البشرية والمنطق البشري. بكلمات أُخرى يمكن القول إذا (وفقط إذا) انطلقنا من الكتاب المُقدَّس كمعيارٍ أعلى لنا، سيكون من المنطقي وجود قوانين المنطق، الانتظام في الطبيعة، اعتمادية الحواس والذاكرة، والقانون الأخلاقي المطلق، والعديد من الأمور الأُخرى التي نأخذها كمسلّمات. لكن دون الكتاب المُقدَّس كمعيارٍ أعلى لنا، فإن أساسات هذه الأمور ستُفقَد، وبالتالي فإنه لن يكون من الممكن أن نحصل على المعرفة الحقيقيّة (رومية ١: ٢١). بمعزل عن الوحي المقدس، ما هو السبب الذي قد يدفعنا للقبول بأن الكون سيكون عقلانيّاً وقابلاً للفهم؟ إن الرؤية المسيحية للعالم هي ذاتية التأكيد، إنما الرؤى غير المسيحية للعالم هي تحتوي على تناقضات داخلية وهذا ما تم عرضة في الفصل الثالث في القسم الثالث منه.

وبالتالي فإننا نقبل بالكتاب المقدس على أنَّه الكلمة المعصومة لله بالإيمان، إلا أنَّه ليس "إيمان أعمى." فالإيمان بالكتاب المُقدَّس يقود إلى العقلانية والمعرفة؛ والرؤية المسيحية للعالم تجعل من الخبرات البشرية والمنطق أموراً ذات معنىً. إلا أنَّ رفض الكتاب المُقدَّس على أنَّه المعيار الأعلى سوف يقود إلى اللاعقلانية؛ وأي معيار آخر لا يستطيع أن يقدم تفسيراً للاختبارات البشرية أو المنطق البشري. وبمعزل عن كلمة الله، لماذا يجب أن نتوقع أن يكون الكون قابلاً للفهم؟

إن هذا هو الدليل على أنَّ الكتاب المقدس هو كلمة الله؛ إذ أنَّه دون إعلانات الله في كلمته سوف لن يكون من الممكن معرفة أيّ شيء (الأمثال ١: ٧). لذلك فإنني أمتلك سبباً جيداً لإيماني. دون الرؤية المسيحية للعالم أنا لن أكون قادراً على تفسير المنطق، أي أنني أؤمن ولذلك أفهم.

ر: إن كان ذلك بسبب مطابقة ما نراه في العالم مع ما نقرأه في الكتاب المقدس، ألن يكون ذلك إشارةً إلى أنَّ ما نعاينه في العالم يتفوق في الأهمية على ما نقرأه في الكتاب المُقدَّس؟

د.ل: إن كان تفكيرنا يقودنا إلى الإعتقاد بأنه من الممكن إثبات صحّة الكتاب المُقدَّس من خلال معاينة العالم بطريقة مجرّدة، حينها سيكون لدينا الأمر معاكساً أيضاً. فإنه في سبيل أن تكون معاينتنا للعالم ذات معنى، لا بد أن يكون الكتاب المُقدَّس صحيحاً. وإلا فإنه لا يمكننا أن نمتلك أي سبب للاعتقاد بأن ذاكرتنا أو حواسنا ذات موثوقيّة، أو أنَّه يوجد أي انتظام في الطبيعة. بالرغم من ذلك، فإن ما نعاينه في العالم يؤكد ما نقرأه في كلمة الله. فنحن نعاين أدلّة على التصميم في الطبيعة، وجود انتظام في الكون، وهلم جرا. كما أننا نجد أدلّة على اللعنة، وهذه الأمور كلّها تؤكد (لكن لا تُثبت) الكتاب المُقدَّس. فالكتاب المُقدَّس يجب أن يكون قد تم افتراض صحته بشكل مسبق في سبيل امتلاك أي معنى لأي شيء آخر.

ر: إن كان ما رأيناه في العالم قد ناقض ما قرأناه في الكتاب المُقدَّس، فما هو الذي سنؤمن به حينها؟

د.ل: بما أنَّ الله يدير الكون بكلمة قدرته (عبرانيّين ١: ٣) فإنه من المؤكد أن الأشياء التي نعاينها ستكون متّسقة مع ما أعلنه الله في كلمته. إلا أنَّه يوجد بعض الأمثلة التي تُبيّن أن تفسيرنا للأدلة التي نعاينها باستخدام حواسّنا لا تتوافق مع تفسيرنا للوحي المقدس. حين يحدث أمرٌ مشابه لذلك، يتوجب علينا أن نقوم بالفحص الدقيق مرّة ثانية للتفسير المستخلص من النص المُقدَّس، ومن ثمَّ استخدام الحقيقة الواضحة من الكتاب المُقدَّس لمساعدتنا في تصحيح تفسيرنا لما سبق وعاينّاه في الطبيعة. كما أنَّه تجدر الإشارة إلى أنَّ الطبيعة لا تقدّم الحقيقة وكل ما نعاينه في الطبيعة لن يحمل أي معنى دون اعتماد الافتراضات المسبقة التوراتية. فدون الكتاب المقدس لن يوجد أي سبب لنثق بحواسنا في المقام الأول، أو أن نفترض بأن الطبيعة أو العالم قابلان للفهم.

ر: إن تمّ اثبات خطأ الكتاب المُقدَّس بأي طريقة، هل سيعني ذلك بأنَّ الله غير موجود، أم أن المنطق الذي تكلمت عنه سابقاً سيثبت وجود الله دون أي تغيير؟ وإن كان الوضع كذلك، ألن يعني ذلك بأنَّ المنطق يتفوق في الأهمية على الكتاب المُقدَّس. مجرّد أشياء للتأمل بها.

د.ل: بعد التأمل، إنه من الواضح أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يتم اثبات بطلانه. ففي سبيل أن أن تقوم باثبات بطلان أي شيء، أنت بحاجة لاستخدام قوانين المنطق. لكن قوانين المنطق هي

افتراضات مسبقة توراتية (انظر مقال بعنوان الإلحاد: رؤية غير عقلانية للعالم[1]). وبالتالي فإنه دون وجود إعلانات الله في الوحي المقدس، سوف لن يوجد أي أساس لقوانين المنطق، التي نستخدمها لاثبات الأشياء الأُخرى. فالمنطق متعلّق بالإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس.

لقد قدمت بعض الأسئلة وأتمنى أن يكون الردّ الذي قدَّمتُه قد ساعد في توضيح الأمور لك.

د.ل.

١٧. "إما أنَّ الأرض قديمة أو أنها تبدو قديمة."

ك. من أوكلاهوما، كتب:

الرسالة موجهة تحديداً إلى الدكتور جيسون لايل [تم تهجئة الإسم هنا بشكل خاطئ].

أنا أقدّر ردّك الذي يتعلق بأنَّ الله يخلق تأثيرات للنجوم المتفجرة التي تعود لأكثر من ٦٠٠٠ سنة. وأنا أوافق تماماً معك على أنّ: "من الناحية التوراتية، نحن نستطيع أن نكون واثقين بحواسنا - على الرغم من كوننا نسيء في بعض الأحيان فهم ما نعاينه."

لقد أرسلت مؤخراً رسالة كما أني قمت بتحضير عرض تقديمي وأرسلته للسيد تيري مورتينسون الذي قدَّم جدلاً بأن المعلومات الجيولوجية تُظهر وبشكل تامّ أنَّ الأرض هي ذات عمر كبير. أو أنَّ الله قد خلق الأرض بشكل تبدو فيه على أنها قديمة. وبأن العلم لا يمتلك الأدوات للتمييز بين هذين الإثنين.

أنا أدعوك لتأتي وتعاين بنفسك النوى الجليدية من جبال الأنديز التي تمتلك طبقات الجليد السنوية التي تعود إلى فترة تتجاوز الستة آلاف عام بكثير. وقد أرسلت أيضاً رسالة إلى السيد كين هام بذات الدعوى.

فرجاءً تعال وعاين بنفسك البعض مما خلق الله.

بركة الرب ترافقك.

التحليل:

ك. على ما يبدو أنّه مسيحي إنما يرفض القراءة المباشرة لسفر التكوين لصالح القبول بالعمر القديم للأرض. حيث أنَّه قد قام بتقديم خَيَارَين اثنين لنا: إما أنَّ الأرض قديمة، أو أنَّ الله قد خلق الأرض بشكل يبدو أنها قديمة. إن هذا ارتكاب لمغالطة التشعب أو التقليص الخاطئ. فالأرض ليست قديمة كما أنها لا تبدو قديمة (ذلك على اعتبار أن العمر ليس بشيء يمكننا معاينته). حين يقول لنا شخص ما أنَّ الأرض تبدو قديمة، فإن هذا التصريح يُظهر لنا نوعية التحيز الذي لديه أكثر مما يخبرنا عن الأرض.

[1] https://answersingenesis.org/articles.ais.v2.n1.atheism-irrational.

في الحقيقة أنَّ ك. يظنَّ أنَّ الأدلة العلمية قادرة على اثبات أن عمر الأرض كبير (أو على الأقل أنها تبدو ذات عمر كبير) مشيراً بذلك إلى أنَّه لا يفهم تماماً طبيعة الرؤى للعالم، الافتراضات المسبقة، وعلاقتها مع الأدلة. لاحظ أيضاً أن ك. قد التمس المطلوب مشيراً إلى الطبقات الجليديّة السنوية - فكيف له أن يعرف أن تلك كلها طبقات سنوية. وحقيقة أن ك. لم يقم بتهجئة اسمي بشكل صحيح يشير إلى أنَّ أبحاثه حول منشوراتنا ليست عميقة بما فيه الكفاية.

إن هذا البريد الإلكتروني يعطينا فرصة جيّدة لدحض الخلق الذي يؤمن بقدم عمر الأرض، الذي يمتلك ذات العيوب الموجودة في جميع الرؤى غير المسيحية للعالم. فأي شخص لا يقوم بقراءة مباشرة للنص التوراتي سيكون عاجزاً عن امتلاك رؤية عقلانية للعالم[2].

الردّ:

ك. العزيز،

شكراً لدعوتك اللطيفة. نحن في الحقيقة نألف النوى الجليدية والعديد من الإدعاءات التي تتعلق بالعمر التي تُبنى عليها. في الحقيقة إن الدكتور لاري ڤارديمان قد قدم عملاً ممتازاً فيما يتعلق بهذا الموضوع، النوى الجليدية وعمر الأرض، وهو متوفر عبر الرابط التالي www.answersingenesis.org/publicstore. ولدينا عدد من المقالات التي تتناول هذا الموضوع. باختصار، يجب أن أذكر لك أننا لا نستطيع أن نعاين طبقات سنوية تعود لأكثر من عدّة سنوات. فإننا نعاين طبقات - لكن فكرة كون كل من هذه الطبقات هي طبقة سنوية إنما هو افتراض مبني على الإيمان بمذهب الطبيعة الواحدة غير التوراتي.

أنا مسرور كونك تتفق معي على أن حواسنا هي موثوقة بشكل أساسي، وبالطبع إن الجميع تقريباً يؤمنون بذلك. لكن المثير للاهتمام هو أنَّ المسيحيّ وحده هو من يستطيع أن يقدم سبباً جيداً لتبرير ذلك. فامكانية الإعتماد على الحواس هو افتراض مسبق مسيحي. وذلك لأن الله هو من خلقَ حواسّنا (الأمثال ٢٠: ١٢)، فإننا نستطيع أن نتوقع منها أن تعمل بشكل جيّد في معظم الأوقات (بالرغم من نتائج الخطيئة واللعنة، الأمر الذي يجعلنا لا نقول في كل الأوقات). إضافةً إلى أنَّ الله الذي خلق عقلنا هو من خلق الكون (يوحنا ١: ٣)، وبالتالي فإننا سنتوقع أنَّ هذه الأشياء تتواءم بعضها مع بعض. هذا يعني أن المسيحي لديه الحق بتوقع أن يكون للذهن البشري المقدرة على فهم أبعاد مختلفة من الكون. ولكن لن يكون هنالك أي سبب لتوقع ذلك في حال لو كانت العين أو العقل أو الكون مجرد نتائج عرضية للإنفجار الكوني والتطور.

[2] انظر الملحق أ للمزيد من المعلومات عن المواقف من الوحي المقدس والتي تقدم تنازلات ومساومات.

إنَّ الكتاب المُقدَّس يقدّم لنا السبب في أننا يجب أن نكون قادرين على استخدام المنطق. وكذلك الله يقول لنا بأننا يجب أن نبتدئ معه في تعاملنا مع المنطق. فيجب أن نقوم ببناء تفكيرنا على ما قد قام الله بإعلانه لنا من خلال كلمته (لوقا ٦: ٤٧-٤٩)؛ وإلا فإننا سوف نصل إلى استنتاجات خاطئة وننحدر إلى درجة من الجهالة (الأمثال ١: ٧). وبالتالي فإنه يجب علينا أن نقوم بتفسير ما نعاينه في هذا العالم على ضوء ما قاله الله في كلمته المقدسة.

إن فكرة أنَّ الله قد خلق الأرض بشكل تعطي فيه الإنطباع بأنها قديمة هي فكرة قديمة وسهلة الدحض. "المظهر المُعَمِّر" هو بالحقيقة قد دُحض كونه نوع من التناقض اللغوي oxymoron؛ فالعمر هو أمر غير منظور. فالحقيقة هي أنَّ الأشياء لا تستطيع أن "تظهر" على أنها يافعة أو قديمة. فالعمر هو سؤال يتعلق بالتاريخ، وليس أمر يتعلق بالمعاينة المعاصرة. فنحن في بعض الأحيان نستعمل المصطلح الفضفاض (وهو من الناحية التقنية خاطئ) حين نقول بأن الشخص يبدو بعمر معيّن. لكن ما نعنيه هو أنَّ الشخص يشابه أشخاصاً آخرين (في نواحي معينة) والذين بدورهم يملكون عمراً معيناً نعرفه. من الناحية الرسمية، لا يوجد شيء يدعى "مظهر العمر". فالكون قد خلق ناضجاً، من ناحية أنَّه كان مكتملاً وفاعلاً في نهاية اليوم السادس؛ لكن هذا لا يتشابه مع موضوع العمر.

كما أنَّه من السهل أن يتم دحض فكرة أنَّ الأرض تبدو قديمة، فالله قد قال لنا أنَّه عمل الأرض في ستة أيام. وهو واضح من خلال السياق النصي (اليوم مُحدَّد بالمساء والصباح) أي أن تلك الأيام هي أيام اعتيادية - تطابق أيام الأسبوع الحالية (انظر الخروج ٢٠: ٨-١١). والواضح من خلال سلاسل النسب بأنَّ هذا الأمر قد وقع قبل عدة آلاف من السنين. وهؤلاء الذين يجادلون لدحض هذا الموقف يجب أن يقوموا بافتراض من اثنين (أ) أن الكتاب المقدس خاطئ أو (ب) أن الكتاب المُقدَّس لا يعني ما يقوله.

(أ) إن كان الكتاب المُقدَّس على خطأ، حينها لن يكون لدينا أي سبب لنثق بحواسنا. وإن كان عقلنا ومستقبلاتنا البصرية مجرد جزيئات في حالة من الحركة، لماذا حينها يجب أن نعتقد أن ما نفكر به أو نراه هو حقيقيّ؟ فقط في حال كان الله هو من خلق الكون ومستقبلاتنا الحسية أيضاً (كما يصرّح الكتاب المُقدَّس) سيكون لدينا العذر والمبرر للإفتراض بأنه يمكننا الإعتماد على حواسّنا، وبأن عقلنا قادر على تفسير ما نشاهده بأعينا ونستقبله بحواسّنا.

(ب) في حال كان الكتاب المقدس لا يعني ما يقول، حينها سيكون لدينا المشكلة عينها. كيف لنا أن نعرف أنَّ الله قد خلق حواسنا، وعقلنا، والكون، وبأنه يمكننا الوثوق بما نستقبله بحواسنا؟ من المؤكد أن الكتاب المقدس يقول ذلك، لكن كيف لنا أن نعرف أن الكتاب المقدس يعني ذلك في حال

كان الكتاب المُقدس لا يعني ما يقول؟ إن القراءة المباشرة للكتاب المقدس هي أمر ضروري لامتلاك معنى لأي شيء آخر.

إن رسالتك تشير إلى أنَّ العلم لا يستطيع في الحقيقة أن يقرر عمر الأرض؛ وهذا صحيح. ذلك لأن البحث العلمي يتعامل مع القدرة على التنبؤ في الحاضر، ومن الأكيد أنه لا يمكن استخدامه في الإجابة على أسئلة تتعلق بالتاريخ - مثل العمر. فالعمر ليس مادةً يمكن أن يتم قياسها بالوسائل العلمية. ومن المؤكد أنَّه يوجد عدد كبير من الأدلة العلمية التي لا تتوافق مع العمر القديم للأرض، مثل الكربون ١٤ في الماسّ [انظر الفصل الأول]. لكن الدليل على أنَّ الأرض هي حديثة هو أنَّ هذا الأمر هو تعليم واضح في الكتاب المُقدَّس، والذي لا يستطيع أن يكون على خطأ على اعتبار أن أي بديل سوف يقود إلى اللاعقلانية (أمثال ١: ٧؛ كولوسي ٢: ٢-٤).

د.ل.

١٨. "إن العلم لا يحتاج إلى الكتاب المُقدَّس. انظر إلى اليونانيِّين القدماء"

س. من كاليفورنيا كتب:

لقد كتب جيسون لايل، "لابد أنَّ علماء الفلك العلمانيين وقبل وقت فيثاغورس قد اعتقدوا بأنَّ الكتاب المقدَّس خاطئ فيما يتعلق بكروية الأرض، إلا أنَّ الكتاب المقدس كان صحيحاً." حتى في حال ملاحظة العبرانيين القدماء لكون الأرض كرويّة الشكل، الأمر الذي لم يتم التصريح به بشكل صريح في الكتاب المُقدَّس، فإن انجازاتهم في مجال علم الفلك تعتبر ضبابية بالمقارنة باليونانيّين القدماء. ليس فقط أن اليونانيّين قد أعلنوا صراحةً أنَّ الأرض كروية، إلا أنهم أيضاً قاموا بحساب محيطها بدرجة عالية من الدقة. كما أنَّهم قد قاموا وبصورة مذهلة بحساب قطر القمر وبعده عن الأرض. كما أنهم كانوا قادرين على تحديد أن الشمس كانت أكبر بكثير من الأرض والقمر بالرغم من كون محاولاتهم في قياس بعدها عن الأرض لم تتكلل بالنجاح. إن تلك الإنجازات قد تمت من خلال المقدرات البشرية الصرفة والفلسفة الطبيعية، وليس من خلال دراسة نصوص مقدسة ذات وحي إلهي.

التحليل:

س. (ذات المعترض من الإعتراض #١٤) يقدم ردًّا على جزء من كتاب لي يحمل عنوان (Taking[3] Back Astronomy) حيث أظهرت العديد من الإدعاءات العلمية "والواقعية" التي في الكتاب المُقدَّس كانت في يوم من الأيام تُعتبَر متعارضة مع الإيمان العلمي العام لأيّامها، لكنها الآن

[3] Jason Lisle, Taking Back Astronomy (Green Forest, AR: Master Book, 2007).

مقبولة بشكل عالمي. إنّ محاولة هذا المعترض لتقديم جدل مضادّ قد فشلت في تمييز نقطة الخلاف. لذلك نجد أنَّ الردّ الذي قدَّمه ليس إلا مثالاً على مغالطة الفرضيات غير المترابطة.
إضافةً إلى أنَّ س. على ما يبدو يعتقد بأنَّ اليونانيّين القدماء كانوا قادرين على تحقيق الإنجازات دون الإعتماد على المفاهيم التوراتية. وهو يعتقد بأن "المنطق البشري الصرف إضافةً إلى الفلسفة الماديّة" كانا السبب وراء النجاح العلمي في العالم القديم. إلا أنَّه لا يوجد أيّ شيء يمكن أن يكون بمعزل عن الحقيقة أكثر من ذلك. يجب أن تتذكر أنَّ الدليل الحاسم ليس أنَّ الأشخاص يجب أن يقرأوا الكتاب المُقدَّس في سبيل معرفة أي شيء؛ إنما هو أنَّ الكتاب المقدَّس لابد أن يكون صحيحاً في سبيل الحصول على القدرة على معرفة أي شيء. فوحدها الافتراضات المسبقة التوراتية تستطيع أن تقدم تفسيراً للبحث العلمي والمنطق.

الردّ:

عزيزي س،

مع احترامي الشديد لك، يبدو أنك فشلت في تمييز النقطة الخلافية التي يتناولها المقطع من الكتاب. لطالما وُجدَ خلاف بين التعليم الصريح للكتاب المُقدَّس وبين العلوم العلمانية المعاصرة. وعبر التاريخ نجد أنَّ الكتاب المُقدَّس كان على صواب. فالتاريخ يعلّمنا بأنَّه عند بروز خلاف بين الكتاب المُقدَّس والعلوم العلمانية، فإن الكتاب المُقدَّس هو دائماً على حقّ. وبصفته كلمة الله، كيف له أن يكون أي شيء آخر عدا عن كونه مصدراً للحقيقة؟ بالرغم من ذلك فإن عددا كبيراً من الأشخاص لم يتعلموا هذا الدرس على ما يبدو.
إن النص المقصود من رسالتكم لم يكن موجّهاً للتقليل من قدر الإنجازات التي حققها اليونانيّون القدماء. فإنني أعتقد أن العديد من انجازاتهم واكتشافاتهم كانت مميزة. لكن هل كانت انجازاتهم مبنية على "المنطق البشري الصرف والفلسفة الطبيعيّة" دون وجود أي "وحي إلهي"؟ لا.
إنَّ اليونانيّين كانوا ناجحين نتيجةً لاعتمادهم بشكل ضمني على الرؤية التوراتية للعالم (دون تمييزهم لذلك، بالطبع). إن العلم يتطلب وجود انتظام في الطبيعة الذي بدوره يعتمد على الرؤية التوراتية للعالم كما يظهر في التالي: [المحاكاة الثالثة من الفصل الثالث].
إضافةً إلى أن اليونانيّين قد استخدموا المنطق، إلا أنَّ قوانين المنطق لا تحمل أي معنى إلا في ضوء الرؤية التوراتية للعالم. إذ أنها غير متوافقة مع المذهب الطبيعي كما يظهر في التالي [المحاكاة الثانية من الفصل الثالث]. إن اليونانيّين كانوا قادرين على اكتشاف العديد من الأشياء الرائعة - إلا أنَّ ذلك قد حصل فقط نتيجةً لكون الكتاب المُقدَّس صحيحاً.

د.ل.

١٩. "إن التفسير المعجزي يجب أن يتم استبعاده من العلم."

س. من كاليفورنياً (مجدّداً) كتب:

لقد كتب جيسون لايل بخصوص مشكلة ضوء النجوم البعيدة؛ "إنه من السخف أن يتم الجدل بأن التفسير المُعجزيّ خاطئ لأنه لا يمكن أن يتم من خلال المُسبِّبات الطبيعية." في سبيل أن يكون ذلك صحيحاً، يجب أن يتم إعادة تعريف علم الفلك بطريقة لا يعتبر فيها علماً من علوم الطبيعة فيما بعد. الأفضلية في إبقاءها كعلوم طبيعية صرفة هي وجود معاينات نستطيع من خلالها أن نختار بين النظريات المُتنافسة. فحين تم اكتشاف وجود CBR [الإشعاعات أو الموجات الكهرومغناطيسية في خلفية الكون] في عام ١٩٦٥ مكّن هذا العلماء من تحديد أن الإنفجار الكوني يقدم تفسيراً أفضل للكون من نظرية الحالة المستقرة. فإن كان سيتم السماح باستعمال التفسيرات المُعجزية، فأي منها سنعتمد؟ يوجد البوذية، الهندوسية والعديد من التفسيرات التي تفوق الطبيعة، بالإضافة إلى التي توجد في الكتاب المُقدَّس، كتفسيرات للظواهر الفلكية ولا يوجد أي نوع من المعاينة أو الإختبارات التي تمكّننا من تفضيل واحد من هذه التفسيرات على الأُخرى. التفسيرات الطبيعية قد لا تمثل الحقيقة إنما هي قابلة للإختبار.

التحليل:

في النص الأصلي الذي يقوم س. بالردّ عليه. كنت قد أشرت إلى مغالطة التماس السؤال - وذلك أننا لا يجب أن نقوم باستبعاد الإدّعاءات المعجزية نظراً لكونها وببساطة تفوق الطبيعة (أي أنها مُعجزيّة). س. لا يتفق مع هذا. فهو يؤمن أنه يجب أن يتم تطبيق المقاربات الطبيعية على المناهج العلمية - أي أنه يجب أن يتم استبعاد الأشياء التي تفوق الطبيعة من أبحاثنا. وهو يقدّم لنا سبباً مثيراً للإهتمام للدفاع عن موقفه؛ وهو أن استبعاد ما يفوق الطبيعة يجعل من العلم ذا قابلية أعلى للاختبار. إلا أن هذه مغالطة القضايا غير المترابطة. (فإن كون الشيء قابلاً للاختبار أم لا هو أمر لا صلة له بمدى صوابه.) فعوضاً عن تسمية المغالطة، اخترت أن أقوم بدحض هذا الإدعاء من خلال استخدام القياس المنطقي.

العديد من الأشخاص يريدون أن يقوموا باستبعاد احتمالية وجود ما يفوق الطبيعة منذ البداية. لكن هذا نوع من التعسف - وهو التحيز الفلسفي غير القابل للنقاش. تذكر أن الإلحاد هو موقف ديني؛ فالملحد لديه موقف من موضوع الأصول، ما وراء الطبيعة، والأخلاق. لذلك فإن الأشخاص حين يحاولون القيام بالمقاربات العلمية من خلال المنظور الإلحادي / الماديّ، يقومون بطريقة متعسّفة بقبول موقف فلسفي، ورفض المواقف الأخرى بطريقة تعسّفية.

الردّ:

س: لقد كتب جيسون لايل بخصوص مشكلة ضوء النجوم البعيدة؛ "إنه من السخف أن يتم الجدال بأن التفسير المُعجزيّ خاطئ لأنه لا يمكن أن يتم من خلال المُسبِّبات الطبيعية." في سبيل أن يكون ذلك صحيحاً،...

د.ل: إن ما أشير إليه هو أنَّ المنطق الدائري المفرغ هو منطق سيّء. وأود لو أن جميع الأشخاص يميزون هذه الحقيقة بطريقة مباشرة.

تأمل في هذا الجدل، أنا أقوم بالنقد هنا: "(أ) إن التفسير الذي يفوق الطبيعة هو خاطئ لأنَّ (ب) هذا التفسير لم يتم من خلال المُسبِّبات الطبيعيّة." لكن بما أنَّ (ب) هو عبارة عن إعادة صياغة ل (أ) فإن هذا الجدل دائري. (أ) إنه يتضمن بأنَّه يجب أن يتم تقديم التفسيرات من خلال المُسبِّبات الطبيعية (ب) من خلال الافتراض بأنَّ جميع الأشياء يجب أن يتم تفسيرها من خلال الإعتماد على المُسبِّبات الطبيعية. وهذا ليس جدلاً جيّداً. وبالتالي فإن تأكيدي على كون أي جدل مشابه لهذا هو جدل عبثي، إنما هو نقطة جيّدة.

س: يجب أن يتم إعادة تعريف علم الفلك بطريقة لا يعتبر فيها علماً من علوم الطبيعة فيما بعد.

د.ل: ليس كل ما يتعلق بعلم الفلك هو من العلوم الطبيعية بمعنى أنَّ العلماء يدرسون الطبيعة. كما أنَّه لا يوجد أي شيء في تعريف علم الفلك يتطلب أن تكون طرائقة "طبيعية" (أي استبعاد كل ما يفوق الطبيعة). ولا يوجد أي شيء في علم الفلك سيمنع أن يكون الله قد خلق الكون في ستة أيام كما قال أنَّه قد فعل في سفر التكوين. في الحقيقة، لو لم يكن الله يدير الأشياء بطريقة متّسقة في الكون، لن يكون البحث العلمي أمراً ممكناً كما سيظهر لك من المحاكاة التالية: [المحاكاة الثالثة من الفصل الثالث].

إن الرسالة تتضمن إشارة إلى أنَّه يجب دراسة علم الفلك باتباع مناهج المذهب الطبيعي. والمذهب الطبيعي (المذهب الوجودي الطبيعي) هو الاعتقاد بأن الطبيعة هي كل ما هو موجود؛ أي أنَّه الموقف القائل بعدم وجود الله - أو على الأقل بعدم وجود خالق أسمى. المذهب الطبيعي المنهجي هو الإيمان بأن جميع المقاربات العلمية يجب أن تتم من خلال منظور طبيعي - وذلك بغضّ النظر عن صواب أو خطأ المذهب الطبيعي نفسه. يمكن التعبير عن ذلك بكلمات أُخرى فنقول أنَّ المؤمن بالمذهب الطبيعي المنهجي قد يؤمن بوجود الله إنما يعتقد بأننا يجب أن نحصر استنتاجاتنا بالتفسيرات الطبيعية - أي أنَّه يتوجب علينا أن ندَّعي عدم وجود الله حين نقوم بالمقاربات العلمية.

إن هذا النوع من المقاربات هو تعسّفي وغير عقلاني. فلماذا يجب علينا أن نستبعد فكرة الخَلق قبل البدء بأي تحقيق في الأدلة؟ وإن هذا الإدعاء يحمل قيمة أقل بالنسبة للأشخاص الذين يؤمنون بوجود الله. فلماذا سيقوم شخص مؤمن بممارسة معاكسة لقناعته؟ إلا في حال كان من الممكن أن يتم اثبات عدم وجود الله (الأمر غير الممكن)، فإن مجرد الافتراض بأنَّه غير موجود (حتى وإن كان ذلك بشكل منهجيّ) سوف يكون أمراً تعسفياً - دون تقديم تبريرات. فالمنهج الطبيعي هو منهج غير عقلاني؟

للقيام بقياس على ذلك تأمل في الأشخاص الذين يقومون بدراسة تصنيع السيارة. هل تستطيع أن تتخيل أن أحد الأشخاص بينهم يجادل: "يجب علينا أن نفترض أنَّ هذه السيارة قد ظهرت من خلال القوى الطبيعية العاملة عبر الزمن دون وجود أي مصمّم أثناء دراستنا لطريقة عملها، حتى وإن كنا لا نعتقد بصحة ذلك." إن هذا النوع من المقاربة يمكن أن يعتبر عبثياً. إلا أننا نجد بعض الأشخاص يقومون باستخدام ذات المنهج عند دراسة خليقة الله.

س: الأفضلية في إبقاءها كعلوم طبيعية صرفة هي وجود معاينات نستطيع من خلالها أن نختار بين النظريات المُتنافسة.

د.ل: إن أفضلية افتراض خلاء الكون بشكل كامل سوف يجعل من الحسابات الرياضية أمراً أسهل. إلا أنه سيكون من العبثي أن نقوم بافتراض أمر مماثل وذلك أننا نمتلك أدلة تقول بخلاف ذلك!

بالطريقة عينها سيكون أمراً تعسفياً أن نقوم باستبعاد كل التفسيرات التي تتعلق بأصول الكون والتي تفوق الطبيعة ذلك لأنها ستجعل من عملية الاختيار بين النظريات المتنافسة المتبقيّة أمراً أسهل. إلا أنَّ هذا الأمر ليس عقلانياً على الإطلاق وذلك على اعتبار أننا نمتلك أدلة على ما يناقض ذلك.

س: فحين تم اكتشاف وجود *CBR [الإشعاعات أو الموجات الكهرومغناطيسية في خلفية الكون]* في عام ١٩٦٥ مكَّن هذا العلماء من تحديد أن الإنفجار الكوني يقدم تفسيراً أفضل للكون من نظرية الحالة المستقرة.

د.ل: إن هذه مغالطة التشعب (التقليص الخاطئ). فالبعض من علماء الفلك العلمانيين يجادلون بأنه يوجد فقط خيارين اثنين وهما الإنفجار الكوني العظيم ونظرية الحالة المستقرّة. وبما أن نظرية الحالة المستقرة لا تستطيع أن تقدم تفسيراً لوجود الأمواج الراديويّة الكهرومغناطيسية الكونيّة، فيقومون بالخلوص إلى أنَّ الإنفجار الكوني هو البديل الصحيح. إلا أنّه يوجد بديل ثالث: وهو أن يكون الكتاب المُقدَّس صحيحاً. فسواء كان الإنفجار الكوني العظيم أم نظرية الحالة

المستقرة كلاهما عاجزان عن تفسير سبب وجود انتظام الطبيعة وهو الأمر الذي يعتمد عليه كل البحث العلمي، لكن الكتاب المقدَّس يستطيع ذلك.

س: فإن كان سيتم السماح باستعمال التفسيرات المُعجزية، فأي منها سنعتمد؟

د.ل: ماذا عن التفسير الذي قام بكتابته الله الذي خلق الكون، وهو الذي يعرف كلَّ شيء، ولم يرتكب أيَّ خطأ، ولم يكذب أبداً؟ وحده الله هو القادر على أن يقدم سرداً للأصول يوجد من خلاله معنى للمعاينات العلمية ويؤمن تبريراً عقلانياً للطرائق والمناهج العلمية والمنطق.

س: يوجد البوذية، الهندوسية والعديد من التفسيرات التي تفوق الطبيعة، بالإضافة إلى التي توجد في الكتاب المُقدَّس كتفسيرات للظواهر الفلكية، ولا يوجد أي نوع من المعاينة أو الإختبارات التي تمكّننا من تفضيل واحد من هذه التفسيرات على الأُخرى.

د.ل: في الحقيقة، إن كلّ تجربة نجريها تقوم بإظهار حقيقة الرؤية المسيحية للعالم، وتظهر خطأ الرؤى الأُخرى، سواء كانت الهندوسية أو البوذيّة. فالإختبارات العلمية تعتمد على مبدأ الإنتظام - أي أن المستقبل هو انعكاس للماضي. إلا أن الرؤية المسيحية للعالم وحدها القادرة على تفسير الإنتظام. وهذا يعني، أنَّه دون الكتاب المقدس، سوف لن يوجد أي أساس للانتظام، وبالتالي لن يوجد أي أساس للبحث العلمي. وهذا ما تمَّ تفسيره في المقال الذي يحمل عنوان: التطور: ضدّ العلم [كما يظهر في المحاكاة الثالثة في الفصل الثالث من هذا الكتاب].

إنَّ الرؤى الأُخرى للعالم لا تستطيع أن تقدم أي معنى للبحث العلمي، وكمثال على ذلك، إن معظم الإيمان الهندوسي يعتمد على أنَّ الكون ليس إلا نوع من الوهم، وفي تلك الحالة سوف يكون البحث العلمي أمراً مستحيلاً. فكيف لنا أن نقوم بدراسة أي شيء غير موجود؟ فالتعليم الهندوسي يقول بعدم وجود تمايز وبأن الكل هو شيء واحد. لكن العلم يفترض وبشكل مسبق وجود التمايز؛ فإن كان لا يوجد أي فرق بين النجوم، الكواكب، المجرّات، أشباه النجوم، فحينها لن يكون لعلم الفلك أيّ معنى.

س: التفسيرات الطبيعية قد لا تمثل الحقيقة إلا أنها قابلة للإختبار.

د.ل: إن أي فلسفة تقوم باستبعاد تعسفي للإحتمالات التي يمكن أن تكون صحيحة، إنما هي فلسفة سيئة. إن الفلسفة الطبيعية تقوم بشكل تعسفي باستبعاد احتمالية الأصل الذي يفوق الطبيعة وبالتالي فهي فلسفة سيئة.

إن الكتاب المُقدَّس يُعلّمنا بأن جميع كنوز الحكمة والمعرفة هي في المسيح يسوع (كولوسي ٢: ٣)، وبالتالي فإنه يجب علينا ألا نُسبى بالفلسفة العلمانية كالفلسفة الطبيعية. فإن هذا النوع من

الفلسفة إنما هو " حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ." (كولوسي ٢: ٨).

لأكون واضحاً، نحن لا يوجد لدينا أي شيء ضد قوانين الطبيعة. فقوانين الطبيعة هي الإسم الذي نطلقة على الطريقة الإعتيادية التي يدير الله وفقها هذا العالم ويتمّم مشيئته. وإن أحد المشكلات مع الإنفجار الكوني هي أنّها تفترض بأن أصل الكون يُمكن أن يتم تفسيره من خلال قوانين الطبيعة. في حين أن الكتاب المقدس يقول لنا بشكل محدَّدٍ أنَّ الله قد خلق الكون بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يديره فيها حالياً (فالتكوين ٢: ٢ تقول لنا بأن الله قد أنهى كلَّ عمل قد عمله في اليوم السابع - وبالتالي فهو لا يقوم بعد بما قام به في أسبوع الخلق). وبالتالي، فإنَّه موقفٌ مضاد للكتاب المقدس أن نجادل بأنَّ الله قد قام بالخلق وفق ذات القوانين الطبيعية التي يديره وفقها حالياً.

أرجو أن يكون هذا الرد ساهم في توضيح الإلتباس.

د.ل.

٢٠. "نحن نعرف أن الطبيعة منتظمة لأنها لطالما كانت كذلك."

ج. من كولورادو، كتب:

إن المقال الذي كتبه د. جيسون لايل، "التطور: ضدّ العلم" ليس مقنعاً على أيّ مستوى، سواء ديني أو فلسفيّ أو رياضي أو أخلاقي.

إن الإنتظام الموجود في الطبيعة الكونية يمكن أن يكون مقبولاً بشكل منطقي وعقلاني على قاعدة المعاينة، والإستدلال (الإستنباط)، والأدلة التجريبية الأُخرى والإختبارات البشرية. إن الطبيعة تهمس وتعلن عن جوهرها في تناسق قوس قزح للأنماط التي بقيت متناسقة حتى يومنا هذا. إن أي نوع من الفهم عن الماضي، الحاضر أو المستقبل لن يكون ممكنا دون وجود هذا التوقع بالثبات.

حتى الآن لا يوجد أي دليل قد أبطل المفهوم القائل بأنه من الممكن فهم الطبيعة. ومن غير المهم أن نعرف سواء كان الله أو الطبيعة هو السبب في انتظامها. إن القيام بالبحث العلمي وفهمه لا يتطلب الرؤية التوراتية للعالم. إن التأكيد الذي قام به لايل بأنك لا يمكن أن تكون عالماً وتؤمن بالتطور، في أحسن الظروف، يمكن اعتباره جهل على مقياس كبير، أو أنَّه يخادع ويراوغ بشكل مكشوف. إن الحاجة لوجود سلطان مطلق هي حاجة دينية، وليست علمية.

بالنسبة للغالبية العظمى من العلماء، إن الكون هو طبيعيّ، وليس معجزيّ التصميم. ومعظم العلماء يقبلون نظرية التطور على قاعدة الأدلة الصرفة، وليس على أساس الأيديولوجية المطلقة. لم

يكن على "لايل" أن يتكلم بلسان العلماء أو التطوريّين. إنه متحيّز في عقليته الخلقيّة الحرفيّة وهذا ما جعله عاجزاً عن تناول هذا الموضوع بطريقة موضوعية.
أنت لا تحتاج لأن تكون خلقيّاً توراتياً لتقبل بانتظام الطبيعة أو بالقيمة العلمية. إن الدراسة الفعلية لطبيعة نفسها ستفعل ذلك. إن قام د. لايل بفهم التطور حتى وإن كان ذلك على مستوى الأساسيات، لكان عرف أنه بالرغم من أنّ حدوث التنوع عن طريق الطفرات الوراثية هو عشوائي، على الأقل بقدر ما تسمح به قوانين الطبيعة، إلا أن الإنتقاء الطبيعي ليس عشوائياً على الإطلاق.
إن الكتاب المقدس، وبالرغم من أهميته وكونه مثيراً للإهتمام، إلا أنَّه ليس كتاباً علمياً. لا يوجد أي شيء في صفحاته يفترض وجود فهماً للطبيعة يتجاوز الفهم المتوقع للأشخاص الذين كتبوه في الأزمنة المختلفة التي تمت الكتابة فيها، متضمناً أفكاراً باتت تعتبر خاطئةً بناءً على الفهم العلمي المتوفر في يومنا هذا.

التحليل:

إن هذه الرسالة هي واحدة من الرسائل المفضلة لدي وذلك كون كاتبها قد ارتكب كمية كبيرة من المغالطات المنطقية. فإن الجدل الأساسي الذي يقدمه هو أننا يجب أن نتوقع انتظام الطبيعة وذلك لأن الطبيعة لطالما كانت منتظمة. لكن فكرة أن شيئاً ما سيكون في المستقبل كما كان في الماضي هي بحد ذاتها مفهوم الإنتظام. وبالتالي فإن المعترض وبكل بساطة يلتمس السؤال - فهو يدافع عن الإنتظام من خلال افتراض الإنتظام. ومعظم الجزء الباقي من رسالته هو ارتكاب لمغالطة الفرضيات غير المترابطة؛ فالتصريحات التي يقدّمها لا علاقة لها بالموضوع المطروح. كما أنه لا يدرك الضرورة لوجود سلطان مطلق. وبما أنَّ هذه الرسالة هي مثال رائع عن المغالطات المنطقية الإعتيادية للتطوريّين، لقد قررت الرد بصيغة المبني للمجهول وباستخدام الرد نقطة فنقطة مستبقاً نشر هذا الرد عبر موقعنا الإلكتروني.

الردّ:

إن هذا الرد يتيح لنا الفرصة ويقدم لنا مادة عظيمة حتى نقوم بتقويم مهارات التفكير النقدي للمعترض. يشير ج. في رسالته إلى مقال لي بعنوان ("التطور: ضدّ العلم") [المحاكاة الثالثة في الفصل الثالث من هذا الكتاب] والذي أظهرت من خلاله حاجة العلماء للرؤية التوراتية للعالم وذلك على اعتبار أن الكتاب المُقدَّس وحده من يؤمّن تبريراً لانتظام الطبيعة.[4] والإنتظام هو المفهوم

[4] للتذكير فقط، يجب التمييز بين الإنتظام وبين مذهب الطبيعة الواحدة. إن الرسالة تصر على أن المعدلات والمعالجات المعاصرة هي ذات المعالجات والمعدلات في الماضي مع ثبات الظروف. إن الإنتظام لا يتطلب أي ثبات في الظروف؛ إن الإنتظام بكل بساطة هو الفكرة بأنه في حال كانت الظروف متشابهة فإن النتائج ستكون متوقعة. الرجاء العودة إلى الفصل التاسع في حال وجود مشكلة في هذا الخصوص.

القائل بوجود نوع من الإنتظام عبر الزمن كما في قولنا أن المستقبل هو انعكاس للماضي.[5] وكمثال على ذلك، إننا إن قمنا بتكرار تجربة من الماضي، فإننا سوف نتوقع الحصول على النتائج عينها في المستقبل في حال كانت الظروف التي ترافق التجربة متشابهة إلى حد واضح. ونجد هنا أن ج. لم يفهم الجدل الذي يحاول أن يدحضه بشكل جيد، وكنتيجة لذلك فإن جدله يفشل على عدة مستويات.

ج: إن المقال الذي كتبه د. جيسون لايل، "التطور: ضدّ العلم" ليس مقنعاً على أيّ مستوى، سواء ديني أو فلسفيّ أو رياضي أو أخلاقي.

د.ل: لا يحتاج الجدل أن يقنع جميع الأشخاص في سبيل أن يتم اعتباره حاسماً. إذ أنَّ إثبات الشيء يختلف عن الإقتناع به. إن كان أي شخص يستطيع أن يجد مشكلة حقيقيّة في الجدل الذي تمَّ تقديمه سيكون ذلك أمراً مختلفاً. لكن حقيقة أن الجدل لم يقم بإقناع ج لا يتصل بالموضوع بتاتاً.

ج: إن الإنتظام الموجود في الطبيعة الكونية يمكن أن يكون مقبولاً بشكل منطقي وعقلاني على قاعدة المعاينة، والإستدلال (الإستنباط)، والأدلة التجريبية الأُخرى والإختبارات البشرية.

د.ل: لا، إنه غير ممكن، وذلك كنتيجة لهذا السبب الواضح: إن "المعاينة، والإستدلال (الإستنباط)، والأدلة التجريبية الأُخرى والإختبارات البشرية." تفترض الإنتظام بشكل مسبق! إن لم تكن الطبيعة منتظمة، وإن لم تكن قوانين الفيزياء والكيمياء ثابتة، فإن ذاكرتنا وحواسّنا لن يكون من الممكن الإعتماد عليها وذلك كونها تستخدم الفيزياء والكيمياء. وبالتالي فإنه من خلال افتراض أنه من الممكن الإعتماد على ذاكرتنا وعلى معايناتنا وبأنها ذات معنى، نكون عملياً قد افترضنا الإنتظام. ولذلك لا يمكننا أن نقوم بالاستدارة واستخدام معايناتنا وتجربتنا في سبيل اثبات وجود الإنتظام. فهذا سيكون ارتكاباً لمغالطة التماس السؤال - من خلال افتراض ما تحاول اثباته.

الأكثر أهميةً من ذلك، هو أنه بمعزل عن الرؤية المسيحية للعالم لن يوجد أي سبب للإعتقاد بأن المستقبل "يعكس" الماضي. فأحد أبعاد الإنتظام هو أنّ الإنتظام يمتد عبر الزمن إلى المستقبل. لكن كيف يمكن معرفة ذلك دون الرجوع إلى الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس؟ إن القول بوجود انتظام في الماضي لا يرتبط منطقياً بحدوث ذلك في المستقبل، إلا إن كنّا قد افترضنا بشكل مسبق بأنَّ المستقبل يعكس الماضي. الجدل الذي يقدمه ج هنا ليس إلا جدلاً دائرياً.

ج: إن الطبيعة تهمس...

---

[5] إن توفرت الشروط عينها فإن النتائج عينها ستكون متوقعة، وهذا يرجع إلى حقيقة أنَّ الله الذي لا يخضع للزمن قد اختار أن يدير الكون بطريقة متّسقة.

د.ل: إن هذا ارتكاب لمغالطة تجسيد المفاهيم "Reification": أي إسناد الخصائص الشخصية والملموسة إلى المفاهيم - وفي حالتنا هذه إلى الطبيعة. إن تجسيد المفاهيم هو أمر مقبول في الشعر ، لكنه يجب علينا أن نتجنّب استخدامه في الجدالات العقلانية لأنه يسبب الإلتباس والغموض. إن الطبيعة لا تسطيع أن "تهمس لنا"، إنما نحن من نقوم بالخلوص إلى استنتاجات معينة بناءً على رؤيتنا للعالم.

ج: ... وتعلن عن جوهرها في تناسق قوس قزح للأنماط التي بقيت متناسقة حتى يومنا هذا.

د.ل: يجادل ج هنا بأن الطبيعة حتى الآن "حتى يومنا هذا" كانت متّسقة. لكن تذكر أن السؤال الذي طرحته في المقال هو: "لماذا سيكون المستقبل انعكاساً للماضي؟" إن حقيقة كون الطبيعة منتظمة حتى الآن لا يرتبط منطقياً بأنها ستكون منتظمة في المستقبل إلا في حال افترضنا بشكل مسبق بأنَّها ستكون مشابهة للماضي (أي أننا افترضنا الإنتظام). إننا في كلّ مرة نقوم باستعمال التجارب والخبرات الماضية كقاعدة لتوقع ما يمكن أن يحدث في المستقبل، نكون نفترض وجود الإنتظام. لكن المسيحي الملتزم بالتعليم التوراتي وحده الذي يمتلك القاعدة التي تبرِّر هذا الدعاء. كما أنَّ التأكيد "بما أنَّه وُجد انتظام في الماضي، فإنه غالباً سيكون هنالك انتظام في المستقبل" إنما هو جدل دائريّ لأنه يفترض وجود الإنتظام (أي: إنَّ المستقبل سوف يكون مثل الماضي).

وأيضاً (لنكون شاملين)، بمعزل عن الكتاب المُقدَّس لا نستطيع أن نعرف بأن الطبيعة كانت متّسقة في الماضي أيضاً، وذلك أنَّ الجزء المسؤول عن ذاكرتنا يعتمد على الإنتظام. وبكلمات أُخرى، إن ج. قد افترض بشكل مسبق أنَّ الطبيعة منتظمة ليكون قادراً على تقديم جدل بأنه قادر على تذكر بأن الطبيعة منتظمة - جدل دائري.

ج: إن أي نوع من الفهم عن الماضي، الحاضر أو المستقبل لن يكون ممكنا دون وجود هذا التوقع بالثبات.

د.ل: تماماً! إن البحث العلمي لن يكون أمراً ممكناً دون وجود الإنتظام. إلا أن الرؤية المسيحية للعالم وحدها التي تستطيع أن تفسر سبب وجود هذا الإنتظام. وبالتالي فإن الرؤية المسيحية للعالم وحدها التي تستطيع أن تفسر امكانية إجراء البحث العلمي.

ج: حتى الآن لا يوجد أي دليل قد أبطل المفهوم القائل بأنه من الممكن فهم الطبيعة.

د.ل: في هذا المقطع يتوضح لنا سوء الفهم الذي وقع به ج فيما يتعلق بالجدل المُقدَّم في المقال. فالجدل ليس هو أنَّ الطبيعة لا يمكن أن تُفهم. إنما الجدل هو أنَّه في حال كان التطور صحيحاً، فإنه لن يكون من الممكن فهم الطبيعة (لأنه لن يوجد أي أساس للإنتظام). إنه من الممكن أن يتم

فهم الطبيعة وبالتالي فإن التطور لا يمكن أن يكون صحيحاً. وهذه صيغة جدل من نوع " Modus Tollens" أي نقض الناتج أو نفي الناتج.[6]

ج: ومن غير المهم أن نعرف سواء كان الله أو الطبيعة هو السبب في انتظامها.

د.ل: في الحقيقة، إنه أمر حيوي ومهم. فإنه بمعزل عن الإله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المُقدَّس الذي هو خارج حدود الزمن، ويعرف المستقبل، وقد قال لنا بأنه سيدير المستقبل بطريقة تعكس الماضي (تكوين ٨: ٢٢)، لن يكون هنالك أي أساس للانتظام. بمعزل عن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس، كيف يمكن أن نعرف أي شيء عن المستقبل بما أنَّه لا يوجد أي شخص قد اختبر المستقبل؟

ج: إن القيام بالبحث العلمي وفهمه لا يتطلب الرؤية التوراتية للعالم.

د.ل: كيف سيكون من الممكن أن نفسر الإنتظام إذاً؟ إن العلم يتعلق باجراء توقّعات عن المستقبل (نتائج أو مخرجات الإختبارات، مواقع الكواكب، وما شابه ذلك)، وهي الأمور التي تتطلب الإنتظام. بمعزل عن الرؤية المسيحية للعالم، كيف يمكن لأي شخص أن يعرف بأن الإنتظام يمتد إلى المستقبل؟

ج: إن التأكيد الذي قام به لايل بأنك لا يمكن أن تكون عالماً وتؤمن بالتطور، في أحسن الظروف، يمكن اعتباره جهل على مقياس كبير، أو أنَّه يخادع ويراوغ بشكل مكشوف.

د.ل: إن هذه مغالطة تدعى باسم رجل القشّ: وهي تعمد إلى إساءة تقديم موقف الخصم. هل صرَّحتُ بأنّ الشخص لا يستطيع أن يكون عالماً ويؤمن بالتطور في الوقت عينه؟ لقد أدليت بتصريح في المقال يقول: "إن الإجابة هي بأن التطوريّين قادرين على اجراء البحث العلمي فقط لأنهم ليسوا متَّسقين" [تشديد على هذه النقطة]. على ما يبدو أن ج لم يميّز الجدل بأكلمه. إن المبادئ العلمية (مثل الإنتظام) لا تتطلب اعترافاً بالإيمان بالكتاب المُقدَّس؛ إنما هي تتطلب أن تكون الرؤية المسيحية للعالم صحيحةً. لذلك قمت بالتصريح بأنَّ "التطوريّين قادرين على القيام بالبحث العلمي فقط في حال قاموا بالإعتماد على الافتراضات الخلقية التوراتية (مثل الإنتظام) والتي تناقض رؤيتهم المُعلنة للعالم." إن حقيقة أن التطوريّين يستطيعون أن يكونوا علماء (بالرغم من عدم اتّساقهم) قد تم تكرارها في نهاية المقال مرّة ثانية، وبالتالي فإنه من الغريب كيف يمكن ألا يلاحظها ج.

ج: إن الحاجة لوجود سلطان مطلق هي حاجة دينية، وليست علمية.

---

[6] انظر الفصل الثامن.

د.ل: مع كل الإحترام، إن هذا موقف عبثي من الناحية الفلسفية. فجميع الجدلات تنتهي إلى معيار مطلق - وهو سلطان يتم التمسك به على أنَّه غير قابل للشك.[7] وإلا فإن الجدل سوف يستمر إلى الأبد دون وجود أي إمكانية لإنهائه. وبالتالي فإنَّ كلَّ شخص يمتلك معياراً/ سلطاناً مطلقاً. إلا أن معظم الأشخاص كما في حالة ج لم يفكروا ملياً في معيارهم الأعلى، وفي مدى اتساقه.

ج: بالنسبة للغالبية العظمى من العلماء، إن الكون هو طبيعيّ، وليس معجزيّ التصميم.

د.ل: إن هذه مغالطة التماس السلطة / رأي الأغلبية وهذا الأمر لا صلة عقلانية له بالموضوع. ففي إحدى المرّات كان معظم العلماء يؤمنون بأنَّ الشمس والكواكب تتحرك في مدارات حول الأرض - إلا أنَّ رأيهم لم يجعل من ذلك الأمر صحيحاً.

ج: ومعظم العلماء يقبلون نظرية التطور على قاعدة الأدلة الصرفة، وليس على أساس الأيديولوجية المطلقة.

د.ل: إن هذا ليس حقيقياً ألبتّة. إن الخلقيّين والتطوريّين يمتلكون الأدلة عينها، لكنهم يصلون إلى استنتاجات مختلفة منها وذلك بالإعتماد على رؤيتهم للعالم. إن المذهب التطوري يُقاد عادة بالأيديولوجيّات العلمانية مثل المذهب الطبيعي أو المذهب الماديّ. تأمل في هذا التصريح من التطوري ريتشارد ليونتين:

نحن نتخذ جانب العلم بالرغم من عبثية بعض بُنَاه، بالرغم من فشله في الوفاء بالعديد من وعوده التي تم المبالغة بها في الصحة والحياة، بالرغم من قبول المجتمع العلمي لقصص لا أساس أو سند لها، ذلك لأننا نمتلك التزاماً مسبقاً بالمذهب الماديّ.

ليس أن الأساليب والمؤسسات العلمية تجبرنا على نحو ما على قبول التفسير الماديّ للظواهر العالمية، إنما على النقيض من ذلك، أي أننا مضطرين بناءً على التزامنا بأولويّة المُسبِّبات المادية إلى اختراع أجهزة للتحقيق ومجموعة من المفاهيم التي تقوم بانتاج التفسيرات الماديّة، وليس مهماً كونها معاكسة للبديهيات أو غموضها بالنسبة للمبتدئين. إضافةً إلى أنَّ المادّية هي مطلقة، إذ أننا لا نستطيع أن نسمح للطبيعة الإلهية أن تخطو خطوةً واحدة إلى عالمنا.[8]

هل يبدو لك هذا التصريح على أنَّه استنتاج مبني على تحليل موضوعي غير متحيز للأدلة، أو أنه دلالة على "أيديولوجية مطلقة" (المذهب المادي في هذا الحالة)؟ إن كلَّ شخص يمتلك رؤية للعالم ويعتمد عليها لتفسير الأدلة. ولكن ليس كلّ شخص يدرك امتلاكه لرؤية للعالم.

---

[7] انظر الفصل التاسع

[8] ريتشارد ليونتين، "مليارات ومليارات من الشياطين"،" ,Billions and Billions of Demons, The New York Review (January 9 (1997" ص.٣١.

ج: لم يكن على "لايل" أن يتكلم بلسان العلماء أو التطوريّين. إنه متحيّز في عقليته الخلقية الحرفيّة وهذا ما جعله عاجزاً عن تناول عن هذا الموضوع بطريقة موضوعية.

د.ل: كلّ شخص هو متحيّز - فكل شخص يمتلك رؤية للعالم. السؤال هو: أي تحيز/ رؤية للعالم هي الأفضل. أي رؤية للعالم قادرة على أن تقدم معنى للمنطق العلمي، الإستقراء المنطقي، الأخلاق، وهلم جرا؟ إن الرؤية المسيحية للعالم تستطيع أن تفسر البحث العلمي والتكنولوجي بما أنها تقدم تفسيراً لوجود انتظام الطبيعة. لكن المذهب التطوري يعجز عن ذلك.

ج: أنت لا تحتاج لتكون خلقيّاً توراتياً لتقبل بانتظام الطبيعة أو بالقيمة العلمية.

د.ل: إن هذا ليس جدلاً. فلا يوجد أي شخص يجادل بأن التطوريّين لا يقبلون هذه الأشياء؛ إنه أمرٌ واضح أنهم يقبلون بها. لقد أشرت وبكل بساطة إلى أن الأمور المشابهة لتلك المذكورة لا معنى لها إلا في حال كانت الرؤية المسيحية صحيحة. وبالتالي فإن التطوريين الذين يقبلون الإنتظام والعلم يقفون موقفاً غير عقلانيّ، ذلك لأن الإعتقادات المشابهة لتلك لا أساس لها في رؤيتهم المعلنة للعالم. وبنفس الطريقة التي يتصرف بها الأطفال بناءً على اعتقادات غير مبرَّرة (كما يحدث حين يقومون بسحب الغطاء فوق رؤوسهم ليحميهم من الوحش المختبئ في خزانة الملابس)، وبالتالي فإن التطوريّين يتصرفون بناءً على اعتقادات لا يستطيعون تبريرها.

ج: إن الدراسة الفعلية للطبيعة نفسها ستفعل ذلك.

د.ل: لا لن تفعل. ففي سبيل أن نكون قادرين على دراسة الطبيعة فإننا سنحتاج لافتراض الإنتظام بشكل مسبق.

ج: إن قام د. لايل بفهم التطور حتى وإن كان ذلك على مستوى الأساسيات، لكان عرف أنه بالرغم من أنّ حدوث التنوع عن طريق الطفرات الوراثية هو عشوائي، على الأقل بقدر ما تسمح به قوانين الطبيعة،إلا أن الإنتقاء الطبيعي ليس عشوائياً على الإطلاق.

د.ل: سواء كانت الطفرات الوراثية أو الإنتقاء الطبيعي فإنهما عاجزان عن تقديم تفسير للحرية البشرية أو للعقلانية. فالتحليل العقلاني يفترض وبشكل مسبق أن البشر قادرون على التأمل في البدائل المتاحة واختيار الأفضل بينها. العقلانية تحمل معنى في ضوء الرؤية المسيحية للعالم، لكنها لا تتوافق مع الإدعاءات التطورية بأن الجنس البشري هو نتاج الطفرات الوراثية والإنتقاء الطبيعي.

بالرغم من كوننا قد تناولنا هذا الموضوع في عدد كبير من المرّات، إلا أنَّه يستحق التكرار بأنَّ الطفرات الوراثية والإنتقاء الطبيعي عاجزان عن إنتاج الكمية الهائلة من المعلومات الإبداعية

الجديدة الموجودة في المجمع الجيني (الجينوم) والمطلوبة ليكون التطور صحيحاً [راجع موقعنا **www.answersingenesis.org** للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع].

ج: إن الكتاب المقدس، بالرغم من أهميته وكونه مثيراً للإهتمام، إلا أنَّه ليس كتاباً علمياً.

د.ل: إننا متوافقين على هذه النقطة، فالكتب العلمية هي قابلة للخطأ. وهي تتطلب أن يتم تقديم تحديثات لها ذلك نتيجة لرفض عدد من الأفكار القديمة في مقابل قُبول الأفكار الحديثة، لكن الكتاب المقدس أصاب الغاية من المرة الأولى وليس من حاجة لأي تحديث!

ج: لا يوجد أي شيء في صفحاته يفترض وجود فهمٍ للطبيعة يتجاوز الفهم المتوقع للأشخاص الذين كتبوه في الأزمنة المختلفة التي تمت الكتابة فيها،

د.ل: إن هذا ارتكاب لمغالطة القضايا غير المترابطة. فلا يوجد أي صلة بين الإدعاء وبين الجدل المقدم (الكتاب المقدس يؤمن الشروط المسبقة لقابلية الفهم، في حين أن التطور لا يفعل ذلك.) وبما أن الله قد أراد للكتاب المُقدَّس أن يكون مفهوماً للحضارات المختلفة والمناطق المختلفة، فإنه ليس من المستغرب أنه لا يحتوي على تفاصيل بناء مفاعل نووي أو الإشتقاق المتري لشفارتزشيلد!

إلا أنَّ الكتاب المُقدَّس يحتوي بالفعل على بعض الأمثلة عن المعرفة التي تسبق معرفة الأيام. في الفصل الثاني من كتاب "Taking Back Astronomy" توجد أمثلة عديدة عن هذا الموضوع. والأهم بالنسبة لموضوعنا هذا، أن الكتاب المقدس يحتوي على معلومات لا يمكن الوصول إليها إلا في حال قام الله بإعلانها- مثل حقيقة أن المستقبل (في جوانب معينة) سيكون مثل الماضي (تكوين ٨: ٢٢). أنا أُدرك أن كل شخص تقريباً يفترض بأنَّ المستقبل هو مثل الماضي. إلا أن الجدل هو أن الرؤية المسيحية للعالم وحدها من تمتلك تبريراً عقلانياً لهذه القناعة.

ج: متضمناً أفكاراً باتت تعتبر خاطئةً بناءً على الفهم العلمي المتوفر في يومنا هذا.

د.ل: إن هذا التماس للسؤال. فنحن نستطيع أن نقول بأنَّ عددا من الأفكار المعاصرة هي مجرد أخطاء بناء على ما يعلّمه الكتاب المقدس.

لاحظ أنَّ النقاط الرئيسية التي يعترض عليها ج قد تمت الإجابة عنها في المقال الذي يعترض عليه في القسم الذي يحمل عنوان "كيف يمكن للتطوريّ أن يرد؟" لقد رأينا دحضاً للأفكار القائلة بأن أفكار الإنتظام يمكن أن تستخلص من تجارب الماضي أو أن الإنتظام هو خاصية من خصائص الكون نفسه. في القسم الذي تمت عنونته "هل يستطيع التطوريون أن يقوموا بالبحث العلمي؟" كنا قد رأينا كيف يمكن للتطوريين أن يقوموا بالبحث العلمي وذلك بالرغم من رؤيتهم المعلنة للعالم.

٢١. ردّ مضاد؟

في معظم الأحيان حين أقوم بالرد على بريد الكتروني، لا أسمع أي ردّ بعد ذلك من المعترض. لكن ج. (مرسل الرسالة السابقة) قد حاول أن يقدّم ردّاً مضاداً. إلا أنّ رسالته للأسف كانت طويلة جداً وعلاقتها بالموضوع سيئة جداً؛ وهي طويلة جداً لكي يتم وضعها هنا. ولكنني قد ارتأيت أنه سيكون من المفيد أن يتم تلخيص عناوينها:

ج: لقد بدأ ج بالجدل بأنه كلما ازداد عدد الأشخاص الذين يقتنعون بالجدل، كلما كان الجدل يميل لأن يكون صحيحاً (وهذا التماس خاطئ لرأي الأغلبية). طريقة العرض هذه لنظرية المعرفة هي ذاتية النقض: ومعظم الأشخاص لايمتلكون هذه الرؤية التي امتلكها ج؛ وبالتالي فإنَّه وبناءً على معاييره لا يجب أن يثق بمنطقه المقدم.

حاول ج استخدام جدل يعتمد على مغالطة رجل القش، من خلال الإدعاء أنني أهاجم التطور من خلال مهاجمة أولئك الذي يؤمنون به. وأشار إلى أن الجدل الذي قدَّمته كان مبنياً على جدل دائري - مفترضاً أن الكتاب المقدس صحيح لأنه يقول أنَّه صحيح. وهذا يظهر أنّ ج لا يدرك طبيعة المعيار المطلق، أو الجدل الذي قدَّمته (الكتاب المقدس يجب أن يكون صحيحاً لأنَّه إن لم يكن كذلك فإننا لن نمتلك أي أساس للإنتظام أو لأي من الشروط المسبقة لقابلية الفهم) - وهو ليس جدلاً دائرياً مفرغاً. ثم جادل ج بأننا لا نحتاج للكتاب المقدس في سبيل أن نفسر الإنتظام وذلك أنَّ النباتات تنمو بطريقة منتظمة. (بالطبع سيكون الوضع كذلك، لأن الله يرعاهم بطريقة منتظمة.) وبالتالي فإن جدل ج لا علاقة له بالموضوع (مبني على مغالطة الفرضيات غير المترابطة).

لقد ادعى ج بأننا نستطيع أن نتعرف على الطبيعة بغض النظر عن الله الذي أعلن عن ذاته في الكتاب المقدس. لكن لم يقدم أي سبب لقدرتنا على الإعتماد على حواسنا أو الإنتظام في الطبيعة. كما هو حال العديد من التطوريّين، يأخذ ج هذه الأمور على أنَّها مسلّمات. وهذا أمر متعسّف وهو مجرّد رأي. يدّعي ج بأنَّ "التطور هو حقيقة بناءً على التعريف العلمي له." إلا أنَّ هذا ليس إلا التماس للسؤال. ثم جادل بأنه لو كان الكتاب المُقدَّس صحيحاً لكان الجميع آمن به. لكن الكتاب المُقدَّس يقول لنا بأننا نمتلك الطبيعة الخاطئة، والميل للتمرّد على الله خالقنا.

يوجد عدد آخر من النقاط البسيطة أيضاً، إلا أنَّ العبارات التي أوردناها أعلاه هي محور "الرد" الذي قدّمه ج. لكن تجدر الملاحظة أنَّ الردَّ الذي قدَّمه لا علاقة له بالموضوع الذي هو قيد المناقشة. فالجدل الذي قدَّمتُهُ هو: بمعزل عن الكتاب المقدس سوف لن نمتلك أي قاعدة للإعتقاد بأنَّ المستقبل يجب أن يعكس الماضي، وبالتالي فلا يوجد أي أساس للعلم أو التكنولوجيا.

وبالتالي فإنه كان من الواجب على ج أن يقوم بمحاولة إظهار أنه من الممكن أن نعرف أنَّ المُستقبَل سوف يكون مثل الماضي بمعزل عن الكتاب المقدس. لكن ردّه كان عبارة عن مثال ضخم لمغالطة القضايا غير المترابطة.

وهذا الأمر شائع جداً. فالتطوريّون لا يستطيعون الردّ على الأسئلة، لذلك يحاولون بشكل دائم أن يقوموا بتغيير الموضوع. لا تسمح لهم أن يقوموا بذلك. بالطبع أنا قادر على الرد على ج باستخدام رد بأسلوب نقطة فنقطة، مظهراً له المغالطات المرتكبة والافتراضات الخاطئة. لكن حين يقوم التطورين بالهرب من الموضوع، إنَّه من الأفضل أن تتم الإشارة إلى أنهم لا يجيبون عن السؤال الذي تمّ طرحه. لقد قررت أن أقوم بطريقة مهذبة بإجبار ج على التعامل مع الجدل الحقيقي، والتوقف عن القفز والتهرب من المعضلة الرئيسية. وهذا هو الرد الفعلي الذي أرسلته إلى ج:

الردّ:

عزيزي ج،

أود شكرك للرد الذي قدَّمته. مع احترامي الشديد لك، أنت لم تفهم الجدل الذي تمّ تقديمه حتى الآن، ولذلك فأنت لم تردّ على أيّ شيء. دعني أضع لك الجدل بطريقة بسيطة للغاية على أمل أن يقوم هذا بإيضاح الأمور:

(١) إن الشخص العقلاني يجب أن يمتلك مبرّراً لما يؤمن به ويتصرف بناءً عليه؛ أي أنَّه يجب أن يمتلك سبباً. (في المنطق لا يسمح لأي شخص أن يكون تعسّفياً أي اعتباطياً).

(٢) وحدها الرؤية المسيحية للعالم تؤمِّن سبباً للإعتقاد بأن المستقبل سوف يكون مثل الماضي. وحده المسيحي يمتلك تبريراً لانتظام الطبيعة الذي يعتمد عليه البحث العلمي.

(٣) بالتالي، حين يقوم أيّ شخص غير مسيحي بالبحث العلمي، فإنه يكون غير عقلانيّ، على اعتبار أنَّه يعتقد بشيء (أي الإنتظام في الطبيعة) في الوقت الذي لا يمتلك أي مبرر له.

هل الامر واضح الآن؟ حين يقوم غير المسيحيين بالبحث العلمي، يقومون بافتراض أن المستقبل سوف يكون مثل الماضي دون امتلاك أي مبرّرٍ لهذا المبدأ. وبالتالي فإنهم يكونون غير عقلانيّين. وحقيقة كون غير المسيحيّين قادرين على القيام بالبحث العلمي ليس موضوعاً قيد التساؤل. من الواضح أن غير المسيحيّين يستطيعون الإعتقاد بوجود انتظام في الطبيعة ويتصرفون بناءً على اعتقادهم هذا. إلا أنه نتيجةً لعدم امتلاكهم مبرّراً أيّ سبباً في رؤيتهم المعلنة للعالم، فإنهم يكونون تعسّفيّين. إن الأطفال يتصرّفون بهذه الطريقة؛ حيث أنهم يسحبون الغطاء ليقوموا بتغطية

رؤوسهم لاعتقادهم بوجود وحش ما في خزانة ملابسهم. لكن وبما أنه لا يوجد أي أساس لاعتقادهم هذا، فإنهم ليسوا عقلانيّين.

أنا أُرحِّب بالتحديات التي يتم طرحها في مواجهة حُجَجِي وجدلي الذي أقدمه. وأود مساعدتكم في بناء جدلٍ خاص بكم. بما أن الإستنتاجات تتبع من الفرضيات المنطقية المُقدَّمة، فأي محاولة لدحض الجدل يجب أن تتحدى حقيقة واحد أو أكثر من المقدمات المنطقية المُقدَّمة. فيجب عليك إما أن تجادل بأنَّ (١) إنَّه من العقلاني أن تكون تعسّفياً- أي أن تؤمن بأشياء دون وجود أي مبرر أو سبب لاعتقادك بها. أو (٢) أنه يوجد على الأقل رؤية غير مسيحية للعالم تتمتع بالإتساق الذاتي وتقدم قاعدة لكون المستقبل يشكل انعكاساً للماضي. أنا أقترح أن تحاول القيام بالدحض من خلال ٢. ولا أعتقد بأنك سوف تكون قادراً على ذلك(الفيلسوف ديفيد هوم قد وصل إلى الشكّ الكلي نتيجة لهذه المسألة)، لكنني أعتقد أن المحاولة ستكون تدريباً جيّداً. وأي ردٍّ لا يتضمن هذا يكون قد أخطأ الهدف ولا يمثل أي دحض على الإطلاق. آمل أن يكون هذا قد ساعدك.

د.ل.

يجب الإنتباه إلى الجملة الأخيرة من ردّي حيث أنني أحاول أن أدفع ج إلى أن يقوم بالتعامل مع الجدل الحقيقي، وليس مجرد القفز والهرب إلى مواضيع جانبية مرّة أُخرى. أنا أحاول أن أُجنِّبه استعمال نفس الأسلوب الذي استعمله في المرة الأخيرة. ولم أتلقى بعد ذلك أيّ ردٍّ منه.

النهاية

المجد لله:

الإهداء إلى كلّ من ساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في إتمام هذا العمل خلال مدة قصيرة نسبياً، أعتذر في حال وُجد عدد من الأخطاء اللغوية أو الإملائيّة أثناء الطباعة. حيث أنَّ هذا الكتاب قد انجز بمواهب الروح القدس العاملة في حياة الأشخاص الذين عملوا على إتمامه.

الشكراً دون ذكر أسماء فالغاية هي خدمةً لمجد اسم يسوع المسيح فقط، البعض ممن قدَّم كأس ماءٍ باردٍ أو رداء أو حتى كلمة تعزية أثناء العمل، لكم أقول: الرب لن ينسى لكم تعب محبتكم وليبارك عملكم ويفيض عليكم بخيراته ومواهبه.

الرجاء لا تتوقف عند نهاية هذا الكتاب، تابع المسير. فالطريق إلى الله مليء بالفرح والتعزية التي عايَنتُهَا وشَهِدتُّها وأتمنى أن يكون هذا العمل بمثابة شمعة تنير ظلام هذا العالم الذي يبحر مبتعداً عن إلهنا المُحب والصالح.

انشر هذا العمل بين أصدقائك وأخوتك ومُبغضيك، فربما تفرح وتتعزى قلوبهم بمعرفة وقبول الخلاص الذي قَبِلنَاه.

" أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُواظَبَةٍ وَطِلْبَةٍ، لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، وَلأَجْلِي، لِكَيْ يُعْطَى لِي كَلاَمٌ عِنْدَ افْتِتَاحِ فَمِي، لأُعْلِمَ جِهَارًا بِسِرِّ الإِنْجِيلِ،“ (أفسس ٦: ١٠-١٩)

الرجاء لا تقم ببيع الكتاب.